المملكة العربية السعودية
وزارة التعليم العالي
الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة
كلية الدعوة وأصول الدين
قسم الدراسات العليا
شعبة العقيدة.

جهود

الشاه اسماعيل بن عبد الغني بن الشاه ولي الله الدهلوي

في توضيح عقيدة السلف في شبه القارة الهندية

(١١٩٣هـ - ١٢٤٦هـ)

رسالة مقدمة لنيل درجة العالمية "الماجستير"

اعداد الطالب
محمد عبد السلام محمد غوث

بإشراف
الدكتور/ عطية بن عتيق الزهراني

١٤١٥هـ / ١٩٩٥م

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

إن الحمد لله نحمده، ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لاشريك له، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله.﴿يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ولاتموتن إلا وأنتم مسلمون﴾(١) ﴿يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالا كثيرا ونساء واتقوا الله الذي تسائلون به والأرحام إن الله كان عليكم رقيبا﴾(٢)﴿يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وقولوا قولا سديدا يصلح لكم أعمالكم ويغفر لكم ذنوبكم ومن يطع الله ورسوله فقد فاز فوزا عظيما﴾(٣).

أما بعد : فإن أصدق الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدي محمد صلى الله عليه وسلم، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار. (٤)

إن نعم الله عزوجل على عباده لاتعد ولاتحصى ومن أعظمها نعمة الإيمان ﴿بل الله يمن عليكم أن هداكم للإيمان﴾(٥) ومن علينا بإرسال خاتم الرسل محمد صلى الله عليه وسلم ﴿لقد من الله على المؤمنين إذا بعث فيهم رسولا من أنفسهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة﴾(٦)

ومن عظيم نعمه الخاصة بالأمة الإسلامية تكفله بحفظ الدين إلى يوم الدين عن التحريف والتبديل، كما قال الله تعالى﴿إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون﴾ (٧) وقد صدق وعده

---

(١) سورة آل عمران /١٠٢

(٢) سورة النساء / ١

(٣) سورة الأحزاب /٧٠-٧١

(٤) هذه الخطبة معروفة بخطبة الحاجة، رواها أبوداود - النكاح - ٢١١٨ والترمذي - النكاح - ١١٠٥ وحسنه، والنسائي - الجمعة - ١٠٤/٣ وابن ماجة - النكاح - ١٨٩٢ وصححه الألباني انظر تخريج المشكاة - ٣١٤٩ وله رسالة جمع فيها طرق هذه الخطبة .

(٥) سورة الحجرات / ١٧

(٦) سورة آل عمران / ١٦٤

(٧) سورة الحجر /٩

بتسخير العلماء العاملين بالكتاب والسنة، في كل زمان ومكان، وبجعلهم ورثة لأنبيائه(١) ورثوا عنهم العلم والعمل فقاموا بما ورثوا خير قيام، فأقاموا الحجة على خلقه، يدعونهم إلى دينه الصحيح، ويحمونه من شوائب الشرك والبدع، ويدفعون عنه تحريف الغالين وانتحال المبطلين وتأويل الجاهلين، تصديقا لقول رسوله النبي الأمي صلى الله عليه وآله وسلم "لاتزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق لايضرهم من خذلهم حتى يأتي أمر الله وهم كذلك" (٢)

ومن هؤلاء العلماء الذين اختارهم الله لنشر توحيده ودفع الشرك عنه ولإحياء السنة ولإماتة البدع الشاه محمد إسماعيل بن الشاه عبد الغني بن الشاه ولي الله الفاروقي الدهلوي، المتوفى سنة ١٢٤٦هـ "مؤسس النهضة السلفية في شعاب الهند وأقطارها" (٣)"رائد حركة أهل الحديث وقائدها" (٤) في القارة الهندية، جزاه الله عنا خير الجزاء.

وبعد إن الله لما يسر لي مواصلة الدراسة في قسم العقيدة بالدراسات العليا في الجامعة الإسلامية السلفية الغراء، بالمدينة النبوية، وكان من نظام الجامعة كتابة بحث في موضوع مفيد اخترت أن يكون بحثي في جهود الشاه محمد إسماعيل في توضيح عقيدة السلف في تلك الديار البعيدة منها، فهو جدير بأن تنوه بجهوده وجدير بأن يكتب عنه، فقد بذل في سبيل نصرة التوحيد والسنة ماله ونفسه، وما أروع ما قيل في الموازنة بين دعوته ودعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب بأنه وجد من يحاربه والشيخ وجد من يساعده في آخر الأمر.

والجدير بالذكر أن الشاه وإن كان رائد السلفية في الهند ومؤسسها، وملأ صيته الهند ونواحيها، إلا أن طبيعة دعوته لم تسمح له التفصيل في المسائل العلمية الدقيقة التي تبرز بها منزلة العلماء، وخاصة إذا ووزن هو و جهوده بمشاهير الأمة الإسلامية وجهودهم أمثال شيخ الإسلام ابن تيمية وابن القيم رحمهم الله وغيرهم، فهو دونهم بكثير، ولكن تبرز شخصيته وقيمته إذا قورن برجال بلده ومعاصريه، فهو فوقهم بكثير وإن كانت الموازنة لاتستحسن بين علماء الأمة.

(١) الحديث أخرجه البخاري ـ العلم ـ ١٠

(٢) رواه مسلم ـ الإمارة ـ ١٧٠

(٣) النهضة السلفية في الهند وباكستان ص: ٥

(٤) البريلوية ص: ١٦٢

جهوده ليست عالمية شاملة، بل هي محدودة في القارة الهندية، ثم إنه رجل عجمـي نشأ في قرون متأخرة وعاش في بلد بعيد عن منهج السلف، وخاطب العجم الغارقين في علـوم الفلسـفة والكلام، المتعصبين لمعتقداتهم أشد التعصب، والخاضعين لعلمائهم إلى حد العبادة، ولذا قـد لان جانبه في دعوتهم والرد عليهم .

و اتخذ الفارسية (لغة الرافضة) والأردية (المتأثرة بها) وسيلة لدعوته مع العربية (لغة الكتاب والسنة) ولايخفى أن لكل لغة أسلوبا في التخـاطب والتعبـير، فـنراه في غضـون كلامـه اسـتخدم مصطلحات صوفية وألفاظ محدثة، لمعان صحيحة، ولعله اضطر إلى ذلك لطبيعة اللغة الـتي كـان يكتب بها، ولتقريب الحق إلى أهلها، فالعذر له أليق من النقد عليـه، وينبغـي أن تقـرأ شـخصيته وجهوده في هذا السـياق الـذي ذُكـر، حتـى لايهضـم حقـه مـن الإنصـاف ولايحـط شـأنه مـن الاستحقاق.

منهج البحث

الكتابة في جهود الشخصية تقتضي جمع كلامه وآرائه والمسائل العلمية التي تناولها بالأخذ والرد، وعرضها عرضا منسقا مرتبا حتى تتجلى جهوده، بناء عليه قد اكتفيت بسرد كلامه مرتبا في أبواب العقيدة، و لم أثقله بالتعليق والشرح إلا عند الضرورة، وينحصر دوري في تفصيل ما أجمله، وتوضيح ما أراده، وبيان ما قصده، والاستدلال على ما لم يذكر عليه دليلا. وأوردت عبارات المؤلف أكثر من موضع، وذلك لاحتوائه أكثر من مسألة عقدية.

وقدمت مدخلا عاما عند دراسة المؤلف وسرد كلامه، أذكر فيه معتقد السلف وموقفهم مجملا في ذلك الباب.

وقمت بما يلي:

١.عزوت جميع الآيات الواردة في البحث، ووضعتها بين قوسين مزهرين،

٢.خرجت كل حديث وارد في البحث تخريجا مختصرا حسب المستطاع، إن كان الحديث في الصحيحين أو في أحدهما اكتفيت بعزوه إليهما أو إلى أحدهما وإن لم يكن فيهما أو في أحدهما عزوت إلى السنن الأربعة مع مسند أحمد، وقد طولت في العزو أحيانا من غيرها من المراجع الحديثية. والتزمت ذكر رقم الحديث في العزو لما فيه من السهولة في المراجعة، وحاولت أن لايمر حديث إلا وأذكر حكمه من الصحة والضعف لتوقف الفائدة عليه، و لم أستقل بالحكم على الحديث، بل غالب اعتماده كان على كتب الشيخ الألباني حفظه الله، والعزو إليها يكفي لمن يريد التوسع فيه،

٣.ترجمت أعلاما غير معروفة ورد ذكرهم في البحث، دون الصحابة والمشاهير،

٤.عرفت الأماكن الغريبة دون المعروفة والمشهورة،

٥.عرفت الكلمات الغريبة،

٦.عرفت المصطلحات العلمية،

٧.عرفت الملل والفرق،

٨.قمت بفهرسة المحتويات والآيات والأحاديث والمصادر والأعلام والأماكن والفرق تسهيلا للقارئ وتيسيرا للمراجع.

خطة البحث

تتكون خطة البحث من مقدمة وتمهيد وثلاثة أبواب وخاتمة وتتضمن المقدمة مايلي:

- أهمية البحث وضرورة الكتابة فيه،
- منهج البحث وخطته،
- مشاكل البحث
- شكر وتقدير

أما التمهيد فقد شمل موضوع دخول الإسلام في الهند، وأحوال الغزاة والدعاة الذين قدموا الهند، وأحوال الحكومات التي قامت فيها، وما ترتبت عليها من آثار.

الباب الأول: حياة الشاه محمد إسماعيل بن عبد الغني الدهلوي

ويشتمل على خمسة فصول :

الفصل الأول : عصر الشاه محمد إسماعيل بن عبد الغني الدهلوي

ويشتمل على ثلاثة مباحث:

المبحث الأول : البيئة السياسية

المبحث الثاني : البيئة الاجتماعية

المبحث الثالث: البيئة العلمية

الفصل الثاني : حياته الشخصية

ويشتمل على أربعة مباحث:

المبحث الأول: اسمه ونسبه ونسبته وكنيته ولقبه و ولادته ومواهبه.

المبحث الثاني : صفاته

المبحث الثالث: استشهاده

المبحث الرابع : أسرته العلمية، وتحته ثلاثة مطالب .

المطلب الأول : أجداده

المطلب الثاني: جده الشاه ولي الله ودوره في نشر الكتاب السنة.

المطلب الثالث: أولاد الشاه ولي الله ودورهم في نشر الكتاب والسنة

الفصل الثالث : حياته العلمية

ويشتمل على أربعة مباحث:

المبحث الأول : طلبه للعلم، وتحته مطلبان.

المطلب الأول: توجهه إلى العلم

المطلب الثاني: شيوخه

المبحث الثاني: تلاميذه

المبحث الثالث : منزلته العلمية، وتحته مطلبان.

المطلب الأول : مذهبه

المطلب الثاني : منزلته عند العلماء

المبحث الرابع : مؤلفاته، وتحته مطلبان.

المطلب الأول: مؤلفاته

المطلب الثاني :ترتيب مؤلفاته حسب التاريخ

الفصل الرابع : دعوة الشاه محمد إسماعيل وأهدافها والمقارنة بين دعوته ودعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمهما الله

ويشتمل على ستة مباحث:

المبحث الأول: تأثره بدعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب

المبحث الثاني: منزلة الشاه إسماعيل في الدعوة

المبحث الثالث: أسس الدعوة و أهدافها:

المبحث الرابع: وسائل الدعوة

المبحث الخامس : آثار دعوته في شبه القارة الهندية

المبحث السادس: مشاكله في سبيل الدعوة:

الفصل الخامس: جهاده بالسيف

ويشتمل على أربعة مباحث:

المبحث الأول:الأسباب الداعية إلى الجهاد بالسيف واعتراضات المعاندين عليه،تحته مطلبان

المطلب الأول: الأسباب الداعية إلى الجهاد بالسيف

المطلب الثاني: جهود الشاه في دحض الشبهات حول دعوة الجهاد وتعيين الأمير

المبحث الثاني: الهجرة لإقامة الجهاد، وتحته مطلبان.

المطلب الأول : الهجرة

المطلب الثاني: مشاكل الهجرة

المطلب الثالث : حكم البدعة

الفصل الرابع: الرد على المبتدعة

ويشتمل على مبحثين:

المبحث الأول: الرد على الصوفية، وتحته مطلبان.

المطلب الأول: الصوفية أهم المانعين عن طريق الحق

المطلب الثاني: الرد على عقائد الصوفية ورياضاتهم وأحوالهم

المبحث الثاني: الرد على بدع الفقهاء

الباب الثالث: جهوده في توضيح عقيدة السلف.

ويشتمل على خمسة فصول:

الفصل الأول: جهوده في بيان توحيد الربوبية

ويشتمل على أربعة مباحث:

المبحث الأول : مدلوله اللغوي و الاصطلاحي، تحته مطلبان.

المطلب الأول: التوحيد في اللغة

المطلب الثاني: التوحيد في الاصطلاح

المبحث الثاني: في تعريف توحيد الربوبية وبيان حقيقته،تحته ثلاثة مطالب.

المطلب الأول: تعريف توحيد الربوبية

المطلب الثاني: توحيد الربوبية لم ينازع فيه الكفار.

المطلب الثالث: إقرار توحيد الربوبية فطري وعقلي

المبحث الثالث: الإشراك في توحيد الربوبية، تحته ثلاثة مطالب.

المطلب الأول: رد الإشراك في التصرف

المطلب الثاني: لاتصرف لمخلوق مهما بلغ من المنزلة

المطلب الثالث: حكم من اعتقد التصرف فيما سوى الله

المبحث الرابع: توحيد الربوبية يستلزم توحيد الألوهية

الفصل الثاني: جهوده في بيان توحيد الألوهية

ويشتمل على ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: أهمية توحيد العبادة،تحته ثلاثة مطالب.

المطلب الأول: مقصود بعثة الرسل، الدعوة إلى توحيد العبادة

المطلب الثاني: أول واجب على المسلم تفقه معنى التوحيد والشرك

المطلب الثالث: فضل التوحيد وثوابه

المبحث الثاني: شرح كلمة التوحيد ومعنى العبادة، تحته مطلبان.

المطلب الأول: في شرح كلمة "لا إله إلا الله"

المطلب الثاني: تعريف العبادة

المبحث الثالث: أفراد العبادة، تحته مطلبان.

المطلب الأول: أنواع العبادة كلها حق لله والبشر يستحقون التعظيم دون العبادة

المطلب الثاني: سرد أفراد العبادة

الفصل الثالث: جهوده في توحيد الأسماء والصفات

ويشتمل على مبحثين:

المبحث الأول: سبب قلة كلام الشاه في موضوع الأسماء والصفات

المبحث الثاني: إثبات جميع الصفات والرد على من يؤولها

الفصل الرابع: جهوده في توضيح الشرك في الألوهية

ويشتمل على ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: الشرك تعريفه، وأقسامه، ودحض الشبهات فيه، تحته ثلاثة مطالب.

المطلب الأول : تعريف الشرك وأقسامه

المطلب الثاني: رد الإشراك في صفة علم الغيب، ونفيها عن جميع الخلق

المطلب الثالث: طرق معرفة الغيب كلها كذب وزور و ادعاء بالألوهية، ورد شبهة حول وقوع ما تنبأ المتنبئون

المبحث الثاني : ذكر جملة من أنواع الشرك وسد الذرائع الموصلة إليها،تحته مطلبان.

المطلب الأول : الشرك في الدعاء والرجاء والخوف والذبح والنذر والحلف بغير الله و في الطاعة.

المطلب الثاني : حماية التوحيد بسد جميع ذرائع الشرك

المبحث الثالث: عودة الشرك القديم في الأمة وشبهات المشركين في ذلك، تحته مطلبان.

المطلب الأول : وقوع الشرك في الأمة المسلمة

المطلب الثاني : شبهاتهم في اتخاذ الوسائط

المطلب الثالث: إزالة هذه الشبهات

الفصل الخامس: جهوده في الإيمان بالأنبياء، وبالقدر، وفي بيان مسائل الإيمان، وفضائل الصحابة، والإمامة.

المبحث الأول: جهوده في الإيمان بالأنبياء

المبحث الثاني: جهوده في الإيمان بالقدر

المبحث الثالث: جهوده في مباحث الإيمان

المبحث الرابع: جهوده في فضائل الصحابة

المبحث الخامس: جهوده في بيان الإمامة.

المطلب الأول: تعريف الإمامة

المطلب الثاني: أقسام الإمامة

المطلب الثالث: تعريف الخليفة الراشد والأحكام المتعلقة به

المطلب الرابع: الإمامة الحكمية وأحكامها

والخاتمة تشتمل على أهم نتائج البحث وخلاصته.

ثم ذكرت فهارس المحتويات، والمصادر، والآيات، والأحاديث، والأعلام، والأماكن، والفرق.

عقبات في إنجاز البحث

لايستغرب أن يواجه الباحث مشاكل وصعوبات في صدد إنجاز بحثه، وخاصة إذا كان بحثا علميا تحت مراقبة مشرف يتابع كل سطر وحرف، وتحت شروط جامعية وقيودها.

مشاكل هذا الموضوع:

١- أصعب مشكلة واجهتها هى تعريف بشخص يكتب بلغة أجنبية إلى الناطقين بلغة القرآن،

٢- قلة المراجع،

أ- قد كان الشاه محاربا في دعوته من قبل الشعب والسلطة في حياته وبعد مماته، فقد ضاعت مجموعة ضخمة من خطبه ومكاتباته(١) في الحرب التي استشهد فيها.

ب ـ كان المبتدعة في سعي مستمر للحيلولة بينه وبين انتشار كتبه بشتى الوسائل.(٢)

ج ـ قد حمل لواء الجهاد ضد الاستعمار الإنجليزي تلاميذه من بعده، فألحقوا به خسائر فادحة في حروب مريرة عديدة، فأصبحوا حلما مزعجا له، فاتهمهم الاستعمار الإنجليزي بالوهابية، فبرر لإراقة دمائهم الطاهرة ووضع السيف فيهم " بأن كل وهابي باغ"(٣) فحرمت العلاقة معهم والكتابة عنهم وعن أحوالهم وطباعة كتبهم وشرائها(٤) .... وبهذا قلت المصادر و الحقائق عنه.

د ـ لم يطبع بعض كتبه إلا مرة واحدة قبل مدة مديدة، وبعض كتبه كانت بالفارسية لغة عصره، وانتهى دور تلك اللغة من الهند مع نهاية دولة المغول، فلم يبق من يقرئها ويتكلم بها إلا قليل، وبعد بحث شديد وأسفار طويلة في نواحي الهند حصلت على بعض كتبه وصورت بعضها من مكتبات قديمة، والحمد لله.

هـ ـ التزام تعريف أعلام وأماكن غير معروفة وردت في البحث أخذ غير قليل من وقتي، لندرة المؤلفات التي تخدم أماكن ورجال القارة الهندية،

٣ ـ الترجمة من كتبه "الفارسية" و"الأردية" إلى العربية أجهدتني كثيرا.

---

(١) انظر سيد أحمد شهيد ص: ٨٥٦ و جماعت مجاهدين ص: ٢٠٥

(٢) انظر التفاصيل في "مؤلفاته" ص: ٧٠

(٣) هندوستان كي بهلي إسلامي تحريك ص: ٢٤

(٤) انظر تفاصيله في ترجمة "خرم علي" تلميذ الشاه إسماعيل

٤- لم يكتب عن الشاه محمد إسماعيل رحمه الله باللغة العربية إلا نادرا، ولذا لم تكن تتوفر عنه المصادر عند الحاجة، وكانت جل المصادر عنه بلغة أجنبية، وليس من السهل الاستفادة منها في البحث إلا بتوفيق من الله عزوجل.

إن الشكر واجب لله عزوجل على آلائه المتوافرة، ونعمه السابغة، فأشكر الله تعالى، على نعمة الإيمان، ثم الشكر له على ما أنعم على من فرصة النهل من مناهل الجامعة الإسلامية المباركة الصافية من كدورة الشرك والبدع .

ثم انطلاقا من قول الرسول صلى الله عليه وسلم:" من لم يشكر الناس لم يشكر الله"(١) أقول جزى الله المملكة العربية السعودية خيرا وحماها من كل شر وكيد على ما تولي من اهتمام بالغ لخدمة الإسلام والمسلمين وطلاب العلم خاصة.

وجزى الله عني الجامعة الإسلامية بجميع منسوبيها من المسئولين والمدرسين والإداريين والموظفين خير الجزاء، وبارك لهم في جهودهم ويقبل صالح أعمالهم.

ثم أشكر فضيلة الشيخ د ـ عطية بن عتيق الزهراني حفظه الله، المشرف على الرسالة، فلفضيلته دور رئيسي في إخراج الرسالة في هذه الصورة فقد قام بتوجيهي وإرشادي إلى مواصلة السير العلمي خير قيام، وبذل وقته وجهده في قراءة الرسالة، وتصحيح الأخطاء والأفكار، وصبر على بكل جلد وأناة في تصحيح أسلوب الترجمة واللغة، وأغلى ما أملك لفضيلته، الدعاء الصالح سرا وعلانية،فجزاه الله عني وعن كل مستفيد من هذه الرسالة خير الجزاء.

ثم إنني أشكر كل من ساعدني بمشورة صادقة، وكلمة طيبة ونصيحة خالصة ومساعدة قولية أو فعلية، فجزى الله جميعهم خير الجزاء، وأخص بالذكر الأخ الفاضل سامي سيف الرحمن أحمد الدهلوى حفظه الله، حيث فتح لي مكتبته ومكتبة أبيه على مصراعيهما في كل حين، جزاه الله خير الجزاء.

(١) رواه أبوداود ـ الأدب ـ ٤٨١١ والترمذي ـ البر ـ ١٩٥٥ وقال الترمذي حسن صحيح الحديث صحيح انظر سلسلة الصحيحة- ٤١٦

تمهيد

دخول الإسلام في الهند

كانت الهند ترتبط مع العرب بعلاقات تجارية واجتماعية وطيدة منذ عهد بعيد. ولما بزغ نور الإسلام في أرض الجزيرة انتقل مع بحارة العرب والتجار إلى أرض الهند ولكن كان وصوله في حدود ضئيلة جدا، حيث لم يتجاوز ساحل الجنوب الغربي المنطقة التي تسمى "كيرلا" و"مليبار".

وذكر بعض المؤرخين أن وفدا من أهل "سرنديب" (١) أرسل إلى المدينة النبوية لكي يأتي بالأخبار عن الدين الإسلامي، وتأخر الوفد في وصوله، و لم يصل إلا إليها بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم .(٢)

مراحل دخول الإسلام في الهند

المرحلة الأولى:(١٥هـ - ٩٠هـ)

لم يتوجه المسلمون في عهد الخلفاء الراشدين إلى الهند وخاصة أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه لم يكن يرض بركوب المسلمين البحر(٣)ولكن لأسباب طارئة أرسل والى "عمان" عثمان بن أبى العاص الثقفى بدون إذنه أخاه الحكم بن أبى العاص بقوة بحرية شنت الغارة على "تهانه" (٤) "وبهروج" في غجرات الحالية،ولكن لم يرض عمر بما حصل منه رضى الله عنه.

ثم أرسلت حملة برية صغيرة سنة ٢٣ هـ إلي مكران(٥) في بلاد السند فتغلب عليها المسلمون، وامتنع عثمان رضى الله عنه أيضا عن مواصلة الفتوح لما أخبره المخبرون عن صعوبة

---

(١) هي جزيرة عظيمة في بحر الهند، المعروفة باسم "سيلان"، انظر رحال السند والهند ص: ٣٣

(٢) انظر : العقد الثمين في فتوح الهند ومن ورد فيها من الصحابة والتابعين ص: ١٤ و" العرب والهند في عهد الرسالة ص: ١٠٩

(٣) انظر : الكامل في التاريخ ٣٧٧/٢، دار الكتاب العربي بيروت، ط، السادسة.

(٤) منطقة على بعد (٣٠) ميلا من" بمباي "عاصمة ولاية مهاراشترا اليوم "رحال السند والهند" ص:٣١

(٥) وهي مدينة قريبة من " ملتان" في باكستان الحالية، معجم البلدان ١٨٠/٥

السفر ووعورة المسالك وكثرة العدو في تلك الناحية (١) ولذا لم تفتح من أراضى الهند في عهد الخلفاء الأربعة إلا هذه المناطق اليسيرة (٢)

كذلك لم يهتم الخلفاء الأمويون بفتح الهند كثيرا وقد استولى بعض أمراء "مكران" على المناطق المجاورة لها ولكن كانت الحروب سجالا بين المسلمين وبين الوثنيين(٣).

المرحلة الثانية(٩٠ هـ - ٣٩٠هـ)

فتح محمد بن قاسم

وفى سنة ٩٠ هـ لما كان الحجاج أميرا على العراق وقعت كارثة لها أثر كبير في اتجاه المسلمين إلى فتح الهند وذلك أن ملك سرنديب (سيلان) أرسل تحفا نادرة مع حجاج العرب إلى الخليفة وحملهم على ثماني عشرة سفينة، وفيها نساء مسلمات وكانت السفن في طريقها إلى العراق هجم عليها القراصنة قرب "ديبل" (٤) فنهبوا الأموال وغصبوا النساء فلما بلغ الخبر الحجاج غضب غضبا شديدا وكان متضايقا كثيرا من ملوك السند لتعرضهم تجار العرب ولحمايتهم دولة العلافيين من الخوارج(٥) في "مكران "(٦) فأرسل الحجاج رسولا يطلب تحرير النساء وإعادة الأموال فلم يبال به الملك الوثني، فأرسل بعض الكتائب ولكنها منيت بالهزيمة فجهز جيشا عظيما مكتملا من كل ما يحتاجه تحت قيادة محمد بن القاسم الثقفى(٧) فدخل

---

(١) لما سأل عثمان الخليفة الثالث رضي الله عنه عن الهند حكيم بن جبلة قال: ماءها وشل وثمرها دقل ولصها بطل إن قل الجيش فيها ضاعوا وإن كثروا جاعوا، فقال عثمان : أخابر أم ساجع ؟ فقال: بل خابر، فلم يغزها أحد في أيامه، (معجم البلدان٥/١٨٠)

(٢) انظر : الكامل في التاريخ ٣/ ٢٢- ٢٤

(٣) انظر تاريخ المسلمين في شبه القارة الهندية، ١/٦٦

(٤) يقال لها اليوم " بهمبور " في جنوبي كراتشي على ثلاثة وعشرين ميلا وظهرت آثارها بعد عملية الحفر "رجال السند والهند.ص: ٣٣

(٥) وستأتي تعريفهم.ص ١٣٨،١٩

(٦) تقدم تعريفه ص:٤١

(٧) محمد بن القاسم الثقفي فاتح السند وواليها من كبار القادة ومن رجال الدهر في العصر المرواني (٦٢ توفي نحو٩٨هـ) الاعلام ٦/٣٣٣

السند وانتصر على ملكه وفتح المناطق العديدة في السند ثم رجع منها بعد أربع سنوات (١) على رغم بطولة الشاب الثقفى لم يتغلغل المسلمون في الهند و لم تطأ أقدامهم أراضيها القاصية وبعيدة الأطراف فاقتصروا على جزء بسيط فتحه ابن القاسم، ثم كثرت الاختلافات القبلية فيما بينهم فشغلوا بها وغفلوا عن فتح الهند ونشر الإسلام فيها حتى فتحها محمود الغزنوي (٢).

ومن جانب آخر قد قامت دعوات هدامة منحرفة في هذه الأجزاء المفتوحة من الهند فقد نشط دعاتها وقامت لهم دويلات صغيرة وكبيرة تتبنى العقائد الفاسدة فراجت نحلهم ونفقت أسواقهم وإليكم بيانها .

الخوارج (٣)

قامت دولة الخوارج دولة العلافيين تحت قيادة معاوية ومحمد بن الحارث سنة (٨٠ـ٨٥ هـ) وكان ملك ديبل الوثني يحميها ويساعدها ضد دولة المسلمين (٤).

وفى سنة ١٣٠هـ تغلب على السند منصور بن جمهور الكلبي الخارجي(٥) فاغتصب هذه الأمارة وظل يحكمها ثلاث سنوات، حتى صارت دولته ملجأ لكثير من زعماء الخوارج عندما ضيق عليهم الأمويون في كل مكان، ثم قضى عليها العباسيون(٦)

الشيعة:

---

(١) الكامل لابن الاثير ٥٣٦/٤ وما بعده

(٢) كثرت الاختلافات النزارية واليمنية حتى استقلت النزارية بالسيطرة على بعض المناطق قرابة مائتين سنة من (٢٤٠ـ ٤١٦هـ)

(٣) الخارجي عند الفقهاء، كل من خرج على الإمام الحق الذي اتفقت الجماعة عليه، الملل والنحل ١١٤/١ ولكن الخوارج في الاصطلاح فرقة خلعت طاعة على رضى الله عنه وكفرت كل من رضى بالتحكيم وتميزت بآراء خالفت فيها أهل السنة. انظر تعليق محمد محي الدين على مقالات الإسلاميين ٦٧/١

(٤) انظر فتوح البلدان ٥٣٣/٣ وموسوعة التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية لبلاد السند والبنجاب ١٥٧/١ .

(٥) وقال ابن كثير : انه كان يدين بمذهب الغيلانية القدرية ـ البداية والنهاية، انظر حوادث سنة ١٢٦هـ. توفي ١٣٣هـ انظر ترجمته في الأعلام ٧/ ٢٩٧

(٦) انظر موسوعة التاريخ الإسلامي ... ٢٤٨/١

في سنة ١٤٥ هـ أمر أبو جعفر المنصور(١) الخليفة العباسى عمر بن حفص العتكي على السند الذي كان بايع في السر لمحمد بن عبد الله بن حسن العلوي (٢) الذي خرج بالعراق قبله بقليل، وكان يتعصب للعلويين، فوصلت إليه جماعة من دعاة الشيعة في صورة قافلة تجارية فقاموا بدعوتهم، فلما علم المنصور أخفاهم الوالي عند ملك "ديبل" الوثني (٣).

ويمكن تصور تغلغل الشيعة وانتشار مذهبهم أن داعية من الخوارج هو حسان بن مجاهد الهمدانى جاء في أيام ابن حفص ولكنه لم يجد لدعوته قبولا لشدة ميل أهلها إلى التشيع فرجع من حيث أتى (٤)

واستمر أمرهم على السند إلى أن وصل إليها أحد دعاة الإسماعيليين، بعد ما تم استيلائهم على مصر والشام، حوالي سنة ٢٧٠هـ من قبل إمامهم عبيد الله المهدي (٥) لنشر دعوته. وفى سنة ٣٧٥هـ أمر الخليفة الفاطمي في مصر بتجهيز الجيش للهجوم على" ملتان "وسلك جلم بن شيبان قائد الجيش طريق خراسان لأن معظم البلدان في خراسان كانت في نفوذ الفاطميين(٦) واستولى على بلدة "ملتان " واستمرت دولتهم إلى سنة ٤٠٢هـ حتى قضى عليهم محمود بن سبكتكين (٧) ولكن سرعان ما تجمعوا واستطاعوا إقامة دولة أخرى في "منصورة" (٨) قريبا

---

(١) هو ثاني خلفاء بني عباس، باني مدينة بغداد من أشهر الخلفاء في الإسلام انظر الأعلام ١١٧/٤

(٢) هو محمد بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب الملقب بالنفس الزكية ولما بدأ الانحلال في دولة بني أمية اتفق رجال من بني هاشم على بيعته سرا وفيهم بعض بني العباس، فذهب الأمويون وجائت دولة العباسيين فتخلف هو وأخوه ابراهيم عن البيعة، وخرج على منصور وقاتله حتى قتل سنة١٤٥هـ الاعلام ٦/ ٢٢٠

(٣) انظر البداية والنهاية ١٠/ ١١١ حوادث سنة إحدى وخمسين ومائة.

(٤) تاريخ المسلمين في شبه القارة الهندية وحضارتهم ص: ٧١

(٥) عبيد الله بن محمد، مؤسس دولة العلويين في المغرب وجدُّ العبيدين الفاطميين وأحد الدهاة ت٣٢٢ هـ الاعلام ١٩٧/٤

(٦) انظر :العلاقة السياسية والثقافية بين الهند والخلافة العباسية" ص: ١٠١

(٧) محمود بن سبكتكين الغزنوي ٣٦١ - ٤٢١ هـ فاتح الهند وأحد كبار القادة امتدت سلطنته من أقاصي الهند الي نيسابور، وكانت عاصمته غزنة، وجعل دأبه غزو الهند مرة في كل عام، وكان كراميا، انظر: سير أعلام النبلاء ٤٨٤/١٧ و الأعلام ٧ /١٧١

(٨) "وهي بأرض السند،مدينة كبيرة كثيرة الخيرات سميت باسم "منصور بن جمهور الكلبي" معجم البلدان ٥/ ٢٤٤

منها فقضى عليها محمود سنة ٤١٦هـ بعدما استمرت أربعة عشر سنة، فطبقوا فيها فترة حكمهم، عقائد هم المنحرفة وأغلقوا المساجد، وكانوا يخطبون على المنابر باسم الخلفاء الفاطميين، وينادون في آذانهم "حي على خير العمل "ويكبرون مرتين وكان لحكام مصر الإسماعيليين سلطة قوية على أهل ملتان حتى لم يكن يتولى أحد الحكم إلا بعد موافقتهم ورضاهم (١)

المرحلة الثالثة(٣٩٠هـ _ ٦٠٢هـ)

وهكذا بقيت القارة الهندية إلى نهاية القرن الرابع في معزل من الإسلام والمسلمين إلا في منطقة السند المجاورة لخراسان ولكنها للأسف كانت ألعوبة في أيدي الشيعة الإسماعيلية والخوارج وغيرهم من الفرق المنحرفة " فما امتدت أشعة ذلك النور الوهاج إلى داخل هذا القطر إلا بعد ما امتلك ناصيته محمود الغزنوى "صاحب الحملات المتتابعة ". وهو أول من دخل الهند من الفاتحين عن طريق الجبال الشمالية الغربية من مضيق خيبر (٢) في الفترة ما بين (٣٨٨- ٤٢١) وأغار على كثير من مناطق الهند ولكن لم يقم حكومة مستقلة بل كانت هجماته منبثقة عن حب الفتوح وتأديب الهنود المتطاولين على بلده بل كان لرؤساء " الفرقة الكرامية"(٣) أثر بالغ في توجيه الغزوات إلى الهند للقضاء على الإسماعيليين .(٤)

نبذة عن محمود بن سبكتكين فاتح السند وجيوشه :

---

(١) انظر آب كوثر ص: ٣٠، ٣٨ وموسوعة التاريخ الإسلامي... ٣٠١/١ وما بعده

(٢) ممر شهير في باكستان غربي مدينة بشاور قرب حدود أفغانستان على الطريق الى كابل يتوسطه مجاز ضيق على ارتفاع ١٠٠٦٨ محصور بين صخور شاهقة ترتفع عموديا إلى ٤٠٠م معبر تاريخي اشتهر منذ القدم كمنفذ وحيد لغزاة الهند القادمين من الشمال الغربي.

(٣) زعيمها المعروف محمد بن كرام السجستاني المتوفى سنة ٢٥٥هـ كان ممن يثبت الصفات وينتهي فيها إلى التجسيم والتشبيه، ودعا أتباعه إلى تجسيم معبوده، وزعم أنه جسم له حد ونهاية من تحته والجهة التي منها يلاقي عرشه" انظر الملل والنحل ١٠٨/١ والفرق بين الفرق ص: ١٦٢

(٤) انظر تاريخ الدعوة الدعوة الإسلامية في الهند ص:٤و ٥ و" آب كوثر" ص: ٥٨

كان سبكتكين(١) رئيسا علي منطقة "غزني" في جنوب "كابل" من قبل السامانيين الذين أقاموا "الدولة السامانية " بعد وهن الخلافة الإسلامية في بغداد، سنة ٢٦١هـ وقد أدى السامانيون خدمات جليلة لإثارة روح الوطنية الإيرانية، ولإحياء الثقافة الفارسية"(٢)

سبكتكين كان يعمل للسامانيين، بل كان هو وابنه محمود فاتح الهند متأثرين كثيرا بالفرقة الكرامية وآرائها، وإن تراجع عنها محمود فيما بعد (٣) .

ثم استقل بدولته في غزنة سنة ٣٦٦هـ وخلف بعده ابنه محمود علي الدولة الغزنوية، وتوجه إلى فتح الهند أول مرة بعد ثلاثة قرون من فتح ابن القاسم، ويصف هؤلاء الفاتحين الأولين الذين دخلوا الهند، مسعود الندوي(٤) حيث قال: الذين دخلوا الهند من الملوك والفاتحين بطريق مضيق "خيبر" ما كانوا يعرفون من مزايا الإسلام إلا قليلا، وما اصطبغت قلوبهم بالصبغة الربانية مثل المجاهدين الفاتحين من الصحابة والتابعين رضي الله عنهم . ولذلك نراهم لم يؤثروا في عقائد البراهمة(٥) الراسخة تأثيرا و لم يحدثوا فيها تغييرا مدهشا، كما أحدث العرب في الشام وفلسطين ومصر والمغرب الأقصى...." .

أما جيوش محمود الغزنوي " ممن دانوا بالإسلام حديثا و لم يعن بتربيتهم وتدريبهم على المنهاج الذي يدعو إليه الإسلام، وفيهم من الهنادكة والوثنيين عدد لايستهان به، فأي عجب إذا تنكبت جيوش محمود الغزنوي عن خطة الجهاد الإسلامي و لم يتوخوا في ممتلكاتهم ورعاياهم العمل بالشرع الإسلامي وقوانين الإسلام الحربية " (٦).

---

(١) "كان ملكا على بلخ وغزنة، وكان فيه عدل وشجاعة ونبل مع عسفه وكونه كراميا" توفي سنة ٣٨٧هـ انظر السير للذهبي ٥٠٠/١٦ و والطبقات للسبكي ٣١٦/٥

(٢) انظر " إيران ماضيها وحاضرها ص: ٥٣

(٣) انظر آب كوثر ص: ٥٧- ٥٨

(٤) هو عالم مؤرخ من تلاميذ الشيخ تقي الدين الهلالي، ولد ٢١/محرم ١٣٢٨هـ وتوفي ١٦/ مارس/ ١٩٥٤م في كراشي - انظر مقدمة كتابه "مولانا عبيد الله سندهي كي أفكاروخيالات بر ايك نظر".

(٥) هم أهل الديانة الهندوسية، وهي ديانة وثنية قديمة يعتنقها معظم أهل الهند، يعتقدون بأن لكل طبيعة نافعة أو ضارة إلها يعبد كالماء والهواء والأنهار والجبال... آلهة كثيرة يعبدونها ، يعتقدون في التناسخ، وفي وحدة الوجود، ويحرقون الموتى، ويقسمون بني آدم إلى طبقات ولايمكن إزالتها لأنها من خلق الله، وأعلى الطبقات البراهمة الذين خلقهم الإله من فمه، وهم ملجأ الجميع في جميع شئون الحياة. انظر الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب المعاصرة ص: ٥٣٤

(٦) تاريخ الدعوة الإسلامية في الهند ٤ - ٥

دخول الإسلام في الهند عن طريق خراسان الموبوءة بالرفض والكلام:

أضف إلى ذلك أن الإسلام قد دخل في الهند عن طريق خراسان وإيران والأفغان وماوراء النهر مع محمود الغزنوي سنة ٣٩٢هـ وكانت هي من مراكز الشيعة في القرن الرابع الهجري(١)وكانت صناعة أهلها من قديم الزمان فنون الفلسفة وحكمة اليونان، وكان قصارى نظرهم في علم النحو والفقه والأصول والكلام علي طريق التقليد(٢) وبطبيعة الحال الذين ساروا في ركب محمود أو جاءوا بعده ليسوا إلا من أبناء تلك المناطق الموبوءة بالأفكار المنحرفة والعقائد الفاسدة، وذلك لوهن الخلافة الإسلامية، في بغداد بعد المتوكل (٣) فاستولى عليها الترك الأعاجم والفرس المجوس(٤) الذين كانوا دائما يحيكون المؤامرات ضد المسلمين ودولتهم بل كانوا وراء تشتيتها وتمزيقها وتصييرها إلى دويلات وغالبها دول شيعية إيرانية مجوسية، وهم الذين شجعوا طاهر بن الحسين علي الاستقلال بخراسان (٥).

وقامت دولة سامانية متعصبة لحضارة إيران المجوسية، سنة ٢٦١هـ واستمرت إلى ٣٨٧هـ كما ظهرت في نفس الوقت دولة بويهية شيعية سنة ٣٣٤هـ واستمرت إلى ٤٤٧هـ، وقد وقعت فتن عظيمة خلال هذه الفترة بين أهل السنة والشيعة في بغداد وخراسان وأصبهان بسبب سب الصحابة وشتمهم، واستمرت هذه الفتن مدة طويلة.(٦)

ويقول ابن كثير عن مدى انتشار التشيع والرفض سنة ٣٤٧هـ " وقد امتلأت البلاد رفضا وسبا للصحابة من بني بويه وبني حمدان والفاطميين وكل ملوك البلاد مصر وشاما وعراقا وخراسان وغير ذلك من البلاد كانوا رفضا وكذلك الحجاز وغيره بلاد المغرب فكثر السب والتكفير منهم للصحابة" (٧).

---

(١) انظر " الحضارة الإسلامية في القرن الرابع ١/ ١٠٤

(٢) انظر الثقافة الإسلامية في الهند ص :٩

(٣) الخليفة العباسي اشتهر بإحياء السنن وإماتة البدع وقد منع الجدال في مسألة خلق القرآن ت ٢٤٧هـ البداية والنهاية ١٠/ ٣٦٦

(٤) المجوس يعتقدون بأصلين اثنين، مدبرَين قديمين، يقتسمان الخير والشر والنفع والضر، والصلاح والفساد، يسمون أحدها النار والآخر الظلمة" انظر الملل والنحل ١/٢٣٢

(٥) انظر وجاء دور المجوس ص :٦٧

(٦) انظر البداية والنهاية حوادث سنة ٣٤٥هـ - ٣٤٩ هـ وما بعدها

(٧) المصدر السابق ١١/ ٣٤٧

وأدل دليل علي غلبة الرفض في صورة هائلة أمر معز الدولة (١)بتعليق السب علي المساجد سنة ٣٥١ هـ (٢).

ولم يكن التشيع هو المرض الوحيد في أهلها، عندما دخلوا الهند بل كانت تعج بالأشعرية(٣) بعد تفوقها على المعتزلة(٤)، حتى اعتبرت هي عقيدة أهل السنة والجماعة، وكانت للأشاعرة مناظرات ومخالفات بل حروب مع الحنابلة والكرامية (٥) وكان محمود كراميا، يميل إلى الكرامية، فقويت فرقته في عهده، وضيقت الخناق علي الأشعرية برفع شكاواها إلى محمود، كما فعل مع ابن فورك المتكلم (٦).

وكان التعصب المذهبي قد بلغ أوجه في هذا لوقت، ونشبت، حروب طاحنة بين الأحناف والشوافع لأجل التعصب المذهبي المقيت " حتى وقعت فتن، وذابت مهج، وضاعت جهود، ونشبت حروب كلامية، بل أدخل في دين الله ما ليس منه من التكافر، والتقاطع، والتدابر، والقول مثلا بتحريم الزواج بين الشافعي والحنفي، وبطلان الإمامة في الصلاة في أحدهما، بل نشبت حروب ومعارك دموية كما حصل بين الأحناف والشافعية بالمشرق في "أصبهان" و "الري"(٧)

---

(١) هو أحمد بن بويه فارسي الاصل ت ٣٥٦ الاعلام ا/ ١٠٥

(٢) البداية والنهاية ١١/ ٣٤٩

(٣) وهي طائفة من أهل الكلام تنتسب إلى عقيدة أبي الحسن الأشعري قبل رجوعه إلى عقيدة أحمد بن حنبل رحمه الله، تثبت سبع صفات وتنفي غيرها ، انظر معتقدها بالتفصيل في الملل والنحل١/٩٤

(٤) المعتزلة هم القائلون بنفي الصفات، وأن العبد خالق لأفعاله، وقالوا بوجوب الثواب والعقاب والصلاح والأصلح على الله، ويقولون بالمنزلة بين المنزلتين ونحوها من العقائد، انظر مقالات الإسلاميين ٢٣٥/١ و الملل والنحل ١/ ٤٣

(٥) انظر الحضارة الإسلامية في القرن الرابع ١/ ٣٦٣

(٦) " هو شيخ المتكلمين أبو بكر محمد بن الحسن بن فورك الأصبهاني صاحب التصانيف الكثيرة، كان أشعريا رأسا في الكلام" انظر السير للذهبي ٢١٤/١٧ و "وفيات الاعيان" ٣/ ٣٦٣ و "طبقات الشافعية" للسبكي ٣١/٤

(٧) حكم الانتماء الى الفرق والاحزاب والجماعات الإسلامية ص:٣٥ ومعجم البلدان في مادة "أصبهان "والري".

هذا غيض من فيض و وشل من بحر عن أحوال تلك المنطقة وأهلها الذين فتحوا الهند، فجاءوا بجميع هذه الخلافات، والأفكار الباطلة والعقائد الفاسدة إلى الهند فاعتنقها أ هلها وتربوا عليها وكانت بداية معرفتهم الإسلام بهذه الصورة، فما أصدق قول الشاعر:

أتاني هواها قبل أن أعرف الهوى فصادف قلبا خاليا فتمكنا

والذين خلفوا الغزنويين وتقلدوا مقاليد الحكم في الهند وأقاموا دولة مستقلة هم "الغوريون"(١) الذين ما أسلموا إلا في القرن الرابع الهجري على أيدي الكرامية (٢) .

المرحلة الرابعة(٦٠٢هـ - ٩٣٢هـ)

ثم قامت دولة المماليك في الهند أسسها قطب الدين أيبك ، وكان مملوكا تركيا لسيده شهاب الدين الغوري، واستمرت إلى سنة ٦٨٩هـ وقامت على أنقاضها "الدولة الخلجية" التي أسسها جلال الدين الخلجي الأفغاني، بعدما قتل الملك سنة ٦٨٢هـ وبهذا تمت سيطرة الأفغان على الأتراك، وانتهت هذه الدولة بعد فترة وجيزة سنة ٧٢٠هـ عندما قتل آخر ملوكها، قتله غياث الدين تغلق التركي، وأسس الدولة التغلقية، وفي عهدها هاجم تيمور(٣) ملك المغول على الهند سنة ٨٠١ ـ وقتل خلقا لايحصون بحد وعد، و لم تبق بعد رجوعه للدولة التغلقية قوة ولاسيطرة، واستقل الأمراء بالحكم في بلادهم، حتى انتهت سنة٨١٥ هـ، وعمت الفتن والمحن بعدها، و لم تقم دولة قوية، فكانت البلاد ممزقة في دويلات عديدة متناحرة، حتى جاء أحد أمراء الأفغان بهلول لودهي سنة ٨٥٥هـ واستطاع أن يقيم دولة قوية، عرفت فيما بعد بالدولة اللودهية، ولكنها لم تستمر طويلا، قضى عليها بابر مؤسس الدولة المغولية في ا لهند سنة ٩٣٢هـ وبهذا بدأ عهد المغول في الهند.

الدول التي قامت طوال هذه الفترة، قام ملوكها بأعمال عظيمة توطد دعائم ملكهم، فقد فتحوا البلدان الكثيرة، ونشروا سلطانهم على نواحي الهند، وشيدوا الحصون المنيعة، وشقوا

---

(١) "الغور" منطقة جبلية بين هراة و غزنة في افغانستان، وبعض أهل هذه المنطقة استولوا على الحكم فسموا "بالغوريين" وسميت دولتهم بالدولة الغورية، بدأت هذه الدولة بشهاب الدين غوري، وانتهت بموته، و صاحب التفسير الكبير يعظ في داره، انظر السير للذهبي ٣٢٣/٢١ و العلاقة السياسية والثقافية بين الهند والخلافة العباسية ص: ١٧٧

(٢) تاريخ الدعوة الإسلامية في الهند ص:٦ و آب كوثر : ٥٨

(٣) توفي في مطلع عام ٨٠٨ هـ الذي أعاد دولة المغول الكبرى بعد ما تشتتت وضاعت، انظر التاريخ الإسلامي ص: ٢٠٦

الأنهار الكثيرة، وعمروا المدن الكبيرة، وبنوا مباني الشاهقة، ورصفوا الشوارع، ولكن لايوجد فيهم إلا قلة قليلة من اهتم بنشر الإسلام وتعاليمه، وتربية المسلمين الجدد، فبقي هؤلاء على عقائدهم الباطلة، وعاداتهم الوثنية.(١)

وكان غالب رجال الحاشية والجنود قبل قيام دولة المغول، من منطقة "ما وراء النهر"(٢) التي كانت تعج بالفقه الحنفي والعقائد الأشعرية والماتريدية(٣) وعلم الكلام المركب بالمنطق اليوناني وفلسفته .

أما المغول فلم تقم لهم قائمة إلا بجيوش من إيران لأن همايون (٤) بعد هزيمته لجأ إلى إيران الدولة الصفوية (٥) وفتح الهند بمساعدتها، بل وعد ملك فارس برعاية مذهب الشيعة في الهند وكان الشيعة يحتكرون مناصب رئيسية في دولة المغول(٦).فالمغول كانت لهم صولة ومنعة وأقاموا أكبر وأقوى دولة من دول العالم و لم يعتنقوا الإسلام إلا في نهاية القرن الثامن وبداية القرن التاسع الهجري ولذلك نراهم لايفرقون بين المسلمين والكفار في وضع الجزية والقتل

---

(١) انظر الهند في العهد الإسلامي ص: ١٧٦ ـ ٢٠٥ وتاريخ الدعوة الإسلامية ص: ١٨

(٢) المراد بالنهر " نهرجيحون" واسمه الحديث(آموديا) واشتهر فيما بعد باسم "تركستان" وبعد الاستعمار الروسي عرف "بجمهوريات آسيا الوسطى" انظر للتفصيل بلدان الخلافة الشرقية ص: ٤٧٦ ودائرة المعارف الإسلامية ١٣/ ١٠٠ـ ١٠٨

(٣) وهي طائفة من أهل الكلام تنتسب إلى أبي منصور الماتريدي المتوفى سنة ٣٣٣هـ تثبت ثماني صفات التي يدل عليها العقل وتنفي الصفات السمعية، وهي تشبه الأشعرية في المنهج والعقيدة. انظر الماتريدية دراسة وتقويما ص: ٢٦٧و ١٣٣

(٤) إمبراطور مغولي في الهند ابن بابر، لجأ الى طهما سب ملك ايران الشيعي بعد هزيمته فمده بجيش عظيم ت ٩٦٣ هـ انظر بعض ترجمته في" الهند في العهد الإسلامي ص: ٢٠٧

(٥) ينتسب الصفويون الي صفي الدين الاردبيلي ت ٧٢٩ هـ أسس الدولة الصفوية أحد من أحفاده وهو إسماعيل الصفوي الذي انتحل المذهب الشيعي منطلقا له ت ٩٣٠ هـ، التاريخ الإسلامي ٣٧٦/٦

(٦) انظر" هندوستان كي سلاطين علماء ومشايخ كي تعلقات" و "تاريخ الدعوة الإسلامية في الهند" ص:٥٦

وسفك دماء الأبرياء وانتهاك الحرمات كما فعل تيمورالأعرج المسلم ! وكما فعل ملك إيران نادر(١) المسلم ! سنة ١١٦٠هـ بل كان بعض الأتراك يسبون المسلمات أيضا في مدينة هراة".

ولم يكن يهم هؤلاء الملوك بالحروب المستمرة إلا توسيع مملكتهم أو توطيدها " ولو اعتنى هؤلاء الفاتحون من الأترك والأفغان والمغول بدعوة الإسلام معشار ما اعتنوا بحطام الدنيا الدنيئة لكان للإسلام شأن في بلاد البراهمة غير شأنه اليوم" "وإذا عرفت هذا فلا يأخذنك العجب إذا قلت إن هؤلاء الملوك الذين نشروا ظل سلطانهم علي هذه البلاد وبقوا مالكين أزمة الأمر فيها زهاء ثمانية قرون لم ينفعوا الإسلام في قليل ولاكثير. ولم تقع معركة طيلة هذه القرون من مئات بل آلاف المعارك من أجل فكرة دينية خالصة اصطف فيها المسلمون من جانب والكفار من جانب بل ما من معركة إلا في كلا الطرفين جمع من المسلمين والهنادك يقاتلون جنبا إلى جنب، لأنها كانت حروبا شخصية أو قومية فينضم كل واحد مع حليفه سواء كان مسلما أو هندوكيا، فيقتل مخالفه مهما كان دينه أو خلقه، بل وقد قتلوا أبناءهم ونسائهم في معركة "بهتيز" ثم برزوا لقتال إخوانهم متأسين في ذلك قبيلة راجبوت الهندوكي المعروفة بالشجاعة، وليس بغريب أن الملوك في هذه المدة العريضة يتحببون إلى الوثنين بل كانوا يؤمرونهم علي الجيوش والمناطق من غير غضاضة وقد فعل ذلك محمود بن سبكتكين الفاتح الأول وكان"سوبندراي" و " ناته " من الهنادكة قوادا لجيشه (٢) فما الاستغراب إن فعل ذلك من بعدهم بل لم يكن ملك من ملوك المغول إلا وقد تزوج من الوثنيات والبرهميات فبنيت المعابد ونصبت الأوثان وأقيمت أعياد المشركين في القصر الملكي، فأصبحت الهند في هذه القرون المديدة في أيدي الملوك الذين ليس في قلوبهم حبة خردل من حب الدين، وكثير منهم لايعرفون من الدين إلا اسمه ولامن القرآن إلا رسمه، وأصبحت اللغة الرسمية لغة الفرس"الفارسية" .

وزاد الطين بلة عند ما تولي أكبر بن همايون(٣)الإمبراطور الكبير، فقد كان بلاطه مملوأ بوزراء الشيعة وعلمائهم، فقد أحدث بدعا شنيعة إلى أن وصل بتأسيس دين جديد جعله

---

(١) قائد ايراني خدم الشاه حسين الصفوي. واستقل بالحكم وأعلن نفسه ملكا ١٧٣٦ م فقضي علي الصفويين قتل ١٧٤٧م.

(٢) تاريخ الدعوة الإسلامية في الهند ص: ٦ وآب كوثر ص: ٦٠

(٣) هو من أعظم ملوك المغول في الهند، حكم حوالي خمسين سنة، واستطاع أن يضم أكثر نواحي الهند تحت حكمه، أنشأ دينا جديدا سماه " الدين الإلهي" دعا إليه بالشدة، توفي سنة ١٠١٤هـ انظر الثقافة الإسلامية في الهند ص: ٢٠٨

ناسخا للدين الإسلامي، وأجبر جميع الناس علي قبوله، وقد ملأ الهند في عهد هذا الطاغية بالبدع والمنكرات ومحاربة الإسلام لانظير له في تاريخ الهند.

ومن أعماله الشنيعة الكفرية،

١-إلغاء الجزية عن المشركين،

٢- سمح للمسلمين بالارتداد عن دين الإسلام إلى أديانهم القديمة،

٣- منع المسلمين من ذبح البقرة لتعظيم الهنادكة إياها بل ومنع أكل لحوم الثيران والشياه والمعز والخيول كما منع صيد السمك وعاقب من يخالفه بالقتل ومصادرة الأموال،

٤- منع المسلمين من زواج بنات العم والعمة والخال والخالة والختان وحلل الخمر وأباح بيعها تأسيا بالهنادكة الوثنيين،

٥- أعطى الحرية للبغايا بل شجعهن علي البغاء وأباح الربا والمقامرة وكان يقرضهم لذلك،

٦- ألغى الاغتسال من الجنابة ورأى هو ومن على شاكلته الاغتسال قبل الجماع أنفع،

٧- رغب في السفور والخلاعة بل أمر بكشف الوجوه للفتيات،

٨ - جوز نكاح المتعة،

٩- منع من تعليم اللغة العربية ونشر الفارسية وانتشل منها الألفاظ العربية،

١٠- أحدث منكرا شنيعا ألا وهو " سجدة التحية للملك " بل أجبر على ذلك وكان كل واحد يدخل على الملك يخر له ساجدا،

١١- ألزم خاصته بارتداء الملابس الحريرية أثناء الصلاة،

١٢- أسقط بعض أركان الإسلام، ومنع الصلاة والأذان في دار الشورى، وحظر على الصيام في رمضان، ومنع من أداء الحج بل كان يعاقب من يعزم علي ذلك،

١٣- غير أسماء الذين يتسمون بأسماء النبي والصحابة لإرضاء الأميرات الوثنيات في بلاطه،

١٤- شجع على حلق اللحية وكان رجال حاشيته يستهزئون بها،

١٥- أباح لحم النمر والخنزير الضاري،

١٦- حولت المساجد في زمنه إلى مرابط للخيول وهدمها الهنادكة واستولوا عليها

ثم انه لم يكتف بهذا بل أحدث دينا جديدا سماه " الدين الإلهي " وجعله ناسخا للدين الإسلامي لانتهاء مدته بنهاية ألف سنة وذلك بعد ما زكاه علماء الشيعة ومن لف لفهم من علماء السوء، وهذه نبذة يسيرة من قبائح ذلك العهد المشئوم الذي استمر زهاء خمسين سنة من ٩٦٤هـ إلى ١٠١٤هـ (١)

ولايخفى على المسلم المتأمل مدى تأثر المسلمين في عقائدهم وأعمالهم من ضلالات هذا الملك الضليل وقد قيل " الناس على دين ملوكهم" .

وقد اصطبغت الحياة الاجتماعية في هذا العصر بالصبغة الهندوكية الوثنية أيما اصطباغ و لم يبق للإسلام فيها عين ولا أثر بل كانوا يستعملون " الله أكبر" مكان بسم الله في جميع المناسبات رمزا إلى الملك بل كان بعضهم يبدأ باسم آلهة المشركين، وفي مثل هذه الظلمة الحالكة قام الإمام أحمد بن عبد الأحد سرهندي الملقب بمجدد الألف الثاني من الهجرة النبوية بالقول الحق واستطاع أن يسد سدا منيعا أمام هذا السيل الجارف (٢) .

أما الدعاة والوعاظ الذين غزوا بلاد الهند بالدعوة الإسلامية بعد قرن الصحابة والتابعين غالبهم لم يكونوا ينهلون من مناهل الكتاب والسنة الصافية بل كان جل اعتمادهم على كتب الفقهاء الحنفية المتأخرين و لم يتسن لهم التخلص من أنجاس البدع ومنكرات الأعاجم فذاقت البلاد وأهلها وبال جهلهم ولا تزال آثارها باقية، وتغلغل الصوفية وانتشروا و لم يكن يعتبر مسلم من لم يكن يظهر التصوف. فقاموا بنشر الإسلام على مشربهم في الهند وأهلها، ونجحوا في دعوتهم، ولعل ذلك يرجع إلى أسباب منها: عقيدتهم عقيدة وحدة الوجود التي يشترك فيها البراهمة والبوذيون(٣) (٤) ومنها : قلة المعارضة لدعوتهم لأن أهل الهند كانوا خاضعين للزهاد والرهبان والفقراء التاركين للدنيا، وكانت لهم قداسة مضاعفة في المجتمع، وكانوا يقومون

---

(١) انظر للتفاصيل " تاريخ الدعوة الإسلامية في الهند ص: ٧٠ - ٨١ وملت اسلامية كي مختصر تاريخ ٢/ ٢٨٢، ٢٨٣

(٢) هو أحمد بن عبد الاحد سرهندي يلقب بمجدد الالف الثاني اشتهر برد البدع وله مولفات عدة توفي ١٠٣٤هـ انظر أبجد العلوم ٣/ ٢٢٥ و الاعلام ١/ ١٤٢

(٣) البوذية ديانة قديمة نشأت في الهند في القرن الخامس قبل الميلاد، منسوبة إلى موسسها "بوذا" البوذيون يعتقدون فيه أنه ابن الله وهو المخلص للبشرية من مآسيها وآلامها وأنه يتحمل عنهم جميع خطاياهم" انظر الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب المعاصرة ص: ١٠٧

(٤) الكشف عن حقيقة الصوفية لأول مرة في التاريخ ص : ٧٠٨

برياضات شاقة لتطهير الروح من نجاسات المادة، وكان الجمهور يقدسونهم ويعظمونهم ويرجعون إليهم في المصائب والبلايا لاعتقادهم أن فيهم قوى غيبية، ولما يشاهدون الخوارق منهم، لتمكنهم في السحر، و استطاع الصوفية مقاومة هؤلاء المشعوذين بمثل تلك الشعوذات، من الكرامات، و بتغلغلهم في البلاد والاستيطان فيها وبالتكلم بكلام أهلها والتشبه بلباسهم وأعمالهم، وبهذا جذبوا الناس إلى الدين الإسلامي، ولكن هؤلاء الصوفية ما استطاعوا تعليم الدين الصحيح، بل أصبحت قبورهم ومزارات فيما بعد، وامتلأت الهند بالقبور والقباب، فلم يكن يميز بين المسلمين والوثنيين إلا بعبادة هؤلاء القبور وأولئك بالأصنام، وأما روح العقائد كلها كانت مختلطة بأنواع من الشرك ورواسب الفكر الصوفي وذلك لجهل الناس مصادر الدين الأصلية ألا وهما الكتاب والسنة (فلم يسمع صوت (أخبرنا) و (حدثنا) في أرجاء الهند إلى قرون عديدة إلا تحلة للقسم أو ردا للعين الحاسدة (١)

ويمكن تقدير اعتنائهم بالكتاب والسنة أن الشيخ نظام الدين الأولياء(٢) أحد كبار الصوفية في الهند ت ٧٢٥هـ استدل على جواز السماع في مناظرة وقعت في عهده بقول الرسول صلى الله عليه وسلم : أنه قال السماع مباح لأهله، انظر مبلغ علمهم بالحديث أما جواب خصمه فكان أعجب من هذا حيث قال : ما لك والحديث أنت رجل مقلد تقتدي بأبي حنيفة فأت بقول من أقواله " إن الروايات الفقهية مقدمة على الأحاديث في بلدنا هذا، وقال بعضهم : إنا لا نشتهي أن نسمع هذه الأحاديث التي تمسك بها الشافعي وهو عدو مذهبنا (٣).

ولم يكن يدرس إلا فلسفة اليونان والمنطق وكتب التفتازاني وشروحه بل معظم المدارس إلى اليوم لازالت على تلك المناهج، وإذا وجدوا فرصة انكبوا على كتب فقهاء الحنفية المتأخرين وأصولهم وكان اهتمامهم بالقرآن قليلا جدا وذلك أيضا للتبرك به وكانوا يكتفون بدراسة

---

(١) المصدر السابق ص: ١٦

(٢) وقبره مشهور يزار وبجواره مركز جماعة التبليغ يسكن فيه أميرهم الذي يلقبونه " حضرت جي" تهوي اليه جميع قلوب التبليغيين.

(٣) الثقافة الإسلامية في الهند ص: ١٢٠

كتاب واحد في الحديث وهو مشارق الأنوار للصغاني (١) أو مشكاة المصابيح للتبريزي (٢)(٣).

هذا كان حال جميع أطراف الهند عموما بل لم يرج الحديث إلا في القرن الحادي عشر بجهود الشيخ عبد الحق الدهلوي (٤) بل لم ينفق سوق الحديث إلا بعد الشاه ولي ا لله صاحب حجة ا لله البالغة، وأنجاله الكرام رحمهم ا لله رحمة واسعة (٥).

ولا ينكر أن العلماء قاموا في الهند بالسنة بين آونة وأخرى ورحلوا في طلب العلم ولكنهم كانوا أفرادا قلائل يعدون على الأنامل مختفين وراء الجم الغفير الهائل وأكثرهم نبغوا في القرون الأولى باحتكاك العرب الأولين، أما القرون المتأخرة إلى القرن الحادي عشر فلم يكن إلا سلطان الفلسفة والمنطق والتصوف في العوام والخواص (٦) .

ولذلك لا نجد زمانا خاليا من فتن المتنبئين ومدعي الألوهية ومنشئ الفرق الضالة الجديدة فتتابعت الفتن وكثرت الفرق وأصبحت الهند مزبلة الأفكار والفتن، والأغرب منه أنه ما ادعى أحد بنبوة أو بألوهية أو بأنه " هو الحق " إلا وقد وجد له أتباعا.

ولو قال قائل أنه لم ينتشر الإسلام في الهند بل انتشرت عبادة القبور والمشاهد، وانتشر الفقراء ومكاشفاتهم، وانتشر كل شئ سوى التوحيد لكان صادقا في قوله . كما قال غوستاف لوبون المستشرق الفرنسي، "فترى بين من هم على شئ من الثقافة، مسلمين حقيقيين وبراهمة حقيقيين، ولكنك إذا ما هبطت إلى الشعب وجدت اختلاط تينك الديانتين في بعض المرات اختلاطا تاما، فتبصر محمدا وأولياء المسلمين آلهة لها ما لآلهة الهندوس من الصفات، وما أكثر ما تتبادل تانك الديانتان الطقوس جامعة لأتباع مختلف المعتقدات أحيانا".

---

(١) هو الحسن بن محمد العمري الصاغاني الحنفي، أعلم أهل عصره في اللغة .وكان فقيها محدثا .وله مؤلفات عديدة ٦٥٠هـ انظر أبجد العلوم ٣/ ٢١٦ و الاعلام ٢/٢١٤.

(٢) هو ولي الدين أبو عبد ا لله، محمد بن عبد ا لله الخطيب العمري العمري التبريزي، محدث من علماء القرن الثامن للهجرة، انظر معجم المولفين ٢١١/١٠ ومقدمة مشكاة المصابيح بقلم زهير الشاويش

(٣) الثقافة الإسلامية في الهند ص: ١٢٠

(٤) هو عبد الحق بن سيف الدين الدهلوي فقيه حنفي، كان محدث الهند في عصره ت ١٠٥٢هـ انظر أبجد العلوم ٢٢٨/٣ و الاعلام للزركلي ٣/ ٢٨٠

(٥) انظر الحديث والمحدثون ص: ٤٤١

(٦) راجع التفصيل في" الثقافة الإسلامية في الهند بعنوان" الحديث في بلاد الهند" ص: ١٤

"... فالحق أن كثيرا من الهندوس والمسلمين يؤلهون محمدا، ثم أخذوا يؤلهون صهره عليا وأن أبناء طبقات المسلمين الدنيا يؤلهون كثيرا من الأولياء فيخلطونهم بالآلهة البرهمية القديمة"(١).

(١) حضارة الهند ص: ٦٢٦ وقد كتب هذا الكتاب بعد جولته في الهند .

الباب الأول

حياة الشاه محمد إسماعيل بن عبد الغني الدهلوي

ويشتمل على خمسة فصول :

الفصل الأول : عصر الشاه محمد إسماعيل بن عبد الغني

الفصل الثاني : حياته الشخصية

الفصل الثالث : حياته العلمية

الفصل الرابع : دعوة الشاه محمد إسماعيل وأهدافها والمقارنة بين دعوته ودعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمهم الله

الفصل الخامس : جهاده بالسيف

الفصل الأول:عصر الشاه محمد إسماعيل

ويشتمل على ثلاثة مباحث:

المبحث الأول : البيئة السياسية

المبحث الثاني : البيئة الاجتماعية

المبحث الثالث : البيئة العلمية

المبحث الأول : البيئة السياسية

عاش الشاه محمد إسماعيل في الفترة الواقعة ما بين سنة ثلاث وتسعين ومائة وألف (١١٩٣هـ) حيث كانت مولده، وست وأربعين ومائتين وألف (١٢٤٦هـ) حيث كانت وفاته، و يعتبر هذا العصر عصر الفوضى والاضطرابات السياسية والاجتماعية كثرت فيه الفتن والثورات والنزعات والحروب الداخلية وتمرد الكفار من السيخ(١) ومرهته* والسزط(٣) واستيلاء هم على عديد من المناطق .

وقد كانت الدولة المغولية قوية مرهوبة الجانب إلى عهد اورنكزيب رحمه الله وكان ملكا صالحا مدبرا، يحب العلم والعلماء (٤) وكانت وفاته بداية لضعف الدولة المغولية وتفككها الداخلي، وخلف بعده ملوك منحلون بعيدون عن الدين وقاصرون في أمور الدنيا وكانوا ألعوبة في أيدي أمراء الولايات وهم يستبدون بالأمور دونهم لاطاعة لهم ولا حكم بل يخرجون عليهم من غير خوف ولا تهديد.

وقد تولى السلطنة بعده ابنه بهادر شاه الأول (٥) بعد معركة دامية مع أخويه، وكان شيعيا فأصدر مرسوما بإضافة كلمات (علي ولي الله ووصي رسول الله) في خطب الجمع والعيدين فقامت فتنة، ثم توالي بعده سبعة ملوك بين فترة ١٧١٢م و ١٨٧٥م التي انتهت فيها دولة المغول. فكان هؤلاء الملوك ألعوبة بين أيدي الوزراء وكثير منهم كانوا من الشيعة(٦)

---

(١) انظر تعريفهم ص: ٣٤

* - انظر تعريفهم ص: ٣٥

(٣) وهي قبيلة معروفة في منطقة السند، تشتغل بالتجارة والنقل علىالسفن الصغيرة وبرعي الأغنام، انظر موسوعة التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية لبلاد السند والبنجاب ٧٣/١

(٤) وهو ملك صالح له شأن عظيم في ملوك الهند حكم جميع الهند خمسين سنة توفي سنة ١١١٨هـ وله ترجمة حافلة في نزهة الخواطر ١٣٥/٦

(٥) توفي سنة ١١٢٤ هـ

(٦) تطلق في الهند كلمة " الشيعة" عموما على روافض الاثني عشرية. ومفهوم التشيع عند السلف غير المفهوم المتأخر، فالتشيع عندهم من فضل أبا بكر وعمر على جميع الصحابة وقدم عليا على عثمان، رضي الله عنهم، أما المفهوم المتأخر فهو الرفض الكامل، ومصطلح الشيعة إذا أطلق فلا ينصرف إلا إلى الرافضة" انظر مسألة التقريب بين أهل السنة والشيعة ١٢٦/١،١٧١

واستقل رؤساء المقاطعات وأعلنوا حكمهم الذاتي في بنغال، وأود، الشيعية، ودكن الشيعي، وميسور، وبنجاب، والسند، وغيرها من المناطق الكثيرة .

فاشتدت قوة كفار مرهته، والسيخ، والزط، وسيطروا علي بعض الأراضي وعذبوا أهلها أنواعا من العذاب .

وهجم على الهند سنة ١٧٣٩م ملك إيران نادرشاه(١) تلبية بدعوة بعض الشيعة وكان دخوله نكالا من الله حيث أعاد إلي الذهن ذكرى قساوة التتر وظلمهم ووضع السيف في أهل دهلي وقتلهم قتلا ذريعا لم ينج منه النساء والأطفال والأبرياء وحرق البيوت وهدم المنازل، وبعده هاجم ملك الأفغان أحمد شاه دراني أكثر من تسع مرات علي الهند يقتل فيها مئات الناس، وكان الإنجليز يستغلون الأحداث ويمكرون للسيطرة الكاملة على الهند.

الاستعمار الإنجليزي :(٢)

جاء الإنجليز كالتجار وأنشئوا شركة الهند الشرقية البريطانية ثم تسلحوا بحجة التحفظ والأمن وأرادوا الخروج في عهد الملك اورنك زيب فعاقبهم فأخفوا شرهم(٣) ثم تدخلوا في السياسة لما رأوا تفرق الهند وتناحر الرؤساء، فاستولوا على ولاية بنغال واديسه بعد حرب شديدة مع سراج الدولة سنة ١٧٥٧ م قبل ولادة الشاه بـاثنين وعشرين سنة، ثم واصلوا الحروب وكانت الانتصارات ترافقهم في أغلب الأحيان حتى استولوا على ولايات بنغال، وبهار، واديسة،(٤) سنة ١٧٦٥م ولم يبق عند الملك شاه عالم سوى دهلى وولاية " اله آباد" ومعاشا سنويا من قبل الإنجليز وفي سنة ١٨٣٠ م كان الشاه في الرابعة عشرة من عمره دخل الإنجليز في دهلي وعينوا ضباطهم وجيشهم في قصر الملك ولم يبق له من الملك إلا اسم الملك وكذلك تُوّجا بعده أكبر شاه الثاني ثم بهادر الشاه الثاني كملكين بالاسم دون المسمي،

---

(١) تقدمت ترجمته ص:٤٠

(٢) تاريخ المسلمين في شبه القارة الهندية، أحمد محمود ساداتي : ٢/ ٢٥١ ومابعد،

(٣) المصدر السابق : ٢٤٨

(٤) انظر تعريف هذه المناطق والتفاصيل عنها في الباب الثاني من" الهند في العهد الإسلامي"ص:٥٦ ـ ٧٤

وتقلص ملك أولهما إلى دهلي بينما تقلص ملك الثاني في القلعة الحمراء (١) فقط.ثم قضى الإنجليز على الدولة نهائيا سنة ١٨٥٧م بعد طرد ملكه وسجنه حتى الموت. (٢)

السيخ:

وفي غضون هذه الحوادث ظهرت قوة معادية للإسلام والمسلمين وهى السيخ، وهي طائفة متطرفة مذهبية، ظهرت في نهاية القرن الخامس عشر تدعو إلى دين جديد خليط من الإسلام والهندوسية وغيرها، تنكر عبادة الأصنام، وتعتقد بتناسخ الأرواح، وتحرق موتاها كالهندوس، وتحتفل بأعيادهم(٣)

أعلن السيخ استقلالهم بالحكم الذاتي على بنجاب سنة ١٨٠١م بعد ما تقووا في تلك المنطقة عندما كان عمر الشاه اثنين وعشرين سنة ثم استولوا على ملتان سنة ١٨١٨م وعلى كشمير سنة ١٨١٩م وعلى بشاور سنة ١٨٢٣م متغلبين على أمراء الأفغان و لم يبق في شمال الهند من يساوي السيخ في القوة ويقدر على مقاومتهم من أمراء المسلمين.

وقد قهرتهم جيوش المسلمين في زمن قوتهم ولما وهنوا وغلب عليهم السيخ انتقموا من المسلمين انتقاما شديدا، وظلموا المسلمين أسوأ أنواع الظلم وأذلوهم كثيرا.

وقد هدموا المساجد وأغلقوها وحولوها إلى اصطبلات للخيول ومستودعات للأسلحة وثكنات للجيش ومنعوا الأذان والتعليم الإسلامي وذبح البقرة وفرضوا عليه عقوبات شديدة وألزموا المسلمين التحية ب " جيءِ غرو"(٤)مكان السلام، وانتهكوا أعراض المسلمات وخطفوهن من قعر بيوتهن وقاموا بغصب أموال المسلمين ومتاجرهم وإحراق بيوتهم وقراهم

---

(١) قلعة معروفة في عاصمة الهند دهلي بناها شاهجهان ت ١٦٦٦م، وهي آية في العمارة كان ملوك مغول يسكنون فيها .

(٢) كتاب " شاه إسماعيل " رتبه عبد الله بت ص: ٧٧ ومقدمة كتاب " كالا باني " ١٠- ١١ بقلم الشيخ إسماعيل السلفي.

(٣) انظر الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب المعاصرة ص: ٢٨٣

(٤) تحية السيخ، غرو في لغتهم القائد الروحاني الذي يخضعون له و"جيءِ " معناه عاش يعني عاش غرو،

ومزارعهم وإذلالهم حتى ضاقت عليهم الأرض بما رحبت، وكانت هذه معاملتهم في المناطق التي تحت سيطرتهم.(١)

مرهته:

مرهته كفار متعصبون من البراهمة يحقدون على المسلمين أشد الحقد بل يتعبدون بقتلهم، وفي طيلة التاريخ حاولوا الخروج علي المسلمين ولكن الدولة قضت عليهم وأخضعتهم فلما ضعفت الدولة برزوا على الساحة من ولاية مها راشترا منشأهم ومسكنهم وامتد سلطانهم إلى مناطق عديدة، حتى دخلوا دهلي العاصمة أكثر من مرة (٢).

ولم يكن صنيعهم أخف من السيخ ولم يكونوا أحسن منهم ولم يكن همهم من فتح المدن والقرى إلا القتل والنهب والسلب وهتك الأعراض وخطف النساء وهدم البيوت وتحريق الزروع فقد عاثوا في الأرض فسادا.

ويكتب الشاه عبد العزيز بن ولي الله في رسالته إلي قريب له " وهذا من أعجب الأحوال فقد نسينا الأمن والراحة بسبب غلبة الكفار من السيخ ومرهته والزط على بلاد المسلمين ونهبهم الأموال وانتهاكهم الحرمات ولذا قد انتقل العاجز مع أسرته إلى مرادآباد (٣) والمنطقة بين النهرين في اضطراب دائم من خيول هؤلاء".

ويقول الشاه عبد العزيز في نظمه الطويل :

واني أرى الإفرنج أصحاب ثروة   لقد أفسدوا ما بين دهلي وكابل

وكتب إلى عمه قصيدة طويلة يصف فيها حاله وحال دهلي في وقته ومن أبياتها،

لهم كل عام نهبة في بلادنا   يخوضون فينا بالضحى والأصائل

جزى الله عنا قوم سكه ومرهت   عقوبة شر عاجلا غيرآجل

وقد قتلوا جمعا كثيرا من الورى   وقد أوجعوا في أهل شاه وحامل

---

(١) انظر "سيرت سيد أحمد شهيد" لأبي الحسن علي الندوي ١/ ٤٢٧ ـ ٤٢٩ والامام الذي لم يوف حقه من الانصاف والاعتراف له، ص: ١٧ وورود كوثر ٥٩٩، والموسوعة الميسرة في الاديان والمذاهب المعاصرة ص:٢٨٣

(٢) كتاب " شاه اسمعيل " مرتب عبدالله بت ص: ٧٩

(٣) قاعدة مديرية في الولاية المتحدة من بلاد الهند . انظر معجم الأمكنة التي لها ذكر في نزهة الخواطر ص:٥٠

فهل هنا من معاذ لعائذ وهل من مغيث يتقي الله عادل

ويكتب في رسالة أخرى،

أيام برد أتت فالقلب منجزع من قوم سكه وأن الخوف معقول

أنفاهم الله عن هذى الديار فهم شر الأعادي وهم من جنة غول

فوضت أمري وأمر الناس أجمعهم إلى الإله وإن الحفظ مأمول(١)

(١) شاه ولي الله اور انكي سياسي تحريك ص ١٩٠ - ١٩١

المبحث الثاني: البيئة الاجتماعية

أما البيئة الاجتماعية في القرن الثالث عشر الهجري في الهند، فقد تدنت إلى أسوأ درجاتها، يقول الندوي: قلم المؤرخ يستحي من وصف خلق المسلمين (١) "وقد غرق المجتمع في الشهوات الدنية، والملذات العاجلة و لم يخل بيت أمير من الخمور والمغنيات والراقصات وكانوا يتزوجون من غير حد ولاعد (٢)وأصبح الزنى والرقص والغناء وشرب الخمر ولعب الشطرنج وتهريش الديوك والحمام، من معايير الثقافة ولوازم الحياة.

أما الملك محمد شاه فقد كان فاحشا متفحشا وسكيرا، تشرب الخمور في ديوانه ويستهزأ بالقرآن وشعائر الدين وكانت تعلق الفتاوى الخيالية في قلعة الملك للاستهزاء بها ... وزوجات الملوك والأمراء والرؤساء لم يكن من بيوتات شريفة بل إما مغنيات أو عاهرات أو من بنات الوثنيات اللاتي دخلن في حرمهم بعدما أعجبوا بهن وقد شهد به مستشرق فرنسي يقول: لم يكن للملوك المغول عدد معين من النساء فكانوا لايحترمون شريعة محمد في ذلك كما أنهم لم يحترموها في أمور أخرى فبلغ عدد النساء في دائرة حريم الملك شاهجهان نحو ألفي امرأة"(٣)

و لم يكن هذا حال المجتمع بل "رجال الدين" غالبهم كانوا يتظاهرون بالزهد والفقر والحال والوجد والدروشة فالسماع والغنا يتعبد به وحب المردان والشغف بهم بلغ حدا استحى المؤرخون أن يذكروه في كتبهم فكانوا يكنونه ب" علة المشايخ" و لم يكن يخلو مجلس من شرب الخمر والحشيش، والبنج بل " السوقيات من النساء أصبحن زينة مجالس الدين والدنيا".(٤)

و لم يكن هذا حال طبقة خاصة بل كل واحد كان يجري وراء هذه الثقافة سواء كان أميرا أو فقيرا كل حسب طاقته.

و لم يكن الناس في أمن بل كانت الفوضى والفتن والاضطرابات منتشرة في عامة البلاد يقول الشاه عبد العزيز :" وهذا من أغرب الأحوال نسينا الأمن والراحة بسبب غلبة الكفار

---

(١) سيرت سيد أحمد شهيد ١/ ٧٠

(٢) وقد أشار اليه الشاه في مكاتيبه انظر مكتوبه الطويل الذي أزال فيه شبهات عديدة حول الجهاد وقتال المسلمين / ٧٧ق، وطبعت مصورة .

(٣) حضارة الهند ص: ٤٣١ و ٤٢١.

(٤) سيرت سيد أحمد شهيد ١/ ٧٠

والمرهته والسيخ ونهبهم الأموال وانتهاكهم الحرمات وقتلهم النفوس فانتقلت من دهلي إلى مرادآباد". (١)

وهكذا بلغ المجتمع إلى أقصى حد في الفحش والفحشاء والسلب والنهب وقلة الأمن و كثرة القتل يندى له الجبين مع أنهم كانوا يمرون بأحرج الأوقات في تاريخهم.

---

(١) المصدرالسابق

المبحث الثالث: الحالة العلمية

ولم تكن الحالة العلمية أحسن من غيرها لقلة العلم والعلماء، ولكثرة البدع والعقائد الفاسدة التي كان يروجها الجهلاء باسم التصوف وتحت ستار الروحانية، وقد وصل الحال إلى أن الشاه ولي الله صرح في كتبه " من أراد أن يقف على عقائد مشركي العرب وأعمالهم وأحوالهم فلينظر إلى جهال عوام اليوم"(١)

وقد صرح به الشاه إسماعيل نفسه في مقدمة كتابه في موضوع البدعة " إن فتن المبتدعة فى عصرنا هذا قد بلغت أوجها واختلطت البدع والمنكرات المتنوعة بسنة أفضل الخلق محمد المصطفى صلى الله عليه وسلم في أكثر العبادات والعادات والمعاملات وفي الأمور الاجتماعية"(٢)

وكان الشرك الجلي ظاهرا في المسلمين وقد اتخذوا شريعة مستقلة عن القبور وأهلها، ومن واجبات ذلك الشرع ومستحباته السجود لها، ودعائها، وتقبيلها، والنذور لها، وتغطيتها بالأردية، والذبح لها، والطواف حولها، والغناء والرقص والطبول عندها، واتخاذ ها عيدا، وإنارتها بالشموع، وحضور النساء، والاعتقاد فيها بأنها الكعبة والقبلة والمأوى والملجأ، و العادات التي أنكرت على اليهود، و النصارى، و مشركي العرب، وجدت في المسلمين (٣).

إضافة إلى ذلك إن المسلمين لمعاشرتهم للهندوس وعباد البقر والسيخ اقتبسوا من عاداتهم وعقائدهم شيئا كثيرا بل كانوا يعبدون آلهتهم "ستيلا" و"كالى" ونحوها من المعبودات(٤) .أما الولايات التي سيطر عليها الكفار كانوا يجبرون المسلمين على التخلي عن شعائر الإسلام والتزام شعائر الكفار.

أما الشيعة فقد تفاقم أمرهم وانتشرت عقائدهم وعاداتهم وتغلغل نفوذهم وقامت لهم دويلات بل كان لهم نفوذ كبير في بلاط الملوك المغول وخاصة في آخر عهدهم، وكان سب الصحابة والاعتقاد في الأئمة الاثني عشر وإقامة محافل المآتم والعزاء ونحوها من عادات الشيعة،

---

(١) الفوز الكبير ص: ٥

(٢) إيضاح الحق الصريح في أحكام الميت والضريح ص:٢

(٣) انظر سيرت سيد أحمد شهيد ١/ ٦٩

(٤) أشار اليه الشاه نفسه في تقوية الإيمان في أماكن عديدة وسيأتي في هذا البحث والشيخ خرم في رسالته في التوحيد " نصيحة المسلمين (٤٦٥) مطبوع مع تقوية الايمان.

منتشرة في عموم المسلمين لجهلهم بالدين، وليس أدل على سلطانهم وقوتهم أن الشاه عبد العزيز لما كتب كتابه المعروف " التحفة الإثنى عشرية " ما استطاع أن يصرح باسمه المعروف بل دلس في اسم غير معروف(١).

ويصور حال زمنه الشاه إسماعيل نفسه في كتابه تقوية الإيمان (وقد صار الناس في هذا الزمان في أمر الدين على مذاهب وطرائق شتى لاتحصرها "إلى"و "حتى".

فمنهم من اتخذ رسوم أسلافه شرعا،

ومنهم من اعتقد قصص أكابره واتخذها مشربا

ومنهم من استند في طريقه بالسبيل الذي استنبطه العلماء وأحدثه الأحبار من تلقاء نفوسهم بذكاوة طبائعهم،

ومنهم من يستبد بعقله ويفتخر بفضله .(٢)

أما أركان الدين الأخرى لم يكن حالها أحسن من التوحيد فكانت المساجد خالية من العباد، وقد أفتى بسقوط فرضية الحج بحجة أن السبل غير مأمونة (٣) وأما رمضان فلم يكن له حرمة، وكيف نتوقع ذلك ما دامت وسيلة المشايخ كافية للنجاة والأطعمة المعينة باسم المشايخ ومجالس قراءة القرآن على الأموات، والفاتحة، و" قل " وطعام يوم الثالث، وطعام الأربعين وغيرها من البدع تضمن نجاة صاحبها وتدخله الجنة.

أما علم الكتاب والسنة فليس له وزن ولاحاجة حتى أن الشاه ولي الله لما ترجم القرآن تجمعوا ضده وأرادوا قتله لأنه أهان كتاب الله بالترجمة(٤)

ولم يكن يعتبر عالم إلا من تبحر في الفلسفة والمنطق والتصوف والرياضيات والفلكيات كما يقول الشاه إسماعيل فى كلام طويل له (... ثم انهم يفتخرون ويتباهون على تضييع أعمارهم ويعدونه من محاسنهم ومناقبهم لذلك ترى عندهم عادة إطراء بعضهم بعضا ويعطي كل الإجلال والاحترام لهؤلاء الحمقى المضيعين أعمارهم في مثل هذه العلوم والفنون ويوقرون ويعظمون ولايرغبون فى الدين بمثقال ذرة ولايزرعون في قلوبهم حبة من خشية الله عزوجل

(١) انظر " تذكرهٔ شهيد" ص: ١١٧

(٢) الترجمة مأخوذة من الدين الخالص ١/ ٢٩٥ انظر تقوية الإيمان ص:٣٢

(٣) ستأتي التفاصيل عنه،

(٤) انظر " رود كوثر" ص: ٥٥٢

الذي هو شعار العلماء ولايلتقطون شعيرة علم ولاعمل من بيدر السنة النبوية وينظرون إلى المكبين على هذه الفنون بعين الإهانة والاحتقار ... سبحان لله ! فهذا حال عقلاء هذا العصر الذين يعدون أنفسهم في زمرة العلماء والفضلاء والأسف الشديد على أولئك الأغبياء الذين يزعمون قح العلم لذلك الجهل المذكور ....(١)

أما التصوف بجميع آثاره الوخيمة فاختلط باللحم والدم، وأشربت قلوبهم به كما قال أحد العبقريين من رجال الهند (ومن أكبر البليات في الهند أن العامة والخاصة كلهم كانوا مصطبغين بصبغة التصوف حتى بلغ بهم الأمر إلى أنهم ما كانوا يقبلون شيئا إلا إذا كان مسبوكا في قالبه) (٢) ...» ولم تكن في الهند إلا فتنة التصوف الباطل و لم تخل منها قرية أو مدينة من الزوايا ...(٣)

وكان الناس مكبلين إما في حبائل الصوفية الماكرة وإما في مكائد علماء السوء.

ويقول محمد إكرام (٤) : فان التصوف مع ما فيه من القبائح لن يمكن لمسلمي الهند نبذه بالكلية فان لغتنا، ومذهبنا، وفلسفتنا، كلها ترعرعت في مهد التصوف...(٥)

ويقول: فان التصوف قد ازدهر ازدهارا بالغا في الهند.... ولم يكن يخطر على قلب أحد من المسلمين إلى القرن الماضي أن يصل إلى جزء من حياة الروحية الإسلامية من غير انسلاكه في طريقة صوفية ومن غير اهتداء من المرشد الكامل.(٦)

ويقول الشيخ ثناء الله أمرتسري(٧) : قال صلى الله عليه وسلم :بدأ الإسلام غريبا وسيعود كما بدأ فطوبى للغرباء الذين يصلحون ما أفسده الناس من سنتى(٨) الحديث يدل على أن للإسلام أربع أدوار :

---

(١) إيضاح الحق الصريح في أحكام الميت والضريح ص:٢٨

(٢) تذكرة أبو الكلام آزاد ٢٦٥ وترجمته مأخوذة من كتاب مسعود عالم الندوي تاريخ الدعوة الإسلامية في الهند : ٢١

(٣) المصدر السابق.

(٤) وهو مؤرخ معاصر مشهور، ألف كتبا كثيرة، توفي سنة ١٨٧٣م انظر تذكره شهيد ص: ٣٧٤

(٥) رود كوثر ص: ٥٦٤

(٦) أيضا ص: ٥٨٠

(٧) عالم كبير من علماء الهند القائمين بالسنة، وله جهود مشكورة في الرد على الارية والقاديانيين وغيرها من الفرق والملل يلقب ب "فاتح القاديان " لأنه ناظر القادياني وهزمه مرات وقدباهله القادياني عام ==

الدور الأول ضعف الإسلام كما كان في عهد مكة،

والثاني : عهد قوة الإسلام وانتشاره،

والثالث : هو عود الإسلام إلى الغربة بحيث يصبح الإسلام نسيا منسيا في أهله، ويغلب الشرك علي التوحيد والبدعة على السنة ويعامل الذين يدعون إلى الصراط المستقيم مثل ما عومل المسلمون في الدور الأول،

والدور الرابع، إشارة إلى المصلحين الذين يقومون لإصلاح أحوال المسلمين،

وقد وصل حال المرتبة الثالثة إلى أقصى الكمال في عهد الملوك في الهند حيث انتشرت كل أنواع العبادة لغير الله وراجت جميع البدع وأصبحت علامة أولياء الله أن تكون عيونهم مملة من نشوة الخمر وجممهم طويلة معطرة ويفوح بشذاها الطريق الذي مروا به وينادي عموما،

اكـر بـاب احابت بند هوجائ تو كيا درهي

كهلا رهتا هي دروازه معين الدين جشتي كا. (١)

(وما الخوف إن أغلق باب الإجابة فان باب معين الدين جشتي مفتوح دائما)

ويقال:

الله كي بلد مين وحدت كي سوا كي هى جو كجه لينا هي لـ لينك محمد سے، (٢)

(هل يملك الله شيئا سوى الوحدة، وما نريده نأخذ من محمد)

ست وعشرين وثلاث مأة وألف بأن من يكون كاذبا منهما ويكون على باطل يسبق صاحبه إلى الموت ويسلط الله عليه داء مثل الهيضة والطاعون، وقد ابتلي القادياني بهذا الداء بعد مدة قليلة ومات، أما الشيخ ثناء الله فقد عاش بعده أربعين سنة توفي سنة ١٣٦٧ هـ انظر نزهة الخواطر ٨/ ٩٥ ـ ٩٦ ويكتب عنه الأخ عبد اللطيف البحث في الماجستير.

(٨) أخرجه الترمذي ـ ٢٦٣١ روي الحديث بأسانيد وألفاظ عديدة وهو صحيح انظر السلسلة الصحيحة ١٢٧٣ .

(١) هوخواجه معين الدين جشتي الاجميري الصوفي، مات سنة ٦٢٠ أو ٦٣٤ هـ هوالذي نشر طريقة الجشتية في الهند وقبره محجة للمسلمين والهندوس على السواء ومشهده من أشهر المشاهد في الهند، انظر الكشف عن حقيقة الصوفية لأول مرة في التاريخ ص: ٣٥٧

(٢) مقدمة أكمل البيان في تأييد تقوية الإيمان ص: ٢

الفصل الثاني: حياته الشخصية

ويشتمل على أربعة مباحث:

المبحث الأول: اسمه ونسبه ونسبته وكنيته ولقبه و ولادته ومواهبه.

المبحث الثاني : صفاته

المبحث الثالث: استشهاده

المبحث الرابع : أسرته العلمية

المبحث الأول: اسمه ونسبه ونسبته وكنيته ولقبه و ولادته ومواهبه

اسمه ونسبه:

هو محمد إسماعيل بن الشاه عبد الغني بن الشاه ولي الله بن الشاه عبد الرحيم بن الشيخ الشهيد وجيه الدين العمري الدهلوي.

ينتهي نسبه إلى عمر بن الخطاب رضي الله فهو إذا فاروقي النسب(١)

نسبته:

ينتسب إلى"دهلي" عاصمة الهند من زمن قديم، فيقال له الدهلوي.

كنيته:

وكان له ابن وحيد اسمه عمر وعلى هذا تكون كنيته "أبو عمر ولكن لم أر من كني به إلا نادرا.

لقبه :

وكان أفراد عائلته يلقبون ب "ميان" (٢) ولكن لقبه الذي اشتهر به هو "شهيد" ولايعرف إلا بهذا اللقب بل لايطلق لفظ " حركة الشهيدين" في تاريخ الهند إلا على هذه الحركة التي قام بها تحت إمارة السيد أحمد ، ولايذكره أحد إلا بإضافة لفظ الشهيد مع اسمه .

ولادته:

ولد الشاه لاثنى عشرة من ربيع الثاني سنة ثلاث وتسعين ومائة وألف (١١٩٣هـ) الموافق تسع وعشرين ابريل سنة تسع وسبعين وسبعمائة وألف من الميلادي(١٧٧٩)م في قرية فلت من أعمال مظفر نغر بجوار دهلي بالهند.

وأراد أبوه بعد ولادته أن يسلمه إلى ظئر تقوم برضاعته ولكن أبت أمه فاطمة بنت علاء الدين إلا أن ترضعه هي بنفسها مع ضعفها ومرضها، وعاشت حتى رأت بنفسها جهود ابنها

---

(١) انظر ترجمته : اليانع الجني في أسانيد الشيخ عبد الغني ص: ٧٦ وأبجد العلوم للقنوجي ٣/ ٢٤٦ و نزهة الخواطر وبهجة المسامع والنواظر ٧/ ٥٦ وتراجم علماء أهل حديث هند ص: ٧١ وفقهاء باك وهند ٣/ ١٨٧

(٢) يستعمل للإكرام والتبجيل في الفارسية بمعنى" السيد" و" الملك" انظر سيد أحمد شهيد لمهر ص:٦٤٣

وحجت معه سنة ١٢٣٦ هـ في القافلة المشهورة التي ذهب بها الشاه والسيد أحمد إحياء لفريضة الحج ووافتها المنية في مكة المكرمة فدفنت فيها(١).

نشأته:

نشأ الشاه محمد إسماعيل نشأة علمية في بيت معروف بالعلم والتقوى بل لم يكن في ذلك العهد علم الكتاب والسنة بالهند إلا في بيته وذلك أن جده جاء بعلم الحديث وقام هو وأبناءه بنشره فيها (٢).

وكانت تظهر عليه آثار الفطنة والذكاء منذ نعومة أظفاره،بدأ بالعلم وهو في السادسة من عمره، وحفظ القرآن وهو ابن ثماني سنوات، وكان أبوه يربيه ويعلمه ولكن وافته المنية فتركه يتيما،كفله عمه الشاه عبد القادر ولم يفرط في تعليمه وتربيته فقام به خير قيام كما كان الشاه عبد العزيز والشاه رفيع الدين لم يألوا جهدا في تربية ابن أخيهما لشدة حبهما له .

مواهبه:

وقد أنعم الله عليه بمواهب عديدة من الذكاء والفطنة وقوة الحفظ، وذكر المترجمون له عددا من القصص (٣) تدل على قوة حفظه وشدة ذكائه، ولم يكن أحد من زملائه يساويه في العلم، وكان يحفظ كل ما يسمع ولم يكن يحتاج إلى مراجعته، ويشتغل بالرياضة والفروسية والسباحة والتدرب على الأسلحة، وقد تضايق عمه الشاه عبد العزيز من شدة شكوى تلاميذه عن عدم اعتنائه بالعلم، فنبهه مرة في ملأ من تلاميذه فأجاب الشاه بأنه يحفظ كل ما درس، فسأله عمه عدة أسئلة، فلما رأى حفظه واتقانه فرح فرحا شديدا، اندهش الطلاب من حفظه(٤).

امتحنه بعض العلماء بأسئلة، محيرة فأقنعهم بالجواب، وكانوا يشهدون له بالحفظ والبراعة.

و الشاه قد تخرج في العلوم النقلية والعقلية وهو في السادسة عشرة من عمره، و درس القرآن والحديث وعلوم الفلسفة والمنطق والجغرافية، وغيرها من العلوم الموجودة في عهده.

---

(١) تذكرةُ شهيد ص: ٥٥

(٢) انظر جهود أسرته في نشر الحديث في الهند ص:

(٣) انظر " حيات طيبة " ٣٣- ٣٥

(٤) انظر تذكره شهيد ص: ٦١

ولم يحصر نفسه في طلب العلم فقط حسب عادة علماء عصره بل كان شغوفا بالفروسية، والرياضة البدنية، واستعمال البندقية، والمصارعة، في وقت يعتبره العالم والجاهل عارا ومسبة للعلماء (١)

وقد أتقن فن المصارعة، والسباحة، والفروسية، والرماية، بحيث كان الناس يشهدون له ببراعته في هذه الفنون، وقد كان يقطع بالسباحة مسافة بعيدة، ولم يكن يتعب من ركوب الفرس إلى مدة طويلة، وقلما كان يخطئ هدفه في الرمي كان أو بالبندقية، وقد عود نفسه على تحمل المشاق والمصاعب كثيرا. ولعل ذلك كله حسب مقتضى قوله تعالى: ﴿وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة﴾(٢).

---

(١) وصرح به الشاه في كتابه " ايضاح الحق الصريح في أحكام الميت والضريح " في أحكام البدعة الحكمية.

(٢) سورة الأنفال / ٦٠

المبحث الثاني : صفاتـه

تعبده وزهده:

قد بلغ في الزهد والعبادة مكانا رفيعا تـرك الدنيا ومنصبهـا في زمـن كـان النـاس يتهـافتون عليها، ووقف نفسه وحياته للدعـوة إلى لله والجهـاد في سبيله وقـد تحمـل في سبيلها مشـاكل عظيمة عندما كان في بلده فلما عزم على الهجرة والجهــاد عـاش عيـش المهـاجرين المجـاهدين في سبيل ا لله ليس لهم مأوى سوى ساحات القتال ولاملجأ سوى المخيمات في جبال الأفغـان، في حروب دامية وأسفار مستمرة مع قلة المساعدين وكثرة الخائنين وشدة الغدر والعداوة من الذيـن كان يريد تخليصهم من ظلم السيخ.

وكان يحيي الليالى بالعبادة والتضرع إلى لله، يدل عليه ما حكى ابن عمه موسـى بـن رفيـع الدين فيقول: كان الشاه كان يمشي إلى بعض أراضي أسرته للحصول على محصولاتهـا فمـرض مرة فذهبت مكانه فلما بت في خانة أحضر خادمها السجادة والوضوء، فقلت لـه: لاحاجـة لي في الماء حتى الفجر فقال: إنك لست أخا لإسماعيل فانه كان يصلـي العشـاء ثـم ينـام قليـلا ثـم يستيقظ ويتوضأ ويقوم بـالنوافل إلى الفجـر وأيـن أنـت منـه في العبـادة، يقـول: اسـتحييت مـن كلامه.(١)

تواضعه:

كان متواضعا مع كونه أميرا على المجاهدين، يقوم لحاجاته بنفسه، وقد جاء إليه مرة جماعـة من العلماء والمشايخ على هيئتهم المعروفة بالعمائم الطويلة والألبسة الغالية، وهـو يـدق الحبـوب لفرسه فلما رأوه بكوا على حاله، يقول الشيخ محمد يوسف بنـوري(٢): "انـه مـن ذلـك الجيـل ومن ذلك الرعيل الذي يشبه تماما بـأولئك الصحابـة الذيـن كـانوا أولى نفـوس قدسـية وأرواح ذكية وقلوب تقية" (٣)

---

(١) انظر " إسماعيل شهيد" ص: ٢٥٥

(٢) وهو من أشهر علماء ديوبند، صـاحب "معـارف السـنن شـرح الـترمذي" ت سـنة :١٣٩٧هــ انظـر ترجمته في مقدمة " معارف السنن"طبعة باكستان، كراشي، ١٤٠٤هـ

(٣) مقدمته على "عبقات" ص: ٢

وكان يسبق غيره لتحمل المشاق ومواقع الخطر، وكان يمشي على أقدامه في أكثر المواقع ويعطي فرسه لغيره إيثارا لغيره على نفسه واحتسابا عند الله عزوجل.(١)

وفاؤه بالعهد:

كان الشاه شديدا في مراعاة الشروط والعهود في الحروب وقد اشترط في الصلح مع أمير رسول خان بعد معركة "مردان" (٢) أن لايدخل المجاهدون المدينة فأرسل رسولا إلى الأمير بألا يدخل في المدينة ولكن لم يستطع الرسول الوصول إليه لشدة الزحمة، فدخل المدينة فلما علم الشاه ركب الفرس وطار إليه غاضبا ثائرا، وأنكر بشدة فقال:كيف ترتكب مخالفة شرعية، ولاتراعي الشروط وأنت أمير، قد صالحتهم على شروط،يجب إيفاؤها، وليست هذه قافلة الفقراء حتى تقتحم المدينة، والواجب على جميع الجيش أن يخرج من المدينة، فاعتذر الأمير وخرج.(٣)

وقد عاتب عبد الرؤوف عتابا شديدا لغيابه في الليل عن المعسكر، وكان ذومرتبة عند الناس فقال له: "فاني لاأراعي كبيرا ولاصغيرا في تفويض المسئوليات، ولن أجيز المداهنة فيها.(٤)

شجاعته :

أما شجاعته فكانت يضرب بها المثل، وكان الأعداء يهابون من اسمه، وقد حاول أحد جنود الأفغان غصب مال امرأة فقالت بأنها ستذهب إلى الشاه محمد إسماعيل فخاف وهرب وترك مالها(٥).

وكان مرابطا في "أمب" فطلبه الأمير لأجل معركة " مايار" فكتب إليه الكاتب أن يشهر خبر بجيئه وسفره إليهم لأن شجاعتك معروفة لدى العوام والخواص في هذه المنطقة ولايستبعد أن يرهب العدو من خبر مجيئك ويترك الحرب ويستعد للصلح(٦).

---

(١) انظر سيد أحمد شهيد ١/ ٢٠٦ و ٢/ ٥٨٤ - ٦٥٧

(٢) وهي منطقة في بشاور في أفغانستان.

(٣) المرجع السابق ٢/ ٦٤١

(٤) المرجع السابق ص: ٥٧١

(٥) أهل حديث اور سياست ص: ٧٠

(٦) المرجع السابق

وكان يسبق جميع الجيش في الهجوم بل كان يرى دائما في أخطر المواقع في الحرب وكان الناس يلجئون إليه في شدة المعركة(١).

---

(١) تذكره شهيد ٣١٤

المبحث الثالث: استشهاده

عاش الشاه رحمه الله حياة حافلة مليئة بالعلم والدعوة والجهاد بالسيف، وقد حاول أعداءه أن يغتالوه مرارا ولكن قدر الله شهادته في سبيل الله في معركة دامية مع السيخ في أرض الأفغان في جبال "بالاكوت" بعدما قاتل السيخ بشجاعة نادرة وبطولة رائعة.

كادت أن تعود إلى المسلمين الخلافة الإسلامية في هذه المنطقة بجهود المجاهدين، وكرامتهم ولكن قبح الله النخوة العرقية والعصبية القبلية التي أتت على جميع الجهود الجبارة فقد غدر رؤساء الأفغان وخان العلماء المبتدعة حيث أثاروا فتنة "الوهابية" و "الحنفية" وكفرهم عباد القبور وأخرجوهم من الملة، كما سرب بعض المسلمين أخبارهم إلى الأعداء ودلوهم على الطريق الجبلي، فداهمهم العدو من الخلف ووقعت معركة عنيفة سالت فيها دماء طاهرة زكية واستشهد فيها الأمير والشاه ونخبة من خيرة المسلمين .

وقعت هذه الكارثة المؤلمة المفجعة صباح يوم الجمعة في ذي القعدة ١٢٤٦ هـ الموافق ٦/مايو ١٨٣١م(١).

(١) هندوستان كي بهلي اسلامي تحريك ص:٣٢ وسيد أحمد شهيد ٢/ ٤٢١

المبحث الرابع : أسرته العلمية

المطلب الأول : أجداده

كان الشاه ينتمي إلى أسرة ذات شرف وحسب ونسب، وكان ينحدر من سلالة عمر بن الخطاب رضي الله عنه، وكان آباؤه وأجداده معروفين بالعلم والعمل والزهد والتقى، وأول من جاء من أجداده إلى الهند الشيخ شمس الدين المفتي وكان رجلا زاهدا عابدا وتنسب إليه كرامات والله أعلم بصحتها، ويقول عنه الشاه ولي الله (كان أول قرشي نزل تلك البلدة فنشر فيها أنوار الإسلام وأحيا شعائره وأزال طغيان الكفر وظلماته(١)

تولى عدد من أجداده مناصب شرعية من القضاء والإفتاء ونحوها في منطقة رهتك التي كانت مسكنهم.

الشاه عبد الرحيم:

وهو أبو جد الشاه إسماعيل رحمه الله، المولود سنة١٠٥٤هـ كان عالما جليلا، وفقيها محدثا، وكان ينتمي إلى الطريقة الجشتية في التصوف .(٢)أنشأ المدرسة الرحيمية لتدريس العلوم الشرعية وخاصة علم الحديث، وكان يتقيد بالمذهب الحنفي في عامة المسائل وإلا أنه كان يترك الفقه الحنفي أمام الحديث الصحيح، وقد اختاره الملك لإعادة النظر في الفتاوى الهندية فراجعها وصحح بعض أخطائها، وتوفي سنة ١١٣١هـ.

المطلب الثاني: الشاه ولي الله ودوره في نشر الكتاب السنة

وهو جد الشاه إسماعيل رحمه الله، من أشهر علماء الهند، فمحاسنه لا تحصى ومعارفه لاتقيد ولن تنسى الهند ما قدم إليها من علوم وفنون، ولدفي ضحى يوم الأربعاء ٤/ شوال/ ١١١٤هـ وتوفي ١١٧٦هـ.

---

(١) انظر الامداد في مآثر الاجداد ص: ٢ ذكر فيه نسبه وأسرته.

(٢) وهي نسبة إلى قرية " جشت" في هراة، في الشمال الغربي من أفغانستان مؤسسها أبو إسحق الدمشقي الجشتي توفي في أواخر القرن السادس أو بداية القرن السابع وهي منتشرة في الهند نشرها خواجه معين الدين جشتي الاجميري الصوفي، مات سنة ٦٢٠ أو ٦٣٤ هـ، انظر الكشف عن حقيقة الصوفية ص: ٣٥٧

تأثره بابن تيمية:

كان الشاه ولي الله عالما جهبذا ولكن لم ينصب نفسه لنصرة السنة والعمل بالحديث واختيار طريقة فقهاء المحدثين في المسائل إلا بعد زيارة الحرمين، وبعد الاستفادة من مشايخ تلك البقعة المباركة، وكان قبله ينتهج نهج علماء بلده في الكلام والتصوف، تتلمذ فى الحجاز على الشيخ أبي طاهر محمد بن إبراهيم بن حسن الكردي(ت١١٤٥هـ)وهو تتلمذ على أبيه المتوفى سنة١١٠١ هـ الذي كان سلفي العقيدة ذابا عن شيخ الإسلام ابن تيمية، وأخذ من الشيخ محمد حياة السندي(١) شيخ الإمام محمد بن عبد الوهاب، فاطلع بواسطة هؤلاء المشايخ على كتب ابن تيمية وابن القيم ورحمهم الله ورجع إلى الهند بعاطفة الاعتصام بالكتاب والسنة،(٢) تدل عليه مؤلفاته التي ألفها بعد رجوعه من الحج، وانتصر فيها للسنة، ولذلك ما أحسن ما نقل الأستاذ مسعود عالم الندوي عن قائل :" نحن نعرف (ولي الله) المحدث الفقيه صاحب " حجة الله البالغة" و " إزالة الخفاء " ومثله، أما ولي الله المتصوف الفلسفي فلا صلة لنا به" (٣).

ودافع عن شيخ الإسلام ابن تيمية دفاعا مجيدا ومدحه مدحا عاطرا، في زمن لم يكن أحد يعرف ابن تيمية ومن يعرفه لم يكن يذكره بخير في الهند.

يقول في رسالة طويلة وجهها إلى تلميذه الذي سأله عن حال ابن تيمية وماذا ينبغي أن يعتقد فيه، (...... فيقول : وكذلك ابن تيمية فانا قد تحققنا من حاله أنه عالم بكتاب الله ومعانيه اللغوية والشرعية، وحافظ لسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم، وآثار السلف عارف بمعانيها اللغوية والشرعية، أستاذ في النحو واللغة، محرر بمذهب الحنابلة فروعه وأصوله، فائق في الذكاء ذو لسان وبلاغة في الذب عن عقيدة أهل السنة، لم يؤثر منه فسق(٤) ولا بدعة اللهم إلا هذه الأمور التي ضيق عليه لأجلها وليس شئ منها إلا ومعه دليله من الكتاب والسنة وآثار السلف ومن يطيق أن يلحق شأوه في تحريره وتقريره والذين ضيقوا عليه ما بلغوا معشار ما آتاه

---

(١) هو الإمام العالم المحدث محمد حياة بن ابراهيم السندي المدني، ولد في السند وسكن في المدينة، وتوفي فيها سنة ١١٦٣هـ، انظر الأعلام للزركلي ١١١/٦.

(٢) جلاء العينين ص:٤٥ ـ ٤٦

(٣) تاريخ الدعوة الإسلامية في الهند ص: ١٥٩

(٤) شيخ الإسلام ابن تيمية ليس مظنة للفسق ، و يعتذر للشاه رحمه الله بأنه كان في دفاعه عنه يرد على أقوام يتهمونه بتهم شنيعة.

الله تعالى وان كان تضييقهم ذلك ناشئا من اجتهاد، ومشاجرة العلماء في مثل ذلك ما هى إلا كمشاجرة الصحابة فيما بينهم والواجب في ذلك كف اللسان إلا بخير ...»

ثم تناول المسائل التي ضيق عليه من أجله وذكرها وهي، إن الله تعالى فوق العرش، ومنع السفر لزيارة قبر النبي صلى الله عليه وسلم، وأنكر وجود القطب والغوث والخضر والذي تدعيه الشيعة انه المهدي وأساء الأدب مع علي رضي الله عنه وفسر آية الطهارة(١) بالإرادة التشريعية دون الإرادة التكوينية، ثم أجاب عن كل مسألة وأيد فيه مذهب شيخ الإسلام ابن تيمية وحذر من الوقوع فيه .(٢)

وكان ولي الله شديد الإعجاب بابن تيمية ومعارفه وآرائه يدل ذلك كثرة ما ينقل منه في كتبه باللفظ وبالمعني بل يذكر اسمه ومنزلته العلمية أحيانا ويكاد أن يكون كتابه " البلاغ المبين " في الفارسية ترجمة ملخصة لاقتضاء الصراط المستقيم".(٣)

أما كتابه " إزالة الخفاء عن خلافة الخلفاء " فسفر علمي عظيم ليس له نظير في شرح المباحث والمسائل الخاصة بالخلافة الإسلامية والسياسة الشرعية ومكانة الخلفاء الراشدين الأربعة وغيرهم من الصحابة' ...(٤).وقد نقل فيه عن ابن تيمية نقولا غير قليلة.(٥)

" ولما قام العلامة الشاه إسماعيل بن عبد الغني حفيد ولي الله الدهلوي بالتنفيذ العملي لأفكار جده ظهر أثر معارف ابن تيمية وأعماله التجديدية في الأوساط المسلمة في الهند وبدأت تعمل عملها ولاريب أن" تقوية الإيمان " و" رد الإشراك " و " تنوير العينين" من مؤلفات العلامة إسماعيل الدهلوي ثمرات لمعارف شيخ الإسلام ابن تيمية التي ورثها عن جده".(٦)

قائد الحركة:

---

(١) الآية المشار اليها، قوله تعالي...﴿ انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا﴾ سورة الاحزاب/٢٣

(٢) انظر رسائل الشاه ولي الله ص: ١٨ ـ ٢٣ الترجمة منقولة من كتاب" الامام المجدد المحدث الشاه ولي الله الدهلوي ص: ٥٣ ـ ٥٩ وقد ذكر الآلوسي الشاه ولى الله من المشاهير الذين يدافعون عن ابن تيمية واستدل بمحتوى هذه الرسالة. انظر جلاء العينين ص: ٤٥ ـ ٤٦

(٣) انظر"الإمام المجدد المحدث الشاه ولي الله" ص: ٥٩

(٤) المصدر السابق ص: ١٤٩

(٥) تاريخ الدعوة الإسلامية في الهند ص: ٢٨

(٦) مقدمة دعوة شيخ الإسلام ابن تيمية وأثرها في الحركات الإسلامية المعاصرة ص: ٢٨

يعتبر الشـاه ولي ا الله قـائد حركـة الإصـلاح والتجديـد في الهنـد، هـو الـذي دعـا بقـوة إلى التمسك بالكتاب والسنة وترك البدع وترجم القرآن إلى لغة القوم وقام بنشر الحديث وبأعمـال عظيمة غيرت مجرى الحياة في الهند، ومما أنجز من أعمال الإصـلاح، إعـداده جماعـة مـن العلمـاء والمحدثين والفضلاء النابغين الذين قادوا هذه الحركة إلى أرجاء الهنـد، كمـا أنـه أورث المسـلمين بمؤلفاته القيمة النادرة، وحلى القضايا العلمية ونقد التاريخ الإسلامى وأدرك مواضع وهن الامـة الإسلامية ونبه على سبل تداركها، و لم يتقيد في جميع ما كتب بمذهب معين، و لم يقلـد أحـدا، بل اجتهد بعلمه ودعا إلى الاجتهاد، " فتبدلت الأرض غير الأرض وتغـير الجـو، وخفقـت رايـة الكتاب والسنة مرفوفة"(١)

" وبظهوره بـدأت مرحلـة جديـدة بـالهند للعمـل بالكتـاب والسـنة والرجـوع إلى المصـادر الشريعة الأصيلة مباشرة بدون التقيد بمذهب معين في الفقه" (٢)

ولكن لم يكمل هذا الصرح إلا حفيده الشاه محمد إسماعيل الذى بلور فكرته ونوه بالرجوع إلى الكتاب والسنة في كل صغير وكبير، فحدثت ضجة في الأوساط العلمية لدعوتـه الواضحـة، فقامت جماعات معادية للقضاء علـى فكرتـه ودعوتـه ولكـن أنـى لهـم أن يفعلـوه " وكـان ا الله عزوجل قد قضى أن يجـدد دينـه علـى يـد هـذا الرجـل العبقـري الـذي كـان يتميز بالشـجاعة والإخلاص والفهم والذكاء والفطنة والبصيرة"(٣)

مؤلفات الشاه ولي ا الله :

وله مؤلفات عديدة في فنون شتى وقد ألف في علوم القرآن، وعلوم الحديث، وفي العقيـدة، والتوحيد، وحكم الشريعة، وعلم أصول الفقه، واختـلاف الفقهـاء، والسـيرة النبويـة، والخلافـة الراشدة، وفي التراجم، والتصوف، والنحو، والصرف، وغيرها مـن الفنـون، حيـث بلـغ عددهـا ثلاثة وستين مؤلفا(٤)

---

(١) تاريخ الدعوة اللإسلامية في الهند ص: ١٣٧

(٢) الحركة السلفية بالهند ص: ٩

(٣) المرجع السابق ص: ١١

(٤) انظر الامام المجدد المحده الشاه ولي ا الله الدهلوي ص: ٣٩ وأبجد العلوم ٣/ ٢٤١

المطلب الثالث: أولاد الشاه ولي ا لله ودورهم في نشر الكتاب والسنة

"كان له أولاد صالحون الشيخ عبد العزيز والشيخ رفيع الدين والشيخ عبد القادر والشيخ عبد الغني والد الشيخ محمد إسماعيل الشهيد وكلهم كانوا علماء نجباء حكماء فقهاء كأسلافهم وأعمامهم، كيف وهم من بيت العلم الشريف والنسب الفاروقي المنيف....... وكان بيته في الهند بيت علم و دين، وكانوا مشايخ الهند في العلوم النقلية بل والعقلية أصحاب الأعمال الصالحات وأرباب الفضائل الباقيات لم يعهد مثل علمهم بالدين بيت واحد من بيوت المسلمين

في قطر من أقطار الهند ... لم يكن علم الحديث والتفسير والفقه والأصول وما يليها إلا في هـذا البيت".(١)

الشاه عبد العزيز:(١١٥٩- ١٢٣٩) هـ

"هو سيد علمائنا في زمانه وابن سيدهم لقبهم بعضهم ب " سراج الهند"(٢) خلف أباه في التدريس وتتلمذ عليه مئات الطلاب من داخل الهند وخارجها وله مؤلفات عديدة في فنون شتى ولكن اشتهر " بالتحفة الإثنى عشرية في الرد على الفئة الرافضة" وهو سفر حافل بديع في موضوعه أوذي من أجله كثيرا حتى صودرت أملاكه(٣) اختصره الآلوسي(٤) واشتهر اختصاره في بلاد العرب.

الشيخ الشاه رفيع الدين :(١١٦٣ - ١٢٣٣)هـ

تولى التدريس بعد أبيه وأخيه الشاه عبد العزيز عند ما كف بصره، وكان على منوال أخيه وأبيه في العلم والمعرفة، وله مؤلفات نافعة، وهو أول من ترجم القرآن باللغة الاردية ولايزال يستفيد منها خلق كثير(٥).

الشيخ الشاه عبد القادر: (١١٦٧- ١٢٣٠) هـ

كان عالما زاهدا صادق الفراسة حسن التوسم اشتغل بالتدريس والإرشاد وله ترجمة القرآن الكريم باللغة الاردية مع حواش مفيدة، ولايزال ينتفع بها(٦).

الشاه عبد الغني والد الشاه محمد إسماعيل: (١١٧١- ١٢٠٣) هـ

كان عالما محبا للعزلة والعبادة "توفي وهو حدث السن لم يكد يخدم الدين والأمة بشيء يذكر في بطون التاريخ إلا أن الله رزقه مولودا جعله الله من مجددي الدين لهذه الأمة وكبار مصلحيها في هذه البلاد الا وهو الشاه إسماعيل"(٧)

---

(١) أبجد العلوم لصديق حسن خان القنوجي ٣/ ٢٤٣

(٢) اليانع الجني في أسانيد الشيخ عبد الغني ص: ٧٣

(٣) شاه ولي الله اور انكا خاندان ص: ١٠٢

(٤) هو السيد محمود شكري الالوسي ت ١٣٤٢ هـ الاعلام ٧/ ١٧٢

(٥) الامام المجدد المحدث الشاه ولي الله الدهلوي ص: ٥٠ أبجد العلوم ٣/٢٤٥

(٦) اليانع الجني ... ص: ٧٥ وأبجد العلوم ٣/ ٢٤٥

(٧) تاريخ الدعوة الإسلامية في الهند ص: ١٦١

ولكل واحد منهم أبناء وأحفاد لهم شأن في التدريس والتعليم والتبليغ والجهاد(١).

يقول القنوجي بعد ما تناول موضوع قلة علم الحديث في الهند وأن ثقافة أهلها لاتتجاوز الكتب الفقهية على طريق التقليد دون التحقيق وأن الشيخ عبد الحق بن سيف الدين(٢).أول من جاء به في هذا الإقليم يقول: "..... وبعده جاء الشيخ الأجل والمحدث الأكمل ناطق هذه الدورة وحكيمها وفائق تلك الطبقة وزعيمها الشيخ ولي الله بن عبد الرحيم، وكذا أولاده الأمجاد وأولاد أولاده أولي الإرشاد المشمرين ـ لنشر هذا العلم ـ عن ساق الجد والاجتهاد فعاد بهم علم الحديث غضا طريا بعد ما كان شيئا فريا"(٣)

---

(١) انظر تراجم علماء أهل حديث في الهند، وشاه ولي الله اور انكا خاندان.

(٢) تقدمت ترجمته ص:٨٢

(٣) الحطة في ذكر الصحاح الستة ١٤٥ ـ ١٤٦

الفصل الثالث: حياته العلمية

ويشتمل على ثلاثة مباحث:

المبحث الأول : طلبه للعلم

المبحث الثاني: تلاميذه

المبحث الثالث : منزلته العلمية

المبحث الرابع : مؤلفاته

المبحث الأول : طلبه للعلم

المطلب الأول: توجهه إلى العلم

ولد الشاه محمد إسماعيل في أسرة كانت مرجعا لجميع الطلاب في عموم الهند، و لم يكن في وقته من يهتم بالكتاب والسنة وعلومهما تعليما وتبليغا إلا أعمامه ولا مدرسة يدرس فيها القرآن والحديث إلا مدرستهم، فكان جده وأعمامه مرجعا لكل من يريد العلوم الإسلامية وخاصة الحديث وعلومه، فبيئة أسرته رغبته في العلم منذ صغره، وقد أتقن من العلوم الرياضية والجغرافية والتاريخ وهو صغير، وحفظ القرآن وعمره لم يتجاوز ثماني سنوات، ثم درس المنطق والفلسفة حسب مقتضى زمانه ثم توجه إلى الحديث وعلومه، حتى تمكن فيها.

ولانجد له رحلة في طلب العلم إذ لم يكن في الهند والمناطق المجاورة لها من يرحل إليه لأجل طلب العلم بل كان الناس يقصدون أهل بيته الذين عاش بين ظهرانيهم .

المطلب الثاني: شيوخه

١- أبوه عبد الغني

تعلم الشاه على يديه الصرف والنحو والأدب ونحوها من العلوم إلى أن توفي رحمه الله وهو في السنة العاشرة من عمره.

٢-الشاه عبد القادر

تتلمذ عليه في المنطق والفلسفة وغيرها من العلوم كما تتلمذ على الشاه رفيع الدين أيضا، وأخذ الحديث وعلومه من الشاه عبد العزيز قراءة وسماعا، بل كان الشيخ يقدمه في قراءة الحديث عليه لسرعة قراءته وسلامته من الأخطاء.

٣-الشيخ عبد الحي بدهانوي :

تتلمذ عليه أيضا و هو، صهر الشاه عبد العزيز، كان من أحسنهم خبرة بالفقه وأمرسهم بالكتب الدراسية توفي في أرض الجهاد بأرض الافاغنة سنة ١٢٤٣هـ(١)

---

(١) انظر اليانع الجني ...ص٧٦ ونزهة الخواطرص:٢٤٩/٧

المبحث الثاني: تلاميذه

اشتغل الشاه بالتدريس في مدرسة عائلته المعروفة بتعليم القرآن والحديث وجميع العلوم، لكن الظروف ألجأته ألا يستمر في ذلك، وفي سنة ١٢٣٦هـ وصلته فتوى وهو مع الأمير السيد أحمد في رحلاته التبليغية بعدم فرضية الحج على أهل الهند، وكانت هذه فتوى مشهورة ومعمول بها بينهم من مدة مديدة فرأي السيد أحمد والشاه وجوب إحياء هذه الفريضة قبل القيام بالجهاد، فذهبوا بموكب عظيم لكي يثبتوا فريضة الحج عمليا، وبعد سفر مضنى وصلوا مكة في شعبان سنة ١٢٣٧هـ .

واشتغل بدعوة الجهاد بكل نشاط بعد رجوعه من الحج في أنحاء الهند الشمالية،

وكان يدرس "مشكاة المصابيح" كل يوم في معسكر المجاهدين في أرض الأفاغنة، قبل استشهاده، وهذا يدل علي أن أكثرهم استفادوا منه، وهذا عدد كثير. (١)

كما أنه درس كتاب " حجة الله البالغة " الذي كان معجبا به في " الحرم المكي" أثناء سفره للحج.(٢)

ولكن نذكر هنا بعض التلاميذ المشتهرين الذين لهم اثر في نشر الكتاب والسنة، والقيام بالدعوة بعده،

١ـ الشيخ السيد أحمد

كان أميرا على الجهاد والمجاهدين،بايعه الشاه على الدعوة والجهاد، وقد تتلمذ على الشاه إسماعيل أثناء قيامه في دهلي، استشهد هو والشاه إسماعيل وكثير من المجاهدين في غزوة بالا كوت.(٣)

٢ـ الشيخ عبد الحق بنارسي

هو الشيخ العالم المحدث من أذكي الناس، وأشد الناس تمسكا بالكتاب والسنة وردا على الخرافات والبدع والتقليد أحد العلماء المشهورين ولد(١٢٠٦ هـ وتوفي بمني محرما في ثاني عشر ذي الحجة ١٢٧٦هـ .

---

(١) سيد أحمد شهيد، مهر ص: ١/ ٧٦

(٢) موج كوثر ص: ٢٣

(٣) تذكره شهيد ص: ٧٥

وله رسائل علمية، " وكان لايتقيد بمذهب ولا يقلد أحدا في شئ من أمور دينه بل يعمل بنصوص الكتاب والسنة ويجتهد ولذا جرت بينه وبين الأحناف مباحثات كثيرة في الاجتهاد والتقليد ومن مصنفاته " الدر الفريد في المنع من التقليد"(١) وقد حوكم في رحلة الحج مع الشاه على أنه "وهابي" لإنكاره البدع، وتهمة الوهابية كانت تكفي لإيقاع أشد العذاب والنكال،ثم خلصه الشيخ عبد الحي بلدهانوي بحجة أنه لامانع في العمل بما صح من الحديث وإن كان حنفيا(٢)

وقد طلب صديق حسن خان القنوجي الإجازة من الشيخ عبد الحق فأجازه وقال في إجازته :..... "وقرأت أكثر كتب الحديث على أسوة المحدثين وارث علوم سيد المرسلين العلامة النبيل مولانا الشيخ محمد إسماعيل الشهيد تغمده الله بغفرانه المديد"(٣).

وهذا يشير إلى أن الشاه كان يدرس أكثر كتب الحديث، وأن له تلاميذ كثيرون.

٣ـ الشيخ ولايت علي الصادقبوري

هو الشيخ الإمام العالم المحدث أحد العلماء الربانيين ولد (١٢٠٥ـ ١٢٦٩هـ) أخذ الحديث عن الشاه إسماعيل، وبعثه السيد أحمد إلى حيدرآباد الدكن، للدعوة، فأقام هناك زمانا هدى الله على يديه كثيرا من الناس.

وكان حريصا على إتباع السنة والعمل بها جامعا بين العلم العمل ...(٤)

وله جهود جبارة لاتحصى في نشر الحديث وقمع البدع والخرافات والتقاليد والمحدثة في أرجاء الهند، وقام بطبع رسائل الشاه إسماعيل وكتبا كثيرة فى السنة والعقيدة ونشرها في المسلمين.

وتسلم إمارة الجهاد والدعوة في أحرج الأحوال بعد استشهاد الأمير ين الشاه إسماعيل والسيد أحمد فضحى بنفسه وأسرته وإخوانه وجميع عائلته في سبيله، ويقول مسعود عالم

---

(١) انظر نزهة الخواطر ٧/ ٢٤٥ و أهل حديث اورسياست : ٩٥ـ ١٠١

(٢) سيد أحمد شهيد ١/ ٢٢٧

(٣) إتحاف النبلاء ص: ٢٦٤ للقنوجي بالفارسية،

(٤) انظر نزهة الخواطر ٧/ ٥٢٥ انظر للتفصيل عن أحواله وأحوال أسرته كتاب " الدر المنثور في تراجم أهل الصادقفور " المشهور ب(تذكره صادقة)

الندوي:"يعجز تاريخ الهند أن يأتي بمثله ومثل أسرته، فإني لا أستطيع إحصاء جهوده في إحياء السنة، فانه يحتاج إلى مؤلف ضخم"(١).

٤-الشيخ خرم على البلهوري

" العالم الصالح أحد العلماء المشهورين، توفي سنة١٢٧١ وقيل ١٢٧٦ هـ استفاد من أسرة الشاه وكان مقلدا غاليا فكتب رسالة " منع قراءة الفاتحة خلف الإمام" ولكن لما صاحب الشاه إسماعيل أحب السنة النبوية حبا شديدا واصطبغ بصبغتها وثبت عليها إلى النهاية، رحمه الله، وله كتب عديدة منها " نصيحة المسلمين " رسالة مشهورة في نصر التوحيد والسنة(٢) وكان شاعرا مجيدا، نظم في فضائل الجهاد نظما طويلا وكان المجاهدون ينشدونه في وقت القتال، ويدرك مدى تأثيره في قلوب المسلمين أن حكومة الإنجليز منعت قراءته وطباعته.(٣)

٥-الشيخ جعفر علي البستوي

" الشيخ العالم الصالح نشر العلم وتخرج عليه جماعات من الفضلاء أخذ عن الشيخ إسماعيل ولازم السيد أحمد أحمد وجاهد معه ثم رجع إلى بلاده " بستي" وهي بلدة في بطون أودية " نيبال " فسكن بها مدة عمره وأسس المدارس لتعليم القرآن والحديث في " ماهوبور" وسمرا" وفي غيرهما من القرى الكثيرة وهدى الله على يديه أناسا كانوا كالأنعام بل هم أضل ... "(٤) وهو أول من قام بتسجيل أحوال المجاهدين وتاريخهم. توفي سنة (١٢٨٨)هـ

٦-الشيخ عبد الهادي الجهومكوي

" الشيخ العالم الصالح أحد العلماء الراسخين نفع الله به نفعا عظيما ولد(١٢٠٥هـ) في بيت من بيوت عبدة الأصنام ونشأ على الكفر وأسلم بدعوة الشاه والسيد وتتلمذ على الشيخ إسماعيل بن عبد الغني.... فكان يدور فى أرض بهار ويذكر الناس بالحكمة والموعظة الحسنة وينصر السنة المحضة،والطريقة السلفية حتى أوذي في ذات الله ..."توفي سنة ١٢٦٥هـ(٥)

---

(١) هندوستان كي بهلي اسلامي تحريك ص: ٤٠-٤٣

(٢) انظر نزهة الخواطر٧/ ١٥٨ و تراجم علماء أهل حديث ص/ ٥٠٩

(٣) أهل حديث اور سياست ص: ١٥٤

(٤) نزهة الخواطر ٧/ ١١٩ و"جماعت مجاهدين " و"رحال أهل حديث " ـ لأبي على أثرى ص: ١٠٢

(٥) المرجع السابق ٧/ ١٩٣

٧-الشيخ سخاوة علي الجونبوري

" الشيخ العالم الكبير المحدث أحد العلماء المشهورين ولد سنة(١٢٢٥) ... قرأ المطولات على الشاه إسماعيل... وقد انتزع المسجد الجامع الكبير من أيدي الشيعة في "لكهنو"وأقام فيه الجمعة والجماعة وعمره بالمدرسة القرآنية ... وله عدد من المؤلفات وتوفي بمكة سنة(١٢٦٤) هـ (١)

٨-الشيخ جلال الدين البنارسي

" الشيخ العالم الصالح أحد العلماء العاملين بالحديث ولد ١٢١٩ أو ١٢٢١ هـ وكان يرفض التقليد ويعمل بالحديث والنصوص الظاهرة وله مصنفات في اللغة والنحو والحث على العمل بالكتاب والسنة.(٢)

هذا غيض من فيض وقد أوجزنا أحوال تلاميذه، والتفصيل في أحوالهم وجهودهم يحتاج إلى مؤلفات(٣) ويكفيه شرفا وفضلا أن تتملذ عليه السيد أحمد الأمير المجاهد ويكفيه مفخرة أن الشيخ عبد الله سراج مفتي مكة تتملذ عليه في مكة و استفاد منه (٤)

---

(١) المرجع السابق ٧/ ١٩٣

(٢) المصدر السابق ٧/ ١٢٠ وتراجم علماء أهل حديث ص: ٣٤٥

(٣) قال به صا حب تذكره شهيد ص: ٩٣

(٤) المصدر السابق

المبحث الثالث :منزلته العلمية

المطلب الأول : مذهبه

وقد كان رحمه الله بلغ في علوم الشريعة مبلغا تأهل للاجتهاد، ولذا نـراه مجتهـدا في غـالب أقواله، ولايقلد رأيا ولا مذهبا، بل كان يحكم الكتاب والسنة في جميع الأمور وهذه الميزة جعلته رائد حركـة أهـل الحديـث وقائدهـا (١) بـل "هـو مؤسـس النهضـة السـلفية في شـعاب الهنـد وأقطارها" (٢). وله جهود لم يسبق إليها غـيره في الهنـد في رد التقليـد وإبطـال التعبـد بـالأقوال وآراء الفقهاء والفقراء والمشايخ والبدع المنتشرة بين العوام والخواص وفي إحياء السنن ونشرها.

يقول في شرح آية ﴿ يا صاحبي السجن أ أرباب متفرقون خير أم الله الواحد القهـار...﴾* "وطريق وصول حكم الرب إلى العباد هو بعثة الرسول إليهم وإخباره إياهم، فمن قدم قول إمام أو مجتهد أو فقير أو بمن يسمى غوث أو قطب أو أبدال أو أوتاد أو مولوي أو شيخ أو فقير أو كامل أو حاج أو زائر أو أب أو جد أو سلطان أو وزيـر أو أستاذ أو قسيس.... علـى قـول الرسول واحتج بقول شيخ أو أستاذ أو حكيم أو فلسفي أو متكلم نظار.... فهذه الأمور مثبتـة للشرك .... فمن كان قوله من هؤلاء المشار إليهم موافقا لخبر الرسـول صلـى الله عليـه وسـلم وما أوحي إليه فهو الحقيق بالقبول، ومن خالف قوله قول الله تعالى وحديث رسوله قيد شـعرة فهو مردود عليه وإن علا في المرتبة والمكانة إلى غاية فان الحق أكبر من كل كبير"(٣)

وعقد فصلا خاصا فى رد بدعة التقليد في كتابه تذكير الإخوان.

ولكن للأسف حاول المقلدون أن ينكروا هذه الميزة التي امتاز بها ويجعلوه مقلدا جامدا وقد قال رشيد أحمد : إن مسلكه أن لا يعمل على قول أحد إذا وجد حديثا صحيحـا غـير منسـوخ وإذا لم يجده فليس عنده مذهب أحق من مذهب الأحناف(٤)

وتارة يقولون عنه كذبا و زورا أنه رجع من طريقة فقهـاء المحدثـين إلى التقليـد وتـرك رفـع

---

(١) لقب به إحسان الهي ظهير في كتابه " البريلوية" ص: ١٦٢

(٢) النهضة السلفية في الهند وباكستان ص: ٥

* - سورة يوسف /٣٩

(٣) الدين الخاص ص: ٦٧/٢ وتقوية الإيمان ص: ١٠٩

(٤) تذكرة الرشيد ٢/ ٢٤١

اليدين في الصلاة، (١) وأنكروا أن يكون كتاب" تنوير العينين في إثبات رفع اليدين " من تأليفه (٢) وتارة ادعوا أن كتاب " تقوية الإيمان" وكتابه الشهير في موضوع البدعة (إيضاح الحق الصريح ...) محرف ومدسوس عليه لعدم موافقته لأهوائهم فرد عليهم العالم السلفي بتأليف مستقل (٣)

وهناك قرائن عديدة بأنه لم يتراجع عن منهجه الذي اختاره ومن أحسن ما يستدل عليه ما وقع في "كابل" في آخر حياته ويروي لنا هذه القصة ملا حبيب ا لله قندهاري الذي كان شهدها فيقول:" كنت مع المجاهدين في كابل، فحضرت صلاة العصر، طلب مني الشيخ إسماعيل رحمه ا لله أن أصلى بالناس، وكان يصلي ورائي، فأحس به رجل بأنه يقرأ سورة الفاتحة خلف الإمام، فلما فرغ من الصلاة أصبح يطعن فيه، ويسبه لقراءته سورة الفاتحة خلف الإمام، فلما سُأل ،أجاب الشاه اسمعيل: إن الإمام محمد رحمه ا لله قد اختار جواز قراءة الفاتحة للمقتدي في الصلاة كما هو في" المبسوط" ثم إن قرائتها فرض في مذهب الشافعي، فاخترت قرائتها بناء على الاحتياط، فلم يطمئن المعترض، فقال الشاه:" هذا المعترض إما أن يكون مقلدا أو محققا، فإن كان محققا فأستدل له من الكتاب والسنة، وإن كان مقلدا لكتب بلده، فأنا أقلد علماء بلدي، لأن جميعهم حتى الأحناف يفتون بقراءة الفاتحة خلف الإمام"....(٤)

ولكن قد شهد عبيد ا لله سندهي الحنفي المتعصب المبغض لغير المقلدين أشد البغض (ت١٩٤٤)هـ وغيره مع اختلافهم في المنهج بأن الشاه كان ينتهج منهج المحدثين، يقول السندهي : فان إسماعيل أنشأ جماعة بعد قراءة "حجة ا لله البالغة" كانت ترفع اليدين في الصلاة ويجهرون بالآمين وتتمسك بغيرها من السنن مثل الشافعية....(٥)

---

(١) انظر أمير الروايات ص: ٢، و١٦١، وقد وهن هذه الحكاية مسعود الندوي في رده على السندهي انظر ص: ٧٤

(٢) انظر شاه ولي ا لله اور انكا خاندان ص: ١٤٣ واتهم صاحبه أهل الحديث أنهم يحرفون كتب أسرة الدهلوي ص: ١٠٧

(٣) وهو " مطرق الحديد على صاحب التحقيق الجديد،

(٤) انظر " مجموعة رسائل ملا حبيب ا لله قندهاري" مخطوط، نقلا من أكمل البيان ص: ٧٨٤

(٥) شاه ولي ا لله كي سياسي تحريك ص: ٨٣

و" كان في جماعة المهاجرين والمجاهدين عدد قليل من العلماء الذين كانت لهم اختيارات فقهية وكانوا يعملون بالحديث الصريح في بعض الأحكام والعبادات، وكان على رأسهم الشيخ محمد إسماعيل حفيد الإمام ولي الله وصاحب رسالة تنوير العينين في إثبات رفع اليدين"...(١)

ويقول مؤلف "أهل حديث وسياست" : إن الشهيد رحمه الله كان متبعا لمسلك أهل الحديث ونصح الناس بإتباع ذلك المسلك(٢)

وله اختيارات فقهية انفرد بها عن غيره،

١- انه ذهب إلى رفع اليدين في الصلاة عند الافتتاح والركوع والقيام منه والقيام إلى الثالثة وأنه سنة غير مؤكدة من سنن الهدى فيثاب فاعله بقدر ما فعل إن دائما فبحسبه وان مرة فمثله ولايلام تاركه وإن تركه مدة عمره *

٢- أن رفع المسبحة في أثناء التشهد عند التلفظ بكلمة التوحيد ثابت بحيث لامرد له(٣)

٣- والقراءة خلف الإمام أولى وان كان دلائل الجانبين قوية،

٤- والجهر بالتأمين أولي من خفضه لأن رواية الجهر أكثر وأوضح،

٥- وأن ترك الجهر بالتسمية أولى من الجهر لوضوح أدلتها وكثرتها،

٦- ووضع اليدين على الأخرى أولى من الإرسال والإرسال لم يثبت من النبي صلي الله عليه وسلم،

٧- والوضع تحت السرة وفوق السرة متساويان والقنوت وتركه متساويان،

---

(١) إذا هبت ريح الإيمان ص:١٦٥ للندوي، وقد أجمل الشيخ الندوي في بيان الحقيقة .

(٢) أهل حديث اور سياست ص: ٤٤ وانظر عن مذهبه التفاصيل في" تراجم علماء أهل حديث هند ص:٦٧

* - فكيف لايلام من يترك السنة متعمدا طول حياته؟

(٣) كأنه بهذه المسألة قد أحيى سنة ماتت من زمان، وذلك لأن أهل الثغور والافغان كانوايرون تحريم رفع السبابة في التشهد وأنه بدعة منكرة وذنبا لايغفر " حتى كان بعض المتحمسين منهم يكسرون سبابة المصلى وهو في الصلاة لما جاء في بعض الكتب الفقهية، كخلاصة الكيداني، من تحريم رفع السبابة في التشهد" انظر اذا هبت ريح الإيمان ص: ١٦١

٨ ـ ومما ذهب إليه جواز تجزي الاجتهاد وتجزي التقليد، وأن التزام تقليد شخص معين لم يجمع على لزوم الاستمرار عليه،

٩ـ وما اشتهر من منع التقاط الرخص أيضا غير متفق عليه،

١٠ـ ولم يجمع على منع إتباع غير الأئمة الأربعة،

١١ـ وإتباع مذهب الحنفية ليس تقليد شخص معين، فوحدة هذا المذهب اختيارية وكذلك وحدة المذاهب الأربعة أيضا فلا يلزم على متبعيه نقصان كما لايلزم على متبع المذهب الحنفي، والحاصل أنه لايجوز التزام شخص معين مع إمكان الرجوع إلى الروايات الصحيحة.

١٢ـ والتقليد المطلق جائز وإلا لزم تكليف كل عامي،

١٣ـ وان قول الصحابي من السنة في حكم الرفع وفهم الصحابي ليس بحجة لاسيما إذا كان مخالفا لأجلة الصحابة رضوان الله عليهم(١)

المطلب الثاني : منزلته عند العلماء

لقد كان رحمه الله يمتاز بثقافته الواسعة في علوم شتى، وله مشاركة في علم التفسير والحديث والفقه والأصول وفي المنطق والفلسفة حسب مقتضى زمنه، وقد بلغ في هذه العلوم منزلة رفيعة.

شهد له بذلك كبار معاصريه وعمه الشاه عبد العزيز الذي كان مرجعا في العلم والإفتاء في ذلك العصر في الهند.وقال يمدحه: إنه لايختص بعلم دون علم فهو يتفوق في جميع العلوم (٢)

ويدل علي منزلته أن عمه الشاه عبد العزيز لقبه بحجة الإسلام لما رأى رده على من أسقط فريضة الحج.(٣)

وقد أثني عليه العلماء قديما وحديثا وسأذكر نبذة مما قالوا فيه:

---

(١) جمعه صاحب نزهة الخواطر انظر ص: ٧/ ٦٧ وما بعده وأخذها من رسالته " تنوير العينين في إثبات رفع اليدين.

(٢) منظورة السعداء في أحوال الغزاة والشهداء نقلا من مجلة الفرقان الشهرية فبراير ١٩٩٢م

(٣) المرجع السابق.

يقول النزهتي: بعد ما ذكر تراجم أسرته:"ومنهم ابن أخيه إسماعيل بن عبد الغني كان من أذكي الناس في أيامه وكان أشدهم في دين الله وأحفظهم للسنة يغضب لها ويندب لها ويشنع على البدع وأهلها" (١).

ويقول القنوجي(٢): "أحد أئمة الدين، وفقهاء المتقين، ونبلاء المحدثين،وقد أنسى ذكرى القدامى في العلوم العقلية والنقلية، وسابق الأئمة في الأصول والفروع، تجده إماما في كل فن ومغالبا في كل موضوع، أمضى الحياة كلها في إعلاء كلمة الله، وإحياء سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم، وفي الجهاد وهداية الخلق، ولم يسترح لحظة في حياته"(٣).

ويقول سيد جعفر علي نقوي(٤): لم يكن أحد يساويه في جميع الجيش الإسلامى(٥) في الحلم واللين والتواضع والتحمل والصبر.(٦)

ويقول عبد الحي(٧) :"الشيخ العالم الكبير العلامة المجاهد في سبيل الله الشهيد إسماعيل بن عبد الغني بن ولي الله بن عبد الرحيم الدهلوي أحد أفراد الدنيا في الذكاء والفطنة والشهامة وقوة النفس والصلابة في الدين...حجة الإسلام الشيخ إسماعيل بن عبد الغني صاحب أبحاث

---

(١) اليانع الجني في أسانيد الشيخ عبد الغني ص: ٧٦

(٢) هو عالم الملوك و ملك العلماء كان ملك "بهوبال" ويعتبر من رجال النهضة الإسلامية المجددين "علامة الزمان، وترجمان الحديث والقرآن، محي العلوم العربية، وبدر الأقطار الهندية، .... صاحب المصنفات الشهيرة والمولفات الكثيرة توفي سنة ١٣٠٧هـ انظر ترجمته في كتابه أبجد العلوم و نزهة الخواطر ٨/ ١٨٧ والأعلام ٦/ ١٦٧وقد جعله صاحب عون المعبود من مجددي القرن الثالث عشر في الهند، انظر ٢٦٦/١١

(٣) إتحاف النبلاء المتقين ومآثر الفقهاء المحدثين ص: ٤١٦

(٤) هو العالم المجاهد الداعي الذي شارك في الجهاد وكان كاتباخاصا للشاه وله قصة طريفة في وصوله الي أرض الجهاد والرجوع منها وله جهود عظيمة وألف كتابه المعروف والمرجع الاساسي في أحوال المجاهدين " منظورة السعداء في أحوال الغزاة والشهداء " وهو سفر طويل لم يطبع بعد ت ١٢٨٨هـ انظر"جماعت مجاهدين"ص: ١٩٢

(٥) يقصد به جماعة المجاهدين الذين كانوا يجاهدون مع الشاه اسماعيل تحت إمارة السيد في حدود الأفغان.

(٦) منظورة السعداء..... نقلا من كتاب سيد أحمد للمهر

(٧) هو العالم المؤرخ الأديب المعروف ، صاحب "نزهة الخواطر وبهجة المسامع والنواظر" وهو كتاب مهم ذكر فيه تراجم أعيان الهند ومآثرهم، مطبوع في ثمانية أجزاء، و صاحب " الثقافة الإسلامية في الهند" والد الشيخ أبى الحسن الندوي ت سنة ١٣٤١هـ، انظر، مقدمة الثقافة الإسلامية بقلم ابنه الندوي.

ومواقف في دعوة التوحيد والسنة والجهاد أولئك الذين رجحت بهم كفة الهند في الجهاد والتجديد على العالم الإسلامى في العصور الأخيرة....وكان نادرة من نوادر الزمان وبديعة من بدائع الحسان مقبلا على الله بقلبه وقالبه مشتغلا بالإفادة والعبادة مع تواضع وحسن أخلاق وكرم وعفاف وشهامة نفس وصلابة ...(١).

يقول أبو الكلام آزاد (٢): إن منزلة الشاه ولى الله كانت عالية جدا ولكن مع ذلك لم يزد ما قام به على تجديد وتدوين العلوم والمعارف وتعليم أصحاب المواهب وتربيتهم، أما العمل والتنفيذ والإبراز والتصريح فكان مقدرا وميسرا للعلامة المجدد الشهيد رضي الله عنه بحيث لو وجد الشاه ولي الله في عصره لكان تحت لوائه.

إن أسرار الدعوة و إصلاح الأمة، التي دفنت في أطلال دهلي القديمة أذاعها هذا العبقري الفذ في أسواقها ودروبها، والأحاديث التي كان يخاف الأبطال من التفوه بها في الحجرات المقفلة قد تناقلها وتبادلها الناس في الشوارع والطرق ورشحات دم الشهادة كانت تثبت الحروف والحكايات على صفحات العالم نقوشا وسوادا (٣).

---

(١) نزهة الخواطر ٧/ ٥٧ ـ ٥٩

(٢) " هو العبقري العظيم الذي ملأ أرض الهند بذكريات شيخ الإسلام ابن تيمية و وضع شخصيته أمام العلماء والمفكرين والدعاة والمثقفين بأدب رائع رفيع،وأسلوب شيق جذاب،وطريقة معجزة مبتكرة فهو إمام الهند أبو الكلام الملقب بآزاد (أي الحر)وهو ابن تيمية الهند (ت ١٣٧٧) هـ وله مؤلفات قيمة باللغة الأردية، منها "ترجمان القرآن في تفسير القرآن، انظر"مقدمة كتاب دعوة شيخ الإسلام بن تيمية وأثرها في الحركات الإسلامية المعاصرة ص: ٣٨

(٣) تذكره ص: ٢٧٠ والترجمة مأخوذة من مجلة الجامعة السلفية العدد الخاص لمؤتمر الدعوة والتعليم شهر ابريل ومايو سنة ١٩٨٠م

المبحث الرابع : مؤلفاته

المطلب الأول: مؤلفاته

كانت حياة الشاه إسماعيل رحمه الله مليئة بالدروس والدعوة والرحلات العديدة، و لم يجد فرصة للتصنيف والتأليف ولكن لما ألجأته الحاجة إليه، كتب بعض المؤلفات لإصلاح عقائد الناس وأحوالهم، نرى فيها شخصيته البارزة وعلو قدمه في فهم الكتاب والسنة وتمكنه في تحليل قضايا عصره والحكم عليها ببراهين قاطعة مع استنباطات دقيقة عميقة.

وقد امتازت مؤلفاته مع قلتها واختصارها، بمناقشة أهم الانحرافات العقدية والدينية والاجتماعية، بل كانت فريدة في أسلوبها، وقوة استدلالها، وتأثيرها على الناس، لأسلوبها الواضح الشيق، يلمسه كل قارئ، فإنه حاول في مؤلفاته بكل إخلاص وحماس إصلاح المعتقدات من جميع أنواع الشرك والكفر وتطهير المجتمع من جميع أنواع البدع، ولاشك أنه لم يفصل تفصيلا علميا في المسائل و لم يقارع الحجة بالحجة والدليل بالدليل و لم يتطرق إلى إيراد الشبهات فيفصل في ردها، ولكنه ميز التوحيد من الشرك بأسلوب سهل وعبارات ناصعة، وخلال بيان التوحيد وتقرير قواعده وشرح صفات الله عزوجل استقصى جميع ما يخالف التوحيد من الأقوال والأعمال والعادات والعبادات والمعتقدات التي كانت منتشرة بين المسلمين عوامهم وخواصهم علمائهم وجهالهم، وسردها سردا مجردا، ثم حكم عليها بأنها من الشرك مخالفة للتوحيد، وكذا فعل في بيان البدع حيث بين السنة ومعناها وموضع إطلاقها والفرق بينها وبين المصالح المرسلة ثم سرد جميع البدع المنتشرة في طوائف المسلمين من صوفية وكلامية وشيعية وقبورية سردا مجردا عن التفصيل والبيان وحكم عليها في الأخير أنها من البدع، فمثلا يقول في كتابه الشهير " تقوية الإيمان " : ومعلوم أن كثيرا من الناس اليوم ينادون المشايخ

والأنبياء والائمة (١) والملائكة والجنيات عند الشدائد ويسألونها قضاء الحاجات وينذرون لها ويقربون لها قرابين لتقضي حاجاتهم ومآربهم وينسبون إليها أبناءهم طمعا في درء البلاء، فيسمي بعضهم ابنه بعبد النبي، وبعضهم بعلي بخش، وحسين بخش، وبير بخش، ومدار بخش وسالار بخش (٢)وغلام محي الدين وغلام معين الدين (٣)يرسل بعضهم ضفيرة في رأس ابنه باسم ولي من الأولياء وبعض الناس يقلد ابنه قلادة باسم شيخ أو ولي وبعضهم يلبس ابنه لباسا، وبعضهم يقلد ولده حلقة من الحديد في رجله باسم أحد المشايخ والأولياء، وبعضهم يذبح حيوانا بأسمائهم وبعضهم يستغيث بهم عند الشدة وبعضهم يحلف في حديثه بأسمائهم.

والحاصل أنه ما سلك عباد الأوثان في الهند طريقا مع آلهتهم إلا وسلكه الأدعياء من المسلمين مع الأنبياء والأولياء والائمة والشهداء والملائكة والجنيات، واتبعوا سنن المشركين شبرا بشبر وذراعا بذراع ونعلا بنعل فما أجرئهم على الله وما أبعد الشقة بين الاسم والمسمى والحقيقة والدعوى وصدق الله تعالى إذ قال: ﴿وما يؤمن أكثرهم بالله إلا وهم مشركون﴾(٤)(٥).

ولاأرى أحدا سبقه إلى هذا الأسلوب الشيق الجذاب في بيان التوحيد والتركيز على جميع أعمال الشرك في بلاد الهند.

فإنها جرأة متناهية لم يكن أحد يتصوره في عهده فضلا أن يحذو حذوه، فقد بين التوحيد والشرك بيانا شافيا ليس فيه غموض ولاصعوبة ولا إجمال ولا إبهام. فقامت من أجل هذا الأسلوب في البيان والتأليف ضجة قوية في أوساط المسلمين علمائهم وعوامهم فأصبح الشاه إسماعيل وكلامه موضوع المجالس، فافترق الناس إلى فرقتين منهم من اهتدى إلى الحق وعرف التوحيد ورحب بدعوته وشكر سعيه وآزر ساعده، ومنهم من أنكر قوله ورد عليه وناظره ولاتزال الردود والاتهامات تترى على كتاباته، جزاه الله عنا خير الجزاء. فمن مؤلفاته:

---

(١) أئمة أهل البيت الذين يعتقد فيهم الشيعة الالوهية ويتبعهم كثير من العوام .

(٢) بخش - معناه، الهبة والرزق يعني فلان هبة فلان ورزقه من حاشية المترجم

(٣) أسماء أصحاب المشاهد المعروفة في الهند غلام، معناه العبد

(٤) سورة يوسف /١٠٦

(٥) تقوية الإيمان ٣٧ ـ ٤٠

١ـ رد الإشراك

وهو كتاب نفيس بالعربية اقتصر فيه على جمع الآيات والأحاديث بشرح وجيز تحت عناوين مختلفة، وقد يورد أقوال السلف أيضا.

وللكتاب أثر بالغ في حياة المسلمين في الهند وتاريخهم العلمية والثقافية، يكاد أن يكون أول كتاب صريح واضح يدعوهم إلى التوحيد ونبذ جميع أنواع الشرك، و إلى التمسك بالسنة في جميع أمورهم وترك البدع والمحدثات، ولا شك أن له قيمة علمية لابتكاره في الاستدلال والاستنباط.(١)

بدأ الكتاب بتعريف الإشراك وتعيين مدلوله وبيان شرك مشركي العرب والشرك الذي أبطله الأنبياء ثم فسر معني الألوهية والربوبية واستنبط منه أن الإشراك على نوعين،

١ـ إشراك في العلم ٢ـ وإشراك في التصرف،

ويتفرع منه إشراك في العبادات ثم تناول معنى العبادة وقرر أنه يتفرع من الإشراك في العبادة، الإشراك في العادة.ثم يبين بان ا لله ورسوله قد ردا جميع أنواع الشرك مجمله ومفصله، ثم ذكر الأدلة.

قسم الكتاب إلى بابين رئيسين، الأول، في التوحيد والثاني، في التمسك بالسنة واجتناب البدعة، ووضع تحت كل باب عناوين عديدة تعطي فكرة واضحة عما كان يقصده المؤلف من إصلاح عقائد الناس وأخلاقهم.

و هذا الكتاب يشبه في منهجه بكتاب التوحيد للشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه ا لله .

٢ـ تقوية الإيمان

هذا هو الكتاب الثاني الذي اشتهر به المؤلف، وهو في الحقيقة شرح للباب الأول من كتاب "رد الإشراك" رأى المؤلف أن الفائدة المرجوة لاتتحقق إلا بشرح ذلك الكتاب إلى لغة العوام وهي لغة " أردو" التي يتكلم بها معظم أهل البلاد فترجمه.

وكتابه هذا مع أنه ألفه قبل مائتي سنة تقريبا ولكنه آية في الأدب والأسلوب وقوة التعبير ودقة البيان، في نثر اللغة الاردية التي كانت في مراحلها الأولى(٢). "وميزته أن المؤلف لم يستدل إلا بالكتاب والسنة فلا تجد فيه قول إمام أوفقيه، ولا أسلوبا معقدا... ولازخرفة الشعراء... انه

---

(١) انظر تفاصيله في مجلة " الفرقان " الشهرية من شهر مارس ١٩٩٣م

(٢) فقهاء باك وهند ٣/ ١٩٧

يتكلم بأسلوب واضح سليم ويشرح المسائل والعقائد بهدوء ووضوح فلا التواء ولا تعقيد ولا غموض ولا إجمال..."(١)

ويقول صاحب اليانع الجني:" .....وله كتاب آخر في التوحيد والإشراك فيه أمور في حلاوة التوحيد والعسل وأخرى في مرارة الحنظل فمن قائل أنها دست فيه وقائل أنه تعمد...(٢)

ويرد عليه القنوجي فيقول: "....وأقول ليس في كتابه الذي أشار إليه وهو المسمى (برد الإشراك) في العربية(وبتقوية الإيمان) بالهندية شئ مما يشان به عرضه العلي ويهان به فضله الجلي، وانما هذه المقالة الصادرة منه مصدرها تلمذه بالشيخ فضل حق الخيرآبادي(٣) فانه أول من قام ضده وتصدى لرده في رسائله التي ليست عليها أثارة من علم الكتاب والسنة(٤).... " فكتابه تقوية الإيمان انتفع به خلق كثير فتعلموا منه التوحيد الخالص وردالاشراك" وانتفع به مثل ما انتفع ب"كتاب التوحيد" في العرب وكتاب " إحياء السنة" في نائيجريا وأفريقية الغربية لعثمان فوديو"(٥)

"وكان كتابه "تقوية الإيمان" مثل كتاب التوحيد للإمام ابن عبد الوهاب دعوة صريحة إلى التمسك بالعقائد الإسلامية النقية من أكدار الشرك والوثنية والإلحاد والزندقة، فاهتدى به إلى سبيل الحق والرشاد مئات الألوف من الناس ولعله لم يحظ كتاب بعد كتاب الله في عصره بما

---

(١) مقدمة " تقوية الإيمان المترجم بالعربية ص: ٢٦

(٢) اليانع الجني في أسانيد الشيخ عبد الغني ص: ٧٦

(٣) هو فضل حق بن فضل امام العمري الحنفي الماتريدي الخيرآبادي أحد الاساتذة المشهورين، فاق أهل زمانه في الخلاف والجدل والميزان والحكمة واللغة وقرض الشعر وغيرها ... وكان زيه زي الامراء دون العلماء يلعب بالشطرنج ولايحتشم عن استماع المزامير والحضور في مجالس الرقص وغير ذلك من المنكرات، يقول عنه القنوجي: .... وقع في أهل الحق ونال منهم على تعصب منه، والسبب في ذلك قلة الخبرة منه بعلوم السلف وطريقتهم في الدين مع ميل الى البدع التي يستحسنها المقلدة" نزهة الخواطر ٧/ ٣٧٤ بتصرف يسير.

(٤) أبجد العلوم ٣/ ٢٩٩

(٥) انظر ملت اسلامية كي مختصر تاريخ ٢/٣٩٩

حظي به هذا الكتاب من القراءة والمطالعة من قبل الموافقين والمخالفين على السواء فكان حجة لهم أوعليهم﴿ ليهلك من هلك عن بينة ويحي من حي عن بينة﴾(١) (٢).

" فان لغة "أردو" تحتوي على مئات الألوف من المؤلفات، ولكن قليل منها حظيت بالقبول وإقبال الناس عليها من يوم التأليف إلى يومنا هذا مثل ما حظي تقوية الإيمان، قد تغيرت الأساليب والأحوال والأزمان ولكن لم يستطع شيء منها التقليل من شأنه والنيل من مرتبته العلمية، فإنه لاشك من المؤلفات التي تدوم حياتها ونضارتها، بل إنه على رأسها، فانه أكثر الكتب طباعة ونشرا في "أردو" فانا لانعرف كتابا في "أردو" استمر نشره وقبوله على مستوى واحد من مائة وخمس وسبعين سنة سوى هذا الكتاب، ويحق لنا أن نقول: إن هذه خصوصية وميزة نادرة لكتابه لايشارك فيها كتاب آخر من "أردو".(٣)

"....و يعترف الباحثون بأنه الكتاب الوحيد الذي قام بإصلاح الحياة الاجتماعية والدينية في ذلك الوقت، وما نراه الآن من انتشار السنة الصحيحة في الهند واختفاء مظاهر البدع و العادات، فإنما هو بفضل هذا الكتاب وتأثيره البليغ...."(٤)

وقد بلغ عدد المهتدين به في حياة الشاه نفسه إلى آلاف من الناس كما يصرح هو بنفسه في رسالته التي كتبها جوابا إلى السيد البغدادى الذي اعترض علي الشاه لأجل بعض العبارات في تقوية الإيمان، فيقول:" إني لما رأيت عوام مسلمي الهند قد انهمكوا بجهلهم في الإشراك والبدعات وتمسكوا بالشبهات والواهيات وجعلوا يعبدون القبور وأهلها وسألوا بهم حاجاتهم قلها وحلها ألفت رسالة في رد الإشراك وترجمتها بالهندي تسهيلا لاستفادتهم وكشفا للغطاء عن قبح متمسكاتهم واستدلالاتهم فنحمد الله قد هدى ألوفا من النساء والرجال"....(٥)

ولأهمية هذا الكتاب وشدة تأثيره على المجتمع يقال : أن كل ما نراه من الكلام والنقاش والجدال حول موضوع العقيدة والتوحيد والشرك في الهند يرجع فضل ذلك إلى هذا الكتاب.

---

(١)سورة الانفال : ٤٢

(٢) انظر دعوة شيخ الإسلام ابن تيمية وأثرها في الحركات الإسلامية المعاصرة ص: ٧٨

(٣) انظر مقالة : نورالحسن راشد الكاندهلوي، في الرد علي من عارض الشاه أو شك في كتابه في "فرقان" المجلة الشهرية عدد يوليو ١٩٩١م

(٤) مقدمة تقوية الإيمان المترجم بالعربية ص: ٢٨

(٥) الرسالة هذه غالبا تطبع مع تقوية الإيمان وهي مختصرة جدا

ولاشك أن كتابه أثار قضايا عديدة عقدية كانت مسلمة بين العوام والخواص، وناقش أمورا لم يكن يخطر على قلب أحد في وقته أنها مستكرهة مستقبحة فضلا أن يعدها من الشرك، واستطاع بآرائه أن يموج السطح الهادئ، فقام من قام ينصره ويؤيده ويشرح كلامه، وخالف من خالف يرد عليه، ويناظره، ويكتب ضده، فقامت ثورة علمية في موضوع التوحيد والشرك، وفتحت أفقا جديدا للتحقيق والتفتيش والتأليف، فكم من مسائل عقدية حققت وجليت، وكم من مسائل فقهية نوقشت ورجحت، وكم من مؤلفات ألفت في بيان التوحيد والشرك والسنة والبدعة، لذلك يقول المؤرخ الشهير، سليمان الندوي(١) :حركة أهل الحديث الحالية في الحقيقة ليست قدم بل هي أثر قدم، فان النهضة التي انتهض بها الشيخ إسماعيل الشهيد لم تكن محصورة في بعض المسائل الفقهية بل كانت مشتملة على التعليمات الأساسية، من الإمامة الكبرى والتوحيد الخالص و اتباع السنة النبوية....وبها تم استئصال كثير من البدع، وتبلورت حقيقة التوحيد، وبدأ دور جديد في تعليم القرآن وفهمه، وتوطدت صلتنا المباشرة بالقرآن الكريم، ونجحت جهود تعليم الحديث وتدريسه... و حررت مسائل الفقه الكثيرة، وانتعشت عاطفة جياشة لاتباع النبي صلى الله عليه وسلم إلى مدة مديدة... ومن فوائد هذه الحركة أن زال الصدأ المجتمع من أزمان طويلة، وبطل الزعم أن باب التحقيق مغلق، وطريق الاجتهاد مسدود، وتخلص الناس من كدورة القيل والقال إلى منبع الهداية الصافي..."(٢).

٣ـ وله رسالة مختصرة بالعربية، أجاب فيها السيد البغدادي، الذي اعترض على الشاه(أنه لاتساوى الأصنام وجميع الناس وأنبياء في باب المخلوقية وعدم الاختيار، وان كان داخلا في العقيدة لكنه نوع من سوء الأدب لا بد له من سند ودليل لأن الصنم نجس فكيف يذكر مع سيد الطاهرين صلى الله عليه وسلم).(٣)

فأجابه الشاه إجابة شافية مفعمة بالدلائل حتى اعترف السيد وجاءه معتذرا(٤).

---

(١) هو عالم شهير من علماء الهند ومؤرخ أديب، صاحب الموسوعة في السيرة النبوية" وغيرها من الكتب الشهيرة توفي سنة ١٣٧٣هـ (١٩٥٢م) انظر ترجمته مفصلا في نزهة الخواطر ٨/ ١٦٣ و"شخصيات وكتب " للندوي ص: ٥٥

(٢) انظر مقدمته على كتاب " تراجم علماء أهل حديث هند" لأبي يحى إمام خان نوشهروي

(٣) رسالة الشهيد الذي أجاب فيه اعتراضات السيد البغدادي .

(٤) المصدر السابق .

٤- رسالة" إمكان النظير" بالفارسية، وهي في الحقيقة رد على فضل حق خيرابادي الذي رد على تقوية الإيمان وركز في رده على قول الشاه"...ومن شأنه أن يخلق بمجرد الأمر وكلمة"كن" ألوفا مؤلفة من الأنبياء والأولياء والجن والملائكة كأول ملك وأول نبي فلا أفضل في الملائكة من جبريل ولا أفضل في الأنبياء من محمد صلى الله عليه وسلم وإذا شاء قلب هذا العام رأسا على عقب من الثريا إلى الثرى....."(١).

واعترض عليه من ثلاثة وجوه،

١- أن دعوى تعلق القدرة الإلهية بمثل محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم باطلة في نفسها،

٢- وأن الادعاء بمثل تلك الدعوى إساءة الأدب مع حضرة النبي صلي الله عليه وسلم،

٣- وأن ذكرها لغو وعبث(٢)

أجابه الشاه في يوم واحد ولذا اشتهرت هذه الرسالة ب" رسالة اليوم الواحد" كان الشاه في طريقه إلى المسجد فجائه أحد بهذه الرسالة، فلما فرغ من صلاة العصر كتب الرد عليه في نفس المجلس، وهو في سفر هجرته لأجل الجهاد، ومما رد عليه بأن القدرة صفة والتكوين صفة أخرى فخلق مثل النبي صلي الله عليه وسلم داخل تحت قدرته عزوجل دون التكوين، واستدل بآية ﴿ أو ليس الذي خلق السموات والارض بقادر على أن يخلق مثلهم بلى وهو الخلاق العليم﴾(٣)

وأثبت ذلك بدلائل شرعية وعقلية، وتكلم في مصطلحات المناطقة ولعل ذلك يرجع إلى من يرد عليه لأن المردود عليه كان فائقا فيها دون العلم الشرعي.

٥- تكملة تقوية الإيمان المعروف ب"تذكير الإخوان"

وهو شرح للباب الثاني من كتاب رد الإشراك، وموضوعه الاعتصام بالسنة والاجتناب عن البدعة.

وكان الشاه إسماعيل رحمه الله يقصد شرح كلمة التوحيد، ولذا جعل كتابه على بابين،

---

(١) ص: ٧٦- ٨٧

(٢) الرسالة المذكورة ص: ١

(٣) سورة يس /٨١

الباب الأول يشتمل عى التوحيد والباب الثاني يشتمل علـى الاعتصـام بالسـنة والاجتنـاب عن البدعة،

كما صرح في مقدمة كتاب تقويـة الإيمـان: "واعلـم أن للإيمـان جزأيـن، الإيمـان بـا لله إلها والإيمان بالرسول مطاعا يعني أن لايسلك طريق غيره فالأول هو التوحيـد وضـده الشـرك بـا لله والثاني هو الإتبـاع وضـده البدعـة"(١).... فلمـا انتهـى مـن شـرحه يدعـو في آخـره : "..... وفهمنا معني البدعة والسنة، كما علمتنا من فضلك معني التوحيد والشرك وأخرجنـا مـن زمـرة المبتدعين إلى زمرة متبعي سنة الرسول صلي ا لله عليه وسلم آمين يا رب العلمين".(٢)

ولكنه لم يجد فرصة ترجمة الباب الثاني وشرحه لهجرته من الهند، واشتغاله بالجهاد، فترجمـه تلميذه إلى "أردو" وسماه تذكير الإخوان بقية تقوية الإيمان.

وقد قبله الناس قديما وحديثا كقبولهم " تقوية الإيمان" وعدوه مـن مؤلفـات الشـاه إسمـاعيل رحمه ا لله (٣)

وقد ناقش هذا الموضوع بـالتفصيل الشـيخ عزيـز الديـن مرادآبـادي(٤) في كتابـه "مطـرق الحديد على صاحب التحقيق الجديد"(٥).

---

(١) ص: ٣٥

(٢) تقوية الإيمان ص: ١٥٩

(٣) انظر مثلا، فتاوى الرشيدية، فانه لما سأل الشيخ رشيد أحمد الجنجوهي عن تذكـير الاخـوان قـال: إنـه كتاب مفيد من تأليف الشاه اسمعيل ١/ ٢ نقلا من " مطرق الحديد على صاحب التحقيـق الجديـد " ص: ٩٧ وانظر :مقدمة أكمل البيان في تأييد تقوية الإيمان للشيخ إسمـاعيل السـلفي ص: ٢٣ و" أهـل حديث اور سياست ص: ٣٣

(٤) عالم معروف من علماء أهل الحديث في الهند، وله جهـود مشـكورة في نشـر السـنة ورد البـدع، ولـه مؤلفات قيمة توفي سنة ١٣٦٧هـ (٨ فبراير/ ١٩٤٨م) انظر مقدمة أكمل البيان ص: ٣٠

(٥) انظر ص: ٩٤ وما بعده

٦- تنوير العينين في إثبات رفع اليدين،*

رسالة بالعربية كتبها الشاه لإثبات رفع اليدين في الصلوة، يكرهه المتعصبة في الهند بل أصبحت هذه السنة علامة "الوهابية"(أهل السنة) في الهند، فهذا الكتاب قد لايكون موضع عناية من قبل العلماء والباحثين، ولكن لو رأينا البيئة التي كانت في عهده، والجمود المذهبي الذي لايسمح بالعمل بما صح من الحديث إذا لم يوافقه مذهب إمامه، لحرمة الخروج من مذهب إلى مذهب بل كانوا يعتبرونه ردة مثل الردة من الإسلام، فيعجبنا موقفه الجرىء وحبه الشديد للسنة، والرغبة الأكيدة في إحيائها، بل استطاع بتأليف هذه الرسالة تحرير الناس من أغلال التقليد الجامد لأئمتهم وعلمائهم وشق الطريق إلى التمسك بالسنة الصحيحة وان خالف المذهب، وكأنه بإثارة هذه القضية دعا الناس إلى ترك كل ما يخالف الكتاب والسنة مهما كان مصدره ومصيره، وقد يقل شأن مثل هذه الجهود في مسائل فقهية في بلاد غير بلاد الهند ولكن لها أهمية بالغة وشأن عظيم في البلاد التي عاش فيها الشاه إسماعيل رحمه الله.

ويشتكي من شدة التعصب صديق حسن خان القنوجى في زمنه الذي انتشر فيه الكتاب والسنة، فكيف في زمن يسبقه فيقول:" ألا ترى أبناء هذا الزمن من مقلدة المذاهب؟ لاسيما هؤلاء الحنفية الساكنة في مدائن الهند كيف غلوا في إثبات تقليد الإمام، وجاءوا له بكل حشيش، ولايزال جمع منهم يؤلف رسائل ويسود قراطيس في رد العاملين بالكتاب والسنة والمتمسكين بها عداوة للإسلام العتيق وإذاعة لبدعتهم في كل فريق... ." "وهم قد غلوا في التقليد غلوا عظيما، حتى صرحوا بوجوبه على كل فرد من أفراد الامة عالما أو جاهلا عاميا، وقالوا فيه بوجوب الشخصي، وكفروا من لايقول به، أو ينكره ويدعو إلى إتباع السنة".(١)

وكلام القنوجي هذا يشير إلى أنهم كانوا يكفرون من لايقلد المذهب فيما صح من الكتاب والسنة، وفي مثل هذا القوم كتب الشاه "تنوير العينين في إثبات رفع اليدين" ودعا إلى التمسك بالسنن العديدة في الصلاة اللاتي كانت مهجورة عند القوم، فالصلاة من أهم أركان الدين،

* - وقد أنكر المتعصبون كل كتاب خالف فيه الشاه المذهب الحنفي، وألفوا رسائل في صدده تقريرا بأنه كان حنفيا واتهموا " غير المقلدين " بأنهم زوروا كتبه أو نسبوا اليه افتراء عليه، انظر تفصيل هذه المباحث في مطرق الحديد....،

(١) الدين الخالص ٢/ ٨٧ و ٣/ ٤١٠

فمن رضي باتباع السنة فيها معرضا عن آراء الرجال والتعصب المذهبي، فسيرضي تتبع السنن فيما فوقها وما دونها من العبادات. (١)

ونشط الناس بعد كتابة هذه الرسالة إلى تطبيق السنن، والبحث عنها معرضين عن كتب الجدل والقيل والقال، ويشهد بذلك الترهتي الحنفي صاحب "اليانع الجني في أسانيد الشيخ عبد الغني". فيقول : "من مصنفاته ... مختصر في أصول الفقه، وقرة العينين انفرد فيها بمسائل (٢) عن جمهور أصحابه، واتبعه عليها أناس من المشرق ومن بنجاله وغيرها أكثر عددا من حصى البطحاء ..."(٣)

هذه شهادة قوية، تدل على مدي تأثر الناس بدعوة الشاه إسماعيل، وعلى سعة انتشارها فى حياته جزاه الله عنا خير الجزاء،

٧- إيضاح الحق الصريح في احكام الميت والضريح:

وهو بالفارسية، يقول عنه العلامة المحدث سيد نذير حسين الدهلوي: لامثل له في بابه لكن للأسف لم يتمه".(٤)

وهذا كتاب مهم بلور فيه الشاه فكره وعقيدته، وقد أجاد في بيان السنة وتحديد مفهومها وأهميتها وفي تعريف البدعة وأقسامها وحكمها، وضرب الأمثلة الكثيرة على كل ماذكر، فلاشك أنه كتاب يمثل آرائه وعقيدته أحسن تمثيل.

ولقد تناول فيه بدع الفقهاء والصوفية والمتكلمين وغيرهم بدعة بدعة وحكم عليها بحكم مناسب مقبول، ولكن للأسف لم يكمل الكتاب.

٨ ـ أصول الفقه:

رسالة مختصرة بالعربية في فن أصول الفقه،فهي مع اختصارها وإيجازها مفيدة ونافعة جدا، علق عليه مشتاق أحمد انتبهوي الحنفي، وانتقد على الشاه و لم يوفق فيه، فمثلا يقول الشاه في باب القياس : " الترجيح بكثرة المقلدين باطل"(٥) فيعلق عليه بقوله(أقول لاشك إنه لا ترجيح

---

(١) انظر رسالة جامع الشواهد في إخراج الوهابيين عن المساجد.

(٢) وفي الحاشية " منها رفع اليدين وقراءة الفاتحة للمؤتم،

(٣) ص: ٧٦

(٤) انظر الحياة بعد الممات ص: ١١٢ نقلا من مطرق الحديد ... ص: ٣٤

(٥) أصول الفقه، ص: ٣١

بكثرة المقلدين عند المحققين لكنها علامة حقية الأمر الذي اتفق عليه أكثر الصلحاء، وظاهر في إثبات فضيلة المذهب الحنفي بالنسبة للمذاهب الأخرى، قال في مجمع بحار الأنوار في ذكر إمامنا الأعظم ويدل عليه ما يسر الله له من الذكر المنتشر في الآفاق فلو لم يكن لله سر فيه لما جمع شطر الملأ على تقليده"(١)

وله شرح آخر للعلامة الأستاذ محمد الغوندلوي السلفي سماه(بغية الفحول في شرح مختصر الأصول) وقد طبع سنة ١٩٦٨م.

٩- منصب امامت: (منصب الإمامة)

والكتاب بالفارسية، يشتمل على بابين، الباب الأول يبحث عن حقيقة الإمامة وقسم هذا الباب إلى فصلين، الفصل الأول، ذكر فيه فضائل وكمالات الأنبياء، وأنها غير محصورة ولكن مرجعها إلى خمسة أصول وهي : الوجاهة،والولاية،والبعثة،والهداية، والسياسة. ثم شرح كل واحد منها شرحا حسنا.

وفي الفصل الثاني : تكلم عن وجوه المشابهة والمخالفة بين أنبياء الله وأولياء الله.

والباب الثاني، يشتمل على مقدمة وفصلين وخاتمة.

وناقش في المقدمة موضوع الإمامة من ناحيتين، وهما، الإمامة الحقيقية والإمامة الحكمية.

وفي الفصل الأول تكلم عن الإمامة الحقيقية وأقسامها، كما تكلم في الفصل الثاني عن الإمامة الحكمية وأقسامها.

وفي الخاتمة أوجز المباحث المتقدمة وبين الأحكام المتعلقة بالإمام،فالكتاب قيم في موضوع السياسة الإسلامية وأراد المؤلف بيان الفرق بين النبوة والإمامة والولاية، الذي طالما اختلط على جمع من الناس والكتاب لم يتمه.

١٠- له عدة منظومات : منها "سلك نور" بالفارسية وب "أردو" أيضا، نظم فيه "ما كتب في تقوية الإيمان، فجميع أبياته تدور حول موضوع التوحيد واتباع السنة واجتناب الشرك والبدع والرد على الفلسفة ويشتمل على واحد وخمسين ومائتي بيت،كما أن له منظومة في نفس الموضوع بالفارسية وفيها خمس وستون وثلاثمائة بيت.

ونظم آخر باسم " وصفة قوة الإيمان" في واحد وثلاثين بيتا وهي منظومة رائعة جدا.

---

(١) المصدر السابق

١١ـ وله رسالة بالفارسية، في تاركي الصلاة، في النظم أيضا، دعـا فيهـا إلى الصـلاة وبـين أهميتها والوعيد لمن تساهل فيها واسـتدل فيهـا بآيـات وأحـاديث عديـدة مـع ترجمتهـا إلى لغـة سهلة.

١٢ـ وله كتاب باسم " حقيقة التصـوف: بـين فيـه زهـد العلمـاء الذيـن كـانوا في القـرون الأولى وذكر صفاتهم، ورد على الصوفية الذيـن ينتمـون إليهـم، واسـتفاد النـاس مـن الكتـاب، ولكنه مفقود(١)

١٣ـ "صراط مستقيم" بالفارسية: وهذا الكتاب يشتمل على موضـوع الأخـلاق وتهذيـب النفس، وهو في الحقيقة خطب ومواعـظ ونصـائح للأمـير السـيد أحمـد جمعهـا الشـاه إسمـاعيل، والكتاب يشتمل على مقدمة وأربعـة أبـواب، فالبـاب الثـالث والرابع جمعـه الشـيخ عبـد الحـي بدهانوي،(٢) أخذه الشاه عند ترتيب هذا الكتاب وأدخله فيه .

وقـد تنـاول فيـه البـدع المنتشـرة بـين طوائـف المسـلمين ورد عليهـا و لم يخـل الكتـاب مـن المؤاخذات، يرى فيه تأثره بالتصوف لأنه استحسن فيه بعض أشغال الصوفية، وأذكارهم ووافق على بعض رياضاتهم على أنها وسيلة تربية الناس، وقد رد فيه ردا عنيفا على الصوفية وبدعهم، ولعل ذلك يرجع إلى البيئة التي عاش فيها،(٣) ولكن لو رأينا تـأثره بـالتصوف بالنسبة إلى أهـل زمانه لرأينا أنه بون بعيـد بينـه وبينهـم، فهـو في واد، وهـم في واد آخـر، فتـأثره لايتجـاوز عـن شبهات علمية أو استحسانات اجتهادية إن شاء الله، وأولئك قد غلوا في البدع وعاندوا السـنة بل تحللوا من الشريعة، فأمثالـه قـد يعـذرون في أخطـاء هـم لحبهـم السـنة الصحيحـة وكرههـم البدعة، ولجهادهم الطويل لإحياء السنة المطهرة.

مع ذلك سيأتي الكلام على أن لأفكاره ومؤلفاته مراحل زمنية، لم يمض عليه زمن إلا وقـد اقترب إلى منهج أهل السنة طارحا وراءه كل ما يخالف منهجهم، بل أجج حربا ضروسا ضده.

---

(١) "الحياة بعد الممات" ص: ١٩٩ نقلا من تذكرة شهيد ص: ٢٧٢

(٢) تقدمت ترجمته ص: ٥٩

(٣) لأن جده وأعمامه، مع جهودهم العظيمة في نشر السنة ورد البدع يرى فيهم ميل إلى التصوف المتأخر والتأثر به،

١٤- "عبقات" وهو بالعربية: هذا الكتاب يشتمل على مقدمة وأربع إشارات وخاتمة،وقد ناقش فيه المؤلف مسائل علم الكلام والمنطق والتصوف، وأسلوبه في هذا لكتاب غامض وصعب و ملىء بمصطلحات المناطقة والمتكلمين وأهل التصوف.

ويرى فيه تأثره من جده وأعمامه، فان جده الشاه ولي ا لله مع دعوته الواضحة إلى الكتاب والسنة ونبذ البدع المحدثة كان يسلك مسلك اللين والمصلحة، لأنه كان يواجه مجتمعا غريقا في التعصب المذهبي، بعيدا عن الكتاب والسنة كل البعد، يسيطر عليه الصوفية في صورة الفقراء، فأراد الشاه ولي ا لله أن يعرض عليهم الحق في صورة تجتذبهم ولا تنفرهم. فحاول في كتاباته أن يقرب أهل الحديث وأهل الرأى ويبعد الهوة الساحقة بين كلا المدرستين، وقد كان هو بنفسه يستأنس بالفقه الحنفي ولكن كان ينتهج منهج فقهاء المحدثين الذين يتمسكون بالحديث الصحيح وان خالف المذهب، وكان يدعو الناس إلى التمسك بالحديث الصحيح دائما، وكتب لإزالة الخلافات عن الامة كتابه المعروف " غاية الإنصاف في مسائل الخلاف" وقد كان هو وأولاده وتلاميذه يردون على بدع المتصوفة والشيعة وينكرونها أشد الإنكار مع تأثرهم بالتصوف(١)

وقد ألف الشاه رفيع الدين عم الشاه إسماعيل كتابه " تكميل الأذهان" * وجعل فيه بابا مستقلا "بيان تطبيق الآراء " وفيه تمهيد وستة فصول.

الأول: في ماهية التطبيق، والثاني: في موازين التحقيق، والثالث: في أسباب الاختلاف، والرابع: في ضوابط التطبيق، والخامس: في الجرح والتجريح، والسادس:في أمثلة التطبيق توضيحا للواهم وتمرينا للفاهم.

وقد قعد القواعد في هذا الباب لتطبيق الآراء المتعارضة.

ونرى الشاه إسماعيل في كتابه عبقات، ينتهج هذا المنهج، ويحاول الجمع والتطبيق بين الآراء العديدة، ويحاول تقريبها إلى الكتاب والسنة كما يقول في مقدمة كتابه "عبقات" بعد تمهيد طويل:" أردت أن أسرج في سبيل المبادي سراجا يهتدي به السالكون وأضع في مدارج المقدمات معراجا يرتقي عليه الطالبون فألفت رسالة تكون كالبرزخ بين ما ظهر بالعيان وما

---

(١) انظر للتفصيل " حركة الانطلاق الفكري وجهود الشاه ولي ا لله في التجديد " للعلامة محمد إسماعيل السلفي تعريب د. مقتدى حسن الازهري.

* - الكتاب مطبوع، و أخذه القنوجي برمته في كتابه " أبجد العلوم "

ثبت بالتبيان وكالوصلة بين ما فازبه أرباب الكشف وبين ما وصل إليه آل البرهان...."(١).

ولكن يلمس القارئ جليا بأنه مع حسن نيته في تقريب الآراء المتضادة وجميل طويته في الاعتذار عنهم أخطأ في أشياء لا يوافقه في ذلك الكتاب والسنة ولا السلف الصالح.

ولكنه قد أجاد وأفاد في باب الصفات التي هو معترك بين أهل السنة وأهل البدع بل هو الفارق الدقيق والميزان المستقيم الذي يوزن به أهل الحق من غيرهم(٢) وسنوضحه ذلك في جهوده في باب التوحيد.

فمن كتبه " عبقات" و "صراط مستقيم" يمكن توجيه النقد إليهما من منظار أهل السنة والجماعة، لما فيهما من التأثر من المتكلمين وأهل الذوق، ولكن لما نرى غيرهما من الكتب الشهيرة التي عرف بها عند مؤيديه ومخالفيه نجد أن محتوياته تقتضي رد بما في الكتابين المذكورين. فمثلا يقول في عبقات: "طرق العلم للبشر ثلاثة الأخذ من المحسوس، والانتقال من المعلوم إلى المجهول والتلقي من الغيب وفسر كل واحد منها ثم يقول: " وأما التلقي من الغيب فوحي وتحديث وتفهيم وذوق ومعرفة وعلم لدني ومشاهدة ووجدان وتجليات معنوية وكشف واتصال بالمثال وتجليات صورية...وقد يسمى جميع أنواع التلقي من الغيب ما عدا الوحي، الكشف والإلهام" (٣).

وهنا أثبت الكشف والإلهام كطريق التلقى من الغيب، ولكن نراه في كتابه تقوية الإيمان يرفضه رفضا تاما في مواضع عديدة فيقول بعد تفصيل طويل.... "وبالجملة إن الذين يدعون الغيب أو يدعون الكشف ومن الناس من يعلم طريق الاستخارة التي لا تخطأ قط، ومنهم من يستخرج الأخبار من تقويم النجوم أو الرسل ومنهم من يطوف في الناس وفي يده كتاب يبحث عن الفال فانهم جميعا كاذبون مزورون فعلى المسلم الصادق أن يبتعد عنهم ولا يقع في شراكهم".(٤)

ويقول في إيضاح الحق الصريح في أحكام الميت والضريح: " ليعلم أن مسألة وحدة الوجود ووحدة الشهود ومبحث التنزلات الخمسة والصادر الأول والكلام حول تجدد الأمثال والبروز ونحوها من مباحث التصوف وكذلك مسألة تجرد الواجب وبساطته تعالى حسب

---

(١) ص: ٣

(٢) انظر بحثه في موضوع الصفات والرد على من يؤولها ص: ٩٠ من كتابه " عبقات".

(٣) ص: ٤

(٤) انظر ص: ٧٢ و ص: ٧٧

الذهن يعني تنزيه واجب الوجود عن الزمان والمكان والجهة والماهية والتركيب العقلي، ومبحث العينية زيادة الصفات وتأويل المتشابهات وإثبات رؤية بلا جهة ولامحاذاة واثبات الجوهر الفرد وإبطال الهيولي والصورة والنفس والعقول أو بالعكس والكلام في مسألة القدر والقول بصدور العالم على سبيل الإيجاب واثبات قدم العالم ونحوها مباحث أخرى من علم الكلام وإلهيات الفلاسفة كلها من قسم البدعة الحقيقية إن اعتقدها صاحبها أنها من الدين أو عدها من الدين وان لم يعتقدها من العقائد الدينية فإنها أصبحت بالتأكيد من البدع الحكمية في هذا الزمن..."(١)

المطلب الثاني : ترتيب مؤلفاته حسب التاريخ

لم يكن الشاه إسماعيل رحمه الله يرى مصادر تلقي الأحكام إلا الكتاب والسنة(٢) ويتقيد بآثار السلف، وما لم يكن معروفا في القرون الأولى فيجعله من البدعة(٣) وأمضى حياته كلها في الدعوة إلى التوحيد والرد على البدع مع ذلك نرى في بعض كتبه بعض الأخطاء فيضطر القارئ إلى معرفة أسبابها ومدى تمسكه بها وتحمسه لها في حياته العملية واستمراره عليها.

وإذا استعرضنا في حياة الشاه إسماعيل نرى انه مر في حياته بمراحل، مرحلة طلب العلم والتلقي من مشايخه ومرحلة التخرج والتفرغ للعلم ثم مرحلة الدعوة والاحتكاك بالمجتمع والإنكار على ماهم فيه من الضلالات والانحرافات ثم مرحلة الهجرة والجهاد.

ففي مرحلة التلقى وطلب العلم برزت شخصيته كطالب علم ذكي فاق أقرانه، ولكن في هذه الفترة مهما بلغ الرجل مبلغا في العلم قلما يستطيع أن يخرج على مشايخه وأساتذته، وعلى بيئته، يرجع ذلك إلى أسباب عديدة، من أهمها عدم الوصول إلى درجة الاجتهاد في المسائل المختلف فيها حتى يرد على العلماء المشهورين ويخطئهم في آرائهم، ثم إن هيبتهم في القلوب وحسن الظن بهم وبأقوالهم وآرائهم يكون مانعا منه.

ومنها أن البيئة والأسرة والمشايخ الذين يتعلم على أيديهم كلها تلعب دورا هاما في تكوين شخصية الرجل وثقافته ومعتقده، وكثير من الأمور يرثها منهم، ويرى أثرها عليه ولايجد فرصة

---

(١) ص: ٢٣

(٢) كتابه مختصر أصول الفقه ص: ٣

(٣) إيضاح الحق الصريح في أحكام الميت والضريح ص: ٥،٦

البحث عنها، ولايجعلها دينا يتعبد بهـا، فكأنمـا هـي أمـور وعـادات وجـد عليهـا أهـل عصـره ومشايخه فمشى عليها.

هكذا كان حال الشاه إسماعيل رحمه الله فان مانرى فيه أثر الكلام والمنطق وزلة القدم في نقد الصوفية فإنما هو في بداية حياته عندما لم يبلـغ مبلـغ العلمـاء الذيـن يقومـون لتغيـير مجـرى الحياة، ولكن لما اشتغل بالدعوة واحتك بالناس ورأى ماهم فيه من المعتقدات الباطلـة وتـأمل في أسبابها أنكر كثيرا من الأمور والأشياء التي لان جانبه لها من قبل .

ولاشك إن معرفة تاريخ المؤلفات ترشدنا إلى معرفة موقف العالم في آخر الأمر من القضايـا المختلفة فيها، وتعطينا فكرة عن مراحل فكره وعلمه تجاه تلك القضايا، فنعرف مـن خلالهـا إلى ما وصل إليه نضجه الفكري والعلمي واستقر رأيه آخر الأمر.

وعندما نرى مؤلفات الشاه إسماعيل نرى أن كتابه "صراط مستقيم" الذي جمـع فيـه أقـوال الأمير السيد أحمد ورتبه تم تأليفه سنة ١٢٣٣هـ (١) وألف قبلـه كتابـه "عبقـات" (٢) في زمـن الشاه عبد العزيز بن ولي الله المتوفى سنة ١٢٩٣هـ (٣) وممـا يـدل علـى أن "عبقـات" كتبـه في فرصة ووجد وقتا كافيا له، بأنه استطاع إتمامه وأما غيره من الكتب المهمة فلم يستطع إكمالها.

أما كتابه تقوية الإيمان فقد قيل إنه ألف قبيل سفره للحج وبدأ رحلته للحج في شـوال سـنة ١٢٣٦ هـ ولكن هذه الرواية مردودة لوجوه عدة(٤)

ويرى المؤرخ الكبير المتخصص في حركة الشّهيدَين الأسـتاذ مهـر (٥) بأنـه لايمكـن إعطـاء رأي نهائي في تحديد الزمن الذي ألف فيه تقوية الإيمان، ولكنه صـور فيـه فنـاء الكعبـة تصويـرا يؤثر على القلوب، وهذا يدل على أنه كتبه بعد مشاهدته عيانا، وبهذه القرينة يمكن أن نستأنس بأن الكتاب ألف بعد رجوعه من سفر الحج(٦).

---

(١) صراط مستقيم ص : ٩٥

(٢) صرح بذلك الاستاذ مسعود عالم الندوي، في كتابه المعروف" عبيد الله سندهي كـ افكـار وخيـالات بر ايك نظر ص: ١٢٦

(٣) انظر مقدمة "عبقات" ص: ٨ بقلم البنوري

(٤) انظر تفاصيلها في مجلة الفرقان الشهرية يونيو ١٩٩٣م

(٥) هو العالم المحقق المؤرخ الاديب الشيخ غلام رسول مهر تزيـد مؤلفاته على أربعين مؤلفا تـوفي ١٦/ نوفمبر ١٩٧١م (تذكره شهيد)

(٦) وكان رجوعه في شعبان سنة ١٢٣٩هـ انظر مقدمة تقوية الإيمان لمهر،

وهناك بعض القرائن الأخري تفيد في تحديد زمن تأليف هذا الكتاب، منها أن السيد البغدادي اعترض على كتابه تقوية الإيمان، فرد عليه الشاه إسماعيل ومما قال في آخر المكتوب "تم هذا المكتوب حين كنت نزيلا في الكانفور سنة ألف ومأتين وأربعين إلى السيد البغدادي حين وسوس له الجهال، فبعد قراءة كتابي هذا جاء ني معتذرا.......(١)

والرسالة هذه أيضا تشير أنه كتب هذا الكتاب في بداية سنة ألف ومأتين وأربعين من الهجرة .

وقد ثار الناس ضد كتابه "تقوية الإيمان" حتى وصل الأمر إلى إقامة مناظرة كبيرة في موضوع جواز تقبيل القبور أو عدمه وفي بعض البدع والرسوم الشركية في صباح يوم الثلاثاء ٢٩/ ربيع الثاني سنة ١٢٤٠ هـ طلب فيها الشاه إسماعيل أن يردوا على كتابه فلم يرضوا له(٢)

وأنه كتب جوابا مفصلا في الاستفتاء عن تكفير شخص يتعاطى الأعمال الشركية التي ذكرها في تقوية الإيمان فأجاب في ١٢/ جمادى الأول سنة ١٢٤٠هـ على ذلك ويوجد هذا السؤال وجواب الشاه إسماعيل في المجلد الثالث من مجموع الفتاوى الرشيدية(٣)

وأثار فضل حق خيرابادي(٤) في غضون هذه الأيام قضية كلامية، وهي هل يمكن وجود نظير النبي صلى الله عليه وسلم أو يمتنع ؟ ضد الشاه إسماعيل رحمه الله لأجل بعض عبارات تقوية الإيمان، فرد عليه الشاه إسماعيل في العاشر من ذي الحجة سنة ١٢٤١ هـ وهو في هجرته إلى بلاد الأفاغنة، وكانت هذه القرائن كلها تدل دلالة قوية أنه ألف الكتاب حوالى سنة ١٢٤٠ هـ ثم لم يلبث أن هاجر من بلاده و لم يرجع بعد.

أما كتابه "إيضاح الحق الصريح في أحكام الميت والضريح "فقد اتضحت فيه آراءه ومعتقداته وضوحا كاملا، وقد بين سبب تأليفه أنه لما رأى أهل البدع وفتنتهم وانتشار البدع واختلاطها مع السنة حتى لم يكد يفرق بينهما سأله تلميذه أن يفصل الكلام في هذا الموضوع فكتب هذا الكتاب. ولما ثار الناس بعد كتابة تقوية الإيمان واستنكروا مافيه من الشدة ضد

---

(١) رسالته المطبوعة مع تقوية الإيمان المترجم بالعربية.

(٢) مطرق الحديد...ص: ٧٥

(٣) المصدر السابق ص: ٧٦

(٤) تقدمت ترجمته ص: ٧٣

الشرك والبدع اضطر الشاه إلى كتابته حتى يبين الفرق بين السنة والبدعة، كما أن محتوى الكتاب نفسه يدل على أنه ألفه بعد وفاة الشاه عبد العزيز أي بعد سنة ١٢٣٩هـ(١).

وصرح الشيخ محمد إسماعيل السلفى رحمه الله، أن كتابه هذا آخر كتاب ألفه الشاه إسماعيل.(٢)

ويتضح من هذه التفاصيل السابقة أن الشاه إسماعيل كتب " تقوية الإيمان " وبعده "إيضاح الحق الصريح في أحكام الميت والضريح " في آخر حياته في الهند قبل الهجرة، و لم يجد فرصة التأليف والتصنيف بعد الهجرة كما صرح هو بنفسه في مكتوبه الطويل الذي أبطل فيه عددا من الشبهات(٣)

وأنه لم يتراجع عما كتب في هذين الكتابين، بل استقر رأيه عليه وتحمس له ودعا إليه وناظر في إثبات ما كتب فيه وأجاب على جميع الاعتراضات الموجهة إليه ورد على جميع من خالفه فيما في تقوية الإيمان. فالنتيجة المنطقية من هذه المواقف المشكورة أن ما كتب فيهما فهو يمثل رأيه النهائي وبهما يحكم على شخصيته. وأن ما في هذين الكتابين فهو الحجة لصاحبه أو عليه.

(١) ملفوظات ص: ٣٢

(٢) انظر حركة الانطلاق الفكري وجهود الشاه ولي الله في التجديد ص: ٢٧٦

(٣) مجموعة مكاتيب شاه إسماعيل ق ص/ ٧٤ ـ ٧٨

الفصل الرابع: دعوة الشاه إسماعيل وأهدافها والمقارنة بين دعوته ودعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب رحمهما الله

ويشتمل على ستة مباحث:

المبحث الأول: هل تأثر الشاه محمد إسماعيل بدعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب؟

المبحث الثاني: منزلة الشاه إسماعيل في الدعوة

المبحث الثالث: أسس الدعوة و أهدافها

المبحث الرابع : وسائل الدعوة

المبحث الخامس: آثار دعوته في شبه القارة الهندية

المبحث السادس : مشاكله في سبيل الدعوة

المبحث الأول: هل تأثر الشاه إسماعيل بدعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمهما الله

جرى المؤلفون عند كتابتهم في الدعوات والشخصيات على بحث أصولها ومصادرها ومكوناتها وأحوال بيئتها لكي يستنتجوا منها مدي تأثير تلك العناصر في أفكار هذه الدعوات والشخصيات وعقائدها وتعاليمها ولكن كثيرا ما نلاحظ الوقوع في الأخطاء الجسيمة، وتشويه الوقائع والانحراف عن الحق .

وخاصة في هذا العصر الذي تحررت فيه العقول وانتعشت عاطفة الإسلام والتفت الناس إلى البحث عن الحق لأسباب عديدة، وقامت حركات دينية ودعوات إسلامية تنادي بالعودة إلى الدين والشريعة وإلى الاجتهاد ونبذ التقليد وتنسب نفسها إلى شيخ الإسلام بن تيمية أو الشيخ محمد بن عبد الوهاب وتعاليمه لأقل مشابهة وأدنى ملابسة مع مخالفتها إياها مخالفة بينة في أصول العقائد التي ركزوا عليها وامتحنوا لأجلها وامتازوا بها عن غيرهم (١).

وقد ربط الكثيرون بين دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب وبين دعوة الشاه محمد إسماعيل، فرددوا تلك المقالة المشهورة أنه تأثر به وأخذ منه في رحلته إلى الحجاز، وقد كان الاستعمار الإنجليزي وغيره يتعمدون هذا لمصالحهم السياسية، لمعرفتهم أن المسلمين إذا صلحت عقائدهم وأعمالهم تاركين الشرك والبدع متمسكين بالكتاب والسنة سيقوى فيهم حب الولاءوالبراء وتنشأ منه الهجرة والجهاد(٢). وكان الاستعمار يخاف قيام المسلمين ضده مجاهدين في سبيل الله، ولم يكن يرجى ذلك إلا من المسلم الصحيح المعتقد والعمل، ويشهد تاريخ الجهاد في

---

(١) انظر للتفصيل " دعوة شيخ الإسلام ابن تيمية وأثرها في الحركات الإسلامية المعاصرة " تأليف صلاح الدين مقبول، ومنهم محمد يوسف (أمير الجماعة الإسلامية السابق) في مقالته التي ألقها في أسبوع الشيخ بعنوان" الشبهات التي أثيرت حول دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب ومما ثلتها بشبهات أثيرت حول دعوة الشيخ المودودي" قد ادعى فيها بأن دعوة المودودي رحمه الله كانت مثل دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب وذكر أمثلة عديدة !!!! انظر"بحوث أسبوع الشيخ محمد بن عبد الوهاب" ٢٥٧/٢

(٢) انظر " الولاء والبراء في الإسلام "لمحمد بن سعيد القحطاني ص: ٤٠

الهند أنه لم يقم ضد الاستعمار البريطاني مجاهدا ومرابطا إلا أهل الحق، وخذلهم جميع الطوائف، بل أفتوا بتحريم الجهاد يوالون الاستعمار(١)

وجرت السنة بأن يأخذ الأخلاف من أسلافهم وظلوا يستفيدون بعضهم من بعض " وهذا وإن لم تكن فيه غضاضة فقد ظل المصلحون يقتبسون بعضهم من بعض لم يثبت تاريخيا كما حققه كثير من الباحثين (٢) و لم يتحقق أن أحدهما (السيد أحمد والشاه محمد إسماعيل) لقي أحد تلاميذ الشيخ أودعاته"(٣).

و الاختلاف الواقع بين أهداف الدعوتين وأسسهما يشهد على ذلك فضلا عن الشواهد التاريخية.

أما الشواهد التاريخية فان أشراف مكة منذ بداية دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب كانوا معارضين لها أشد المعارضة بل كانوا يمنعون أهل نجد أتباع الشيخ محمد بن عبد الوهاب من الحج إلى أن استولى آل سعود على مكة المكرمة في ثامن شهر المحرم سنة ١٢١٨هـ واشتهر أمرهم في العالم الإمي بعد استيلاءهم على مكة، وعرفت دعوتهم، ولكن لم ترض بذلك الخلافة العثمانية، حرصا لبقائها في يد الخليفة حتى تتم "شكليات "خلافته، فلا بد أن يكون خليفة المسلمين حامي البلاد المقدسة وصاحب الخطبة على منابرها"(٤)

ومن سنة ١٢٢٦هـ بدأت الحروب بين آل سعود وبين جيوش محمد علي الذي كان يتولى قتالهم بإيعاز من الباب العالي، وفي شهر صفر سنة ١٢٢٧ هـ استولى المصريون والأتراك على مكة وجدة، ثم استمرت الحروب الدامية إلى أن سقطت الدرعية سنة ١٢٣٣هـ فقتل أهلها ودمرت منازلها وحرقت قراها(٥)

---

(١) انظر البريلوية، والقاديانية، للشيخ إحسان الهي ظهير.و"علماء ديوبند كاماضي"....

(٢) مثل الشيخ العلامة أحمد بن حجر آل بوطامي في كتابه " الشيخ محمد بن عبد الوهاب" وأحمد أمين في كتابه" زعماء الاصلاح في العصر الحديث" وفتحي يكن في" الموسوعة الحركية ١/ ١٧٣، أما ما كتب الكتاب الانجليز فأخطاء هم لاتعد.

(٣) انظر اذا هبت ريح الإيمان ص: ١٨

(٤) الشرق الإسلامي في العصر الحديث ص: ١٩٢

(٥) عنوان المجد ص: ١٥٠ وما بعده وتارخ عجائب الآثار في التراجم والاخبار ص: هندوستان كي بهلي اسلامي تحريك ص: ١٦

وكانوا يطاردون" الوهابيين" ويحاربونهم أشد ما يكون، بل كان كل من يتهم بالوهابية يصب عليه سوط العذاب الأليم من السجن والحبس والإعدام.

أما دعوة الشاه محمد إسماعيل فقد بدأت ونضجت وانتشرت قبل رحلته إلى الحجاز وقد كان هو والسيد أحمد والشيخ عبد الحي وغيرهم من العلماء خرجوا من دهلي إلى القرى والمدن المجاورة لها في جولاتهم الدعوية العديدة سنة ١٢٣٣هـ وكانوا يعزمون على القيام بالجهاد لما كانت تقتضي أحوالهم، ولكنهم رأوا بأن الجهاد لايقوم إلا بانتشار العقيدة الصحيحة فبدؤوا بالدعوة إليهما قبل الدعوة بالجهاد، وفي أثناء هذه الجولات بلغتهم الفتوى المعمول بها في الهند، بأن الحج لايجب عليهم لعدم توفر السبل المأمونة، فعزموا على الحج إحياء لهذه الفريضة، وخرجوا لأداء فريضة الحج مع أتباعهم سنة ١٢٣٧ هـ ووصلوا مكة المكرمة في شعبان سنة ١٢٣٧من التاريخ الهجري(١).

وفي محرم سنة ١٢٣٨هـ وصلوا المدينة، وفي هذا العهد وبعده كان العثمانيون يكرهون أهل السنة(الوهابية)أشد الكراهة، وكل من يدعو إلى التوحيد والسنة ويشنع على البدع، يمسك بتهمة الوهابية، ويحاكم محاكمة شديدة (٢) . وكان في القافلة الشيخ عبد الحق بنارسي تلميذ الشاه محمد إسماعيل(٣)، كان شديدا في رد البدع والتقليد، فاتهمه أعداؤه بالوهابية فسجن وحوكم في المدينة المنورة، وكاد أن يصب عليه العذاب الشديد لو لا أن الشيخ عبد الحي دافع عنه عند القاضي حتى خلى سبيله(٤).

خرجت هذه القافلة بعد هذه الزيارة من مكة يوم الخامس عشر من شعبان سنة ١٢٣٨ من الهجري ووصلوا "بمباي" ٢٠/ ذي الحجة سنة ١٢٣٨هـ.

هذا التاريخ الموجز وقصة الشيخ عبد الحق بنارسي تعطينا فكرة واضحة أنه لم يكن هناك مجال إظهار دعوة التوحيد والسنة ولم يكن أحد يتجرأ ممن أتى من الخارج إظهار السنة ورد البدع فضلا أن يقدم عليه أحد من رعاياهم، وفي ضوء هذه الحقائق يترجح بأن الشاه محمد إسماعيل لم يستفد من تلاميذ الشيخ محمدبن عبد الوهاب رحمهم الله، والله أعلم بالصواب.

---

(١) انظر سيد احمد شهيد ص: ٢٠٨ و٢١٦

(٢) المصدر السابق ص: ٢٢٧

(٣) تقدمت ترجمته : ص: ٦٠

(٤) سيد أحمد شهيد ص: ٢٢٧ وأهل حديث اور سياست ص: ٩٣

وأما ما يجد القارئ بينهما من موافقات ومشابهات ليس لأجل التأثر واللقاء فيما بينهم بل لأخذهم من منبع واحد وهو منبع الكتاب والسنة.(١)

(١) وقد ناقش الموضوع مسعود عالم الندوي أيضا انظر هندوستان كي بهلي اسلامي تحريك ص:١٤_٢٠

المبحث الثاني: منزلة الشاه إسماعيل في الدعوة

ابتليت ناحية خراسان وما جاورها من البلاد من الهند وفارس بالفرق الضالة والدعوات المنحرفة والأحزاب السياسية والكلامية والفقهية المتناحرة فيما بينها، ومن تلك البلايا التعصب الشديد لفقه الحنفي بل لايكاد يعتبر مسلما من لم يتقيد بمذهب الأحناف في الفقه والاعتقاد .

ولذلك عاني من لايتقيد به معاناة شديدة على أيديهم عموما وإن كانوا في قوالب مختلفة، ومن شدة كرههم لهم قاموا ضدهم بتكفيرهم وتفسيقهم وتجويز قتلهم وإخراجهم من المساجد وتحريم المعاملات معهم، في حين كان الاستعمار قد شمر عن ساعديه للقضاء على من يسمونهم "الوهابيين" الذين كانوا موضع نقمة منه لعقيدتهم النقية الصافية، ولقيامهم بالجهاد ومساعدتهم لمن يقوم به عندما، والى غيرهم الاستعمار، وخضعوا له، وأصدروا فتاوى تحريم الجهاد، ولذا عزم الاستعمار بكل ما أوتي من قوة ودهاء ومكر على قضائهم، فعذبهم أشد العذاب وقتلهم قتلا ذريعا، وكانت تكفيه حجة بأنه "وهابي "لمصادرة الأموال والعقار والسجن والحبس والإجلاء والقتل والصلب .

ومن حنايات هذا التعصب الشديد تشويه التاريخ، وهضم حقوق المتمسكين بالسنة،و تناسي خدماتهم، بل كل من كتب عن تاريخ الإسلام في الهند وجهود العلماء وجهادهم نسي أو تناسى ذكرهم، واتهمهم باتهامات لاتحمل في طياتها حبة خردلة من الحق والصدق إلا كم رحم الله، والعجب كل العجب بأنهم اتهموا بموالاة الاستعمار، والتكاسل عن الجهاد، مع أنهم بذلوا الدماء الزكية والأرواح الطاهرة(١) ومن آثار هذا العصب البغيض أن الحركة العلمية التي بدأها ولي الله وقام بها أبناؤه، أظهر شأنها ونوّه بأمرها حفيده الشاه إسماعيل، دهلي وكان له دور مهم في الدعوة و الجهاد، ولكن لم ينوه بشأنه و لم يكتب مآثره وأخفيت شخصيته وراء السيد أحمد رحمه الله. وكيف يرجى أن يكتب عن مآثر أهل الحق ويسجل تضحياتهم من كان يكرههم ويجعلهم في صف الفرق الضالة، كما فعل مؤلف "تذكرة الرشيد" حيث يقول في أحوال سنة١٢٤٤هـ :"كما أن العرب زينوا الكعبة بالأصنام العديدة بعدد أيام السنة إيمانا واحتسابا، كذلك كانت تلحق الأفكار المحدثة، والخيالات الباطلة، والعقائد الفاسدة، بالدين في الهند. وقد غلب الإلحاد في مكان، والاعتزال والزندقة في مكان، والرفض في مكان، ونرى غلبة

---

(١) المصدر السابق ص: ٤٠ و تاريخ علماء ديوبند ص: ٧٤

الخوارج في مكان، وانتشار عدم التقليد في مكان، وظهور القرآنيين والقاديانيين في مكان آخر.....»(١)

ويقول أبو الكلام(٢)ينوه بدور الشاه في هذه النهضة المباركة: " إن منزلة الشاه ولى ا لله كانت عالية جدا، ولكن مع ذلك لم يزد ما قام به على تجديد وتدوين العلوم والمعارف، وتعليم أصحاب المواهب وتربيتهم، أما العمل والتنفيذ والإبراز والتصريح فكان مقدرا وميسرا للعلامة المجدد الشهيد (محمد إسماعيل) رضي ا لله عنه بحيث لو وجد الشاه ولي ا لله في عصره لكان تحت لوائه، إن أسرار الدعوة وإصلاح الامة التي دفنت في أطلال دهلي القديمة أذاعها هذا العبقري الفذ في أسواقها ودروبها، والأحاديث التي كان يخاف الأبطال من التفوه بها في الحجرات المقفلة قد تناقلها وتبادلها الناس في الشوارع والطرقات، ورشحات دم الشهادة كانت تثبت الحروف والحكايات على صفحات العالم نقوشا وسوادا"(٣).

وراجعه مسعود عالم الندوي في هذا المدح العظيم، فأكد " آزاد" أن ما كتبه كتبه بعلم واقتناع (٤) . ويرى الشيخ سليمان الندوي والمودودى * : أن حركة التجديد يرجع فضلها إلى الشاه والسيد كليهما وأنهما يشكلان وجودا واحدا (٥).

وكان للشاه إسماعيل دور عظيم في هذا التجديد والإصلاح، بل يرجع إليه فضل جميع ما كُتب في موضوع التوحيد ورد الشرك في الهند بعد ا لله سبحانه . لأنه أول من شق الطريق في بيان شأن التوحيد ورد الشرك بهذا الأسلوب. ثم إنه كان عالما فائقا، وخطيبا مصقعا، ومناظرا بارعا، وقائدا باسلا ،وبطلا مغوارا ،وكانت له موهبة عجيبة في إلقاء الخطب ولم يكن الأمير السيد أحمد يقدر على ذلك (٦) وانتهج الشاه إسماعيل منهج المحدثين في التمسك بالكتاب

---

(١) انظر ص: ١٠

(٢) تقدمت ترجمته ص: ٦٩

(٣) انظر كتابه الشهير " تذكره ص: ٢٧٠ والترجمة مأخوذة من " مجلة الجامعة السلفية ـ ابريل ومايو ـ ١٩٨٠

(٤) انظر هندوستان كي بهلي اسلامي تحريك ص: ٣٢

* ـ هو أبوالاعلى المودودي، مؤسس " الجماعة الإسلامية " في الهند سنة ١٩٤١م صاحب التصانيف الكثيرة توفي سنة ١٩٧٩م

(٥) تاريخ الدعوة الإسلامية في الهند ص: ١٧١

(٦) انظر موج كوثر ص: ١٧

والسنة ورد البدع والمحدثات في حين كان الناس لايتحملون ذلك فخالفوه وتنازعوا في أمره.
ولما أفتى الشاه عبد العزيز بوجوب الجهاد في الهند، وأنها أصبحت دار حرب(١) ولم يكن يستطيع هو بنفسه القيام به لضعفه وكبر سنه، ورأى في ابن أخيه الشاه أسماعيل وتلميذه السيد أحمد أهلية تحمل مسئولية الدعوة والجهاد، أمرهم بالقيام بالدعوة والجهاد، فقام صهره عبد الحي والسيد أحمد والشاه إسماعيل رحمهم الله بجولات موسعة في المدن والقرى ينشرون الدعوة ويصححون العقائد ويستطلعون أحوال المسلمين وقدراتهم للقيام بالجهاد، ولما كان هذا الامر كله إلى حاجة أن تكون ثمة قيادة فأمروا عليهم السيد أحمد، وبايعه الشاه إسماعيل وعبد الحي، ولما علم الناس بيعة هذين العالمين المعروفين من أسرة ولي الله الدهلوي أصبحوا يبايعون عليه، وتأمير السيد أحمد على حركة الدعوة والجهاد يرجع إلى أسباب.

منها: انه كان محنكا بأمور الحرب لعمله في الجيش سبع سنوات، والجهاد بالسيف كان من أهداف دعوتهم فعينوا أميرا له خبرة كافية في هذا المجال(٢) وإن البيئة كانت تقتضي أن يرأس الحركة شخص لا يتنازع فيه حتى تروج الدعوة ويعم الإصلاح وكان السيد أنسب الناس له لما كان يتمتع بمنزلة عالية من الزهد والتقوى،وحسن السمعة، وكان لمواعظه ونصائحه تأثيرا بليغا لعوام الناس، ومع هذه الصفات الجميلة الحسنة كانت لأسرته سيادة دينية و احترام لأنها كانت تنحدر من سلالة الرسول صلى الله عليه وسلم(٣)، وكان الشاه رحمه الله يكرمه ويحترمه كثيرا.

أما الشاه إسماعيل قد اشتهر في أوساط الناس لشدته في إنكار البدع والخرافات في كل مجلس ومكان يجتمع فيه الناس، فقد قامت ضجة شديدة ضده حتى رفع أمره إلى الملك، وانتهض علماء المبتدعة ومشايخ الصوفية لمخالفته ورده ومناظرته، وكان كتابه تقوية الإيمان أشد من الجمر على أنفسهم لصراحته في البيان ولتناوله غالب أنوع الشرك والبدع المنتشرة بينهم بالرد و الإبطال. و لم يكن من مصلحة الدعوة أن يرأسها الشاه لشدة مخالفة الناس له

---

(١) وهو أول من أفتى بوجوب الجهاد بحجة أن الهند صارت دار حرب لاستيلاء الكفار عليها انظر " الفتاوى العزيزية، ١/ ١٧، و١٨٥ نقلا من شاه ولي الله اور انكي سياسي تحريك ص: ٥٦

(٢) انظر اذا هبت ريح الإيمان ص: ١٥

(٣) انظر نسبه في " سيرت سيد أحمد شهيد " ٨٥/١

ولكن كان وزيرا للأمير وترجمانـا لـه(١) ولسـانا للدعـوة، ولـذا نـرى أثـره البـالغ في المجـاهدين والدعاة(٢).

ويشهد لنا التاريخ صدق تفـرس هـؤلاء في نصـب السـيد أمـيرا لهـذه الحركـة لأن الأفاغنـة أصبحوا أشد الناس مخالفة لهم بعد ما أفتى العلماء " أنهم وهابيين" كما أن جميع الناس تراجعوا عن هذه الحركة ودعوتها بعد استشهاده سـوى " أهـل الحديـث " لأنهـم تبنـوا حركـة الدعـوة والجهاد وأصبحوا يقودونها (٣) . فخالفهم غيرهم اشد المخالفة، ورموهم بأشد التهم، وعوملوا بالطرد والمقاطعة والإخراج من المساجد(٤).

---

(١) انظر " الامام الذي لم يوف حقه من الانصاف والاعتراف ص: ٢٤

(٢) وقد كانت جماعة في المجاهدين وغيرهم، تمتاز بالعمل بالحديث من أثر الشاه اسمعيـل انظر :"شـاه ولي الله اور انكي سياسي تحريك" ص: ٨٣

(٣) انظر ما كتبه صاحب الرحيق المختوم في مقدمة(دعوة الإمـام محمـد بـن عبـد الوهـاب في شـبه القـارة الهندية بين مؤيديها ومعانديها) ومقدمة "كالا باني" ص: ٢٨

(٤) وماذنب العوام فانهم أتباع لعلمائهم وقد جوزها علمائهم وأفتوا بها وطبعوا تلـك الفتـاوي في أحـرج وقت على" الوهابيين "عندما كان الاستعمار يبيدهم إبادة اذ لم يكـن في سـاحة الجهـاد ضـده الا هـم انظر مثلا " جامع الشواهد في إخراج الوهابيين عن المساجد" و " انتظام المساجد بإخراج أهـل الفـتن والمفاسد " و" إخراج المنافقين عـن مسـاجد المسـلمين " وقـد كـان يوقـع عليـه كبـار القـوم ؟؟ انظر للتفصيل"علماء ديوبنـد كـا مـاضي" لحكيـم محمـود بركـاتي ص: ١٣٣، وقـد طبعـت في "مـدراس" ونشرت بكثرة " الفتاوى المكية في إخراج الوهابية" وهي في الحقيقة أوراق المحاكمة التي أجريت علـى خمسة رجال في مكة باتهماهم بالوهابية وكانوا من جماعة الشاه إسماعيل والسـيد أحمـد فـأخرجوا مـن مكة المكرمة بعدما عوفوا من الاعدام. انظر التفاصيل "خانواده قاضي بـدر الدولـة" للأستاذ محمـد يوسف كوكن عمري ص: ٣٦٤

المبحث الثالث: أسس الدعوة و أهدافها

"الأُسس" جمع أساس - والأساس أصل البناء، وكل مبتدأ شيء.(١)

فالمراد به هنا الأصول التي قامت عليها الدعوة والقواعد التي تم بناء الدعوة عليها، فان الدعوة التي قام بها الشاه كانت أصولها مستنبطة من الكتاب والسنة. بحيث اهتم بالتوحيد والعقيدة الصحيحة التي عليها مدار الكتاب والسنة ودعا إلى تحكيم الكتاب والسنة ونبذ التقالبد والعادات والبدع والخرافات في العقيدة والعمل، ثم قام بالهجرة والجهاد ودعا الناس إليهما بعد مارأى وجوبهما،وهكذا استمرت دعوته من البداية إلى النهاية على أساس محكم سليم ولذلك نرى أنها قد أثمرت وتركت آثارها الباقية في كل شعبة من شعب الحياة.

ويقول الشيخ سليمان الندوي:" إن الشاه ولي ا لله ابتكر نظاما جديدا للأمة في الهند في وقت التنزل والسقوط ألا وهو الرجوع إلى دين السلف الصالح ومن أصول هذه الدعوة تطهير ما امتزج بالإسلام من أدران البدع، وحث الناس على انتهاج منهج السلف الصالح في العلم والعمل، واختيار طريقة فقهاء المحدثين في المسائل الفقهية.

وفي نفس العهد نشأت فكرة تجديد الدعوة في نجد واليمن، التي بدأها ابن تيمية وابن القيم في أواخر القرن السابع وبداية القرن الثامن في مصر والشام، وهدفها الأساسي هو تحرير المسلمين من التقليد الجامد للأئمة المجتهدين واقتفاء آثارهم من غير دليل، ودعوتهم إلى اتباع الكتاب والسنة في العقائد والأعمال، وفي عهد الشيخ إسماعيل الشهيد وصلت هذه الدعوة إلى الهند وانضمت إلى دعوة ولي ا لله وهي التي سميت بأهل الحديث فيما بعد(٢).

ويتضح من كلامه بأن الدعوة التي بدأها الشاه إسماعيل بعد جده، تسلك نفس المسلك الذي سلكت الدعوات في نجد واليمن، فأصبحت مشتركة معها في الأساس، والهدف.

أما أهدافها فقد كانت شاملة وعامة جدا بحيث كان يسعى وراء الدعوة تغيير مسار الحياة الفكرية والعلمية والاجتماعية وترسيخ أصول الدين في قلوب العوام والخواص ويمكن تلخيص تلك الأهداف في النكات التالية.

١ - إصلاح العقائد، وإنكار جميع أنواع الشرك المنتشر في المسلمين،

---

(١) لسان العرب ٦/ ٦

(٢) مقدمة " مولانا عبيد ا لله سندهي اور انكـ أفكار وخيالات بر ايك نظر" ص: ٢٠- ٢١

٢- الرد على جميع البدع والمحدثات التي لم تكن في القرون الأولى حيث يقول "وغرضنا الأصلي نشر التوحيد وإحياء سنن سيد المرسلين"(١).

٣- الرجوع إلى الكتاب والسنة في جميع الأحكام والرد على التقليد الجامد ونشر طريقة فقهاء المحدثين في أخذ الأحكام من الدليل دون التقليد،

٤- إصلاح المجتمع من المنكرات والرذائل والفواحش التي كانت تمارس جهارا ونهارا، بالدعوة إلى الأعمال الصالحة والأخلاق الحميدة،

٥-إحياء سنة الجهاد التي كانت مهجورة من زمن بعيد إعلاء لكلمة الله عزوجل،

٦- المحاولة الأكيدة لإقامة مجتمع مسلم يحكم فيه شرع الله في جميع شؤونها(٢).

---

(١) انظر مكاتيب الشاه إسماعيل الشهيد (مخطوط) نقلا من " تذكره شهيد " ص: ١٤٢

(٢) المصدر السابق ص: ١٧-٤٦ و أهل حديث اور سياست ص: ٢٦

المبحث الرابع : وسائل الدعوة

ولا يخفي ما للوسائل والأساليب من الأهمية في نشر الدعوة، بل كثيرا ما يتوقف قبول الدعوة على الوسائل والأساليب الجيدة، فالدعوات الباطلة والعقائد المنحرفة تنتشر وتروج بين الناس لاعتمادها على الوسائل المقبولة المؤثرة في قلوب الناس و أمر ا لله بالرفق والحكمة في الدعوة بقوله﴿ أدع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن....﴾(١) وقال ا لله تعالى :﴿ فقولا له قولا لينا لعله يتذكر أو يخشى﴾ (٢).فأمر باستعمال الحكمة والموعظة الحسنة والجدال الحسن كما أمر موسى وهارون عليهما السلام بأخذ اللين في دعوة فرعون.

وإذا تأملنا حياة الشاه إسماعيل الدعوية نرى أنه قد استعمل كل ما أمكن من الوسائل القولية والفعلية في عصره.

أما الوسائل القولية فكانت أكبر وسيلة وأعظمها وأنفعها على مر الدهور، وقد كان جل اعتماد الأنبياء في مهمتهم الدعوية الاعتماد على القول بحيث كانوا يخاطبون أقوامهم بالقول الحسن، وكان القرآن المعجز في بيانه ذا أثر في نفوس السامعين، والنبي صلى ا لله عليه وسلم كان أفصح العرب مطلقا لنصرة ا لله عزوجل إياه بجوامع الكلم(٣) وقد قال النبي صلى ا لله عليه وسلم " إن من البيان لسحرا"(٤).

فالوسائل القولية أنواع منها الخطابة، والدرس، والوعظ والمناظرة.

الخطابة:

أما الخطابة فهي مؤثرة على نفوس العوام أيما تأثير وذات منفعة كثيرة. وقد أنعم ا لله على الشاه إسماعيل بموهبة الخطابة، وكان خطيبا بارعا اعترف به الصديق والعدو، و لم يكن أحد يساويه في ذلك، وكان يسحر الناس بكلامه وخطبته، وقد دبر أعداؤه مرارا مخالفته أثناء خطبته وتفريق شمل السامعين ولكن لزمهم السكوت أمام سحر بيانه(٥).

---

(١)سورة النحل : ١٢٥

(٢)سورة طـه : ٤٤

(٣) أخرجه البخاري ــ التعبير ـ ٧٠١٣ ـ فتح الباري ١٢/ ٤٠١

(٤) أخرجه البخاري ـ الطب ــ ٥٧٦٧ ـ فتح الباري ١٠/ ٢٣٧وصحيح مسلم ٣/ ٤٠٧ ــ ٨٦٩

(٥) انظر"حيات طيبة"ص: ٣٨

وكان يعظ ويخطب كل يوم ثلاثاء وجمعة في المسجد الجامع الشهير في دهلي، ومن أثر خطبه أصبح الناس يجتمعون لصلاة الجمعة كاجتماعهم لصلاة العيد، وكانت خطبه جامعة يجد كل واحد فيها بغيته وتزول شبهاته، وأسلوبه كان سهلا يستفيد منه العالم والجاهل.

وقد تاب من أثر مواعظه آلاف الناس، ويمكن تصور مدى تأثير خطبه بما كان يحدث من التغير في المجتمع، بأن الناس الذين ذاقوا حلاوة الإيمان وعرفوا حقيقة الإسلام اعترفوا بأنهم أسلموا من جديد "بل كان يسلم كل يوم عشرة أو خمسة عشر رجلا من الهنادك والوثنيين ويستأنفون حياة جديدة ". (١) ورجع الناس إلى التزام أحكام الدين حتى كسدت أسواق بيع الخمور واعتذر أهل الحوانيت عن دفع الضرائب، (٢) ومن أجل خطبه الجذابة اهتدى كثيرون بعد أن كانوا من أشد الناس مخالفة له(٣) وله خطب رائعة ومؤثرة أمام الملك وفي قصره، تدل على جرأته، استطاع بها نصيحة الملك وإصلاح حاشيته(٤).وقد خطب مرة خطبة طويلة في رد عقائد الشيعة في بلد الشيعة "لكهنو" التي كانت تحت سلطانهم، فاستغرب بعض الشباب من الشيعة من جرأته وتسائلوا ؟ كيف يتجرأ هذا الرجل الضعيف على بيان الحق ويتستر أئمتنا بالكذب والتقية مع أن قواتهم حسب معتقدنا فوق التصور، وعرض أحدهم هذا السؤال أمام الحضور والجمهور على علمائهم، فلم يستطيعوا إقناعه، فأعلن براءته من التشيع وتبعه أناس كثير، وتكثر أمثال هذه المواقف الجريئة في حياة الشاه أسماعيل رحمه الله.

يقول عنه صاحب نزهة الخواطر بعد ما أثنى على بيانه وفصاحته ورجاحة عقله وخلقه....." فإذا جالسه منحرف الأخلاق، أومن له في المسائل الدينية بعض شقاق جاء من سحر بيانه بما يؤلف بين الماء والنار ويجمع بين الضب والنون * فلا يفارقه إلا وهو عنه راض"(٥)

---

(١) إذا هبت ريح الإيمان ص: ٤٦

(٢) المصدر السابق

(٣) انظر بعض الواقائع في ذلك فيمن ترجم له مثل" تراجم علماء أهل حديث هند ص/ ٧٧

(٤) انظر التفاصيل في " جماعت مجاهدين ص/ ١٢٠ و"حيات طيبة" ص: ٨٠

* - النون، الحوت، وذوالنون لقب يونس عليه السلام القاموس المحيط ص: ١٥٩٦

(٥) ٧/ ٥٧

التدريس:

التدريس وسيلة مهمة في نشر الكتاب والسنة، كما أنه يفيد في إنشاء جيل كامل من التلاميذ الذين يحملون العلم والأخلاق والدعوة إلى بلدانهم وأقوامهم .

وكان للشاه حظ وافر من التدريس، حيث كان لأسرته مدرسة يدرس فيها أعمامه، وكانوا قواد حركة علم الحديث في الهند، ويقصدهم الطلاب من أطراف الهند والسند وخراسان، فلما تخرج الشاه على أيديهم أصبح يدرس في المدرسة نفسها ولكنه لم يجد له فرصة كافية لانصرافه إلى الدعوة ولخروجه من دهلي في الجولات الدعوية المستمرة، ثم لهجرته لأجل الجهاد.

ولكنه إذا وجد فرصة للتدريس اشتغل به كما أنه كان يدرس " مشكاة المصابيح " لجميع المجاهدين في ثكنتهم بعد عصر كل يوم، زمن مرابطتهم لمجهادة السيخ(١) ودرس كتاب "حجة الله البالغة" في الحرم المكي خلال رحلته للحج(٢).

المناظرة:

اضطر الشاه مرارا إلى مناظرة خصومه وذلك تبعا للجو السائد بين أهل الهند، بحيث كانت تقام المناظرات لأتفه سبب ولأدني اختلاف.

وناظر مرة أحد كبار مجتهدي الشيعة في موضوع التقية وأثبت بأنه لا فرق بين النفاق وبين التقية فما استطاع الرد عليه (٣)

وناظر عبد الرحيم الفلسفي الذي تزندق بعد توغله في الفلسفة والعلوم العقلية وتأثر به جمع من الناس، وكان من الطبيعيين من ينكر الخالق ووجوده، فهزمه الشاه هزيمة منكرة حتى هرب من مكانه فهدى الله أتباعه بعد ما رأوا مصير رئيسهم(٤). كما أن له مناظرة تاريخية مع علماء دهلي في مسائل البدعة ورسوم الشرك مثل تقبيل القبر ونحوها التي أثاروها بعد تأليف كتابه "تقوية الإيمان"(٥)

---

(١) سيرت سيد أحمد شهيد ١/ ٧٦

(٢) موج كوثر ص: ٢٣

(٣) حيات سيد أحمد شهيد ص: ١٠٩ نقلا من تذكره شهيد ص: ١٢٠

(٤) سيرت سيد أحمد شهيدص: ١/ ٣٣٦

(٥) تقدم تفاصيلها ص: ٨٤

ومن الوسائل التي استخدمها، الجولات الدعوية مع السيد أحمد والشيخ عبد الحي، في أطراف دهلي لنشر التوحيد وإصلاح المجتمع(١). بمشورة من الشاه عبد العزيز (٢). وكان يكتب إلى تلاميذه في مختلف المناطق أن يقدموا لهم كل مساعدة.(٣)

وذهبوا في هذه الرحلات إلى أماكن عديدة منها مراد نغر، واله آباد، وبنارس، وميرته، وسرهند، ومظفر نغر، وديوبند، وغيرها من المناطق.(٤)

ولم يكن يتجاوز تجوالهم بضعة أيام إلا نادرا، فحدث انقلاب عظيم في نفوس الناس بسبب مواعظ الشاه إسماعيل وعبد الحي، وكان لشخصية السيد أحمد أثر كبير في قبول الدعوة، أثمرت هذه الجولات ثمارا طيبة، اهتدى آلاف الناس في كل مكان وتمسكوا بالسنة بعد ما تابوا من الشرك والبدع والمعاصي(٥).

يقول صاحب نزهة الخواطر: ..... وساح في البلاد والقرى سنتين فانتفع به خلق لايحصون بحد وعد "(٦)ويمشي إلى كل مكان يجتمع فيه الناس لنشر التوحيد، وكان يتردد على "المشهد المعروف للشيخ نظام الدين "ليحذر الناس من الشرك حتى تأثر الناس به وقل رواده فغضب من أجله السدنة وحاولوا قتله(٧).

---

(١) سركزشت مجاهدين ص: ١٢٩

(٢) سيد أحمد شهيد ص: ١٢٩

(٣) المصدر السابق

(٤) سيرة سيد أحمد شهيد (الباب الخامس والسادس)

(٥) ايضا ص: ١/ ١٨٢

(٦) انظر ٧/ ٥٦

(٧) تذكره شهيد ص: ١٠٧

المبحث الخامس: آثار دعوته في شبه القارة الهندية

النهضة التي قام بها الشاه والسيد أحمد كانت فريدة في نوعها وشمولها وتنظيمها في الهند، وقد أحدثت تغيرا عظيما في العقيدة والعمل والمعاملات بل في جميع شئون الحياة وما نرى اليوم من نشاط ديني وعلمي ويقظة إسلامية يرجع فضل ذلك كله بعد الله سبحانه إلى هذه الحركة، شهد بذلك أشهر علماء الهند ومؤرخوها قديما وحديثا ومما قالوا عن آثارها بأنها: " أول حركة إسلامية بدأت لتحقيق هدف إسلامي وليس هنا موضع تفصيل ما ترتب على هذه الحركة بيد أعضائها من نشر التوحيد والسنة والقضاء على البدعة وعادات الشرك، وبالإيجاز أن تراث الإيمان والعمل (قليلا كان أو كثيرا) الذي يوجد في شبه القارة الهندية، يرجع الفضل فيه إلى رجال الحق هؤلاء فانه إشعاع من علمهم وعملهم(١)

يقول الندوي: "ولم نعرف في هذه القرون الأخيرة في العالم الإسلامي حركة أكثر تنسيقا من هذه الحركة لإحياء السنة والجهاد وأعمق تأثيرا من الناحية السياسية والدينية ولا توجد في الهند حركة إصلاحية واجتماعية لم تتأثر بهذه الحركة وما نرى اليوم في الهند من الحياة الإسلامية و الإصلاح الديني واليقظة الإسلامية وأهمية الكيان الإسلامي ووزنهم السياسي، فانه قد تحقق وأمكن بهذا الجهاد الطويل(٢).

ويقول المؤرخ سليمان الندوى[٣] :" في القرن الثالث عشر كانت قوة المسلمين السياسية تنهار من جانب، ومن جانب آخر نشأت "الحركة التجديدية" من جهود الشاه إسماعيل والسيد أحمد، وفي نفس الوقت كان السيخ قد سيطروا على جميع بنجاب واستولى الإنجليز على بقية الهند وفي هذا الوقت الحرج دعا الشيخان إلى الجهاد فسمع دوي صوتهما من قمم "هما ليا "وسفوح نيبال إلى أطراف خليج بنغال، وكانت العيون تشاهد اجتماع الناس تحت علمهما من أنحاء الهند.......(٤)

---

(١) مجلة الجامعة السلفية، شهر ابريل ومايو ص: ٢٨٢ ١٩٨٠م

(٢) المصدر السابق

(٣) تقدمت ترجمته ص: ٧٥

(٤) كتبه السيد سليمان الندوي في مقدمة سيرت سيد أحمد شهيد ص: ٤٠

" وقام الإمامان بتنظيم الدعوة الإسلامية الشاملة وجولات متواصلة في ربوع الهند وبعث الدعاة و النواب في أطرافها الشاسعة حتى تقلبت الأرض ظهرا لبطن ودوت الآفاق وتقشعت سحائب البدع والضلالات وماجت الأرض بالموجة الإسلامية الكبرى(١).

" وكان الشيخ عبد الحي والشاه إسماعيل يخطبان في كل مكان، فاهتدى جموع من الناس واختاروا الحياة الإسلامية معرضين عن الحياة الجاهلية وهدمت مئات الحسينيات وتحولت إلى المساجد، وتعمرت المساجد بعد ما كانت مهجورة...(٢)

يقول السيد سليمان الندوي خلال كلامه عن آثار هذه الحركة .... "حركة أهل الحديث الحالية في الحقيقة ليست قدم بل هي أثر قدم، فان النهضة التي انتهض بها الشيخ إسماعيل الشهيد لم تكن محصورة في بعض المسائل الفقهية بل كانت مشتملة على التعليمات الأساسية من الإمامة الكبرى والتوحيد الخالص واتباع السنة النبوية، ولكن للأسف راح الفيضان وما بقي منه خط بسيط من مائه. و الآثار التي ترتبت بتلك الحركة نافعة ومفيدة، وبها تم استئصال كثير من البدع وتبلورت حقيقة التوحيد وبدأ دور جديد لتعليم القرآن وفهمه وتوطدت صلتنا المباشرة بالقرآن الكريم ونجحت جهود تعليم الحديث وتدريسه وتأليفه ونشره، ويمكن الادعاء بأن الهند وحدها نالت هذا الشرف في جميع العالم الإسلامي في هذا العصرمن أجل هذه الحركة، وحررت مسائل الفقه الكثيرة وانتعشت عاطفة جياشة لاتباع النبي صلى الله عليه وسلم إلى مدة مديدة بعد فقدانها... ومن آثار هذه الحركة الشاملة أن عاطفة الجهاد الذي انطفأت شعلته في مجمر الإسلام تأججت مرة أخرى حتى انقضى العهد الذي اعتبر فيه لفظ الوهابي والثائر كلمتان مترادفتان، فضربت أعناق الكثير وصلب الكثير على المشانق وأجلى الكثير مكبلين بالسلاسل في البحر* وحبسوا في مقصورات مظلمة ....، ومن فوائد هذه الحركة أن زال الصدأ المجتمع من أزمان طويلة وبطل الزعم أن باب التحقيق مغلق وطريق الاجتهاد

---

(١) مجلة الجامعة السلفية شهر ابريل ومايو ١٩٨٠ م تحت عنوان (دور الامامين الشهيدين السيد أحمد بن عرفان والشاه إسماعيل)

(٢) سيرت سيد أحمد شهيد ١/ ٣٠٨

* - يمكن الاطلاع على بعض تلك الاحوال القاسية بما كتبه محمد جعفر تهانيسري في كتابه المعروف" كالا باني" أي المياه السود،بعد ما رجع من المنفى في الجزر في بحر الهند، وكان مكثه فيها ثماني عشرة سنة .

مسدود فتوجه الناس إلى التفتيش والتنقيب وتعودوا على الاستدلال من الكتاب والسنة وتخلص الناس من كدورة القيل والقال إلى منبع الهداية الصافي...."(١) وكلامه هذا يدل على:

١-أن حركة أهل الحديث في الهند بدأها الشاه إسماعيل وقادها إلى الأمام.

٢-وما أنجزت من الخدمات الدينية والإصلاحات الملية يرجع الفضل في جميعها إلى هذه الحركة التي بدأها الشاه إسماعيل. وبها سبقت الهند على العالم الإسلامي.

٣-وأنها شقت طريقها إلى الجهاد وأحيت سنة الجهاد بعد أن كانت مهجورة من قرون.

٤-ومن ثمراتها أن علماء الحديث قاموا بالتعليم والتدريس والتصنيف. وأحدثوا تغيرا عظيما في الأفكار، أصبحوا يرجعون إلى الكتاب والسنة في صغير وكبير وفكوا أنفسهم من قيود التقليد الجامد وتحرروا من أغلال آراء الرجال التي تشبثوا بها حقبة من الزمن(٢)

ولاشك أن الشاه ولي الله قد جاء بمعارف ابن تيمية وآراءه إلى الهند وبدأ يدعو الناس رويدا رويدا إلى تحكيم الكتاب والسنة في العقائد والأعمال ونبذ غيرهما من العلوم المحدثة وترك تقليد الآباء والأجداد، واختيار طريقة فقهاء المحدثين في الأصول والفروع وسار على نهجه أبناءه وتقدم الشاه إسماعيل خطوة إلى الإمام " وطبق في حياته ما كتبه جده وأعمامه في مؤلفاتهم فتميزت صفوف أهل الحديث في الهند بالاعتصام بالكتاب والسنة عن غيرهم من طوائف المسلمين وتقدمت حركة إحياء السنة إلى الإمام مع تمييز الصف وتوضيح المنهج وتحديد المسار"(٣)

فكان يتبع مسلك أهل الحديث ويدعو الناس إليه، فازدهرت هذه الحركة بجهوده، ثم انتشرت في سائر البلاد إما بمساعيه الجميلة أو بمساعي الذين استفادوا منه مباشرة، أو غير مباشرة، ولذلك يرجع فضل بدأ هذه الحركة إليه رحمه الله رحمة واسعة (٤).

يقول الشيخ مناظر أحسن جيلاني عن حركة أهل الحديث: " أيا كانت هذه الحركة في ذاتها لكن لابد من الاعتراف بان اتجاه المسلمين الهنود قد تحول إلى منبع الدين الأساسي(

---

(١) مقدمة تراجم علماء أهل حديث هند لأبي يحيى امام خان .

(٢) أهل حديث اور سياست ص: ٤٨

(٣) دعوة شيخ الإسلام ابن تيمية وأثرها في الحركات الإسلامية المعاصرة ص: ٧٨

(٤) أهل حديث اور سياست ص: ٤٤

الكتاب والسنة) بسبب حركة أهل الحديث (غير المقلدين) لاريب أن عامة الناس لم يتركوا التقليد ولكن اختفى التقليد الجامد الأعمى(١)

ويقول صاحب موج كوثر: " الشاه إسماعيل كان أقرب إلى أهل الحديث " الوهابيين" من جده... وكثير من أتباعالشاه إسماعيل اطلعوا فيما بعد على علماء نجد واليمن فاتبعوهم فعرفوا بأهل الحديث، والوهابي، وغير المقلد....وإن أهل الحديث امتازوا عن غيرهم بثلاثة أشياء،

١- بنشر الحديث، فأنشئوا مدارس عديدة، ونظموا دروس علماء الحديث،

٢- بمخالفة المسيحية، وآرية،(٢) والشيعة، والمرزائية(٣)، فألفوا في الرد عليها مئات الرسائل والكتب، وخاضوا لأجلها مئات المناظرات،

٣- بمخالفة الشرك والبدع."(٤)

وهل بقي بعده أمر لم يقوموا به؟؟؟

إحياء فريضة الحج:

كانت فريضة الحج معطلة منذ زمن في أرض الهند لما أفتى العلماء بسقوطها، استنادا إلى بعض الأقوال الشاذة، بأن السفر في البحر معرض للخطر والهلاك فلا يتم شرط من شروط وجوب الحج.

أنكر الشاه هذه الفتوى إنكارا شديدا ووافقه في ذلك الشاه عبد العزيز والشيخ عبد الحي، ثم عزم الشاه مع الأمير السيد أحمد على أداء الحج مع جماعة من المتبعين ليبطلوا مزاعمهم،

---

(١) مجلة البرهان الشهرية أغسطس ١٩٥٨ نقلا من مجلة الجامعة السلفية ابريل ومايو ١٩٨٠

(٢) وهي طائفة من كفار الهند المتمسكين "بالويد" الكتاب المقدس لدي الهندوس، رفضوا عبادة الأوثان وأقروا بتوحيد الخالق، ولكنهم ذهبوا إلى نفي الصفات وقدم العالم وإنكار الرسالة وإثبات التناسخ وهم أكبر أعداء الإسلام في الهند. انظر الثقافة الإسلامية في الهند ص: ٢٢٩

(٣)وهي" القاديانية "فانما سميت " المرزائية " نسبة الى اسم مؤسسها وهو مرزا غلام أحمد القادياني ت١٩٠٨م

(٤) انظر ص/ ٦٤ وهذا اعتراف صريح يدل على مدى جهودهم في الهند ويرجع فضل ذلك الى الشاه إسماعيل رحمه الله لأنه أول من سبق الى هذا وأنار الطريق لمن بعده وترك خلفائه .

فذهبوا بقافلة كبيرة، ووصلوا سالمين ورجعوا من الحج غانمين، وبهذا استطاعوا إحياء تلك الفريضة.(١)

إحياء سنة زواج الأرامل:

من العادات السيئة التي تسربت إلى المسلمين لمعايشتهم الهنادكة، الحذر من نكاح الأرامل واستقباحه، وكان المجتمع لم يكن يتحمل نكاحهن ويعتبره مسبة وعارا، وخوفا من تلك الوصمة والعار كانت النساء يجتنبن النكاح الثاني أشد الاجتناب مع حاجتهن الشديدة إليه،و لم يكن الشاه ليشاهد هذه البدعة السيئة ويسكت عليها فقد نبه الناس عليها ومنع من هذه العادة القبيحة ودعاهم إلى نكاحهن، ولكن لاتحيا سنة بعد موتها وتمكنها في جذور القلوب بمجرد المواعظ والدعوة والإرشاد، بل لم تكن تخف شناعتها إلا بالإقدام عليه عمليا من شخص مسموع الصوت مرهوب الجانب يقدر قدره وتمتثل أوامره وتطمح إليه الأنظار ويشار إليه بالبنان.

فاختار الله الأمير السيد أحمد أن يحي هذه السنة في "راي بريلي" * فتزوج من زوجة أخيه المتوفى بعد محاولة شديدة في إرضاءها وإرضاء أسرته لهذا الزواج(٢)

أما في دهلي فلم تكن أسرة أعظم قدرا وأنوه شأنا وأكثر اتباعا من أسرة ولي الله الدهلوي فأصبح الشاه ينكر ويشنع على هذه العادة السيئة في خطبه، ومؤلفاته، و لم يكتف بهذا بل تجرأ على أن يطبقها في بيته وأقنع أخته البالغة من العمر خمسين سنة للزواج، فزوجها بالشيخ عبد الحي، صهر الشاه عبد العزيز وزميله في الدعوة، وهي في الحقيقة لم تكن في حاجة إلى نكاح ولكن حب إحياء السنة دفعه إلى تزويجها فأنكر الناس والمجتمع هذا لنكاح وهجاه الشعراء في أشعار بذيئة يقول الكاتب الشهير مهر: "فان الحياء والغيرة تمنعان أن أورد نموذجا من تلك الأبيات لفحشها وبذاءتها".(٣)

---

(١) انظر سيد أحمد شهيد ص: ١٧٥

* ـ مدينة تبعد من لكهنو ثماني وأربعين ميلا في جهة الشرق انظر " معجم الأمكنة التي لها ذكر في نزهة الخواطر ص: ٢٩

(٢) سيرت سيد أحمد شهيد ١/ ٢٤٧

(٣) سيد أحمد شهيد ١٤٧

وذكر فصلا في كتابه باسم " رد بدعات الرسوم" بين فيه غالب الرسوم البدعية المنتشرة في المجتمع وعد منها " امتناع النساء من النكاح الثاني " وحث على إحياء هذه السنة وأورد فيها أدلة من السنة وسير الصحابيات رضي الله عنهن.(١)

ويظهر من جميع التفاصيل التي قدمنا أن دعوته وجهوده قد أثرت على المجتمع أثرا بالغا وتركت آثارها مدة مديدة، وقد حث الناس على حب التوحيد والتمسك بالسنة ولذا عرفوا أتباعه فيما بعد بالتمسك بالسنة، فعاد إلى الإسلام رونقه وبهاءه واهتدى كثير من الناس، وانتشر التوحيد ورجع الناس إلى الكتاب والسنة من جديد وتركوا تقاليد الرجال والآباء والأجداد وقامت حلقات المحدثين ومدارسهم وكسدت أسواق الشرك والبدع، ولاتعد السنن التي أحياها والبدع التي أماتها وقضى حياته كلها في الدعوة إلى الله وإلى الدين الخالص.(٢)

---

(١) انظر "رد الاشراك" وشرحه "تذكير الاخوان" ص: ١١٨

(٢) تاريخ أهل حديث ص: ٤٢٠

المبحث السادس : عقبات في طريق دعوته

فصلت القول فيما تقدم عن الإسلام وأهله في الهند بأنه كان خليطا مركبا من التصوف الهندي في العقائد والأعمال، والعلماء لم يكونوا يرون الإسلام غير الفقه الحنفي المأخوذ من كتب المتأخرين، ولايدرس الكتاب والسنة إلا للتبرك أو لإبرار القسم، وأول من كسر هذا الجمود وخرج على هذه العادة ودعا إلى الرجوع إلى الكتاب والسنة هو الشاه ولي الله الدهلوى وأبناءه وعلى رأسهم الشاه إسماعيل.

فلم يرض به المتصوفة المنحرفون، ولا المبتدعة المتعصبون لبدعهم ولا المقلدون الجامدون الذين لا يرون الكتاب والسنة شيئا إزاء قول من يقلدونه ولا سدنة القبور الآكلين أموال الناس بالباطل فشمروا عن ساق الجد لمخالفته ومعاندته ورميه بكل اتهام يحلو لهم، وبكل طعن تستعذبه أذهانهم، وبكل طامة يخيل إليهم شيطانهم بأنها تنفر الناس عن دعوته وتبعدهم، وليس بمستغرب فانه ديدن كل ضال ومضل قديما وحديثا فكيف ينجو منه علماء الحق ودعاته و لم ينجو منه الأنبياء والرسل فهي سنة الله في عباده ﴿ وكذلك جعلنا لكل نبي عدوا شياطين الإنس والجن يوحي بعضهم إلى بعض زخرف القول غرورا ولو شاء ربك ما فعلوه فذرهم وما يفترون﴾(١)

فقد اتهم هو بأنواع التهم واتهم أتباعه بالوهابية لتشابههم معهم في الدعوة لتطهير المجتمع الإسلامي من البدع والخرافات(٢)

مدلول كلمة "الوهابي":

تعود أهل البدع في كل مكان بوصم القائمين بالسنة" بالوهابية" بعد ظهور دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب، وكلمة "الوهابية" تحمل في طياتها بحرا زخارا من المعاني، فإنها تعني أن صاحبه أكفر إنسان في وجه الأرض، وأسوء الناس خلقا، وأبغض الناس للأنبياء والأولياء والشهداء والائمة، لايعرف احترام الكتاب والسنة، ولايكرم علماء الدين ولايؤمن با لله ورسوله بل هو زنديق ملحد أخبث من الكفار، يحرم دخوله المساجد، وتحرم كل معاملة معه من البيع

---

(١)سورة الأنعام / ١١٢

(٢) انظر نزهة الخواطر ٧/ ٣١ وكفاح المسلمين في تحرير الهند ٣١

والشراء والنكاح ونحوها، وقتله حسنة كبيرة، وعمل صالح فكل معني من معاني الخبث والشر انطوى تحت مدلول كلمة "الوهابي"(١)

ومن جراء هذه الكلمة التي يوصم بها أهل السنة، قامت ضد الشاه إسماعيل وأصحابه المجاهدين، القبائل الأفغانية تنافقهم بل تقاتلهم، فلم يجدوا راحة برهة من الزمن، في أراضيها، وكانوا في حروب طاحنة مع السيخ الكفرة الظلمة أصحاب الشوكة والسلطة من جانب، ومن جانب آخر كانوا في ضيق وحرج وخداع دائم ونفاق مستمر من جهة هؤلاء الأفغان، و لم يتخذ المجاهدون أراضيهم ملجأ، وثكنة لهم، ومركزا لبداية الجهاد، إلا لثقتهم فيهم، يرجون منهم التعاون على الخير، ولكنهم كانوا يتولون الكفار والسيخ، وينافقون المجاهدين و يكرهونهم، وإذا وجدوا فرصة انحازوا إلى الكفار و لم يألوا جهدا في إضرار المجاهدين، حتى تمالئوا يوما بعد ما أخذ المجاهدون مقاليد الحكم وأجروا الأحكام الشرعية وطبقوا الشريعة، ووضعوا السيف فيهم، وقتلوهم قتلا ذريعا ينـدى لـه جبين المروءة والإنسانية، هدموا عليهم المساجد عندما لجئوا إليها و" قد قتل الحاج بهادر شاه خان في الصلاة ساجدا (٢)

وقد اتهم الشاه وأتباعه بمذهب الخوارج والاعتزال (٣) والرفض(٤) ولا يحصى عدد الذين كفروه وأخرجوه من الملة وكفروا كل من يقرأ كتابه " تقوية الإيمان" أو يملكه(٥) وإن قراءة تقوية الإيمان أشد حرمة من الزنى وشرب الخمر(٦)

" وجميع الاتهامات الباطلة و الافتراءات الكاذبة والقبائح المزعومة التي أعدت في قرون لأهل نجد نقلت برمتها إلى الشاه إسماعيل وأتباعه "(٧)

---

(١) انظر دعايات مكثفة ضد الشيخ محمد بن عبد الوهاب(١٥) والبريلوية ص: ١٨١

(٢) انظر "سركزشت مجاهدين" ٤٤٣ـ ٤٤٨ و " اذا هبت ريح الإيمان" ١٦٨ـ ١٧٤

(٣) تاريخ أهل حديث : ٤٢٠

(٤) كما قال به عبيد الله سندهي من كبار الديوبنديين : إن العوام قد عُلّموا وأرسخ في أذهانهم بأن من دعا إلى ترك الفقه الحنفي والتصوف الهندي فهو شيعي ولذلك كانوا ينبزون لكل من دعا إليه بأنه رافضي صغير" انظر كتابه "شاه ولي الله اور انكي سياسي تحريك" ص/٩٧

(٥) انظر مطرق الحديد ... ص: ٧٢ والبريلوية : ١٦١

(٦) البريلوية ص: ١٦٨

(٧) انظر "سركزشت مجاهدين " : ٤٣٢

ويقول العالم الحنفي الديوبندي " ولا أحد طُعن وشُتم وسُب مثل ما طُعن وشُتم الشاه إسماعيل، بل لو جمعت نسخة من كل كتاب كفر فيه ورمي بالفسق والعداوة لله ورسوله لأصبحت مكتبة ضخمة(١)

يقول الندوي: ... إضافة إلى فضائله الكريمة وشيمه الحميدة، استشهاده مسلّم، ومغفرة الشهداء مسلّمة، ولكن لم تطلع شمس من ٢٤/ ذي قعدة ١٢٤٦هـ إلى يومنا هذا ما يقارب مدة مائة وست وثلاثين سنة (١٣٦) إلا وصدرت فتاوى في تضليله وتكفيره، واستخدم في حقه كل صيغة من صيغ اللعن والطعن والسب والشتم والفحش، ولم يهمل دليل من أدلة الفقه إلا وقد استدل به في تكفيره، وجعل أعدى عدوا للدين من أبي جهل وأبي لهب، وأشد مروقا من الدين من مروق المرتدين والخوارج، وأحق بالنار من فرعون وهامان، كما اتهم بأنه مؤسس الكفر والضلالة، وطعن بأنه تلميذ للشيخ النجدي ومقلده، تفوه بهذه الألقاب أولئك الذين لم تشك شوكة في أجسامهم الناعمة، ولم يصب أقدامهم شص في سبيل الله، ولم تقطر منهم قطرة عرق في خدمة الإسلام، فضلا عن قطرة دم، ونطق بها أناس في الشخص الذي قد ضحى بحياته في حماية كرامة أمهاتهم وبناتهم وأخواتهم، وأعراضهن ... .(٢)

(١) انظر مجلة " الفرقان الشهرية" ـ مايو ـ ص: ١٧١ ـ ١٩٨٩م

(٢) سيرة سيد أحمد شهيد ٢/ ٤٥٢

الفصل الخامس: جهاده بالسيف

ويشتمل على أربعة مباحث:

المبحث الأول: الأسباب الداعية إلى الجهاد بالسيف

المبحث الثاني: الهجرة لإقامة الجهاد

المبحث الثالث: جهود الشاه في إقامة أمير شرعي للجهاد

المبحث الرابع: استشهاد المجاهدين

تمهيد

الحرب بين الحق والباطل وبين الإسلام وأهله والكفر وأهله قائمة منذ أرسـل الله عزوجـل نوحا عليه السلام، ولم يأت نبي ولا رسول إلا وقد وجد له أعداء يخالفونه ويعارضونه كما قال الله ﴿ وكذلك جعلنا لكل نبي عدوا شياطين الإنس والجـن يوحـي بعضهـم إلى بعـض زخـرف القول غرورا﴾(١)

وكل من قام بالدعوة إلى الله وأبطل الشرك والبدع ودعا إلى نبذ العادات الجاهلية والتقاليد الفاسدة، جوبه من أهله بحرب شعواء ضده يناضلونه بالسان والسنان ولذلـك شـرع الجهـاد في سبيل الله وجعل فيه مثوبة كثيرة وله منزلة عظيمة، فإنه فريضـة فرضهـا الله علـى المسـلمين إلى يوم القيامة. دفاعـا عـن دينهـم وإيمـانهم وحفاظـا علـى عقيدتهـم وأراضيهـم وحمايـة لأنفسـهم وأموالهم وأعراضهم .

---

(١)سورة الانعام / ١١٢

المبحث الأول: الأسباب الداعية إلى الجهاد بالسيف واعتراضات المعاندين عليه

المطلب الأول: الأسباب الداعية إلى الجهاد بالسيف

كان المسلمون في الهند يمرون بأحرج أدوار التاريخ وأظلمها، فمن الناحية السياسية دب الخلاف بين الأسرة الحاكمة لأجل السلطة وضعف الملك فاستقل الأمراء بما في أيديهم من الولايات، فانهارت دولة المسلمين وقوتهم واستولى الإنجليز الكفار على مناطق واسعة وسيطر السيخ الظلمة الكفار على بنجاب وكشمير إلى حدود أفغانستان، وهي مناطق المسلمين فأذاقوهم أشد أنواع العذاب، ولم يكن من أمراء القطاعات من يتحرك لنصرتهم ويقوم لإغاثتهم(١) فلما رأى ذلك الشاه عبد العزيز أفتى بوجوب الجهاد، فتكونت بإرشاده وتعليماته أول حركة جهادية في تاريخ الهند قادها العالمان الجليلان الإمام السيد أحمد والعلامة الشيخ الشاه محمد إسماعيل الشهيد بن عبد الغني بن الشاه ولي الله الدهلوي رحمهم الله (٢)

وخالفت جماعات دعوتهم وجهادهم واتهموهم بعدة تهم منها محاولة تشويه صورة الجهاد الذي قام به الإمامان، وقد أجاب الشاه رحمه الله عن جميع تلك الشبهات في مكاتباته.

ومما اتهم الشاه إسماعيل وأصحابه بأنهم كانوا يقصدون غزو السيخ فقط دون الاستعمار الإنجليزي، وهذا كذب بحت يدل عليه كتاب أميرهم إلى ملك بخارا، وفيه :إذا استولى الكفار على البلاد الإسلامية يجب على المسلمين عموما وعلى مشاهير الحكام خصوصا أن يبذلوا قصارى جهدهم لاسترداد تلك البلاد الإسلامية من أيديهم وإلا يأثم المسلمون جميعا. (٣)

ولا شك ان الشاه وأميره السيد أحمد والمجاهدون قاموا بأمر عظيم مع قلة الوسائل وكثرة المشاكل والأعداء، بعد ما رأوا أن الجهاد قد فرض عليهم ولم يكن يرجى من أحد من الأمراء والرؤساء والمشايخ من يقوم به، فمن يرضى أن يترك عيشا رغيدا، وفراشا وثيرا، وأهلا ودودا، وأولادا عزيزة، يواجه الأعداء المسيطرين على أراضي شاسعة الممتلكين جيوشا جرارة وأسلحة هائلة، لا شك انه الإيمان العميق بالله عزوجل وحب الجهاد المتمكن في أعماق قلوبهم دفعهم

---

(١) انظر التفاصيل ص: ٣٢

(٢) الامام المجدد المحدث الشاه ولي الله حياته ودعوته ص: ٢٧١

(٣) مجموعة مكاتيب شاه إسماعيل مخطوط ص/ ٥٥ نقلا من سيد أحمد شهيد ٢٣٩

إلى هذه المهمة العظمى، و لم يقدموا على هذه المسئولية العظيمة والفرض الباهظ إلا إبراء لذمتهم وإقامة للحجة، واستعدوا للهجرة والجهاد حبا لكتاب ا لله وسنة رسوله ورغبة في نشر دينه وإعلاء كلمته وتحملوا في سبيله هموما وغموما لو صبت على الأيام لصرن لياليا، فعاشوا حياة الفقر والبؤس والجوع بين نفاق المسلمين وخداعهم وبين ضراوة الكفار وعداوتهم حتى استشهد كثير منهم في معركة بالاكوت، و لم ينج منها إلا نزر يسير، جزاهم ا لله عنا خير الجزاء.

المطلب الثاني: جهود ا لشاه في دحض الشبهات حول دعوة الجهاد وتعيين الأمير

وقد أوردوا شبهات عديدة في حياة قادة هذه الحركة وبعد موتهم .

منها: أن الجهاد فرض كفاية إذا قامت به طائفة يسقط عن الباقين، وكانت هذه حيلة تشبثوا به لهوى في نفوسهم وإلا لم تكن هناك جماعة ولا قوة تدافع عن الدين والمسلمين بل كانت البلاد الإسلامية تتساقط في أيدي المستعمرين واحدة تلو الأخرى، فكيف تخذل هؤلاء وعددهم قليل وعدتهم يسيرة أمام أعداء كثر أصحاب شوكة وقوة.

ولما وصلت هذه الشبهات والاعتراضات إلى الشاه إسماعيل دحضها في كتاب طويل من أرض الجهاد وكان مشغولا في المعارك ومما قال فيه:

"فطلبتني أن أجيب عن جميع هذه الشبهات ولاشك أن التأليف في مثل هذه القضايا قسم من الجهاد ولكن هذا الضعيف وجميع الحاضرين في هذا المكان مشغولون في أمر لا مجال فيه للخطبة والتأليف فحالنا مثل الرجل المشغول في صلاته فان تعليم مسائل الصلاة واجب ولكن اشتغاله بالصلاة يمنعه عنه، فمن رأى حال المجاهدين أيقن بأن مسلكهم ليس "قيل وقال وبحث وجدال" فطريق الأول طريق العلماء(١)وطريق الثاني طريق المجاهدين، شتان بينهما، ولكن أوجز لك بعض المسائل.

١- لاشك في انعقاد بيعة أمير المؤمنين من جهة الحديث والكلام والفقه.

٢- فما ينسب إلى الأمير والمجاهدين من القبائح ليس فيها شيء من الصدق.

٣- ما يتهم به المجاهدون باطل، وعلى تقدير تسليمه فلا تقدح في إمامة إمام، عيوب أتباعه، كما أن فساد أفراد الامة لايضر نبوة نبي.

---

(١) لاشك هذا ليس على عمومه بل علماء عصره الذين كانوا معاندين له .

٤- وما يوجه إلى الأمير من الطعن فلا يقدح في ثبوت إمامته لأن ثبوت مراتب الولاية ليست من شروط الإمامة حتى الفسق والظلم لايكون سببا في زوال الإمامة بعد ثبوتها.

أولا: إن ما ذكرت أن القوة مثل قوة الكفار مطلوبة للقتال فهذا ممنوع بل المطلوب السعي في تحصيل معنى الشوكة حسب الاستطاعة سواء حصلت شوكة مماثلة بالكفار أم لم تحصل، لأن الله عزوجل يقول:﴿وأعدوا لهم ما استطعتم﴾(١) ولم يأمر "وأعدوا لهم مثل ما أعدوا لكم".

ثانيا: أنه لا يعني بالشوكة أن تودع في جسم الإمام قوة غيبية غير طبيعية يشتت بها دولة الأعداء متى ما أراد ويهزم جميع الجيوش والعساكر وحده، بل معناه أن يجتمع معه جماعة من المناصرين والمؤيدين يستطيع بهم مدافعة المخالفين بالعقل الظاهر.... .

ثالثا: أنه لايقصد بالمماثلة في الشوكة، شوكة جميع المخالفين من الكفرة في الشرق والغرب وإلا لايثبت إمامة أحد من السابقين واللاحقين، بل المطلوب شوكة مماثلة بالكفار الذين هم في المواجهة بالفعل.

رابعا: سلمنا أن حصول الشوكة العظيمة مطلوب لإقامة الجهاد ولكن السؤال عن طريق حصول الشوكة؟ أتحصل الشوكة بأن يظهر شخص من بطن أمه مع الجنود والعساكر وجميع آلات الحرب أو بمجرد قصده الجهاد يهيأ له من الغيب جميع الجنود والعساكر وآلات الحرب، هذا لم يقع ولن يقع، بل طريقته أن يسعى المسلمون سعيا حثيثا لحصول الشوكة لإمامهم ووجوب هذا كوجوب نصب الإمام، والمداهنة فيه معصية.

ويكتب في آخر هذه الرسالة بحزن عميق على أحوال المسلمين ومعاملتهم بهم "سبحان الله أهذا هو حق الإسلام بأن يرى استأصال ركنه الأعظم، والشخص الذي جاش صدره له حمية للدين وغيرة عليه مع ضعفه وعجزه أن يتخذ هدفا للطعن واللوم أهؤلاء القوم من النصارى، أومن اليهود، أو من المجوس أو من الهنادكة فيعادوا الملة المحمدية بل كان من مقتضى المحمدية أن تتفتح قلوب المسلمين مثل الزهرة بمجرد سماع اسم الجهاد، مثل السلف الصالحين الذين إذا قرع آذانهم نداء الجهاد من الأراضي النائية كانوا يلبونه مسرعين غير متأنين في الصحراء والجبال بل

---

(١) سورة الأنفال /٦٠

كانوا يطيرون إليه مثل الصقور ولكن الأسف قد انحطّت درجة الجهاد مع عظم شأنه مـن تعلـم وتعليم مسائل الحيض والنفاس"(١)

(١) مجموعة مكاتيب شاه إسماعيل مخطوط بالفارسيةص: ٧٤-٧٨

المبحث الثاني: الهجرة لإقامة الجهاد

المطلب الأول : الهجرة

بعد عزمهم على الجهاد بالسيف، فلم يروا مأوى جديرا لهذه الفريضة إلا مناطق القبائل الحرة القاطنة على الحدود بين بنجاب وبين أفغانستان، لأن الهند كانت بأيدي الكفار أو بأيدي الاستعمار البريطاني، وأما أمراء المسلمين ونوابهم وإن كانوا يتمتعون بنوع من الحرية ولكن كانوا ألعوبة في أيدي الاستعمار لايتحرك ساكن في سلطتهم إلا بإذنهم.

وهذه المنطقة لم تخضع في تاريخها لأحد، وقد عجز الاستعمار البريطاني أن يقهرها بعد بذل كل ما يملك من عدد وعدة، وكانت طبيعتها الجغرافية تلائم لعمليات القتال، لكثرة مافيها من الجبال والهضاب والوديان والأنهار والأشجار.

وكان أهلها مسلمين معروفين بالفروسية والبطولة والبسالة وبحب القتال والغزو وكان لهم تاريخ مجيد في الهند.

فاقترح بعض أهالي تلك المنطقة الهجرة إليها واتخاذها مركزا للجهاد فقبل ذلك الاقتراح وخرجوا من بلادهم مهاجرين يوم الاثنين ٧/جمادي الآخرة ١٢٤١هـ الموافق ١٧ /يناير ١٨٢٦م تاركين أهلهم وعيالهم وأوطانهم وكانت هذه أول قافلة تحت إمارة السيد أحمد، مكونة من خمسمائة إلى ستمائة مجاهد من كبار العلماء والوجهاء والصلحاء، فلما وزع الجيش في جماعات كان الشاه إسماعيل في المقدمة يقودها.(١)

المطلب الثاني: مشاكل الهجرة

سلكوا طريق السند وبلوجستان مجاوزين ممر " بولان"* ليدخلوا أفغانستان مارين بقندهار وغزني وكابل ومن ثم يعودوا عن طريق جلال آباد إلى الحدود الشمالية الغربية، وقد قطعوا في هذا السفر الشاق المضني ما يقارب أربعة آلاف كيلومتر .(٢)

وقد تحملوا في ذلك مشاكل ومصاعب كثيرة عرضت لهم الصحارى القاحلة الشاسعة، وطرق جبلية وعرة، وأودية ملتوية، وجبال شاهقة ملساء، وغابات مهلكة، مع قلة الزاد والماء،

---

(١) انظر سيد أحمد شهيد ص: ٢٧٥

* – ممر في بلوشستان غربي باكستان، طوله ٩٦كم، مجاز تاريخي للفاتحين في حملاتهم على الهند.

(٢) الشاه ولي الله الدهولي حياته ودعوته ص: ٢٢٨

وشدة الحر اللافح، والشمس المحرقة، وواجهوا في هذا السفر المتواصل المضني قطاع الطرق وأقواما عديدة في لغات غريبة، وقطعوا مسافة السفر في جو من المخاوف والمخاطر ومع ذلك لم تُثّبط هؤلاء المؤمنين الصادقين والمجاهدين الربانيين الماشين على أقدامهم، ونزر يسير منهم كان يملك مايركبه، فقطعوا مسافة السفر صابرين محتسبين مؤثرين على أنفسهم غيرهم من المجاهدين وقد ضربوا في ذلك أروع الأمثلة يقل وجودها في تاريخ الهند.

واستغرق هذا السفر حوالي عشرة أشهر حتى وضعوا عصاهم في بشاور عاصمة الحدود الشمالية الغربية، ثم نزلوا في نوشهرة في ١٨/ جمادى الآخرة ١٢٤٤هـ (١٨/ ديسمبر ١٨٢٦م) وكان عددهم ألف وخمسمائة مجاهد.

المبحث الثالث : جهود الشاه في إقامة أمير شرعي للجهاد

المطلب الأول: أحوال سرحد وأفغانستان

لقد كان أهل هذه المنطقة مع شهرتهم في الشجاعة والفروسية وحبهم للإسلام الموروث والمسلمين، متمزقين ومتفرقين فيما بينهم أشد ما يكون هذا التفرق .

و لم تكن هناك دولة ولاسلطان قوي بل كلهم كانوا متفرقين في القبائل والعشائر و لم يكن يحكمهم إلا رئيس القبيلة وتنشب الحروب الدامية فيما بينهم لأتفه سبب ولأدنى خلاف وكانوا يقاتلون بضراوة شديدة في نصرة قبيلتهم ضد الأخرى كأنهم ليسوا مسلمين ويستبيحون دماء وأموال وأعراض بعضهم بعضا، و لم تكن تطلع شمس في يوم إلا وتقوم فيه حرب جديدة.

ولما وصل المجاهدون واجهوا هذه المشكلة فسعوا سعيا حثيثا بكل جد و إخلاص في جمع كلمتهم ورفع خلافاتهم وإصلاح البين فيما بينهم ولكن لم يكتب لهم النجاح، وأصبح بعض الرؤساء أعداء لهم بعد ما استضافوهم ورحبوا بهم ووعدوا بنصرتهم ومساعدتهم بالأموال والأسلحة والأنفس، لأن المجاهدين لم يتمركزوا في أرضهم و لم يتخذوها منطلق الدعوة والجهاد.

ولايغيب عن البال أن القبائل الأفغانية ورؤساء هم لم يكونوا يرغبون في دعوة المجاهدين وجهادهم بل كان همهم الأكبر والأهم المصالح الدنيوية الدنيئة والأغراض السياسية، فإذا رأوا في الجهاد مع المجاهدين تحقيق مصالحهم، جعلوا أنفسهم في صف المجاهدين واشتركو معهم في الجهاد والقتال، وينقشعون كالسحب أمام الشمس بأدنى سبب يخوفهم ويهدد مصالحهم، بل كانوا ينافقون المجاهدين ويخذلونهم في أحرج المواقع بمؤامرة مع الأعداء والكفرة، والكفار كانوا يدركون طبيعتهم وحقيقتهم فيسترضونهم بأتفه مال على قتل المسلمين وخداعهم.

ووقعت معارك ضارية بين المجاهدين وغيرهم، يبلغ عدد المعارك التي خاض فيها الشاه ضد السيخ وضد رؤساء الأفغان (ثلاث عشرة معركة) وقد أبلي فيها الشاه بلاء حسنا، و مثل المجاهدون أروع أمثلة من الصبر والجلد والإيثار وحب الشهادة، وتحملوا مصاعب عظيمة. رحمهم الله .

المطلب الثاني: جهوده في أخذ بيعة الجهاد

في أول معركة وقعت(١٢٤٢ هـ ـ ١٨٢٦ م) رأى المجاهدون أن من اشترك معهم من الأفغان لايعرف طاعة الأمير ولا آداب الجهاد ولا يهمهم إلا المال ويتركون ساحة القتال لأدنى انتصار ينهبون الغنائم، فحاولوا جمعهم تحت قيادة واحدة وفكروا في أخذ بيعة الجهاد من العلماء والمشايخ والأمراء وغيرهم التي تربطهم بالطاعة والوفاء وتستثير غيرتهم الإيمانية، ولقد كان للشاه دور مهم في الدعوة إلى هذه البيعة وإقناع العلماء والأمراء و غيرهم لهذه البيعة، فلم يكن في المجاهدين وغيرهم أعلم منه للقضايا الشرعية والمسائل الفقهية وقد انعقدت مجالس لبحث موضوع الإمامة، فكان الشاه ينوب عن المجاهدين في هذه المجالس والمناقشات،وبجهوده رضوا على نصب أمير للجهاد،فأُمّر السيد أحمد لأن أكثر الأفغان وعلماء هم لم يكونوا يرضون بغيره (١)

فتم مبايعة السيد بإمارة الجهاد يوم الخميس ١٢/ جمادى الآخرة ١٢٤٢هـ الموافق ١١/ يناير ١٨٢٧م واليوم الثاني قرئ اسمه في خطبة الجمعة، ويرجع الفضل في جميع هذه الأمور بعد الله عز و جل إلى الشاه إسماعيل رحمه الله (٢).

أخذ البيعة الشرعية وإقامة الشريعة الإسلامية:

خاض المجاهدون مع السيخ الكفار حروبا مريرة وكان الفوز يحالف المجاهدين فيها فأصبح بعض رؤساء الأفغان يحسدونهم ويكرهونهم فأدت تلك الخلافات إلى حروب أيضا، و ولم تكن هجرة المجاهدين إلى هذه المناطق إلا لثقتهم في أهلها وحسن ظنهم فيهم ولكن سرعان ما انكشف لهم بأن أهلها اتخذوا العادات والتقاليد والرسوم الجاهلية شريعة يتبعونها إزاء الشريعة الإسلامية، وأنهم متمزقون في القبائل والعشائر متناحرون فيما بينهم فلما رأى السيد والشاه هذه الأحوال عزما على أن يلزموهم أولا بالشريعة فأرسلت رسائل الدعوة إلى العلماء والمشايخ والرؤساء وكبار القوم، فاجتمع عدد كثير منهم يوم الجمعة في مستهل شهر شعبان (١٢٤٤هـ) الموافق(٦/ فبراير ١٨٢٩م). خاطبهم السيد أحمد أولا، ثم خاطب الشاه إسماعيل وبين فيه أحكام الشريعة و أهميتها وأهمية الجهاد ونصب الإمارة له، وأن عون الله ونصره لاينزل إلا إذا

---

(١) سيد أحمد شهيد ص: ٣٥٣

(٢) المصدر السابق ص: ٣٥٦

أقيمت شريعته في حياة الفرد والمجتمع وأزال الشاه الشبهات الـتي وجهـت إليـه، ووافـق العلمـاء على ذلك واعترفوا بتقصيرهم إزاء هذه الفريضة فبايعه عدد كبير منهم .

وصارح السيد بأمير"بنجتار" الذي دعا السيد ليسكن فيها وكان من كبار المناصرين لـه في هذا الموضع بأنه لايقيم في منطقتـه إلا إذا تعـاهد بـلزوم الشـريعة وإقامتهـا في نفسـه وفي حـدود أمارته وبالتخلي من كل ما يخالف الشريعة من التقاليد والعادات وبرد المظـالم إلى أهلهـا، فقبـل دعوته.

ثم انعقد احتماع آخر في بنجتـار يـوم الجمعـة ١٥/شـعبان ١٢٤٤هـ الموافق(٢٠ فـبراير ١٨٢٩م) جمع فيه رئيسها أهل قبيلته ورغبهم في قبول البيعة الشرعية.

وانهمك السيد والشاه وغيرهم من المجاهدين بعد هذه البيعة ينشرون علـم الكتـاب والسـنة ويعلمون أحكام الشرع وأقـاموا دولـة إسـلامية ونفـذوا النظـام القضـائي الشـرعي وولي العـالم الأفغاني محمد حبان (١) رئاسة القضاء وعينوا في كل قرية قاض ومفت ومحتسب وجاب يجمـع العشر والزكاة، وكان الشاه إسماعيل يكتب الرسائل بأمر السيد إلى الأمراء والوجهـاء والعلمـاء في أنحاء الهند وأفغانستان وتركستان، وغيرها من البلاد المجاورة يذكرهم بفريضة الجهاد الشرعي ويدعوهم إلى إقامته.

قضى المجاهدون على جميع العادات ونشروا مكانهـا أحكـام الشـرع ودعـوا النـاس إلى نبـذ المعاصي والفسوق والظلم والجور وترك العقائد الفاسدة والمعاملات الشنيعة، وألزموهـم بالحيـاة تحت ظل الإسلام.

وكان لهذا النظام الإسلامي ثمرات طيبة اسـتراح النـاس تحـت ظلـه وتنعمـوا بحيـاة إسـلامية كريمة، فقل الظلم والفسق وانتشر الأمن والأمان وعمرت المساجد وخربت دور اللهـو واللعـب حتى لم يكن يوجد تارك للصلاة في القـرى، وفـرض قـاضي القضـاة غرامـات وتعزيـرات علـى تـاركي الفرائـض ومرتكبي المعـاصي، فزالـت المنكـرات الكثـيرة (٢) ولكـن للأسـف لم يقـدر المسلمون المجاهدين ولاجهودهم بل لم يكـن حـالهم أكثر مـن الذيـن آمنـت ألسـنتهم وكفـرت قلوبهم، فأطفئوا النور الذي تنورت به المناطق بعد قـرون، وقـد قمـع الأفغـان هـذه الدعـوة لسـوء فهمهـم وحرصهم على الباطل وتشبثهم بالأعراف الجاهلية والعقائد الفاسدة، وانغماسهم في الشـهوات الدنيئـة فمـا صنعه المجاهدون ببذل دمائهم في أربع سنوات قضى عليها الأفغان في ليالي عديدة.

---

(١) انظر ترجمته في " جماعت مجاهدين" ص: ١٤٨

(٢) سيد أحمد شهيد ص: ٥٧٥

المبحث الرابع :مكيدة خطيرة ضد المجاهدين

المطلب الأول: مكيدة خطيرة

ولقد شق على الأمراء الغارقين في شـهوات البطـون والفـروج والعـوام المتشـبثين بالعـادات والتقاليد المتخذين مشايخهم المحترفين، أربابا من دون ا لله، المحافظة على الصلـوات وأداء الزكـوة والعشر وترك الرسوم الفاسدة، وظنوا هذه الدعوة، خارجة عن الإسلام وأنهم يدعـون إلى ديـن جديد، ورأوا في تطبيق الشريعة حرجا وضيقا يمنعهم من التصرفات المطلقة ويقضـي علـى جميع عاداتهم الفاسدة التي ورثوها من أبا عن جد(١)

وكان "الدرانيون" الذين كان لهم نفوذ في هذه المنطقة يعتـبرون المجـاهدين قـوة تزاحمهـم في السلطة، واستثقل العلماء النظام الإسلامي الذي أقامه المجاهدون لأنه ضيق عليهم موارد الأمـوال الضخمة التي كانوا يأكلونها بالباطل، فقاموا بالتكفير والتفسيق و نشر السوء.

وشق علـى عـوام الأفغـان الغـارقين في العصبيـة القبليـة وتعظيـم الأمـراء والرؤسـاء، حكـم المجاهدين، بالتنكيل بالمفسدين والبغاة من رؤساء القبـائل وأمـراء العشـائر، الـذي لم يكـن يخطر على بالهم، وكانوا يزعمون أن المجاهدين جاءوا بمذهب جديد لايؤمنون علـى إمـام ولا يقلدونـه بل يتبعون الأهواء لما كانوا يرونهم يعملون على ما صح من الحديث وعلى رأسهم الشـاه محمـد إسماعيل رحمه ا لله.

هذه العوامل فعلت فعلها وظل الأفغان يتذمـرون منهـم والتقـى العلمـاء والمشـايخ والأمـراء والرؤساء والعوام كلهم على مطلب وهو التخلص من المجاهدين ونظامهم(٢)

وكان في كل قريـة وموضـع بـين " بشـاور" و "مـردان" قـاض، ومحتسـب،وجـاب للعشـر وعامل على الصدقات، وجماعة من المجاهدين لتنفيـذ الأحكـام الشرعية. فدبـر رؤسـاء الأفغـان وعوامهم مؤامرة رهيبة واسعة وتواعدوا فيما بينهم على قتل المجـاهدين في يـوم مؤقـت في جميـع المناطق، رحمهم ا لله فلم يكونوا يعرفون ما يكاد لهم بل كانوا مشغولين في إعلاء كلمة ا لله ليـلا ونهارا.

---

(١) المصدر السابق ص: ٦٦٩ وإذا هبت ريح الإيمان ص: ١٦٤

(٢) هندوستان كي بهلي اسلامي تحريك ص: ٢٧

فنفذت المؤامرة وكان أول ضحاياها العالم الرباني الشيخ مظهر على "عظيم آبادي"(١) نائب الأمير في" بشاور" والقاضي فيها وأصبح المهاجرون المنتشرون في البلاد والقرى محاطين بأهل البلاد الأصليين، وهدفا لهمجية نادرة وضراوة ووحشية، وصار أبناء البلاد يقتنصونهم اقتناص الصيادين المهرة لظباء وادعة أونعاج ضعيفة وصاروا يتخطفونهم بالسيوف والأسنة ويرشقونهم بالرصاص ويذبحونهم في كثير من المواضع ذبح النعاج في أيام الأضاحي ولجأ كثير منهم إلى المساجد فحوصروا حصارا شديدا فارادوا هدم المساجد و إحراقها عليهم فاضطروا إلى الخروج وقاتلوا قتالا شديدا حتى قتلوا عن بكرة أبيهم وقد قتل بهادر شاه خان الرامفوري في الصلاة ساجدا في الركعة الأولى وهو يؤم المصلين في المسجد(٢).

وقتل عدد كثير من المجاهدين لم ينج منهم إلا قليل ومنهم من قتل في الصلاة ومنهم من قتل وهو يتوضأ للصلوة ومنهم من قتل مقاتلا، ومنهم من قتل غرة وغيلة.

وبلغت الشقاوة أوجها عندما داسوا جثث الشهداء بالخيول مخاطبين لهم : قوموا وادعوا إلى الصلوة واطلبوا العشر.(٣)

المطلب الثاني: استشهادهم

أثر حادث هذه المجزرة الهائلة في نفوس المجاهدين تأثيرا بليغا حتى كره المجاهدون البقاء فيهم واشمأزت نفوسهم أن يروا وجوه الذين لم يراعوا فيهم إلا ولاذمة، وقد عاملوهم معاملة أسوأ من الكفار والمنافقين، فعزموا على الهجرة من تلك البلاد التي جاؤوا إليها مهاجرين من أوطانهم الأصلية احتسابا للأجر عند الله عزوجل يرجون في أهلها الخير والنصر لدين الله عزوجل.(٤)

فأرادوا الهجرة من تلك المنطقة إلى كشمير لإصرارأهلها على طلب العون من المجاهدين ولشدة حاجة أهلها إلى نصرتهم، و لم يرض رؤساء القبائل أن يمر جيش المجاهدين من مناطقهم خوفا على نفوسهم فاضطروا إلى أن يختاروا طريقا غير معبد في الجبال والثلوج والغابات، فلما وصلوا "بالاكوت" بدأ موسم الثلوج و لم يكن يمكن فيه الجهاد.

---

(١) انظر ترجمته في " سركزشت مجاهدين" ص: ١٦١

(٢) اذا هبت ريح الإيمان باختصار ص: ١٧١

(٣) منظورة السعداء ... ص: ١٠٠٣ نقلا من سيد أحمد شهيد ص: ٦٩٦

(٤) سيد أحمد شهيد ص: ٦٩٧

وكان العدو السيخ مذعورا من المجاهدين يتابع أخبارهم ولما علم حاكم السيخ وصولهم إلى "بالاكوت" أرسل تحت قيادة ابنه جيشا عظيما كان قوامه ثلاثين ألف مقاتل مدعمين من جميع الأسلحة فنشبت بين الفريقين معركة دامية في قرية " بالاكوت" بوادي"كاغان" يوم الجمعة ٢٤/ ذي القعدة ١٢٤٦هـ الموافق(٦/مايو ١٨٣١م) واستشهد فيه الإمامان السيد أحمد بن عرفان والشيخ الشاه محمد إسماعيل بن عبد الغني مع رفقة صالحة من المجاهدين بعد ما قاتلوا قتالا شديدا، مثلوا فيه أمثلة نادرة من الشجاعة والتفاني في سبيل الله جزاهم الله خير الجزاء.

يقول النزهتي في ترجمة الشاه إسماعيل:" استشهد في الغزوة المشهورة حين هجم عليهم العدو كفرة السيخ وخذلهم من كانوا في دارهم، ونكثوا بيعة إمامهم حتى صاروا مع العدو يدا واحدة وأعانوهم على دماء المسلمين وربما سفكوها و لله أعلم(١)

ويقول مسعود عالم الندوي على إثر مدح المجاهدين: وكاد النجاح والفوز أن يستقبلهم ويهنئهم، وكادت منطقة " بنجاب" وسرحد"أن تستضيء بنور الإسلام إلا أن أياما مريرة كانت مقدرة على المسلمين، فالويل للتعصب القبلي والافتخار العرقي الذي قضى على هذه الجهود كلها، وقد غدر رؤساء الأفغان وأثار المفسدون فتنة الحنفية والوهابية وأفتى القبوريون وعلماء السوء بتكفير المجاهدين ونتجت من ذلك كله كارثة استشهاد السيد أحمد والشاه إسماعيل في "بالاكوت"(٢) رحمهم الله رحمة واسعة.

---

(١) اليانع الجني في أسانيد الشيخ عبد الغني ص: ٧٦

(٢) هندوستان كي بهلي اسلامي تحريك ص: ٢٧

الباب الثاني: جهوده في الدعوة إلى الاعتصام بالكتاب والسنة، والتحذير من البدعة وما يصد عن التمسك بهما.

ويشتمل على أربعة فصول:

الفصل الأول: جهوده في الدعوة إلى الاعتصام بالكتاب والسنة

الفصل الثاني : جهوده في إبطال ما يصد عن التمسك بالكتاب والسنة

الفصل الثالث: جهوده في التحذير عن البدعة ببيان مضارها وأخطارها وتحديد مفهومها وأقسامها و الأمثلة عليها

الفصل الرابع : الرد على المبتدعة

تمهيد

إن كتاب الله عزوجل هو أصل الشريعة وأساسها فإنه كلام الله المعجز المنزل على خاتم الرسل محمد صلى الله عليه وسلم ﴿ لايأتيه الباطل من بين يديه ولامن خلفه تنزيل من حكيم حميد﴾(١) المحفوظ بحفظ الله عزوجل إلى يوم القيامة ﴿إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون﴾(٢) وسنة النبي صلى الله عليه وسلم هي المصدر الثاني في التشريع كما قال صلى الله عليه وسلم " أوتيت القرآن ومثله معه " (٣) .

فمكانة السنة في الدين عظيمة، ولايؤمن أحد حتى يؤمن برسالة النبي صلى الله عليه وسلم، ومقتضى الإيمان به طاعته وامتثال أوامره كما قال تعالى﴿ فآمنوا بالله ورسوله النبي الأمي الذي يؤمن بالله وكلماته واتبعوه لعلكم تهتدون﴾(٤) ولايمكن طاعة الله عزوجل إلا بطاعة الرسول صلى الله عليه وسلم لقوله تعالى﴿ومن يطع الرسول فقد أطاع الله ومن تولى فما أرسلناك عليهم حفيظا﴾(٥) وقد حذرنا الله من مخالفة أمره لأنه يجر فتنة أو عذابا أليما يقول الله عزوجل﴿ فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم﴾(٦)

وكان الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين يأخذون كل حكم من الرسول علىأنه حكم من الله عزوجل لإيمانهم بأنه لايقول إلا بأمر من الله عزوجل ولم يخطر على قلب أحد منهم الإعراض عن أحكام الرسول صلى الله عليه وسلم لإيمانهم الجازم بأنه يبين الوحي، ونرى ذلك واضحا فيما حصل لابن مسعود مع امرأة حيث قال: " لعن الله الواشمات والمستوشمات والنامصات والمتنمصات، والمتفلجات للحسن المغيرات خلق الله " فتكلمت فيه امرأة فقال عبد الله ومالي لا ألعن من لعن رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو في كتاب الله فقالت المرأة لقد

---

(١) سورة فصلت /٤٢

(٢) سورة الحجر /٩

(٣) أخرجه أبوداود ـ السنة ـ حديث ـ٤٦٠٤ والترمذي مايقارب هذا المعنى ـ العلم ـ حديث ـ ٢٦٦٣ وابن ماجه ـ المقدمة ـ حديث ـ ١٢ والحديث صحيح انظر صحيح الجامع الصغير ٥١٦/١

(٤) سورة الأعراف/ ١٥٨

(٥) سورةالنساء /٨٠

(٦) سورة النور/٦٣

قرأت ما بين لوحي المصحف فما وجدته فقال: لئن كنت قرأتيه لقد وجدتيه قال الله عزوجل ﴿وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا..﴾(١)(٢)

هكذا نرى مواقف الصحابة والتابعين تجاه الحديث مواقف مشكورة، فلم يكونوا يتركون حديث الرسول صلى الله عليه وسلم أمام قول أحد كائنا من كان(٣)

ثم نشأت فتن وبدع بعد زمن الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين منها إنكار الأحاديث الصحيحة أو تأويلها أو الاستناد إلى العقول وتقديمها على النقل ونحوها،ومنها بدعة التعصب للمذاهب الفقهية وأئمتها التي انتشرت في جميع البلاد الإسلامية، فأعرض الناس عن الكتاب والسنة مشتغلين بالمذاهب بل لم يكونوا يلتفتون إليها لاعتقادهم أن أئمة المذاهب وأتباعهم قد سبروا أغوارها وسهلوا صعابها فوجب على كل واحد اتباعهم ولايجوز الخروج منها فهجر القرآن والحديث .

ومن تلك الفتن والبدع بدعة الصوفية التي دعت الناس إلى تقديس الأشخاص وآرائهم وأذواقهم وأنهم يحدثون عن الله ورسوله مباشرة، فأصبح الناس يتعبدون بأقوال المشايخ وآرائهم وربما عبدوهم من دون الله عزوجل .

وواجه الشاه هذه البدع وأصحابها الذين يغلون في الاشخاص ويتعبدون بآرائهم، وواجه الأحناف أصحاب الرأي الذين غلب عليهم الرأي دون الأثر وشدة التعصب لرأيهم كما صرح الكرخي(٤) به" أن كل آية تخالف قول أصحابنا فإنها تحمل على النسخ أو على الترجيح والأولي أن تحمل على التأويل من جهة التوفيق..... وإن كل خبر يجيئ بخلاف قول أصحابنا فإنه يحمل على النسخ أو على أنه معارض بمثله"(٥)

وقالوا:" إن المسيح عليه السلام عندما ينزل يحكم بالمذهب الحنفي"(٦)

---

(١) سورة الحشر/ ٧

(٢) رواه البخاري ـ التفسير ـ ٤٨٨٦ ـ الفتح ٨/ ٤٩٨

(٣) انظر قصة ابن عمر رضى الله عنه وكلامه على من احتج بقول عمر في مسألة التمتع في سنن الترمذي ٨٢/٢ وتفصيله في مقدمة "صفة صلاة النبي صلى الله عليه وسلم للألباني ص: ٥٤

(٤) وهو عبيد الله بن حسين بن دلال، أبو الحسن الكرخي، مفتي العراق،شيخ الحنفية، انتهت إليه رئاسة المذهب، توفي سنة ٣٤٠ هـ السير للذهبي ١٥/ ٤٢٦

(٥) الأصول لأبي الحسن الكرخي ص: ١٦٦ ملحقة بتأسيس النظر .

(٦) انظر رد المحتار ١/ ٥٩ من حاشية ابن عابدين

وينقل صاحب " إعلاء السنن" في مقدمته نقلا عن التهانوي:" فوا لله لم يولد في الإسلام بعد النبي صلى ا لله عليه وسلم وأصحابه أيمن وأسعد من النعمان أبي حنيفة ودليل ذلك ما هو شاهد من اندراس مذاهب الطاعنين عليه وانتشار مذهب أبي حنيفة وازدياده اشتهارا ليلا ونهارا ويأبى ا لله والمؤمنون إلا أبا حنيفة"(١)

ومن جهة أخرى كان جل اعتمادهم بل العلم عند هم هو علم الكلام ووالفلسفة،وعلم المنطق وعلم الجدل، والمناظرة والتعمق في الطبيعيات والخوض في الرياضيات(٢).. أما علم الكتاب والسنة " أصبح غريبا كالكبريت الأحمر وعديما كعنقاء المغرب وغلب على الناس الشعر والنجوم والفنون والرياضة وفي العلوم الدينية، الفقه والأصول، ومضت على ذلك قرون متطاولة حتى صارت صناعة أهل الهند حكمة اليونان والإضراب عن علوم السنة والقرآن إلا ما يذكر من الفقه على القلة....(٣)

وفي مثل هؤلاء القوم ظهر الشاه محمد اسماعيل رحمه ا لله بعد جهود جده وأعمامه ودعا إلى التمسك بالكتاب والسنة دعوة صريحة في كل صغير وكبير وركز على هذه الدعوة لثقته بأن الرجوع إلى المنبع الصافي والمصدر الأساسي يقضي على كثير من البدع العقدية والعملية .

---

(١) إعلاء السنن ص: ٢٧

(٢) انظر للتفصيل " البيئة العلمية " في هذا البحث.

(٣) الثقافة الإسلامية ص: ١٣٥

الفصل الأول: جهوده في الدعوة إلى الاعتصام بالكتاب والسنة

ويشتمل على ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: دعوته إلى التمسك بالكتاب والسنة خلال شرح الإيمان با لله ورسوله

المبحث الثاني : في بيان المضار الناتجة من الإعراض عن التمسك بالكتاب والسنة

المبحث الثالث: مرتبة الكتاب والسنة أمام أقوال الأئمة والمشايخ

المبحث الأول: دعوته إلى التمسك بالكتاب والسنة خلال شرح الإيمان با لله ورسوله

المطلب الأول: استدلاله على التزام التوحيد ونبذ الشرك واتباع الرسول واجتناب البدع بأجزاء كلمةالإيمان.

تنوعت جهوده في الدعوة إلى التمسك بالكتاب والسنة ونبذ جميع ما يخالفهما، وقد بوب بابا مستقلا في كتابه رد الإشراك" باب وجوب اتباع السنة واجتناب البدعة" جمع فيه آيات وأحاديث تدل كلها على النهي عن الفرقة بإحداث المحدثات واستنبط من تلك النصوص أن النجاة في التمسك بالسنة وطريق الصحابة والتابعين، والهلكة في مخالفتها ومخالفة السلف.

وقد بدأ ذلك بمبدأ مهم في حياة المسلم ألا وهو الإيمان با لله ورسوله، فيقرر خلال شرحه أن الإيمان با لله يقتضي توحيد ا لله عزوجل في الألوهية ورد الشرك بجميع أنواعه كما أن الإيمان بالرسول يقتضي الرجوع إليه وإلى سنته في جميع أمور الدين وبهذا يدعو كل مؤمن با لله ورسوله إلى صدق الإيمان الذي يقتضي تحقيق التوحيد وترك الشرك والتمسك بالسنة و ترك البدع فيقول: " واعلم أن للإيمان جزئين، الإيمان با لله إلها وربا، والإيمان بالرسول مطاعا وإماما، والإيمان با لله ربا يعني أن لايشرك به أحد والإيمان بالرسول مطاعا يعني أن لايسلك طريق غيره،

فالأول : هو التوحيد وضد ه الإشراك با لله .

والثاني : هو الاتباع وضده الابتداع، فيجب على كل أحد أن يعتصم بالتوحيد واتباع السنة بقوة ويعض عليهما بالنواجذ ويحترز من الشرك والبدعة كل الاحتراز فإنهما يؤثران في الإيمان ويحدثان خللا فيه وتتبعهما سائر الذنوب والمعاصي فإنها تؤثر في الأعمال وتحدث خللا فيها...."(١)

فالتوحيد إذا طرأ عليه الفساد ابتلى الإنسان بالشرك وإذا طرأ الفساد على الاتباع ابتلى بالبدعة، فالإيمان إذا لايسلم إلا باجتناب الشرك والبدع وهما أعظم الذنوب التي يرتكبها المسلم لأن الشرك ينقض التوحيد الذي به ينجو في الآخرة، والبدعة تجر صاحبها إلى التعبد بما لم

---

(١) تقوية الإيمان ص:٣٥

يشرعه الرسول صلى ا الله عليه وسلم فيصبح كمن يتعبد بأهوائه، فمضرة الشرك العظيمة تجعل المؤمن، يهتم بالتوحيد وويعتصم به ومضرة البدعة تجعله يتمسك بالسنة ويحكمها في كل أمر من أمور الدين.وفي ذلك يقول شيخ الإسلام ابن تيمية: ..." فإن الإسلام مبني على أصلين أحدهما : أن نعبد ا الله وحده لاشريك له والثاني: أن نعبده بما شرعه على لسان رسوله صلى ا الله عليه وسلم ... فليس لأحد أن يعبد ا الله إلا بما شرعه رسوله صلى ا الله عليه سلم ....(١)

المطلب الثاني: استدلاله على التمسك بالسنة بشرح مقتضى الشهادة والإيمان

ويدعو إلى التمسك بالسنة ببيان مقتضىالشهادة بكونه رسولا، هذه الشهادة التي يشهد بها كل مسلم تستلزم طاعته وامتثال أوامره ورد جميع ما يخالف من أقوال وأعمال وعادات واعتقادات مهما كان مصدرها فيقول الشاه مبينا معنى الشهادة:" والشهادة بكونه رسولا تعني الشهادة بأن جميع الأوصاف المحمودة التي يثنى عليها البشر كانت فيه أكثر من أي واحد وأنه كان صادقا ومعصوما من جميع الذنوب، وقد بلغ الرسالة بالأمانة وكلما أمر و بين كان من ا الله عزوجل، وأن أوامره كلها من أحكام ا الله عزوجل، فمعناه إذا بأننا صدقنا أحكامه واخترنا طريقه وأنكرنا طرق غيره وليس لنا رسول غيره، فمن لم يكن رسولا لم يكن معصوما ويقع منه الذنب والخطأ فإذا أمكن منه الذنب والخطأ فلا يكون طريقته ونهجه معصوما وليس علينا طاعته، إلا إذا كان ثبت من النبي صلى ا الله عليه وسلم أنه أرشد بطاعة أحد أو بطريقة أحد فهذا يعتبر العمل حسب أمر النبي صلى ا الله عليه وسلم"(٢)

فهو رحمه ا الله يقرر أن مقتضى الإيمان بالنبي صلى ا الله عليه وسلم أن نؤمن بكونه صادقا في كل ما أخبر ومعصوما في كل ما بلغ ووجوب طاعته في كل ما أمر وأن طريقته هي الصراط المستقيم لأنه محفوظ من الخطأ والزلل .

ويستدل بقوله تعالى: ﴿ فلا وربك لايؤمنون حتى يحكوك فيما شجر بينهم ثم لايجدوا في أنفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما﴾(٣) على وجوب تحكيم النبي صلى ا الله عليه وسلم في كل أمر فيقول في شرحه :"فالآية تدل على أنه عندما ينشأ الخلاف في أمر العبادة أو العادة أو في أمر من أمور الدنيا، يجب الرجوع إلى حكم النبي صلى ا الله عليه وسلم ونتخذه حاكما،

---

(١) انظر الفتاوى ١/ ٨٠

(٢) تذكير الإخوان ص: ٧٩

(٣) سورة النساء /٦٥

فما يحكمه النبي صلى الله عليه وسلم أو يثبت من حديثه يجب التسليم والرضا به سواء وافق رغبتنا أو لم يوافقها، فمن فعل ذلك فهو مسلم وإلا فلا يكون مسلما".

فأما من لم يجعله حاكما منصفا أو يسخط على حكمه صلى الله عليه وسلم و لم يسلم له فإنه ليس بمسلم بل هو كافر ومنافق..... ".

"ولو تأملنا حال المسلمين في الهند اليوم نجد أن ألوفا من المحدثات والعقائد المحدثة والرسوم الرائجة فيهم مثل الذبح عند ولادة المولود، وإطلاق الرصاص، ووضع السهم والقرآن على سرير المرأة الحديثة الولادة، وحفلة يوم السادس والتسمية ب" فلان بخش أو عبد فلان..... . وفي النكاح وضع علامات الزيت أو النورة علىالأبواب، والرقص والسماع واللعب بالنار..... وترك المرأة الزينة وترك مصاحبتها وترك النوم على السرير واتخاذ التعزية وانعقاد محافل المحرم في الشهر المحرم(١).... واعتقاد نحوسة ثلاثة عشر يوما من صفر(٢) والنزهة يوم الأربعاء الأخير فيه (٣) وإقامة عيد الميلاد في شهر ربيع الأول والقيام عند ذكر النبي صلى الله عليه وسلم باعتقاد أن روحه تحضر وإقامة عيد الحادي عشر في ربيع الثاني(٤) والذهاب إلى عرس بديع الدين الشاه في جمادي الأول(٥) واللعب بالألعاب النارية في شعبان والتزام طبخ الحلاوة

---

(١) يعتبر الشهر المحرم شهر الحزن والمأتم عند الرافضة ومنهم تسربت هذه العادة إلى المسلمين في الهند فيلبسون فيه اللباس الأسود ولايلبسون غيره، ولايتزاوجون فيه ويقيمون محافل العزاء والرثاء والبكاء، و يتخذون فيه أعلاما بالقماش والقرطاس إحياء لذكرى حسين رضي الله عنه وأسرته الذين قتلوا في كربلاء، ثم يطوفون به في الأحياء وطرقها ثم يدفنونها.

(٢) وسبب نحوستها عندهم مرض النبي صلى الله عليه وسلم فيها، ولكن مرضه بدأ في اليوم التاسع والعشرين من شهر صفر سنة١١هـ وكان يوم الإثنين، ولحق بالرفيق الأعلى يوم الإثنين ١٢، ربيع الأول سنة ١١هـ فلم يمرض إلا في آخره(الرحيق المختوم ص: ٥٤٩) و لم يتوف إلا بعده، ومن أين جاءت النحوسة في بدايته؟؟؟ إنما هو الهوس والبعد عن شرع الله.

(٣) يلتزمون الخروج إلى البر آخر الأربعاء من شهر صفر، يتخذونه عيدا وسببه أن النبي صلى الله عليه وسلم شفي في هذا اليوم من مرضه وخرج إلى البر كما زعموا!!!!

(٤) وهو عيد مقدس جدا عند القبوريين يقام سنويا في الحادي عشر من ربيع الآخر يذبح فيه الكبش ويسمى " النذر للشيخ عبد القادر جيلاني" ولعل ذلك التاريخ موافق ليوم وفاته لأنه توفي في عاشر ربيع الآخر سنة ٥٦١ انظر سير أعلام النبلاء ٢٠/ ٤٥٠

(٥) هو الشيخ المعمر بديع الدين المدرا الحلبي أحد مشاهير الصوفية بأرض الهند، ينسبون إليه من الوقائع الغريبة ما يأباه العقل والنقل، وإليه نسب شهر من شهور السنة في التقويم المنتشر عند العامة وأهل
==

الخاصة، وإنارة السرج الكثيرة فيه، وفي شهر رمضان إقامة جمعة الوداع(١) والقضاء العمري(٢)..... وفي شوال، الالتزام بطبخ الشعيرة يوم العيد، والامتناع من النكاح في ذي القعدة.......ونحوها من الرسوم العديدة الرائجة بين المسلمين ينهى عنها جمع من الناس ويعمل بها آلاف من الناس فبغض النظر عن أدلة كثيرة على حرمتها عند ما نشأ الخلاف فيما بينهم وجب عليهم أن يحكموا الرسول في ما اختلفوا فيه لأنه لم يكن شيء إلا وقد وجد في عهده صلى الله عليه وسلم مثل ولادة المواليد والنكاح والختان... فماذا كان يفعله صلى الله عليه وسلم ويأمر به في مثل هذه المناسبات وماذا كان الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين يعملون فيها".

"فإذا ثبت قبح أمر بقوله صلى الله عليه وسلم أو فعله أو تقريره يجب علىالمسلم أن يذعن له بقلبه ويعمل وفق حكم الرسول صلى الله عليه وسلم فأما من كره حكمه ولم يرض به وشق عليه ترك هذه المحدثات فينبغي أن يعلم أن الآية تنفي كونه مسلما، ولاشك أن هذه العادات أحدثت بعد زمن الرسول صلى الله عليه وسلم وأصحابه والتابعين وأتباعهم"(٣)

ولاشك فان هذا منهج أهل السنة وطريقتهم بأنهم لايعدلون عن النص الثابت.

ثم يدعو إلى وجوب الرجوع إلى الكتاب والسنة ويقرر بأن الرجوع إليهما من مقتضى الإيمان بالله واليوم الآخر مستدلابقوله تعالى:﴿يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الأمر منكم فإن تنازعتم في شيء فردوه إلى الله والرسول إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ذلك خير وأحسن تأويلا﴾(٤)

يقول في شرحه :"فإن الآية تدل على أن الرجوع إلى الكتاب والسنة واجب فيما اختلف فيه وما ثبت منهما فيجب قبولهما دون غيرهما"(٥) ويستدل علي ذلك بأحاديث منها " عن

القرى في الهند، وهو مؤسس الطريقة المدارية، توفي في عاشر جمادى الأولي سنة ٨٤٤ هـ انظر نزهة الخواطر ٣/٤٣

(١) المراد به آخر جمعة من شهر رمضان يهتمون بها مثل العيد

(٢) يصلون في ليالى القدر، المكتوبات الفائتة في طول الحياة فيصلون بنية القضاء من غير عد ولاحد.

(٣) تذكير الإخوان ص: ٦٠-٦٢ بلفظه مختصرا.

(٤) سورة النساء /٥٩

(٥) تذكير الإخوان ص: ١٥٨

عبد الله بن عمرو قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: العلم ثلاثة آية محكمة أو سنة قائمة أو فريضة عادلة، وما كان سوى ذلك فهو فضل(١) يعني إن القرآن والحديث والاجماع أصول الدين يثبت بها الأحكام وأما غيرها فهي من الفضول مثل الفنون الأخرى"(٢)

المطلب الثالث :محبة الله ورسوله تقتضي التمسك بالسنة

ويحرض على التمسك بالسنة مستدلا بمحبة العبد لله عزوجل فإنها ركن من أركان العبادة بل لايتم توحيد العبد إلا بحبه لربه، فما من عبادة يأتي بها العبد إلا ويوجد فيها دافع الحب لمعبوده وأن ذلك الحب يستلزم تجريد المتابعة للرسول صلى الله عليه وسلم، بل من علامة محبة العبد لمعبوده إخلاص متابعة النبي صلى الله عليه وسلم فيقول الشاه رحمه الله في صدد تقرير ذلك: قال الله تعالى:﴿ قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ويغفرلكم ذنوبكم والله غفور رحيم﴾(٣) ويقول في شرحه:" قل لهم أيها الرسول صلى الله عليه وسلم إن كنتم صادقين في ادعائكم الحب لله فاتبعوني واتبعوا طريقي في عبادته لأنه جعلني رسولا إليكم،أرشدكم إلى مرضاته وأسباب محبته فاتبعوها حتى يغفر ذنوبكم فإنه غفور رحيم،فمن لم يتبع الرسول ويحدث الطرق المحدثة ثم يدعي حب الله فهو كاذب فإن الله ورسوله بريئ منه، فهو مدعى الرسالة في الحقيقة وإن ادعى الحب في الظاهر، ويشرع لنفسه شرعا جديدا.... فإن المحبة الصادقة تقتضي أن تعمل ما يريده المحبوب لا كما تهوى نفسه"(٤)

يقول ابن كثير في تفسير الآية المذكورة :"هذه الآية الكريمة حاكمة على كل من ادعى محبة الله وليس هو على الطريقة المحمدية فإنه كاذب في دعواه في نفس الأمر حتى يتبع الشرع المحمدي والدين النبوي في جميع أقواله وأفعاله...(٥)ويؤكد الشاه هذا المعنى بالأحاديث، أن من لوازم محبة الرسول هو اتباعه لأنه إذا أحب النبي كما ينبغي بقلبه أطاعت جوارحه بطاعته فيقول:"عن أنس قال قال: رسول الله صلى الله عليه وسلم: لايؤمن أحدكم حتى أكون أحب

---

(١) أي زائد لاضرورة لمعرفته. الحديث رواه أبوداود في سننه (٢٨٨٥) وابن ماجه في المقدمة(٥٤) في اسناده ضعف انظر تخريج المشكاة للشيخ الألباني ١/ ٨٠

(٢) تذكير الإخوان ص: ١٥٩

(٣) سورة آل عمران / ٣١

(٤) تذكير الإخوان ص: ٦٠

(٥) تفسير ابن كثير ١/ ٣٦٦

إليه من والده وولده والناس أجمعين"(١) يعنى" أن الرجل إذا أحب النبي صلى ا لله عليه وسلم أكثر من ولده ووالديه والناس جميعا ويفضل حبه على حب ما سواه ويقدم رضاه على رضى الجميع ويقدم قوله على قول الجميع ويعمل على أمره أكثر من غيره فيكون مسلما وإلا فلا يكون مسلما... وعلم من هذا أن الرجل إذا رأى شيخ طريقة أو فقيرا أو درويشا أو عالما أو مولويا أو أبا أو أما أو أميرا أو ملكا يخالف قوله أو فعله الحديث وجب عليه رده فمن عكس بحيث رد الحديث ووافق قولهم أو فعلهم فليس بمسلم"(٢)

المطلب الرابع: ترك الحديث بعد ثبوته من مشاقة الرسول

وكان رحمه ا لله شديد التمسك بالحديث في كل أمر و لم يكن يرى ترك الحديث بعد ثبوت صحته وأحسن ما يستدل على هذا العمل كتابه" تنوير العينين في إثبات رفع اليدين" فإنه لما رأى المتعصبة يتركون رفع اليدين في الصلوة ويطعنون فيمن يعمل بهذه السنة طعنا شديدا، ألف رسالة يدعو الناس إلى التمسك بهذه السنة فيقول بعد تقرير هذه السنة بالأحاديث والآثار:" أما الطاعن العالم بالحديث أي من ثبت عنده الأحاديث المتعلقة بهذه المسألة فلا إخاله إلا في من يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى"(٣) فيشير إلى الآية﴿ ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى ويتبع غير سبيل المؤمنين نوله ما تولى ونصله جهنم وساءت مصيرا﴾(٤) فإن ا لله هدد فيها من يشاقق الرسول بالنار وسوء المصير. ويحذر الشاه الذين يعرضون عن السنة بعد ثبوتها أن صنيعهم هذا من مشاققة الرسول ولايبعد أن يلحقهم الوعيد الموجود في القرآن .

ويرد على من يترك الأحاديث زاعما بأنها منسوخة بحجة عدم اشتهار العمل بها عند علماء المذاهب ونحوها من الحيل التي يستندون إليها لترك الأحاديث الصحيحة أويحاولون إبطالها

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، الإيمان، باب حب الرسول من الإيمان انظر فتح الباري ١/ ٥٨

(٢) يقول الخطابي في شرح الحديث :" لاتصدق في حبي حتى تفدي في طاعتي نفسك ...وإن كان فيه هلاكك" شرح السنة للبغوي ١/ ٥١ وقال القاضي عياض: ومن محبته نصرة سنته والذب عن شريعته... وأن حقيقة الإيمان لايتم إلا بذلك ولايصح الإيمان إلا بتحقيق إعلاء قدر النبي صلى ا لله عليه وسلم ومنزلته على كل والد وولد ومحسن ومفضل ومن لم يعتقد هذا واعتقد سواه فليس بمؤمن" انظر شرح النووي ١/ ٣٧٤

(٣) تنوير العينين في إثبات رفع اليدين ص : ٩

(٤) سورة النساء/ ١١٥

فيقـول:" الظـاهر أن مـا ثبـت منـه صلـى ا لله عليـه وسـم يلزمنـا اتباعـه مـا لم يقـم دليـل علـى نسخه"(١)

(١) تنوير العينين في إثبات رفع اليدين ص: ١٤

المبحث الثاني : في بيان المضار الناتجة من الإعـراض عن التمسك بالكتاب والسنة

المطلب الأول : الإعراض عن الكتاب والسنة يسبب الفرقة

دعا الشاه إلى الاعتصام بالكتاب والسنة ببيان المضار الوخيمة التي تنشأ من إهمالهما فيقرر أن التفرق في الأمة والتشتت الموجود سببه الوحيد هو الاعراض عن الكتاب والسنة فيقول في شرح قوله تعالى﴿ ولاتكونوا كالذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا كل حزب بما لديهم فرحون﴾(١)

"فما كان قبيحا عند الشرع أو العقل، يستقبحه كل أحد. ولكن ما يستحسنه شخص بمجرد عقله ولايجد قباحته الصريحة في الشرع يعتبره حسنا فيفرح به ويتبعه جمع من الناس ويختارونه، وهكذا تصبح لكل فرقة بدع غير البدع التي توجد عند أختها وبهذا يقع التفرق ولايبقى التماسك في الدين.

فمثلا فرقة فضلت عليا على غيره من الصحابة فسميت ب" التفضيلية"(٢) وفرقة فضلته على غيره من الصحابة وطعنت في الصحابة وابتدعت بدع المآتم والتعزية ونحوها في "الشهرالمحرم" فسميت بالشيعة وأهل البيت(٣)، وفي مقابلهم فرقة طعنت في على وعرفت باسم "الخوارج(٤)"وفرقة عادت عليا رضى ا لله وعرفت ب" ناصبية"(٥) وفرقة أنكرت الشفاعة

(١) سورة الروم /٣٢

(٢) فرقة من فرق الشيعة يقول عنهم أبوالحسن الأشعري: ..... يقدمونه على سائر أصحاب رسول ا لله صلى ا لله عليه وسلم، مقالات الإسلاميين ١/ ٦٥

(٣) وهي في الحقيقة " الرافضة" و"الإمامية" وإن كانت تتظاهر باسم الشيعة وأهل البيت في الهند إلا أن عقيدتها وأعمالها كلها تدل على كونها رافضية بحتة. انظر مقالات الإسلاميين ١/ ٨٨ والملل والنحل ١/ ١٦٤ ومختصر التحفة الإثني عشرية.

(٤) تقدم تعريفها ص: ١٦

(٥) الخوارج والنواصب بمعنى واحد انظر تعريفها ص:١٦يقول المقريزي: الفرقة العاشرة الخوارج ويقال لهم النواصب.... " انظر خطط المقريزى ٢/ ٣٥٤

ورؤية الله عزوجل وجعلت مرتكب الكبيرة خارجا من الإسلام وأصبحت "معتزلة"(١)وفرقة اختارت العزلة وتركت الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وأحدثت"شغل البرزخ(٢)" أو الصلاة المعكوسة أو الختم أو الزاد والأوراد والوظائف والفال واشتغلت بالأعراس والمراقبة على القبور والسماع عليها والحاضرات واشتهروا " بالمشايخ" ثم افترقوا هؤلاء فيما بينهم فمنهم من أصبح "جشتيا"(٣) ومنهم من أصبح " قادريا(٤) " ومنهم من أطال شعره وحلق حاجبه ولبس القلانس الطويلة وعلق الكفن في رقبته واشتهر ب "المدارية"(٥) أو" الجلالية" وكل حزب فرح بما لديه، فمعنى الآية بأن لاتفعلوا مثل فعلهم بل عليكم بالملة الواحدة والدين الواحد الذي أمربه الله عزوجل،... فعليكم بالقرآن والحديث فاتبعوا نبيكم حتى لاتختلفوا.

والآية صريحة بأنه لاينبغي للرجل أن يطمئن على مذهبه وطريقته وعاداته وتقاليده بل الواجب عليه البحث عن الحق ويوازن طريقته وتقاليده بالكتاب والسنة فما وافقهما يقبله وما خالفهما يتركه، فكثير من الناس لايسئلون عن حكم الله ورسوله ولايحققونه بل يطمئنون إلى طريقة كبرائهم ويعتقدونه حقا ويتيهون في الضلال"(٦)

ويواصل الكلام في بيان مضار الإعراض عن الكتاب والسنة فيقول: " قال الله تعالى﴿واعتصموا بحبل الله جميعا ولاتفرقوا واذكروا نعمة الله عليكم اذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخوانا﴾(٧) يقول في شرح الآية"فإن الله قدمن على الناس ببعث الرسول وإنزال الكتاب فيجب العمل حسب مقتضاه ويجب الحذر من التفرق بإحداث المحدثات

---

(١) المعتزلة هم القائلون بنفي الصفات وأن العبد خالق لأفعاله وقالوا بوجوب الثواب والعقاب والصلاح والأصلح على الله ويقولون بالمنزلة بين المنزلتين ونحوها من العقائد، انظر مقالات الإسلاميين ١/٢٣٥ و الملل والنحل ١/ ٤٣

(٢) وستأتي التفاصيل عن هذه البدعة الخطيرة .

(٣) تقدم تعريفها ص: ٥١

(٤) طريقة صوفية تنتمي إلى الشيخ عبد القادر الجيلي البغدادي، راجع لمعرفة تطور هذه الطريقة الثقافة الإسلامية في الهند ص: ١٧٩

(٥) طريقة صوفية من طرق الصوفية تنتسب إلى المدار المعمر بديع الدين (تقدمت ترجمته ص ١٣٢) يمتازون بعدم ستر العورة وارتكاب الملاهي والمناهي: انظر نزهة الخواطر ٤٣/٣ والثقافة الإسلامية في الهند ص:١٨٥

(٦) تذكير الإخوان ص: ٥٧- ٥٨

(٧) سورة آل عمران /١٠٣

بحيث ينشيء أحد مذهبا وينازعه فيه غيره بإنشاء مذهب آخر فتنتشر الطرق والفرق فلا يبقى التماسك والاجتماع بعد وجود الطرق الجديدة والمذاهب العديدة، فالقرآن كحبل ينجو به من كان متردیا في القعر إذا استمسك به ولاينجو إذا تركه، وتنص الآية بأن أصل الضلال هو إحداث البدع في الدين وأن البدع والمحدثات إذا انتشرت يهجر القرآن"(١)

ويواصل الكلام في بيان المضار التي تنشأ من إهمال الكتاب والسنة وأهمها التفرق في صفوف الأمة الإسلامية فيقول:"قال ا لله تبارك وتعالى﴿وأن هذا صراطي مستقيما فاتبعوه ولاتتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله ذلك وصاكم به لعلكم تتقون﴾(٢)ويشرحه بقوله"إن الطريق المستقيم الموصل إلى رضى ا لله عزوجل هو كتابه سبحانه ولاتتبعوا سبل الملوك والمشايخ أوالمرشدين وتقاليد الآباء والأجداد، وإن اتبعتم تلك الطرق ضللتم عن طريق ا لله عزوجل، ومثاله أن ملكا أرسل رسوله إلى شخص بعيد يطلبه وقد بين في رسالته الطريق الموصل إليه وحذر من الطرق الضاله وأمره باتباع رسوله فإنه يوصله إليه، فإن تعرج الشخص المذكور إلى الطرق ولم يتبع رسول الملك أو لم يلتفت إلى رسالة الملك و لم يبحث عن مفهومها ويقتفي آثار الناس فلن يصل هذا الرجل إلى الملك أبدا".

"فظهر من الآية أن الطريق الصواب هو طريق القرآن الموصل إلى ا لله عزوجل وأن الطرق كلها ضلالة سواء كانت هذه طرق الكفار السابقين أو طرق الجهال أو طرق المبتدعة"(٣)

هذا التفسير الذي فسره الشاه تفسير مأثور وقد فسرها النبي صلى ا لله عليه وسلم وحذر عن اتباع السبل كما روى ابن مسعود رضى ا لله عنه قال: خط لنا رسول ا لله صلى ا لله عليه وسلم يوما خطا ثم قال: هذا سبيل ا لله، ثم خط خطوطا عن يمينه وعن شماله، ثم قال: هذه

---

(١) تذكير الإخوان ص: ٥٥-٥٦

(٢) سورة الأنعام/١٥٣

(٣) تذكير الإخوان ص: ٥٨-٥٩

سبل على كل سبيل منها شيطان يدعو إليه، ثم تلا ﴿ وأن هذا صراطي مستقيما فاتبعوه ولاتتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله﴾(١)

يقول ابن عطية في تفسيرها: "هذه الآية تعم أهل الأهواء والبدع والشذوذ في الفروع وغير ذلك من أهل التعمق في الجدل والخوض في الكلام، هذه كلها عرضة للزلل ومظنة لسوء المعتقد"(٢)

ويقول ابن تيمية:" وإذا تأمل العاقل الذى يرجو لقاء الله هذا المثال وتأمل سائر الطوائف من الخوارج، ثم المعتزلة، ثم الجهمية، والرافضة، ومن أقرب منهم إلى السنة من أهل الكلام، مثل الكرامية والكلابية والأشعرية وغيرهم وأن كلا منهم له سبيل يخرج به عما عليه الصحابة وأهل الحديث ويدعي أن سبيله هو الصواب، وجدت أنهم المراد بهذا المثال الذي ضربه المعصوم الذي لايتكلم عن الهوى، إن هو إلا وحي يوحى"(٣)

وبعد شرح الآية يقول الشاه إن الناس قد تركوا الحق الواضح المبين فأصبحوا في فرق وجماعات فيقول:" ولكن الناس في هذا العصر قد اختاروا طرقا عديدة وتركوا طريق الكتاب والسنة واختاروا طرق الفرق العديدة من السوفسطائيين(٤) والدهريين(٥) الذين يتركون أركان الدين، وطريق النصارى والهنادكة ببناء المساجد على القبور وتشييد المقابر ورفعها أو الاعتقاد في أنفسهم أنهم اتحدوا مع الله أو أن الله حل فيهم، و طريق الكفار السابقين والهنادكة

---

(١) أخرجه الدرمي في مقدمته (٢٠٢)وابن ماجة في المقدمة (١١)وأحمد في مسنده ٣٩٧/٣ يقول القرطبي عن إسناد الدرمي " إسناده صحيح" انظر تفسيره ٧/ ١٣٧ وحسن إسناده الشيخ الألباني في المشكاة ٥٩/١

(٢) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ٣٤٦/٢

(٣) الفتاوى ٤/ ٥٧وما بعده

(٤) السوفسطائية : طائفة من اليونانيين ظهرت في القرن الخامس قبل الميلاد تقوم فلسفتهم على إنكار حقائق الأشياء ويزعمون أنه ليس ها هنا ماهيات مختلفة وحقائق متمايزة فضلا عن اتصافها بالوجود بل كلها أوهام لاأصل لها، انظر حاشية بغية المرتاد لابن تيمية ص: ١٨٣

(٥) هم الذين ينفون الربوبية ويقولون بقدم العالم وينكرون الخالق وينسبون الحوادث إلى الدهر، الفصل في الملل والأهواء والنحل ٩/١

بالاستغاثة بالأموات وبالنذور لهم وبترجيح طريق الآباء والأجداد على طريق الله ورسوله واختيارها مع مخالفة الله ورسوله..."(١)

وصرح الشاه رحمه الله في الكلام المذكور بأن الصراط المستقيم هو اتباع طريق الكتاب والسنة ونبذ جميع ما يخالفهما من البدع والعقائد الفاسدة عقائد الحلول والاتحاد وبناء القبور وغيرها مما تمس العقيدة الصافية وجعل جميع تلك الطرق والتقاليد مخالفة للشريعة الإسلامية.

ويقول في شرح قوله تعالى﴿ ولاتكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا من بعد ما جاءتهم البينات وأولئك لهم عذاب عظيم يوم تبيض وجوه وتسود وجوه فأما الذين اسودت وجوههم أكفرتم بعد إيمانكم فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون﴾(٢) "الآية تدل على أن الأمم من قبلكم قد افترقت في فرق شتى من اليهود والنصارى فيذوقون عذاب التفرق فلاتكونوا مثلهم ولاتحدثوا عادات محدثة ولاعقائد مخترعة فتتفرقوا في الدين، فمنكم من يكون معتزليا أو خارجيا أو رافضيا أو ناصبيا أو جبريا أو قدريا أو مرجئا أو يدعي الفقر بحلق الحواجب، ثم منكم من يكون قادريا، أو نقشبينديا، أو جشتيا، والحكم الصارم للجميع أن يتمسكوا بالكتاب والسنة وأن يكونوا مسلمين على طريقة أهل السنة وأن لايفترقوا في الفرق كاليهود والنصارى... فيقال يوم القيامة للذين اسودت وجوههم أنكم آمنتم وأقررتم بالإيمان بالقرآن والعمل به، ثم أحدثتم العادات والتقاليد والبدع الكفرية، فهجر القرآن من أجلها وارتوت القلوب بحبها فصارت سببا لترك العمل بمقتضى القرآن فذوقوا ما كنتم تعملون، فالمبتدع والعامل على البدع يعتبر من منكري القرآن وتسود وجوههم يوم القيامة"(٣)

براءة النبي صلى الله عليه وسلم ممن ترك السنة :

ومن مضار الإعراض عن الكتاب والسنة براءة النبي صلى الله عليه وسلم منه يقول الشاه في شرح قوله تعالى﴿ إن الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا لست منهم في شيء انما أمرهم إلى الله ثم ينبئهم بما كانوا يفعلون﴾(٤) يعنى الذين تفرقوا وأحدثوا السبل المحدثة فلم يرجعوا عنها ولم يتبعوا طريق الرسول صلى الله عليه وسلم فهو بريء منهم وسيرون وبال بدعهم عندما يذيقهم

---

(١) وقد ذكر هنا عشرات البدع وأنواع الشرك المنتشرة في المسلمين.انظر ص: ٥٩-٦٢

(٢) سورة آل عمران / ١٠٥-١٠٦

(٣) تذكير الإخوان ص:٥٦

(٤) سورة الأنعام /١٥٩

الله العذاب، والآية تدل على أن الناس إذا أهملوا العمل بسنة الرسول صلى الله عليه وسلم وأحدثوا المحدثات ولم يتركوها بعد ما تبين لهم الحق، ينزع الله عنهم الهداية والمحبة فيتخبطون في الضلال حتى يذيقهم الله العذاب يوم القيامة"(١)

المطلب الثاني: في التمسك بالسنة نجاة من الفرقة والبدعة

ويدعو إلى التمسك بالسنة (بعد بيان مضار الفرقة) لأنه لانجاة من التفرق إلا في التمسك بالسنة،فيقول:" عن عبد الله بن عمرو قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ليأتين زمان على أمتي كما أتى على بني إسرائيل حذو النعل بالنعل حتى إن كان منهم من أتى أمه علانية لكان في أمتى من يصنع ذلك وإن بني إسرائيل تفرقوا على ثنتين وسبعين ملة وتفترق أمتي على ثلاث وسبعين ملة، كلهم في النار إلا ملة واحدة قالوا من هي يارسول الله قال ما أنا عليه وأصحابي(٢)" وأنه سيخرج في أمتي أقوام تتجارى بهم تلك الأهواء كما يتجارى الكلب(٣) لصاحبه لايبق منه عرق ولامفصل إلا دخله"(٤)

"فكما أن الكلب يتجارى في الجسم كله كذلك البدع تنتشر في العقائد والعبادات والوظائف والصيام والصدقة والمراقبات، ويفترق المسلمون أكثر من تفرق اليهود والنصارى....فنبه النبي صلى الله عليه وسلم بأن من كان متمسكا سنته وسنة أصحابه في مثل هذا الوقت فهو الناجي الذي يدخل الجنة والفرق كلها في النار"(٥)

---

(١) تذكير الإخوان ص: ٥٧

(٢) أخرجه الترمذي : (٢٦٤١) والحاكم في المستدرك ١/ ١٢٨ من حديث أبي هريرة بلفظ آخر، وأشار إلى ضعف السند المروي عن ابن عمرو، فيه عبد الرحمن بن زياد الأفريقي وهو ضعيف، ولكن تشهد لها روايات صحيحة في هذا المعنى، انظر "اقتضاء الصراط المستقيم١/١١٨

(٣) الكلب بالتحريك داء يعرض للإنسان من عض الكلب الكلب، فيصيبه شبه الجنون، فلا يعض أحدا إلا كلب، وتعرض له أعراض رديئة، ويمتنع من شرب الماء حتى يموت عطشا" النهاية ٤/١٩٥

(٤) أخرجه أبوداود في سننه (٤٥٩٧) ٥/٦٥ وأحمد في مسنده ٤/١٠٢ وابن أبي عاصم في " السنة" (١-٢)وصححه الشيخ الألباني بشواهده، يقول ابن تيمية وهو حديث محفوظ، انظر اقتضاء الصراط المستقيم ١/ ١٢٢

(٥) تذكير الإخوان ص: ٦٦

المطلب الثالث: فضل التمسك بالسنة عند الغربة

ومن جهوده في الاعتصام بالكتاب والسنة أنه رغب في التمسك بالسنة ببيان ما فيه من الفضائل،وما بشر به النبي صلى الله عليه وسلم من الدرجات العالية للمتمسك بها فيقول:" عن أنس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : يا بني إن قدرت أن تصبح وتمسي وليس في قلبك غش لأحد فافعل ثم قال يابني وذلك من سنتي، ومن أحب سنتي فقد أحبني ومن أحبني كان معي في الجنة"(١)

"فالحديث يدل على أن للعامل بالسنة مرتبة عظيمة في الجنة وأن الله سينعم عليه بمعية الرسول صلى الله عليه وسلم في الجنة" (٢)

ويستدل عليه بحديث آخر فيقول:" عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : من تمسك بسنتي عند فساد أمتي فله أجر مائة شهيد(٣)ويقول في شرحه " هذا عندما يحدث الناس البدع المختلفة وكل واحد يحسن الظن ببدعته ويعمل بها وتصبح آلاف البدع، وكل واحد يدافع عنها أو يحسبها فرضا، أو سنة، أو مستحبة، أو يعمل بها على أنها من تقاليد الآباء أو خوفا من الناس فعندئذ من يتمسك بالسنة ولايعرض عنها فله أجر مائة شهيد، وذلك لمعاداته آلاف المبتدعة وطعنهم فيه وإيذائهم له في نفسه وماله وأهله وهو محتسب صابر متمسك بالسنة، ....(٤)

---

(١) أخرجه الترمذي، العلم، (٢٦٧٨) وقال الترمذي: حديث حسن غريب من هذا الوجه.وانظر ضعيف الجامع الصغير - ٦٣٨٩

(٢) تذكير الإخوان ص: ٦٧

(٣) الحديث ضعيف انظر سلسلة الضعيفة (٣٢٦) ولكن قد صحت أحاديث عدة في فضل الصبر على السنة في الغربة، انظر "كشف الكربة في وصف حال أهل الغربة" لابن رجب ص: ١٥- ١٦

(٤) تذكير الإخوان ص: ٦٧

المبحث الثالث: مرتبة الكتاب والسنة أمام أقوال الأئمة والمشايخ

ابتلي كثير من المسلمين بعد القرون المفضلة بالغلو في الأشخاص وآرائهم وبلغ ذلك إلى التعبد بأقوالهم دون الرجوع إلى الكتاب والسنة فارتفعت منزلة أقيستهم وآرائهم في قلوبهم على منزلة الكتاب والسنة فيعرضون عن الكتاب والسنة لأجلها، فلما رأى الشاه هذا المنكر الشائع اضطر إلى بيان أهمية الكتاب والسنة ومرتبتها الرفيعة أمام الأئمة وأقوالهم واستنباطاتهم ووضح ذلك بمثال رائع فيقول:" إن الملوك العادلين ينفذون قاعدتين في تنسيق أمور البلاد وضبط شئونها :

أولهما: وهو مدار الحكم وأساسه وقاعدة السلطنة وركنها، مثل تعيين قوانين السياسة وقواد الجيش وأمراء المدن ......(الذين مأمورون بتنفيذ أوامر الملك بكل وسيلة يقدرون عليها)

ثانيهما: " القسم الذي يكمل القسم الأول ويمهده مثل تعيين سعاة البريد لإبلاغ المراسيم والمنشورات إلى الأمراء والرعية وتعيين الأذكياء والعقلاء .... لكي يدركوا المقاصد من ظواهر القوانين .... ويميزوا بين الأهم والمهم ويلفتوا أنظار الرؤساء عن طريق المشورة وينبهوا العوم تعليما وتربية......وإن كان هذان القسمان يندرجان تحت أمور السلطنة وضبط شئون المملكة ولكن لاتخفى على العقلاء ما للقسم الأول من المزية على القسم الثاني فمثلا ينبغى لكل جندي ولكل فرد من أفراد الرعية أن يحقق أحكام المندرجة في المراسيم الملكية وينبغي تنويهها في المدن والقرى وتعليقها على الأعمدة والجدران وإعلانها في الأحياء والأسواق .... وينبغي على كل عالم وجاهل معرفتها إن كان يعرف لغتها فبها ونِعْمَ، وإن لم يكن يعرفها يرجع إلى من يعرف اللغة من غير تخصيص،.......عكس القسم الثاني تماما فلا يلزم على كل جندي من الجنود وعلى كل فرد من أفراد الرعية أن يعرف أحكام المستنبطة من العقلاء والمصالح المرتبة من الفضلاء(١)....وكذلك لاتعلق هذه الأحكام ولاتشهر في الجيوش والمدنيين .... بل قد يؤاخذ

(١) وقد أوضح في هذا المثال الفرق بين الأمور الصادرة من الملوك وبين الأمور التي يستنبطها أهل الحل والعقد والعقلاء، وبين مايجب على الرعية تجاه كل أمر، فشتان بين أمر الملك وبين أمر العاقل الذي ==

عليها إن صدر ذلك الفعل على علم ومعرفة، ويصبح نوعا من الخروج على الدولة وإن لم يتعمد ذلك لنُسب إلى الحماقة والسفاهة".

"كذلك تخصيص شخص معين لنفسه من غير أن تعينه الجهات الرسمية، مثل التزامه بواحد من سعاة البريد فيقبل ما وصل عن طريقه من المراسيم السلطانية ولايقبل عن غيره وإن كان ثقة، أو أن يلتزم واحدا من العقلاء والفضلاء فيقبل ما استنبطه من المسائل واستخرجه من المصالح ولايقبل من غيره وإن كانوا عقلاء وفضلاء مثله، وإن استفسر عند الضرورة من بعض العقلاء حكما من الأحكام المستنبطة منهم أو مصلحة من المصالح المستخرجة منهم يعمل به ويلتزمه دائما ولايستفسر عن غيره أبدا، وإن استفسر لايعمل به، بل دائما ينسب نفسه إلى الشخص الأول، ويرى وجوب إظهار النسبة إليه والبراءة من الانتساب إلى غيره في كل مجلس ومحفل(١)..... فهذه الأمور كلها مبنية على السفاهة والجهالة".(٢)

وبعد هذا المثال المفصل الدقيق أراد أن يبين أمرا هاما وهو الرد على من يرى وجوب تقليد الشخص المعين، أو وجوب التمسك بشيخ طريقة معينة، وأشارفي المثال جميع الأمور التي أراد أن ينكر عليها والأمور التي تشبث بها المتعصبة والمبتدعة وتهالكوا بها ثم يقول:" ولما ضربنا هذا المثال كالتمهيد فيعلم أن المالك المطلق والملك بالاستحقاق جلت قدرته قد أقام مصدرين لتنظيم الملة الحقة:

"المصدر الأول: الذي عليه مدار شيوع الملة، وذلك يتعلق بشان الملوكية يعني تكليف عباده بالطاعة عن طريق الإلزام بحيث يقبلونه رغبة أورهبة، ومركز هذا المنبع منصب الرسالة وفروعها أولوالأمر، من الخلفاء الراشدين والأئمة العادلين وأمراء جنود المجاهدين وقضاة المسلمين ونوابهم...... فمرسومه العالي الجليل الشأن، القرآن الواضح البيان والتصريحات العالية الجليلة

استنبط أمرا لتنظيم الأمور، فهو بهذا المثال يشير إلى الفرق بين أمر الله ورسوله وبين ما استنبطه العقلاء والفقهاء، فبون بعيد بينهما فمن لم يراع تلك الفروق فلا يعتبر عاقلا.

(١) يشير بكلامه بأنه كما لاينبغي في الأمور الدنيوية مثل هذه المعاملة من التزام آراء شخص وتخصيصه لنفسه في قبول الأوامر الملكية من غير أن يكون مأمورا من جهة رسمية، كذلك لايجوز في الأمور الدينية تخصص شخص في معرفة الأحكام والتزام آرائه و الانتساب إليه إلا إذا كان مشروعا في الشرع.

(٢) مختصر بلفظه، انظر" ايضاح الحق الصريح في أحكام الميت والضريح ص: ٤١ ـ ٤٥

من الأحاديث القدسية، يوحيها الله إلى رسوله أولا، ويلهم على قلبه الذي هو آية الهداية، القوانين والأوامر لإيضاح مراسيمه التي تسمى بالسنة النبوية، ثم تنشر هذه القوانين في أنحاء العالم بمساعي اولئك النواب المذكورين ويلزم جميع عباده طاعة أولئك النواب، بحيث أن كل من أطاع أمن في الدنيا ونجا في الآخرة، ومن أعرض عنها أصبح مباح الدم في الدنيا ومطرودا في الآخرة، وأعماله باطلة وجهوده مردودة ....".

"المصدر الثاني: في الحقيقة تتمة للمصدر الأول وتكملة له وهذا متعلق بشأن الربوبية، يعني تيسير الأمور التي يفتقر إليها العباد للقيام بمقتضى الأحكام الإلهية والسنة النبوية، ومركز هذا المصدر الدولة، وفروعها مناصب العلماء والأولياء من القراء والمحدثين الذين يبلغون الأحكام الإلهية والأحاديث النبوية إلى جميع الأمة،والمجتهدين الذين يستنبطون الأحكام ومشايخ الطرق(١) الذين يستخرجون التدابير المفيدة لنشر السنة النبوية حسب مصلحة الوقت ومقتضاه وأئمة اللغة والتفسير الذين يشرحون قواعد اللغة.......،والمهبط الأصلي لهذين الكمالين قلوب الأنبياء عليهم السلام، أما الأول فنور وهاج قوي الإشراق يضيئ مراءة الرسالة من شمس السلطنة الإلهية ومنها انعكست أشعته واحتضنت العالم كله واضمحلت ليلة الكفر والفساد وأضاءت نهار الإسلام وجلت نظام الدارين ".

"أما الثاني فماء زلال عذب، نزل عن سحب الربوبية وفار من فوارات حكمة الأنبياء ثم اجتمع في حياض قلوب الخواص ووصل إلى أفواه العطاش الملهوفين للماء حسب مراتبهم."

ثم يصل إلى النتيجة بعد هذا المثال الطويل فيقول:" فيجب احتفاظ مرتبة الأول على الثاني والاهتمام المبذول للأول لاينبغي لثانيه فمثلا، يتحتم على كل فرد سواء كان عالما أو جاهلا أو عاقلا أو سفيها أو كاتبا أو أميا أن يفتش مضامين ظاهر الكتاب والسنة ويحققها إما أن يفهم بنفسه أو باستفهام من يفهمها، ويجب على جميع الأمة من أول اليوم التزام طاعة الأنبياء(٢) وأولي الأمر بالتعيين، وإظهار الانتساب إليهم، والاحتراز من مشابهة الكفار ومخالطة المبتدعة والابتعاد من مشاركة البغاة يعد من أركان الدين، وكذلك القيام بنشر ظاهر الكتاب والسنة بالسيف والسنان، والمناظرة والبيان، و تشهيرهما في جميع المدن والقرى من أركان الدين....

---

(١) فكأنه لايرى بأسا في وجود المشايخ إذا كانوا متمسكين بالسنة ومشغولين بنشرها والعمل بها، وسيأتي الرد عليه.

(٢) الأولى أن يقال طاعة النبي صلى الله عليه وسلم، لأنه لايلزمنا الشرائع الفرعية للأنبياء السابقين.

بخلاف القسم الثاني، فلاحاجة لكل شخص تحقيق الأحكام القياسية وأشغال الصوفية وقواعد اللغة العربية، وليس من أسس الدين إرادة وتقليد شخص معين من المجتهدين والمشايخ(١) ويكفيه أن يستفسر عند الضرورة من أي واحد من هؤلاء، ولن يجعل الإرادة(٢) والتقليد مثل الإيمان بالأنبياء ركنا من أركان الدين فيظهر لقب" الحنفي" و" القادري" مثل إظهار لقب " المسلم" و" السني" ويعتبره من لوازم التدين ويميز نفسه من"الشافعية" و" الجشتية" كما يميز من الكفار والروافض،ويجعل الانتقال من مذهب إلى مذهب أو من طريقة إلى طريقة مثل الارتداد والابتداع والبغي الموجب قتله وهتكه، ويجعل دعوى الاجتهاد والولاية مثل ادعاء النبوة أو ادعاء الإمامة لنفسه بالخروج على الإمام الحق الباعث علىقتاله وإهانته، أما ترى جواز الإجبار على طاعة القاضي ولايجبر على طاعة المجتهد(٣) ولاحق لقاض أن يرد قضاء قاض آخر فكيف أحاد الرعية يستحق ذلك، بخلاف اجتهاد المجتهد فلا يجب قبوله على كل شخص، خاصة إذا كان الشخص في نفسه مجتهدا فالأصل أن لايجوز له تقليد مجتهد آخر، ولايجوز الخروج على الإمام الحق وإن كان في الخارج عليه صلاحية الإمامة، بخلاف دعوى الاجتهاد فيلزم لمن حصل له ملكة الاجتهاد أن يدعي به ويخلع ربقة التقليد عن رقبته."

---

(١) المراد بالإرادة هنا هي إرادة خاصة، إرادة المريد لشيخ طريقة صوفية، فمن أصبح مريدا له لايستطيع العدول عن أمره وقوله ويجب عليه طاعته في كل أمر ويحرم عليه الخروج منه أيضا.وقد أوجبت تعاليم الصوفية الانسلاك في طريقة من طرق الصوفية الأربعة المشهورة كما أوجبوا التمذهب بمذهب من المذاهب الأربعة، ويقول صاحب بذل المجهود،وهو يبين معتقدات الأحناف الديوبنديين:" إنا بحمد الله ومشايخنا رضوان الله عليهم أجمعين وجميع طائفتنا وجماعتنا مقلدون لقدوة الأنام وذروة الإسلام إمام الهمام الإمام الأعظم أبي حنيفة النعمان رضي الله تعالى عنه في الفروع، ومتبعون للإمام الهمام أبي الحسن الأشعري والإمام الهمام أبي منصور الماتريدي رضي الله عنهما في الاعتقاد والأصول، ومنتسبون من طرق الصوفية إلى الطريقة العلية المنسوبة إلى السادة النقشبندية، والطريقة الزكية المنسوبة إلىالسادة الجشتية، وإلى الطريقة البهية المنسوبة إلى السادة القادرية، وإلى الطريقة المرضية المنسوبة إلىالسادة السهرورية، رضي الله عنهم أجمعين " المهند على المفند يعني عقائد أهل السنة رحمهم الله علماء ديوبند" ص: ٣٠

(٢) المراد به كون الشخص مريدا لشيخ من شيوخ الطريقة،وقد أوجب الصوفية التزام شيخ الطريقة أشد من إيجابهم الإيمان بالله.

(٣) يستدل على عدم وجوب طاعة شخص معين من المجتهدين.

بعد هذا التفصيل وحشد الأدلة وإزالة الشبهات يقول الشاه رحمه الله:" ومقصودنا من هذا الكلام كله هو الاشتغال بالكتاب والسنة وتعلمهما وتعليمهما، والسعي في نشرهما و إشاعتهما، وهما بمثابة الأكل والشرب واللبس لأن عليهما مدار الحياة بخلاف الاشتغال في معرفة الأحكام الفقهية المعتمدة،(١) والأشغال الصوفية المفيدة فإنها بمثابة الدواء والعلاج الذي يستعمل عند الضرورة بقدر الحاجة،(٢) ثم يتوجه إلى العمل الأصلي الأساسي، وينبغي أن يكون عنوانه وشعاره **محمديا خالصا**، وأن يتمسك بالسنن القديمة ولايتمذهب بمذهب خاص ولاينسلك في طريقة مخصوصة ويعتبر المذاهب والطرق مثل دكاكين العطارين، أما نفسه فيجعلها من المنضمين إلى الجيش المحمدي، فكما أن شعار الجنود الفروسية وإعلاء كلمة السلطان شغلهم، وعندما يحتاجون إلى الدواء يأخذون من أي دكان يصادفهم ويستعملونها على قدر الضرورة ويحتفظون بقيتها لوقت الحاجة،فينشغلون في أعمالهم الأصلية، كذلك يجب علينا أن نتخذ شعارنا **المحمدية الخالصة** ونجعل شغلنا الشاغل ترويج السنة، أما الأحكام الفقهية الصحيحة وأوراد الصوفية المعتبرة الخالية من شوائب الفساد والبدعة يستعمل بقدر الحاجة ولاينبغي التوغل فيها أكثر من الحاجة".

وخلاصة الكلام أن الأحكام الفقهية التي استنبطها المجتهدون السابقون المعترف بهم في اجتهادهم بالقياس الصحيح فهي من قسم السنة من غير شك ولكنها من قسم السنة الحكمية التي لاتزن بحبة شعيرة مقابل السنة الحقيقية فالإفراط والغلو في ذلك بدعة."(٣)

---

(١) لايقصد الشاه" بالأحكام الفقهية" هنا الأحكام التي تكون مصدرها الكتاب والسنة، بل يظهر من صنيعه بأن المراد بها تفريعات المتأخرين، اللاتي لاتكون معتمدة عليهما، والله أعلم.

(٢) يرى الشاه أن الأشغال الصوفية كالوسائل التي تخدم الغرض الأصلي ولايتعبد بها، ويغض البصر عنها إذا لم تكن فيها مخالفة شرعية ظاهرة، وجانب الصواب في قوله، انظر التعليق عليه ص:

(٣) إيضاح الحق الصريح في أحكام الميت والضريح ص: ٤٥ ـ ٤٩

الفصل الثاني: جهوده في إبطال مايصد عـن التمسك بالكتاب والسنة

ويشتمل على ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: *جهوده في رد التقليد الجامد*

المبحث الثاني: *جهوده في رد تحكيم العقول و الأقيسة الفاسدة*

المبحث الثالث: *جهوده في إبطال علوم، لاتنفع في فهم الكتاب والسنة*

تمهيد

الشاه رحمه الله لم يقتصر على الدعوة إلى الكتاب والسنة مستدلا بالآيات والأحاديث، ومبينا فوائد الرجوع إليهما، ومحذرا عن مخالفتهما، بل قد بين العوائق التي تعوق عن الرجوع إليهما ومن تلك العوائق اتباع الأشخاص والتزام أقوالهم وآرائهم والتعصب لهم وتقليد أقوالهم (والتقليد كما هو مصطلح عليه عند العلماء هو قبول قول الغير بلا حجة ولا دليل)(١).

وجهوده في رد التعصب المذهبي والدعوة إلى الكتاب والسنة وإن كانت مشكورة ولكن تتضاعف أهميتها وقيمتها في بلاد الهند والأفغان،التي أهلها أشد الناس تعصبا لآرائهم الفقهية، وتزداد قيمة جهوده عندما نلاحظ أنه سبق على غيره في إبطاله بكل صراحة وجرأة في ديار الهند(٢) وقد بلغ جمود أهالي تلك المنطقة وتعصبهم أنهم لايزالون يكرهون من لايقلد المذهب الحنفي أشد الكره ويسبونهم بكل سب وشتم ويجعلونهم في صفوف الدهريين، والطبيعيين، والقاديانيين،وغيرها من الفرق الضالة(٣) وهذا القنوجي يصف أحوال الهند في زمنه الذي عرف فيه الناس السنة" ألا ترى أبناء هذا الزمان من مقلدة المذاهب؟ لاسيما هؤلاء الحنفية الساكنة في مدائن الهند كيف غلوا في إثبات تقليد الإمام وجاءوا له بكل حشيش ولايزال جمع منهم يؤلف رسائل ويسود قراطيس في رد العاملين بالكتاب والسنة والمتمسكين بها عداوة للإسلام العتيق....."(٤)

هذا في زمن نعتبره زمن انتشار السنة فكيف في زمن الشاه الذي كان بداية للسنة وعلومها، وأسوق إليك مثالا واحدا من الآلاف المؤلفة من الأمثلة فإن الشيخ محمود الحسن(٥) يقول:" فالحاصل أن مسئلة الخيار من مهمات المسائل وخالف أبو حنيفة فيه الجمهور وكثير من الناس من المتقدمين والمتأخرين صنفوا رسائل في ترديد مذهبه في هذه المسألة ورجح مولانا الشاه ولي الله المحدث الدهلوي قدس سره،مذهب الشافعي من جهة الأحاديث والنصوص و كذلك

---

(١) التعريفات للجرجاني ص: ٦٤

(٢) انظر" علماء ديوبند كا ما ضي تاريخ كـ آئينه مين" ص: ٣٤٧

(٣) انظر" تذكرة رشيد"ص:١٠

(٤) الدين الخالص ٢/ ٨٧

(٥) من كبار مشايخ الديوبنديين يلقبونه ب" شيخ الهند " ت ١٣٣٩هـ انظر" نزهة الخواطر٨/٤٦٥

قال شيخنا مـد ظلـه : يـترجح مذهبـه وقـال: الحـق والإنصـاف أن الـترجيح للشـافعي في هـذه المسألة، ونحن مقلدون يجب علينا تقليد إمامنا أبي حنيفة"(١)

وقد بلغت عداوتهم لغير المقلدين أنهم كانوا يتعدون على دمائهم وأعراضهم في حين كـان الاستعمار يطاردهم ويقتلهم قتلا ذريعا والمبرر لكل هذا النكال بأنهم" وهابيون"، وإذا نجا أحـد من الهند ولجأ إلى مكة أو زارها حاجا أومعتمرا يؤلبـون الحكومـة العثمانيـة عليـه حتـى تسـجنه وتقتله وقد أشار إليه القنوجي فيقول:"... وأما قصة الحال فمـن غرائـب الزمـان وهـي أن أهـل مكة يخرجون كل من يسمعون أنه يعمل بالحديث وينكر التقليد ويضطرونه إلى الخروج والجلاء مع أنه مهاجر غريب الدار والأهل والوطن والسكن، هاجر مـن مالـه وأهلـه حبـا لله ولرسـوله وسكن أشرف البلاد وهو ليـس بمشـغول في رد أحـد مـن أهـل المذاهـب ولا في الجهـاد يصلـي الصلاة في الحرم الشريف المكي، ويطوف ويدرس في بيته مختفيـا إن كـان مـن أهـل العلـم، وإلا يسكت عن الجميع إن كان عاميا، ومع ذلك إذا سمعوا في حق أحـد مـن هـؤلاء المهـاجرين مـن بلاد الهند وغيره أنه لايقلد إماما من الأئمة الأربعة ويتبع السنن ويقتدي بكتـاب ا لله ذي المنـن، سخطوا عليه ورموه بكل حجـر ومـدر وسـعوا بـه إلى الحكـام وألزمـوه مـالا يلزمـه مـن الآثـام وتعاقبوه إلى أن أخرجوه من مكة إلى جدة ومن جدة إلى الغربة"(٢)

---

(١) انظر التقرير للترمذي :ص ٣٦

(٢) الدين الخالص ٣/ ٤١٢ - ٤١٣

المبحث الأول: جهوده في رد التقليد الجامد

المطلب الأول:الرد على التمسك بما يخالف الكتاب والسنة

إن من العوائق الشديدة في الرجوع إلى كتاب الله وسنة النبي صلى الله عليه وسلم، التقليد الجامد. فلما رأى الشاه رحمه الله هذا المنكر المنتشر في بلاد الهند والسند والأفغان، حاول الرد عليه بأساليب عديدة،وبأدلة كثيرة، وبطرق شتى حتى يقنع الناس بالتمسك بما جاء في كتاب الله و ما صح من حديث النبي وإن خالف المذهب. وقد بوب بابا مستقلا بعنوان "ذكر رد بدعات التقليد" في كتابه" رد الإشراك".

يقول في شرحه:" فإن كثيرا من الناس يستدلون بكلام المشايخ والفقراء وبفعلهم، ويعتقدون فيهم أن الحق ما قالوه وما فعلوه سواء كان ذلك موافقا لكلام الله ورسوله أو مخالفا، فكأنهم اتخذوهم المشرعين لهم، وإن نصحهم ناصح واستدل بآية أو بحديث ينكرونه أو يؤولونه ولايبالون بذهاب الإيمان به".

"فالحاكم المطلق هو الله عزوجل، يجب امتثال حكمه ولايمتثل لغيره و امتثال حكم الرسول هو امتثال لحكم الله عزوجل، فالرسول نفسه ليس حاكما، فكيف يستحق ذلك المنصب المجتهد، أو الفقيه، أو المولوي، أو المفتي، أو القاضي، أو طالب علم، أو الغوث أو القطب، أو الولي، أو الشيخ، أو الشهيد، أو ابن الشيخ، أو الخادم أو المجاور، والمريد".

"و لكن يجوز له أن يسأل أهل العلم لقول الله عزوجل: " ﴿ فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لاتعلمون﴾(١) فيجوز له أن يسأل المجتهد، أو العالم، أو الفقيه، أو المفتي، أو القاضي، مسألة شرعية ولكن لايتخذهم حاكما على الشريعة"(٢)

ويدعو الشاه دعوة صريحة إلى التمسك بالكتاب و السنة في كل شيء وإبطال جميع ما يخالفهما فيقول: " ومن عارض أمر الله بأمره، رد و لم تكن له قيمة و لم يأمر الله تعالى بنسج أمثال هذه التخيلات والأوهام، إن أصل الدين وقوامه أن يمتثل العبد أمر الله، ويفضله على كل

---

(١) سورة النحل / ٤٣

(٢) انظر تذكير الإخوان : ١٥٦

شيء، وعلى كل ما انتشر في الناس من العادات والتقاليد، ولكن معظم الناس لا يسلكون هذا الطريق بل يؤثرون أقوال مشايخهم وتقاليدهم على أمر الله وأمر رسوله"(١)

وخلال نهيه عن الإعراض عن حكم الله ورسوله اتباعا للأهواء أو حبا للآباء والأصدقاء والأزواج والأولاد، يقول:" ينبغي أن يقبل من أقوالهم ما كان موافقا للكتاب والسنة ويهجر ما كان غير ذلك، وما أشقى برجل اتبع المسيح الدجال معرضا عن المسيح عيسى عليه السلام وما أسوأ برجل أعرض عن الله الهادي المطلق ورسوله محمد الهادي بالحق واتبع شيطانا"(٢)

ثم إنه رحمه الله يحذرهم عن اتباع العلماء والمشايخ في أخطائهم وعن جدال المنافقين الذين لا يريدون اتباع الحق وكذلك الأئمة والأمراء والقضاة الذين ينحرفون عن الحق، فبسببهم يعم الفساد ويضل الخلق، فيحذرهم عن اتباعهم والفتنة بهم فيستدل عليه بقول عمر رضي الله فيقول:" أخرج الدرامي عن زياد بن حدير قال قال لي عمر هل تعرف ما يهدم الإسلام قلت: لا، قال يهدمه زلة العالم وجدال المنافق بالكتاب و حكم الأئمة المضلين"(٣)

ثم يحذرهم عن اتباع أحد من الخلق مهما بلغ من المرتبة في الدين والعلم فيما يخالفه الشرع فيستدل عليه بالحديث فيقول:" أخرج الشيخان عن ابن عمر رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم السمع والطاعة على المرء المسلم فيما أحب وكره ما لم يؤمر بمعصية فإذا أمر بمعصية فلا سمع ولاطاعة(٤)

وقد تعود المبتدعة على معارضة النصوص الصحيحة بتقاليد الآباء والأجداد كما كان أهل مكة يستندون إليها في رد ما أنزل على النبى صلى الله عليه وسلم فقد كان الشاه يواجه هذه المعارضة فيرد عليها بأسلوب جيد، فيقول في شرح الآية﴿ وإذا قيل لهم اتبعوا ما أنزل الله قالوا بل نتبع ما ألفينا عليه آباءنا أو لو كان آباءهم لا يعقلون شيئا ولا يهتدون﴾(٥)" فإن أمر المسلمين غريب يقدمون طريق آبائهم معرضين عن طريق الله ورسوله وإن كان آبائهم جهالا

---

(١) تقوية الإيمان ص: ١٠٨

(٢) انظر تذكير الإخوان ص: ٧١

(٣) رواه الدارمي ٨٢/١ برقم (٢١٤) وسنده صحيح كما في تخريج المشكوة للألباني ٨٩/١

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه ـ الأحكام ـ باب السمع والطاعة للإمام ... (٧١٤٤) و مسلم ـ الإمارة ـ (١٨٣٩)

(٥) سورة البقرة/ ١٧٠

وضلالا، ولايختارون طريق الله ورسوله وإن كان فيه خير الدنيا والآخرة، وقد بلغ أمرهم إلى هذا الحد بأن أسلافهم فعلوا شيئا لمصلحة،(١) فأصبحوا يقلدونهم فيه مع فوات تلك المصلحة، مثلا لو كان الأب مريدا لأحد فابنه يصبح مريدا لتلك العائلة مع أن شيخ أبيه كان رجلا صالحا عابدا أما ابنه مرائي خادع ولكنه لايتركه أبدا ويلتزمه، ويصبح مريدا له ...، وكذلك لايعلمون البنات القرآن ومسائل الشرع تقليدا لآبائهم فهذه عادة تسربت من الهنادكة (لأنهم يحرمون على بناتهم تعلم العلم) سبحان الله!! مع وجود جميع هذه الأمور يفتخرون بأنهم مسلمون، والواجب على المسلم ألا يستدل بتقاليد الآباء والأجداد مثل الكفار، وإن كان شيء منها يوافق الكتاب والسنة فيقبلها على أنه حكم الله ورسوله ويتعبد به لايقصد به اتباعهم، فالآية تدل على أن اختيار تقاليد الآباء والاستناد إليها في مقابل الكتاب والسنة من أعمال الكفر وقد زجر الله الكفار على صنيعهم هذا"(٢)

المطلب الثاني: مضار التقليد الجامد

أ- الغلو في تقليد الأشخاص شرك:

يقول الشاه:" قال الله عزوجل :﴿اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله والمسيح ابن مريم وما أمروا إلا ليعبدوا إلها واحدا لا إله إلا هو سبحانه عما يشركون﴾(٣) يقول في شرحها "وقد ثبت عليهم الشرك لإيجابهم على أنفسهم أحكام علمائهم ومشايخهم مع حكم الله عزوجل وهو احد لاشريك له فإنهم كلهم خلق الله محكومون فكيف أصبحوا حاكمين يتدخلون في أحكام الله بعقولهم"(٤)

ويؤكد هذا المعنى بآية أخرى فيقول:" قال الله تعالى﴿ أم لهم شركاء شرعوا لهم من الدين ما لم يأذن به الله ولو لاكلمة الفصل لقضي بينهم وإن الظالمين لهم عذاب أليم﴾(٥) يقول في

---

(١) ليست فيما يخالف الكتاب والسنة من مصلحة.

(٢) تذكير الإخوان ص: ١٦٤- ١٦٥

(٣) سورة التوبة /٣١

(٤) تذكير الإخوان ص: ١٥٧ - ١٥٨

(٥) سورة الشورى / ٢١

شرحه :" فالآية تدل على أن من شرع في الدين من عند نفسه ومن عمل به فقد ثبت عليه الشرك فيدخل في عذاب أليم يوم القيامة"(١)

وقد استدل بالآية المذكورة وبحديث عدي بن حاتم عدة مواضع يستدل على عدم الغلو في الأشخاص وآرائهم يقول في موضع:" أخرج الترمذي عن عدي بن حاتم قال: أتيت النبي صلى الله عليه وسلم وفي عنقي صليب من ذهب فقال: يا عدي اطرح عنك الوثن وسمعته يقرأ في سورة براءة ﴿ اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله ﴾ وقال: إنهم لم يكونوا يعبدونهم ولكنهم كانوا إذا أحلوا لهم استحلوه وإذا حرموا عليهم شيئا حرموا(٢) ويشرحه بقوله: "فإن اليهود والنصارى كانوا يستحلون ما أحل مشايخهم وعلماءهم ويحرمون ما حرموا عليهم و لم يكونوا يرجعون إلى التوراة والإنجيل فقال الله عزوجل إنهم أشركوا با لله عزوجل بهذا العمل فيدل الحديث على أنه لاينبغي للمسلم أن يختار طريق اليهود والنصارى، ويجب عليه أن يعتبر الله عزوجل الحاكم الأصلي والشارع الحقيقي، ويقدم القرآن على كل شيء ويتبع ما في القرآن ولايقدم عليه قول إمام ولاشيخ..... ".(٣)

ب – الغلو في التقليد والتعصب داء عضال أهلك الشيعة

يقول الشاه رحمه الله يرد على التقليد وجناياته أن من يلتزم به يضطر إلى تأويل النصوص وإخضاعه لقول إمامه، وقد كانت الشيعة هلكت بهذا الداء العضال حيث غلت في أئمتها حتى خرجت من الدين واتبعت شريعة جديدة، يقول رحمه الله:" وقد غلا الناس في التقليد وتعصبوا في التزام تقليد شخص معين حتى منعوا الاجتهاد في مسألة ومنعوا تقليد غير إمامه في بعض المسائل وهذا هي الداء العضال التي أهلكت الشيعة فهؤلاء أيضا أشرفوا على الهلاك إلا أن الشيعة قد بلغوا أقصاها فجوزوا النصوص بقول من يزعمون تقليده وهؤلاء أخذوا فيها، وأولوا الروايات المشهورة إلى قول إمامهم،والحق تأويل قول الإمام إلى الروايات إن قبل وإلا فالترك"(٤)

---

(١) تذكير الإخوان ص: ١٥٨

(٢) رواه الترمذي ـ التفسير ـ (٣٠٩٤) قال الترمذي هذا حديث غريب. والحديث حسن انظر غاية المرام في تخريج أحاديث الحلال والحرام ص: ٢٠

(٣) تذكير الإخوان ص: ١٦٠ـ ١٦١

(٤) تنوير العينين ص: ٢٥

وقد قرر ذلك شيخ الإسلام ابن تيمية من قبل فيقول: " أن من نصب إماما فأوجب طاعته مطلقا اعتقادا أوحالا، فقد ضل في ذلك كأئمة الضلال الرافضة الإمامية حيث جعلوا في كل وقت إماما معصوما يجب طاعته فإنه لامعصوم بعد الرسول ولاتجب طاعة أحد بعده في كل شيء ...(١) ويقول أيضا :" ومن تعصب لواحد بعينه من الأئمة دون الباقين فهو بمنزلة من تعصب لواحد بعينه من الصحابة دون الباقين كالرافضي الذي يتعصب لعلى دون الخلفاء وجمهور الصحابة(٢)

ج – الطعن في من تمسك بالسنة:

ومن مضار التقليد الجامد، الطعن في من تمسك بالسنة وترك التقليد يقول الشاه في صدده " والعجب من القوم لايخافون من مثل هذا الاتباع بل يخيفون تاركه فما أحق هذه الآية في جوابهم ﴿ وكيف أخاف ما أشركتم ولاتخافون أنكم أشركتم با لله ما لم ينزل به عليكم سلطانا فأي الفريقين أحق بالأمن إن كنتم تعلمون﴾(٣) فتدبر وانصف ولاتكن من الممترين ونعوذ با لله أن نكون من المتعصبين"(٤)

وكان علماء السنة يعانون من هذه البلية كما يقول الفلاني رحمه ا لله: "فقد شاهدنا في هذه الأعصار رأيا مخالفا لسنة رسول ا لله صلى ا لله عليه وسلم مصادما لما في كتاب ا لله عزوجل قد جعلوه سنة واعتقدوه دينا يرجعون إليه عند التنازع وسموه مذهبا ولعمري أنها لمصيبة وبلية وحمية وعصبية أصيب بها الإسلام إنا لله وإنا إليه راجعون"(٥)

المطلب الرابع: الرد على من أوجب التقليد

ثم يتطرق إلى الرد على من أوجب التقليد الشخصي ويرد عليه بكل شدة فيقول:" و ليت شعري كيف يجوز التزام تقليد معين مع تمكن الرجوع إلى الروايات المنقولة عن النبي صلى ا لله عليه وسلم الصريحة الدالة خلاف قول الإمام المقلَّد، فإن لم يترك قول إمامه ففيه شائبة من

---

(١) الفتاوى ١٩/ ٦٩

(٢) الفتاوى ٢٢/ ٢٥٢

(٣) سورة الأنعام / ٨١

(٤) تنوير العينين ص: ٢٧- ٢٨

(٥) ايقاظ همم أولي الأبصار للفلاني ص: ١٣ - ١٤

الشرك كما يدل عليه حديث الترمذي عن عدي بن حاتم أنه سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قوله ﴿اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله والمسيح بن مريم﴾ فقال : يا رسول الله إنا لم نتخذ أحبارنا ورهباننا أربابا، فقال: إنكم حللتم ما أحلوا وحرمتم ما حرموا(١) يقول الشاه:" وليس المراد بالتقليد في العقائد على ما ينطق به لفظ "حللتم وحرمتم" فإن التحليل والتحريم إنما يستعملان في الأفعال، وليس المراد به التقليد مطلقا وإلا لزم تكليف كل عامي بالاجتهاد، وليس المراد به رد النصوص وإنكارها في مقابلة قول أئمتهم وإلا لم يكونوا نصارى، بل المراد هو تأويل الدلائل الشرعية إلى قول أئمتهم..."(٢)

ونوع أسلوبه في الاستدلال في رد التقليد الشخصي ومقصود كلامه أن من تمسك بقول إمام معين وترك ما يخالفه من الحديث الصحيح و لم يرجع إلى الراوايات الصحيحة مع تمكن الرجوع إليها ففيه شائبة من الشرك لأنه أطاعهم في تحليلهم وتحريمهم، والطاعة في التحليل التحريم والمعصية بمثابة اتخاذ الأرباب من دون الله كما هو موجود في الآية وكما صرح به السلف من المفسرين.

قيل لحذيفة : أرأيت قول الله اتخذوا أحبارهم: قال: أما إنهم لم يكونوا يصومون لهم ولايصلون لهم ولكنهم كانوا إذا أحلوا لهم شيئا استحلوه وإذا حرموا عليهم شيئا حرموه فتلك كانت ربوبيتهم"(٣)ثم يدفع ما يعترض على استدلاله بأن المراد منه هو أن يعتقد فيهم بما يعتقد في رب العلمين،فيرد هذه الشبهة بقوله " وليس المراد بالتقليد في العقائد" أي ليس المقصود في الآية هو الاعتقاد فيهم بالنفع والضر ونحوه بل المراد هو اتباعهم فيما أحلوه وما حرموه لأن لفظ التحليل والتحريم إنما يستعملان في الأفعال دون العقائد. ولقائل أن يقول إن أهل الكتاب كانوا يردون الوحي والنصوص الإلهية ولذلك قال الله فيهم إنهم اتخذوا الأحبار والرهبان أربابا من دون الله، فيجيب الشاه على هذا الاعتراض بأنه لايمكن أن تحمل الآية على المعنى المذكور لأنه يلزم منه الكفر و به يخرجون من الملة النصرانية، ولكن القرآن لم يعتبرهم خارجين من النصرانية بل عدهم منها ويجعلهم من المشركين لأسباب مذكورة في القرآن وفسره النبي صلى الله عليه وسلم ألا وهو قبول قولهم في التحليل والتحريم.

(١) سبق تخريجه.ص: ١٥٦

(٢) تنوير العينين في إثبات رفع اليدين ص: ٢٧

(٣) تفسير ابن جرير ٦/ ٣٥١

فإذا انتفت هذه الشبهات لايبقى إلا أن نفهم أنهم كانوا يُخضعون الدلائل الشرعية لما كان يشرع لهم علماء هم ولذلك يقول الشاه في الأخير" وليس المراد به رد النصوص وإنكارها في مقابلة قول أئمتهم وإلا لم يكونوا نصارى بل المراد هو تأويل الدلائل الشرعية إلى قول أئمتهم"(١) يعني أنهم أصبحوا مشركين لتأويل الدلائل الشرعية إلى قول أئمتهم، فمن فعل مثل فعلهم يجرى عليه الحكم الذي جرى عليهم، من اتخاذ الأحبار والرهبان أربابا من دون ا لله.

ثم يواصل الرد على من يلتزم تقليد الشخص المعين فيقول: " فعلم من هذا إن اتباع شخص معين بحيث يتمسك بقوله وإن ثبت على خلافه دلائل من الكتاب و السنة ويؤولهما إلى قوله، ففيه شوب من النصرانية وحظ من الشرك"(٢)

يقول ابن عبد البر رحمه ا لله :" وقد احتج العلماء بهذه الآيات في إبطال التقليد و لم يمنعهم كفر اولئك من الاحتجاج بها لأن التشبه لم يقع من جهة كفر أحدهما وإيمان الآخر وإنما وقع التشبيه بين التقليد بغير حجة للمقلد،كما لو قلد رجل فكفر وقلد آخر فأذنب فقلد آخر في مسألة دنياه فأخطأ وجهها،كان كل واحد ملوما على التقليد بغير حجة لأن كل ذلك تقليد يشبه بعضه بعضا وإن اختلفت الآثام فيه"(٣)

الحق ليس محصورا في المذاهب الأربعة:

يقرر في موضع آخر أن الحق ليس محصورا في مذهب من المذاهب بل الواجب على المسلم أن يرجع إلى الحديث الصحيح إذا وجده، سواء كان في المذهب أم لا، فيجيب على سؤال، سُأل عن رجل يعتقد أن الحق محصور في المذاهب الأربعة فيقول الشاه:" هذا القائل مخطئ وقوله باطل ولكن يصعب أن تميل المذاهب الأربعة كلها عن الحق ولكن يمكن أن يجد المتأخرون حديثا صحيحا لأن علم النبي صلى ا لله عليه وسلم قد انتشر في الآفاق ولو وجد حديثا يخالف المذاهب الأربعة فلا يرد لمجرد مخالفتها بل الواجب تحقيقه والتثبت فيه وإن ثبت كونه صحيحا

---

(١) تنوير العينين ص: ٢٧

(٢) المصدر السابق

(٣) جامع بيان العلم وفضله ٢/١١٠

وجب القبول له، وهذا القبول أيضا يعتبر من اتباع المذاهب الأربعة لأن أبا حنيفة قال: يرد قولي إذا خالف الحديث"(١)

ويقول الشاه في موضع بأن اتباع المذاهب بالنسبة للعوام جيد ولكن يجب على كل واحد إذا وجد حديثا صحيحا غير منسوخ الرجوع إليه فيقول:" فإن متابعة المذاهب الأربعة الرائجة بين أهل الإسلام جيد ولكن لايعتبر بأن علم الرسول صلى الله عليه وسلم منحصر في شخص واحد بل علمه منتشر في جميع العالم ووصل إلى كل واحد حظ منه حسب ظروفه، ولما ألفت الكتب ظهر ذلك العلم مجتمعا فإذا وجد حديثا صحيحا صريحا غير منسوخ لايتبع مجتهدا كائنا من كان ، ويجعل أهل الحديث هاديه فيحبهم حبا جما لأنهم يحملون علم الرسول صلى الله عليه وسلم كأنهم بمصاحبته صلى الله عليه وسلم أصبحوا مقبولين عند الله عزوجل."(٢)

ومما يتعلق بهذا الموضوع هو التقيد بمذهب من المذاهب وإمامه وعدم الخروج منه وأوجب بعض المتأخرين التقليد الشخصي وهو التمسك بمذهب من المذاهب الأربعة ويرد عليهم الشاه بأن التزام المذاهب الأربعة ليس بواجب فيقول:" إن اتباع غير الأربعة أيضا مما لم يجمع على منعه قال صاحب "المسلّم"(٣) في آخر الكتاب" وعليه أي على منع العوام من تقليد الصحابة ابتنى ابن الصلاح منع تقليد غير الأربعة، لأن ذلك أي التنقيح والتسبير لم يدر في غيرهم، وفيه ما فيه ثم بين وجه النظر في المنهية ناقلا عن العراقي أنه انعقد الاجماع على أن من أسلم فله أن يقلد من شاء من العلماء بغير حجر، وأجمع الصحابة على أن من يستفتي أبا بكر وعمر وقلدهما فله أن يستفتي أبا هريرة، ومعاذ بن جبل وغيرهما ويعمل بقولهم من غير نكير فمن ادعى على رفع هذين الإجماعين فعليه الدليل"(٤) ويرد عليهم بوجه آخر بأن اتباع مذهب واحد في نفسه ليس تقليد شخص معين لأنه ليس لإمام واحد بل هو مركب من اجتهادات عديدة من المجتهدين ولو سلم وجوب تقليد شخص معين خلال مذهب من المذاهب الأربعة كما يقرر،

---

(١) انظر مطرق الحديد ص: ٦٦ نقلها من رسالة مخطوطة للشاه إسماعيل رحمه الله، و لمعرفة أقوال الأئمة التي تنص بالرجوع إلى ما صح من الحديث انظر مقدمة "صفة صلاة النبي صلى الله عليه وسلم "و" إيقاظ همم أولي الأبصار للفلاني ص: ٦٢ وما بعدها

(٢) انظر صراط مستقيم ص: ٩٦

(٣) يعني كتاب "مسلم الثبوت" في أصول الفقه، مطبوع على حاشية المستطفى. و الكتاب لمحب الله البهاري الهندي ، انظر ترجمته في أبجد العلوم ٣/٢٣٣

(٤) تنوير العينين في إثبات رفع اليدين ٢٥ ـ ٢٧

فلا تثبت دعواهم، لأن المذهب ليس لشخص معين، فيقول:" إن اتباع مذهب الحنفية مثلا ليس تقليد شخص معين فإن المذهب الحنفي عبارة عن مجموع أقوال عمدة المجتهدين المطلقين كأبي حنيفة وصاحبيه وزفر فإن نسبة أبي يوسف مثلا إلى أبي حنيفة كنسبة أحمد إلى الشافعي على ما يظهر بالرجوع إلى مواضع الاختلاف من الفروع والأصول فوحدة هذا المذهب اختيارية فنقول وحدة المذاهب الأربعة أيضا كذلك فلا يلزم على متبعه نقصان كما لايلزم على متبع المذهب الحنفي"(١)

رد شبهة المقلدين:

ومن شبه المقلدين الذين يتركون الحديث الصحيح أن الأئمة والعلماء السابقين لم يأخذوا به ولو كان صحيحا لأخذوا به، فيجيبهم الشاه ويقول: "إنه رُبَّ عالم وسيع العلم خفي عليه مسألة يتفق عليها، وتكون مشهورة قبله، فإن الإمام مالك رحمه الله مع كونه أعلم من الثوري،على ما تشهد به أقوال الفقهاء قد خفي عليه وضع اليد على الأخرى في الصلوة ويحكى أنه حكم بالإرسال(٢) مع أنه كان مشهورا في القرن الأول واتفق عليه أكثر العلماء في القرون الأخرى" ثم يؤكد ذلك فيقول:" وقد خفي على الأجلة من الصحابة أشياء كثيرة فقد خفي على ابن مسعود، الأخذ بالركبة، (٣) وخفي على علي حرمة بيع أمهات الأولاد(٤) وعلى عمر تطهير المتيمم، من الجنابة(٥) ومثل هذا كثير، على أنه قد سبق اتفاق أكثر الكبار عليه، كأبي بكر، وابن عمر، وجابر، وغيرهم وهكذا من التابعين". (٦)

---

(١) المصدر السابق

(٢) روى عنه الإرسال والوضع ، انظر نيل الأوطار٢/٢٠٨ وقد روى حديث الوضع في الموطأ.

(٣) وكان رضى الله عنه يطبق يديه بين ركبتيه، ولم يكن يقبض الركبتين، وكان الصحابة أمروا به أولا ثم نهوا عنه، انظر سنن أبي داود ـ الصلاة ـ ٨٦٨ والنسائي ٢،١٤٣

(٤) لم يخف عليه بيع أمهات الأولاد، بل وافق عمر في حياته، وخالفه بعد ما ولي، ثم رجع عن مخالفته، انظر التفاصيل في تلخيص الحبير ٤/٢١٩ وإرواء الغليل ٦/١٨٩

(٥) انظر قصة نسيان عمر حديث التيمم في البخاري (٣٣٨) والفتح ١/٤٤٣

(٦) تنوير العينين ص: ٢١

المطلب الخامس : حكم التقليد

بعد ما بين بدع التقليد وآثاره الوخيمة أراد أن يبين حكم التقليد الذي أفرط فيه الناس فيقول:" أخرج البيهقي عن ابراهيم بن عبد الرحمن العذري قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: يحمل هذا العلم من كل خلف عدوله، ينفون عنه تحريف الغالين وانتحال المبطلين وتأويل الجاهلين(١)

يقول في شرحه:" والعجب أن يتعلم الرجل كل العلوم من الصرف والنحو واللغة والمنطق وعلم المعاني وأصول التفسير والحديث ثم لا يبحث عن حقيقة المسألة الفقهية من أين استنبطت وبأي آية أو حديث استدل عليها فمثله مثل البصير الذي يغمض عينيه ويتبع كل ناعق مثل الأعمى، فهذا يليق برجل لايعلم الكتاب والسنة ولايفهمهما، وأما العالم العارف بأصول التفسير والحديث واللغة والنحو، يجب عليه أن يعرض كل مسألة على الكتاب والسنة فإن وافق أخذ وإلا حاول توجيهها وإن كان مخالفا صريحا يرده سواء كان قول إمام أو شيخ ولايبعد أن يقع هؤلاء في الخطأ لأنه لامعصوم غير النبي صلى الله عليه وسلم"(٢)

ويقول تأكيدا لقوله بأنه لايجوز أبدا إذا حصل له أمر بالاجتهاد أن يقلد فيه غيره، فكيف يجوز له بعد علمه ومعرفته أن هذا هو الحق، أو قريب من الحق وأن الله يرضى به ثم يخالف الله عزوجل بتقليد أحد من خلقه، فيقول:" وليس للمسلم أن يقلد أحدا فيما حصل له بالاجتهاد اختياريا كان أو اضطراريا، كيف وهل من شأنه إذا حصل له الاطمينان بأن خالقه يرضى له الفعل الفلاني ويكره الفلاني ثم يتبع مخلوقا من المخلوقين"(٣)

وعندما بين بأنه لايجوز التقليد للعالم المتمكن في العلوم الشرعية يجعله رخصة فيقول:" و الاعتماد في ذلك (في معرفة الأحكام) على قول الثقات، وهو التقليد رخصة"(٤) جعله رخصة

---

(١) أخرجه البيهقي في السنن الكبرى بهذا السند ـ ٢٠٩/١٠ وأخرجه غيره بطرق عديدة ، واختلفت آراء العلماء في الحكم على الحديث ، صححه الإمام احمد وضعفه ابن القطان والعراقي، و الحديث يصل إلى درجة الحسن، انظر تخريجه المفصل في " ضوابط الجرح والتعديل" ص: ٢٣-٢٦ وعلم أصول البدع ص: ٤٧

(٢) تذكير الإخوان ص: ١٥٩

(٣) أصول الفقه ص: ١٣٧

(٤) المصدر السابق ص: ١٢٩

يعمل عليها عند الضرورة، فالاستمرار عليه غير محمود، و لـذا يقـول:" والتقليـد ليـس بواجـب لكن إذا نزل نازلة لأحد و لم يتحصل الاطمينان سأل أي ثقة وجد وهو مسألة التجزىء"(١)

الرجوع إلى العلماء الثقات من غير تعيين.

ثم يقرر بان تقليد المعين الشائع بين العوام والخواص غير لازم بل الواجب على المسلم أن يرجع إلى واحد من علماء الثقات في معرفة حكم شرعي كما كـان عـادة المسلمين في القـرون الأولى قبل انتشار التقليد الشخصى، فيقول:" وتقليد المعين ليس بواجب بل يكفي العزيمـة على اتباع ثقة من الثقات (٢) نعم إذا ظن أن الوثوق منحصر في شخص واحد فحينئذ يجـب التعـين به"(٣)

وقد تجاوز المتعصبون في إيجاب التقليد بل أوجب كل واحـد منهـم تقليـد إمامـه وأتباعـه" فقالت طائفة: ليس لأحد أن يختار بعد أبي حنيفـة وأبـي يوسـف وزفـر بـن الهذيـل ومحمـد بـن الحسن والحسن بن زياد اللؤلئي وهذا قول كثير من الحنفية"(٤) و لم يكتفوا على هذا بـل قعـدوا قاعدة لحصر الناس في مذهب من المذاهب حتى لايخطر على قلبه الخروج منه فقالوا: " كل آيـة تخـالف مـا عليـه أصحابنـا فهـي مؤولـة أو منسـوخة، وكـل حديـث كذلـك فهـو مـؤول أو منسوخ"(٥)

" ومثـل هـذا القـول قالـه أكـثر العلمـاء المذهبيـين المتـأخرين بلسـان قـالهم أو بلسـان حالهم..."(٦)

---

(١) المصدر السابق ص: ١٤٠- ١٤٢ والمراد بمسألة التجـزىء هـو تجـزئ الاجتهـاد، بحيـث يتمكـن العـالم بالاجتهاد في بعض المسائل دون بعضها، وهذا جائز عند المحققين من العلماء فيجوز له أن يجتهـد فيمـا استطاع ويأخذ فتوى غيره فيما لم يستطع.

(٢) يقول الغزالي:"لايستفتي العامي إلا من عرفه بالعلم والعدالة أما مـن عرفـه بـالجهل فـلا يسـأله وفاقـا" المستصفى٢/ ٣٩٠

(٣) أصول الففه ص: ١٤٣

(٤) إعلام الموقعين ٢/ ٢٥٦ وقد ذكر ابن القيم أقوالا عديدة فراجعه.

(٥) انظر مقدمة" الاتباع" لابن أبي العز ص: ٦

(٦) بدعة التعصب المذهي ص: ١٣٥

ثم إنهم لما أوجبوا تقليد إمامهم لم يجوزوا لأحد أن يخرج من مذهب إلى مذهب وإن كان دافعه التمسك بالسنة الصحيحة(١)

وقد رد عليهم ملا على القاري بقوله :" وإن اشتهر بين الحنفية إن الحنفي إذا انتقل إلى مذهب الشافعي يعزر وإذا كان بالعكس فإنه يخلع عليه فهو قول مبتدع ومخترع...(٢)

ويستدل الشاه بعدم التزام شخص معين بأن السلف لم يكونوا يلتزمون شخصا واحد ا فيجوز أن يأخذ من هذا وذاك حسب الضرورة فيقول:" ونحن نثبتها أي تجزئ الاجتهاد وتجزئ التقليد، أما الثاني: فلأنه لم ينقل عن عوام الصحابة والتابعين وغيرهم من السلف التزام شخص معين بل كان دأبهم في تحقيق المسألة الاستفتاء عن الفقهاء، فتارة من هذا وتارة من ذلك قال في المسلم:" لايرجع المقلد عما عمل به اتفاقا وهل يقلد غيره في غيره، المختار، نعم"(٣) ونقول:" أيضا أن بعد التزام تقليد شخص معين لم يجمع على لزوم الاستمرار عليه كما قال في المسلّم "ولو التزم مذهبا معينا فهل يلزم الاستمرار عليه فقيل: نعم، وقيل: لا، إذ لاواجب إلا ما أوجبه الله، وعليه السبكي وهو الغالب على الظن"(٤) ويستفاد منه أن المراد بالرجوع هو ما ذكرنا، وإلا فإن كان المراد بالرجوع في فعل هو الرجوع في نوع ذلك الفعل فكيف يمكن الاتفاق في منعه والاختلاف في الاستمرار بعد الالتزام، فإنه إذا التزم تقليد شخص معين فقد التزم في جميع الأفعال فإذا خالفه في فعل لزم الرجوع، بل نقول إن فيما اشتهر من منع التقاط الرخص أيضا خلاف"(٥)

ثم إنه يرجح تقليد الحي دون الميت لأنه أيسر للمراجعة وأقرب للوصول إلى دليله فيقول: " وتقليد الحي أولى من تقليد الميت إلا إذا شك في وثوق الأحياء وتيسر له المراجعة إلى أقوال الميت تفصيلا"(٦)

---

(١) إرشاد النقاد إلى تيسير الاجتهاد ص: ٢٨

(٢) المصدر السابق : ٢٩

(٣) انظر فواتح الرحموت بشرح "مسلم الثبوت" على حاشية المستصفي ٢/ ٤٠٥

(٤) المصدر السابق

(٥) تنوير العينين ص: ٢٥ ـ ٢٦ فإن الشاطبي رحمه الله لايجوز تتبع رخص المذاهب ويجعله من باب اتباع الهوى وله كلام مفصل في هذا الباب انظر الموافقات ٤/ ١٤٤ وجوزه ابن الهمام وابن الأمير الحاج من الأحناف انظر " التقدير والتحبير لابن الأمير الحاج والشرح عليه لابن الهمام ٣/ ٣٥١

(٦) أصول الفقه ص: ١٤٥

المبحث الثاني: جهوده في رد تحكيم العقول و الأقيسة الفاسدة

إن العالم بالكتاب والسنة عند ما يرى حال المسلمين وبعدهم عن التوحيد والسنة واستغراقهم في الشرك بجميع أنواعه وفي البدع المتنوعة يدرك أن وراء هذا الضلال أسباب عديدة، ومن أهم تلك الأسباب بعد الناس من الكتاب والسنة و اعتمادهم على عقولهم القاصرة وأهوائهم الجامحة، فإن " الهوى " لم يذكره الله في الكتاب إلا ذمه(١) ولذا نرى السلف رحمهم الله كانوا يذمون الرأي المخالف للكتاب والسنة ذما شديدا، بل لم يكونوا يعتبرون أهل الرأي من أهل السنة وكانوا " يسمون أهل الآراء المخالفة للسنة وما جاء به الرسول في مسائل العلم الخبرية ومسائل الأحكام العملية، أهل الشبهات والأهواء لأن الرأي المخالف لسنة جهل لاعلم وهوى لادين"(٢)

ومن آثار الاعتماد على الرأي والآراء و القياس الفاسد تفرق الأمة إلى فرق عديدة، فرق عقدية، وفرق مسلكية وفرق متعصبة الفروع، وقد حذر أئمة السلف عن ترك السنة وتحكيم العقول والآراء وإجراء الأقيسة الفاسدة في الدين فقد كتب عمر بن عبد العزيز إلى الناس (لارأي لأحد مع سنة سنها رسول الله صلى الله عليه وسلم)(٣) يقول إمام أهل السنة أحمد بن حنبل رضي الله عنه:"... وليس في السنة قياس ولاتضرب لها الأمثال ولاتدرك بالعقول ولا الأهواء إنما هي الاتباع وترك الهوى..(٤)

وقد تضافرت جهود الشاه في رد تحكيم الرأي والعقل والضلالة الناشئة منه،

---

(١) الموافقات ٤/ ١١٥

(٢) إغاثة اللهفان ٢/ ١٩٣

(٣) الإبانة ١/ ٢٦٣

(٤) شرح اعتقاد أهل السنة والجماعة للالكائي ص: ١٥٦

المطلب الأول : جهوده في الرد على تحكيم العقول

ويقول عن سبب انحراف الناس عن صراط ا لله المستقيم: " إن الناس ينحرفون عن صراط ا لله المستقيم إذا غلبهم الهوى وجمحت بهم النفوس(١)

ويقول بعد ما ذكر من الأعمال الشركية التي وقع فيه المسلمون " والسر في ذلك أن القوم قد نبذوا كلام ا لله وسنة رسوله وراء ظهورهم وسمحوا لعقولهم القاصرة بأن تتدخل فيما ليس لها مجال فيه وتشبثوا بالأساطير والروايات الكاذبة التي لاتستند إلى تاريخ ونقل صحيح، واحتجوا بتقاليد خرافية وعادات جاهلية وإن كانوا اعتمدوا على كتاب ا لله وسنة رسوله وقاموا بتحقيقها، عرفوا أنها نفس التأويلات و الحجج التي كان كفار العرب يتمسكون بها في عصر النبي صلى ا لله عليه وسلم ويحاجون بها..."(٢)

وقد أشار إلى أهم الأسباب التي أوقعت الناس في الشرك وهي:

١- الإعراض عن كتاب ا لله وسنة رسوله .

٢- تحكيم العقول في أمور الدين.

٣- التشبث بالروايات الكاذبة والأساطير المزورة.

٤- الاحتجاج بالتقاليد والعادات كما كان الكفار يحتجون بها.

ويرد على من يلجأ إلى العقل في أمور الشرع أو يحكمه بقوله:" وينبغي العلم بأن أمور الإيمان لايعلم إلا عن ا لله ورسوله ولادخل للعقل فيه ولو كانت تدرك بالعقول لكان بقراط(٣) وأرسطاطاليس(٤)، أكمل المسلمين ويجب إخضاع العقل للشرع وليس العكس"(٥) فكما أنه لايجوز معارضة الكتاب والسنة بقول أحد أو رأيه كذلك يقرر في رسالته في علم أصول الفقه بأنه لايجوز أن يعارض الكتاب والسنة بالقياس إلا الخبر الضعيف(٦) يعني" إذا وقع الحكم في

---

(١) تقوية الإيمان ص: ٥٣

(٢) المصدر السابق ص: ٤٠

(٣) بقراط واضع الطب الذي قال بفضله الأوائل والأواخر، وكان أكثر حكمته في الطب وشهرته به، انظر أبجد العلوم ١١٣/٣ وحاشية الملل والنحل ٢/ ١٠٩

(٤) وهو المسمى بأرسطو فيلسوف يوناني له مؤلفات كثيرة عاش مابين ٣٨٤ - ٣٢٢ ق، م - حاشية بغية المرتاد ص: ١٨٠

(٥) تذكير الإخوان ص: ٧٣

(٦) أصول الفقه ص:١٢١

الكتاب والسنة الصحيحة أو الحسن وعارضه القياس فالقياس مردود، وإذا تعارض الخبر الضعيف و القياس الجلي، يقدم القياس عند المصنف ويؤول الخبر وإن كان خفيا يقدم الخبر ويترك القياس"(١) ولاشك أنه لايجوز معارضة الكتاب والسنة بالقياس، يقول القرطبي نقلا عن ابن عباس و الحسن وابن سيرين:" أول من قاس إبليس فأخطأ القياس، فمن قاس الدين برأيه قرنه الله مع إبليس"(٢) وقد أنكر الشاه على من يتمسك بالأقيسة الضعيفة (٣)

ثم يقول بعد شرح هذا الموضوع : " فالخلاصة أن كل حكم مستنبط من قياس فاسد من قسم البدعة وإن كان الذي استنبطه معذورا... لأن الذي يقيس شيئا على شيء زاعما أنه نظيره وفي الحقيقة لايكون نظيرا له، فالحكم المستنبط يكون محدثا، فمن اعتبر ذلك الحكم المحدث أنه من الدين يصبح أمرا محدثا في الدين وهذا هو مفهوم البدعة"(٤)

المطلب الثاني:جهوده في إبطال المعتقدات الفاسدة المبنية على العقول والظنون

وقد أوضح الشاه رحمه الله خلال كلامه عن البدعة أن كثيرا من المحدثات التي ترسخت في المسلمين ليس وراءها دليل شرعي، فإنما تشبثوا بها بأدلة موهمة وقد لاتتجاوز تلك الأدلة عن دعاوي محضة فيعتقدون في البدع والمحدثات أنها من الدين بمجرد تلك المزاعم فيقول:" وينشأ هذا الاعتقاد من جهتين (أي اعتقاد كون المحدثات من الدين وأنها مشروعة)

١ـ من جهة اعتقاده الجازم بأنها مشروعة من الله عزوجل وأنه جعلها من الدين فيقول: " وهذه العقيدة أيضا تنشأ لأسباب:

"أولا: الدعوى المحضة بغير دليل وبمجرد المعاندة يحاول إثباته ويقول: "أنا أعرفه جيدا، هذا قولي، وهكذا يقول عقلي....وهذا في الحقيقة افتراء على الله وتقول في الدين، وهو من أقبح القبائح وأشنع الشنائع وصاحبها مردود من الله عزوجل كما قال﴿ يا أيها الناس كلوا مما في الأرض حلالا طيبا ولاتتبعوا خطوات الشيطان إنه لكم عدو مبين إنما يأمركم بالسوء والفحشاء

---

(١) شرح الغوندلوي لأصول الفقه للشاه اسماعيل ص:١٢١

(٢) تفسير القرطبى ٤/ ١٧١ وقد حسن ابن كثير الاسناد المروي عن الحسن، انظر تفسير ابن كثير ٢/ ٢١٢

(٣) انظر رسالته أصول الفقه ص: ١١٣، وكتابه " إيضاح الحق الصريح في أحكام الميت والضريح "ص:٣٧-٤٠

(٤) إيضاح الحق الصريح في أحكام الميت والضريح ص:٣٩

وأن تقولوا على الله ما لاتعلمون ﴾(١) ويقول في سورة الأنعام﴿ وقالوا هذه أنعام وحرث حجر لايطعمها إلا من نشاء بزعمهم وأنعام حرمت ظهورها وأنعام لايذكرون اسم الله عليها افتراء عليه سيجزيهم بما كانوا يفترون وقالوا ما في بطون هذه الأنعام خالصة لذكورنا ومحرم على أزواجنا وإن يكن ميتة فهم فيه شركاء سيجزيهم وصفهم إنه حكيم عليم قد خسر الذين قتلوا أولادهم سفهابغير علم وحرموا ما رزقهم الله افتراء على الله قد ضلوا وما كانوا مهتدين﴾(٢) وذكر آيات كثيرة في هذا المعنى ثم ذكر أحاديث منها "وفي صحيح مسلم عن عبد الله بن مسعود أنه قال:" قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " ما من نبي بعثه الله في أمته قبلي إلا كان له من أمته حواريون وأصحاب يأخذون بسنته ويقتدون بأمره ثم أنه تخلف من بعدهم خلوف يقولون مالايفعلون ويفعلون مالا يؤمرون فمن جاهدهم بيده فهو مؤمن ومن جاهدهم بلسانه فهو مؤمن ومن جاهدهم بقلبه فهو مؤمن وليس وراء ذلك من الإيمان حبة خردل"(٣) .... فيذم الحديث الشخص الذي يحكم عقله في الأحكام الشرعية اتباعا لهواه من غير استناد إلى دليل شرعي،و القول بلا علم مذموم من الله عزوجل كما قال الله عزوجل ﴿أتقولون على الله مالا تعلمون﴾"(٤)

"ثانيا: ومنشأ تلك العقيدة المذكورة اتباع تخمين العقل وحدسه، يعني قد يظهر حسن الأشياء وقبحها ومنفعتها ومضرتها بالتجربة أو بالنظر إلى آثارها وقرائنها فبناء عليها يحكم أنها مما يحبه الله أو يسخطه ظنا وتخمينا معتزا بحب التخمين ومفتخرا بتحكيم عقله..... بدون رجوع إلى كتاب الله،.... فهذا الفعل نافع جدا في الأمور الدنيوية ولكنه مردود في الأمور الدينية، يقول الله عزوجل﴿ قل هل عندكم من علم فتخرجوه لنا إن تتبعون إلا الظن وإن أنتم إلا تخرصون﴾(٥) ويقول الله عزوجل﴿ وقالوا لو شاء الرحمن ما عبدناهم ما لهم بذلك من علم

(١) سورة البقرة : ١٦٨

(٢) الآية ١٣٨ ـ ١٤٠

(٣) أخرجه مسلم ـ الإيمان ـ ٥٠

(٤)سورة الأعراف / ٢٨

(٥) سورة الأنعام / ١٤٨

إن هم إلا يخرصون﴾(١)و عن جندب رضى الله عنه أنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : من قال في القرآن برأيه فأصاب فقد أخطأ(٢)

ثم يذكر الأسباب التي تجر إلى هذا الاستحسان العقلي:

" منها : الألفة بالعادات

فيقول:" وسبب عظيم لهذا التخمين المورث للاستحسان العقلي عاطفة حب الاتباع بما ألف من الأعراف والعادات، والإنسان لما يرى عملا رائجا في العوام والخواص من مدة مديدة وفي كل مكان، ومضت عليه قرون طويلة ولايجد عليه دليلا سماويا ولكنه يستبعد شهرته واستمراره من أزمان طويلة بين الحكماء والعقلاء بدون أصل أصيل، وبناء عليه يحكم أن الله يحبه ويستجلب وأنه يستجلب بركاته .... وهذا كلام باطل محض ومردود بكامله، والحق أن إثبات رضى الله عزوجل لشيء وسخطه عليه وحبه وبغضه له لايثبت إلا بدليل من كتاب الله أو من سنة رسول الله كما قال الله عزوجل في سورة الأنعام﴿ سيقول الذين أشركوا لو شاء الله ما أشركنا ولا آباءنا ولاحرمنا من شيء كذلك كذب الذين من قبلهم حتى ذاقوا بأسنا قل هل عندكم من علم فتخرجوه لنا إن تتبعون إلا الظن وإن أنتم إلا تخرصون قل فلله الحجة البالغة فلو شاء لهداكم أجمعين قل هلم شهداءكم الذين يشهدون أن الله حرم هذا...﴾(٣) وذكر آيات عديدة ثم استدل بأحاديث منها " عن عمرو بن عوف رضي الله عنه أنه قال: " قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن الدين بدأ غريبا وسيعود كما بدأ فطوبى للغرباء وهم الذين يصلحون ما أفسد الناس من بعدي من سنتي"(٤)

ب ـ القياس الناقص

يقول الشاه:"ومن جملة أسباب الاستحسان العقلي القياس الناقص .... فيجرى حكم أمر مشروع على أمر غير مشروع وهذا القياس يجر إلىطريق الضلالة أو إدخاله في الأحكام الدينية

---

(١) سورة الزخرف / ٢٠ـ ٢١

(٢) رواه الترمذي ـ ٢٩٥٢ ـ ٥/ ١٨٣ وهذا لفظه ورواه أبوداود ـ ٣٦٥٢ ــ ٤/ ٦٣ وفي سنده ضعف، انظر مشكاة المصابيح بتخريج الألباني ١/ ٧٩ وضعيف الجامع الصغير /٨٢٧ والمراد بالحديث العقل المجرد أما من فسره بالفهم وبما يوافق اللغة والنصوص فقد أصاب، انظر الفتاوى ١٣/ ٣٧٠

(٣) سورة الأنعام /١٤٨-١٤٩

(٤) الترمذي ـ الإيمان ـ ٢٦٣٠ الجملة الأولى من الحديث في صحيح مسلم ـ ١٤٥ـ و الجملة الثانية فلها شواهد عدة وبها يصح الحديث ـ انظر سلسلة الصحيحة ـ ١٢٧٣.

مردود كما يقول الله عزوجل في سورة البقرة﴿ الذين يأكلون الربو لايقومون إلا كما يقوم الذي يتخبطه الشيطان من المس ذلك بأنهم قالوا إنما البيع مثل الربو وأحل الله البيع وحرم الربو﴾(١)

ويواصل الشاه كلامه في بيان أسباب ظهور البدعة وانتشارها فيقول:"ومن :"أسبابها الإفراط في أمور الدين يعني إذا رأى المرأ ثبوت عمل في الشريعة .... يظن أنه بقدر إفراطه فيه ترجع إليه ثمرته ويمدح عليه..... مع أن الشارع قد حد حدودا لكل عمل ديني وعين مرتبة من المراتب الشرعية، فحصول مرضاة الله والفوز بمنافع الأخروية ... كلها متوقفة على أن يكون العمل المشروع محدودا بحدوده وقيوده ومواقعه كما قال الله عزوجل في مواضع كثيرة ﴿ وتلك حدود الله ومن يتعد حدود الله فقد ظلم نفسه﴾(٢) ويقول ﴿ومن يعص الله ورسوله ويتعد حدوده يدخله نارا خالدا فيها وله عذاب مهين﴾(٣)" وعن ثعلبة أنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسم : إن الله فرض فرائض فلا تضيعوها وحرم حرمات فلا تنتهكوها وحد حدودا فلا تعتدوها(٤)......... ليعلم أن الإفراط إذا وقع في الاعتقادات والمقامات والواردات والحالات يسمى " الغلو" وإن كان في باب العلوم يسمى" التعمق" وإن كان في باب الخلق والعبادات، يسمى" الرهبانية"(٥) و"التشدد" وإن كان في باب العادات فهو" التكلف" وإن كان في باب الطهارة والنجاسة يسمى " الوسواس" وإن كان في باب عدم مراعاة المقاصد والوسائل والأصول والفروع بحيث يهتم بالوسائل مثل المقاصد وتطرح المقاصد خلف الظهر مثل الوسائل،وتنزل الأصول منزلة الفروع فيسمى هذا "ظلم وسفاهة" كما أن محافظة المراتب المذكورة تسمى "عدلا وفقها".

---

(١) سورة البقرة/ ٢٧٥

(٢) سورة الطلاق / ١

(٣) سورة النساء/ ١٢

(٤) أخرجه الدارقطني ٢٩٨/٤ والبيهقي ١٢/١٠ عن أبي ثعلبة وفي سنده انقطاع، والحاكم ٣٧٥/٢ والترمذي ـ اللباس ـ ١٧٢٦وابن ماجة (٣٣٦٧) بطرق أخرى " الحديث حسن بشواهده حسن، انظر تخريجه " معارج الألباب في مناهج الحق والصواب" ص: ٢٧٢

(٥) لترهبهم في الجبال والغيران عن النساء وأكل اللحم بل من علائق الدنيا، انظر الكشاف للزمخشرى ٤/ ٦٩ والقاموس المحيط ـ مادة " رهب" ص: ١١٨

"ولذا يقول الله عزوجل ﴿ أتأمرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم وأنتم تتلون الكتاب أفلا تعقلون﴾(١) يعنى أن تعليم الأحكام الدينية وأمورها وتلاوة كتاب الله كلها وسيلة للعمل وذريعة لإصلاح النفس وتهذيبها ولكنكم جعلتم نفس التعليم والتلاوة مقصودا لذاته وصرفتم همكم كله إليه زاعمين أنه أصل الدين واتخذتم المقصود الأصلي وراء الظهر وهو إصلاح النفس فصرتم الحمقى لاتعقلون شيئا"(٢)

(١) سورة البقرة/٤٤

(٢) إيضاح الحق الصريح في أحكام الميت والضريح ص:٧٤ ـ ٨٣

المبحث الثالث: جهوده في إبطـال علـوم، لاتنفـع في فهم الكتاب والسنة

المطلـب الأول: التحذيـر مـن الخـوض في علـم الكـلام والفلسـفة والمنطـق وعلوم الصوفية

الشاه رحمه ا لله لما رأى أهل عصره قد خاضوا في علوم غيرعلوم الكتاب والسنة ومـا كـانوا يعتبرون علماء إلا من تبحر في هذه العلوم، أبطلها الشاه بكـل شـدة ودعـاهم إلى الحـق أحيانـا، وبين لهم ما تسبب تلك العلوم من الصد عن الحق أحيانا، وجعل جميع العلوم والفنون التي كـانوا يفتخرون بها ويتباهون بها من البدعة يقول وهويحذرهم:" الاستغراق الكامل والتبحر في العلـوم الآلية مثل تتبع المسائل الغريبة في العلوم العربية، والبحـث عنهـا وهـي لاتفيـد شـيئا في فهـم لغـة الكتاب والسنة لأنها مبنية على المحاورات العرفية، وعلى الكلام الدائر بين الناس، وليسـت علـى النكات الشعرية ودقائقها، ومثل التحقيق الزائد في دقائق المنطق والفلسفة والإلهيات والطبيعيـات والتعمق الزائد في قواعد أصـول الفقـه وعلـم الكـلام وفي كتـب الفقـه والبراعـة في فـن المنـاظرة والجدل وفي علم الطرق الكلامية... وغيرها من العلوم التي يستخدمها الحكمـاء ويفتخـرون بهـا على معاصريهم ويتعالون بها عليهـم.وكذلـك الاستغراق في حفـظ الأشـعار الغريبـة والإحاطـة بقواعد علم العروض وتعلم مسائل الفقه الفرضية الخيالية التي لاوجود لها في الحقيقة، والاشـتغال بفنون الرياضيات والتواريخ والتكسير والنقـوش وغيرهـا مـن الفنـون النـادرة، كلهـا مـن البـدع الحقيقية في حق عقلاء هـذا الزمـن لأنهـم إن لم يعتبروهـا مـن أسباب التقـرب إلى ا لله، لكنهـم يضيعون أعمارهم الغالية في حصول هذه الأمور كما أن طالب الحق يصـرف أوقاتـه فـى معرفـة أصول الدين وتحقيق أحكام الشرع المتين، ثم إنهـم يفتخـرون ويتبـاهون علـى تضييـع أعمـارهم ويعدونها من محاسنهم ومناقبهم، لذا ترى عندهم عادة إطراء بعضهم بعضا ويعطى كل الإجلال والاحترام لهؤلاء الحمقى المضيعين أعمـارهم في مثـل هـذه العلـوم والفنـون ويوقـرون ويعظمـون ولايرغبون في الدين بمثقال ذرة ولايزرعون في قلوبهم حبـة مـن خشـية ا لله عزوجـل الـذي هـو شعار العلماء ولايلتقطون شعيرة علم ولاعمل من بيدر السنة النبوية، وينظرون إلى المكبين عليهـا بعين الإهانة والاحتقار مع أنهم يسعون لطلب الحق وينهمكون في البحث عـن السـنة ويتحلـون

بلباس التقوى".(١)

"سبحان الله ! فهذا حال عقلاء هذا العصر الذين يعدون أنفسهم في زمرة العلماء والفضلاء والأسف الشديد على اولئك الأغبياء الحمقى أي على طلاب علم الجهلة الذين يزعمون قح العلم لذلك الجهل المذكور ويحسبون الإفراط والسفاهة عين القربة والعبادة ويزعمون أن مثل هؤلاء السفهاء المفرطين فيها علماء أجلاء، وبهذا السبب أصبحت الأمور المذكورة بالنسبة في حق هؤلاء من أقبح البدع الحقيقية ومن أفحش المنكرات الشرعية"(٢)

فالشاه رحمه الله قد أنكر على العلوم التي لاعلاقة لها بالكتاب والسنة، وهذا المنهج الذي سلكه كان منهج السلف في السابق ولقد كانوا يحذرون أشد الحذر من الاشتغال في مثل هذه العلوم التي لاطائل تحتها.

يقول قوام السنة: "قال علماء السلف:" ما وجدنا أحدا من المتكلمين في ماضى الأزمان إلى يومنا هذا رجع إلى قول خصمه ولا انتقل عن مذهبه إلى مذهب مناظره، فدل أنهم اشتغلوا بما تركه خير من الاشتغال به وقد ذم السلف الجدال في الدين ورووا في ذلك أحاديث وهم لايذمون ما هو الصواب"(٣)

وقال ابن الوزير(٤):"... وسع دائرة المراء والضلال هو البحث عما لايعلم، والسعي فيما لايدرك، وطول السير والسعي في الطريق التي لاتوصل إلى المطلوب ، والاقتداء بمن يظن فيه الإصابة وهو مخطئ، والاشتغال بالبحث عن الدقائق التي لاطريق إلى معرفتها ولايوصل البحث عنها إلى اليقين ولا إلى الوفاق ولاظهرت للخوض فيها مع طوله ثمرة نافعة، لا باليقين صادعة ولا للافتراق جامعة ولاروى عن أحد من الأنبياء عليهم السلام ولا صح عن أحد من السلف الكرام"(٥)

---

(١) هذه ميزة امتازوا بها عن غيرهم يقول الذهبي عن الدارقطني : " وصح عن الدارقطني أنه قال : ما من شيء أبغض إلى من علم الكلام قلت: لم يدخل الرجل أبدا في علم الكلام ولا الجدال ولا خاض في ذلك بل كان سلفيا" السير ١٦/ ٤٥٧ فهو يشير أن الخوض في الكلام والجدل، ليس من منهج السلف.

(٢) إيضاح الحق الصريح في أحكام الميت والضريح ص:٢٧-٢٨

(٣) الحجة في بيان المحجة ١/ ١٠٠

(٤) اسمه هادي بن إبراهيم بن على بن المرتضى الحسني عالما شهيرا توفي ٨٢٢هـ انظر الأعلام ٨/ ٥٨

(٥) إيثار الحق على الخلق في رد الخلافات إلى المذهب الحق من أصول التوحيد ص: ١٠

المطلب الثاني:جهوده في الحث على العلم النافع وهو علم الكتاب والسنة

ولما حذر من هذه العلوم التي كانت سببا لكثير من البدع دعا إلى علم نافع وهو علم الكتاب والسنة الذي كان مهجورا لدى أهل عصره فبين أهمية السنة، وضرورة تعلمها والتمكن فيها بمثال رائع بليغ يقول:" أما ما ورد في الحديث والسنة من طلب العلم والتعليم، نوضحه بمثال: " فإن الخادمين والعاملين والمشتغلين عند الملوك وأتباعهم وأمراءهم في بحث مستمر عن الأوامر الملكية ومراسيمه الصادرة لنظم البلاد وضبط شؤونها، فهؤلاء بمجرد ما يعرفون هذه الأحكام ينفذونها ويهتمون بتطبيقها وقد بلغ الأمر في هذه الأيام أن هذه المراسيم ترسل بلغة فارسية إلى أطراف الهند وفيها مصطلحات قانونية ومن الموظفين من يفهم هذه اللغة ومنهم من لايفهمها ومنهم من لايعرف هذه المصطلحات .... ولكن يجب العمل بها على كل من عرف ومن لم يعرف، كما يجب عليهم السعي لمعرفتها ثم تعليمها وتبليغها إلى من لايعرفها، ثم إن من عرف هذه الأوامر والمصطلحات يعتبر ماهرا بها وإن لم يتقن القراءة والكتابة فيجب عليه تعليمها وتبليغها مثل غيره، ثم إن هؤلاء جميعهم يتساوون في طاعة الحاكم الأصلي وتنفيذه أوامره ،ولايصير أحد منهم حاكما أصليا لمعرفته هذه الأحكام ولايصير أحد منهم خادما للشخص الذي بلغه الأحكام أو علمه والمطلوب من الجميع الجد والسعي في تطبيق أوامر الملكي والحذر والبعد من اللغو والكلام الفارغ الذي لاعلاقة له بتنفيذ الأوامر"(١)

وقد أجاد المؤلف وأفاد بهذا المثال ورد على جميع الشبهات التي كانت تثار حول تعلم الكتاب والسنة والعمل بهما، وخلاصة قوله بأن المراسيم الملكية ترسل بلغة قد يعرفها جميعهم وقد يعرفها بعضهم ولكن لا يستغنى أحد عن العمل بها، كذلك فإن الكتاب والسنة قد نزلا من ملك الملوك فيجب على القاصي والداني والعالم والجاهل والعابد أن يعمل بهما ويطبقها في شؤون حياته.

وثم إنه لايشترط في من يعرف أحكام الملك أن يتمكن في القراءة والكتابة بل يكفيه أن يعرفها بأي طريق كان وبعد معرفته إياها يعد ممن يعرفها و بمجرد علمه بها يجب عليه أن يبلغ غيره، ويلزمه وغيره طاعة تلك الأوامر. ويقاس عليه عالم الكتاب والسنة أيضا، فلا يشترط له أن يكون ماهرا في العلوم الآلية مثل الفلسفة والمنطق وغرائب اللغة وعلم العروض.... بل يكفيه أن يعلم الكتاب والسنة سواء كان حصوله قراءة أو تلقيا أو تعلما أو سماعا، ثم إن من عرف

---

(١) إيضاح الحق الصريح في أحكام الميت والضريح ص:٢٨- ٢٩

الأحكام الشرعية بأي طريق كان يجب عليه أن يبلغها إلى غيره،ويتساوى هو وغيره في العمل بها، ولايجوز لأحد مهما بلغ في الزهد والتقى والعلم والفضل أن يخرج من متابعة الشريعة المطهرة، فمن عرف أحكام الله عزوجل وأتقنها لايصبح مشرّعا يشرع من نفسه كما يظهر ذلك من المتعصبين، يشير إلى هذا المعنى في المثال بقوله: ... "ولايصير أحد منهم حاكما أصليا لمعرفته هذه الأحكام..." كما أن من عرف أحكام الحاكم لايكون حاكما كذلك من عرف أحكام الله ورسوله لا يستحق التشريع ويشرح ذلك بقوله:" كذلك يجب على عباد الحق جل وعلا صرف الهمة كلها في البحث عن الأحكام المبنية في القرآن المجيد فإن القرآن نزل بلسان عربي مبين، وفيها كثير من المصطلحات الشرعية، والذين ليس لهم باع طويل في معرفة اللغة العربية وفي معرفة المصطلحات الشرعية الموجودة في القرآن العظيم يلزمهم الرجوع إلى علماء اللغة والسيرة النبوية كما يلزم علماء الدين تعليم الجهال وتبليغهم وبعد الاطلاع على الأحكام الشرعية وجب على جميعهم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر واجتناب التعمق الزائد والتدقيق المتكلف وهذا من شعار العبودية، ويلزم جميع الناس تقليد الأنبياء عليهم السلام وتقليد النبي الأمي مفخرة لنا ومكرمة في حقنا،و نتتوج على رؤوسنا تاج ﴿ لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة﴾(١)ونتزين بخلعة " نحن أمة أمية لانكتب ولانحسب"(٢) ونكره فنون "علم الحكمة" والكياسة كما نتبرأ من جميع العلوم والفنون التي تستخدم للشهرة والصيت، فإنما نحن نلتقط اللقم من مائدة السنة النبوية ونجتني من ثمارها ونلتقط من سنابلها.. والحمد لله على ذلك حمدا كثيرا"(٣)

ويقول وهو يحرض إلى التمسك بالسنة:" وينبغي العمل الشديد والمحاولة الأكيدة في تعليم الناس الأحكام الواضحة من الكتاب والسنة فلا ينبغي التوسع في الافتراضات الفقهية الغريبة وطرف الفقهاء الخيالية والتأمل في المباحث الكلامية الصعبة وفهم الاشارات الصوفية الدقيقة"(٤) ويستدل بقوله تعالى﴿ ولما جاءهم رسول من عند الله مصدقا لما معهم نبذ فريق من الذين أوتو الكتاب كتاب الله وراء ظهورهم كأنهم لايعلمون واتبعوا ما تتلو الشياطين على

---

(١) سورة الأحزاب /٢١

(٢) أخرجه البخاري ـ الصوم ـ ١٩١٣ ـ الفتح ٤/ ١٢٦

(٣) إيضاح الحق الصريح في أحكام الميت والضريح ص:٢٩

(٤) المصدر السابق ص: ٣٠

ملك سليمان وما كفر سليمن ولكن الشياطين كفروا يعلمون الناس السحر وما أنزل على الملكين ببابل هاروت وماروت﴾(١)يقول في شرحها:" يعنى أنهم أعرضوا عن العلوم الشرعية التي عليها مدار النجاة في الآخرة واشتغلوا بالعلوم الفارغة التي لاتنفع في الآخرة كما تدل عليه الآية﴿و لقد علموا لمن اشتراه ماله في الآخرة من خلاق﴾ وإن كان بعض هذه العلوم مأخوذة من الشياطين وبعضها من الملائكة(٢) ولكن لعدم علاقتها بالآخرة أصبحت في حقهم من اللغو وعديمة النفع بل السعي في حصولها مضرة وخسارة"(٣)

فقد استدل بهذه الآية بأن العلوم إذا لم تكن نافعة في الآخرة فهي مضرة وإن كانت مأخوذة من الملائكة، فضلا عن ان تكون مأخوذة من حكما ء اليونان وفلاسفة الروم ومتكلمي المسلمين، ولاينفع في الآخرة إلا علم الكتاب والسنة.

ويحذر من الخوض فيما لايعني المسلم لأن الخوض فيما لايقدر عليه البشر، لايثمره إلا حيرة وضلال وهلاك كما حصل لزعماء المتكلمين والفلاسفة ويستدل عليه بقوله تعالى فيقول ﴿ ها أنتم هؤلاء حاججتم فيما لكم به علم فلم تحاجون فيما ليس لكم به علم وا لله يعلم وأنتم لاتعلمون﴾(٤) " والمراد أن الأمر الذي لايعلم من كتاب ا لله فالبحث فيه عبث لأن إحاطة جميع المعلومات شأن ا لله وليست من شأن البشر، وهذا في الحقيقة منع من التعمق ويدل عليه قول ا لله عزوجل في نفس السورة﴿ هو الذي أنزل عليك الكتاب منه آيات محكمات هن أم الكتاب وأخر متشابهات فأما الذين في قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله وما يعلم تأويله إلا ا لله والراسخون في العلم يقولون آمنا به كل من عند ربنا وما يذكر إلا أولو الألباب﴾(٥) ويستدل عليه بآيات عديدة فيقول:" ورد نفس الموضوع في آية أخرى ﴿ ولاتقف ما ليس لك به علم إن السمع والبصر والفؤاد كل اولئك كان عنه مسئولا﴾(٦)

---

(١) سورة البقرة / ١٠٢

(٢) يشير إلى بعض الأقوال الضعيفة الواردة في تفسير " هاروت وماروت" بأنهما كانا من الملائكة، انظر تفسير ابن جرير و ابن كثير في شرح الآية المذكورة.

(٣) إيضاح الحق الصريح في أحكام الميت والضريح ص: ٨٣

(٤) سورة آل عمران / ٦٦

(٥) سورة آل عمران / ٧

(٦) سورة الإسراء / ٣٦

ويقول الله عزوجل في نفس السورة﴿ ويسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربي وما أوتيتم من العلم إلا قليلا﴾(١) واستدل بآيات كثيرة ثم يقول: " والآيات كلها تشير بأنه ينبغي الاشتغال بتعليم وتلاوة كتاب الله وفي تحقيق علوم الشريعة وليس في سعي الإحاطة بعلم الله وتفتيش وقائع التكوين"(٢)

الشاه رحمه الله قد ساق هذه الآيات واستدل بها على أمر واحد ألا وهو الحذر من الخوض في علوم لاتنفع، والاشتغال بالكتاب والسنة،لأن الانسان ضعيف ومداركه محدودة وعلمه قليل فإذا خاض فيما لا يدركه حسه فإنه يضل عن الطريق المستقيم " فإن الذي وسع دائرة المراء والضلال هو البحث عما لايعلم والسعي فيما لايدرك .... والاشتغال بالبحث عن الدقائق التي لاطريق إلى معرفتها....."(٣)

---

(١) سورة الإسراء / ٨٥

(٢) إيضاح الحق الصريح في أحكام الميت والضريح ص: ٨٥ أشار إلى الصوفية الذين يأتون برياضات ومراقبات خاصة لاستكشاف عالم الغيب وما في اللوح ونحوها من الأمور المعروفة لديهم.

(٣) إيثار الحق على الخلق ص: ١٠

الفصل الثالث: جهوده في التحذير عن البدعة ببيان مضارها وأخطارها وتحديد مفهومها وأقسامها والأمثلة عليها

ويشتمل على ثلاثة مباحث:

المبحث الأول : جهوده في بيان مضار البدعة، وتحته ثلاثة مطالب.

المبحث الثاني: مفهوم البدعة، وتحته ستة مطالب.

المبحث الثالث : البدعة الحكمية أو الفعلية، وتحته ثلاثة مطالب.

تمهيد

تقدم في بداية الفصل الأول أن الشاه رحمه الله قد بنى دعوته إلى التمسك بالكتاب والسنة و التحذير من البدعة، على مبدأ أساسي في الدين ألا وهو الإيمان و مما قال هنا :" واعلم أن للإيمان جزئان : الإيمان بالله إلها وربا والإيمان بالرسول مطاعا وإماما والإيمان بالله ربا يعني أن لايشرك به أحد والإيمان بالرسول مطاعا يعني أن لايسلك طريق غيره، فالأول هو التوحيد، وضده الإشراك بالله، والثاني: هو الاتباع وضده البدعة...(١)

ثم بين أن التمسك بهما مهم جدا فالانحراف فيهما يبطل الأعمال ولذا قد اهتم بهذين الأساسيين وبذل جهودا في تقرير توحيد الألوهية ورد الشرك وألف فيه مؤلفا مفيدا كما ألف مؤلفا في بيان السنة والبدعة.

(١) تقوية الإيمان ص: ٣٥

المبحث الأول : جهوده في بيان مضار البدعة

المطلب الأول: البدعة تحدث خللا في الإيمان

قال الشاه:" أخرج مسلم عن ابن مسعود قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ما من نبي بعثه الله من قبلي إلا كان له في أمته حواريون وأصحاب يأخذون بسنته ويقتدون بأمره ثم خلف من بعدهم خلوف يقولون ما لايفعلون ويفعلون مالا يؤمرون فمن جاهد هم بيده فهو مؤمن ومن جاهد هم بقلبه فهو مؤمن وليس وراء ذلك من الإيمان حبة خردل. (١)يقول في شرح كلمة " ويفعلون ما لا يؤمرون" أنهم يبتدعون بدعا فمن جاهد هم بيده، أي بعقابهم و ضربهم وبتغيير بدعهم وبهدم ما ابتدعوه، فهو مؤمن كامل الإيمان ومن أنكر عليهم وعلى بدعهم وفضح أمرهم ونصحهم بلسانه فهو مؤمن دون الأول في المرتبة ومن يكرهها بقلبه ويفكر في تغييرها ويأخذ في باله أمرها ولايعلق قلبه بها فهو مؤمن أيضا ولكنه في المرتبة الأخيرة، وأما من كان مبتدعا فماذا سيكون مصير إيمانه"(٢)؟؟

المطلب الثاني: المبتدع يطعن في الله ورسوله

يقول الشاه :" عن جابر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:" أما بعد، فإن خير الحديث كتاب الله وخير الهدي هدي محمد صلى الله عليه وسلم وشر الأمور محدثاتها وكل بدعة ضلالة"(٣).

"إن الله أنزل القرآن وبين فيه خيري الدنيا والآخرة، فاعملوا عليه، وأرسل رسوله الذي بين القرآن بيانا شافيا وعمل عليه و لم يترك شيئا في الدين حتى يحدث فيه فمن أحدث فيه فقد ارتكب أكبر الكبائر فإن الإحداث بمثابة إقامة شرع جديد من عنده وفيه طعن على القرآن وعلى الرسول صلى الله عليه وسلم وتنقيص في شأنهما، فكأن المحدث يتهم الله بأنه لم ينزله في القرآن ويتهم الرسول صلى الله عليه وسلم بأنه لم يعلمه، فإذا كان هذا مصيره فهو ضلال واضح مبين، ولذاكانت البدعة شر المحدثات كلها ".

---

(١) أخرجه مسلم ـ الإيمان ـ ٥٠

(٢) تذكير الإخوان ص: ٦٥

(٣) جزء من حديث، أخرجه مسلم ـ الجمعة ـ ٨٦٧

ثم إن المبتدع لايحظى بالتوبة لأنه يأتي بالبدعة ويحسبها حسنا فلا يوفق إلى التوبة"(١).

ويقول :" عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أبغض الناس إلى الله ثلاث، ملحد بالحرم، ومبتغ في الإسلام سنة الجاهلية، ومطلب دم امرأ مسلم بغير حق ليهريق دمه.(٢) والحديث يدل بأن الله أرسل رسوله وأمره بالقضاء على عادات الكفار السابقين فمن ابتغى إحياء تلك العادات والسنن الجاهلية في المسلمين فكأنه أسس أساسا للقضاء على الشريعة، وبه يشاقق الله عز وجل، و العادات الجاهلية التي كانت مستندة عندهم هي:الاعتقاد في ما شرعه علماءهم ورهبانهم بأنه حكم الله عز وجل، ولايعتبره خطأ مع مخالفته لأمر الله ورسوله ولايتركه ويرد قول الله ورسوله مستندا إليه، ومن عاداتهم كتمان الحق طمعا في الدنيا أو لهوى في النفس والتحريف في كلام الله ورسوله وتأويله حسب رغبته، والصلح مع الكل،.... ورفع المقابر، وكتابة التاريخ عليها، وبناء المساجد عليها ونذر الطعام لها والتعبد بالسماع..... واعتقاد السعادة والنحوسة بالكواكب ... واعتقاد بأن من لم يصدر منه المعجزة فليس بنبي ومن لم تصدر منه الكرامة فليس بولي، وغيرها آلاف من الرسوم كلها من عادات اليهود والنصارى والمجوس والمنافقين ومشركي مكة والهنادكة، اختارها الناس، فالنبي صلى الله عليه وسلم بعث لمحو هذه الرسوم وأمثالها، فمن سعى إلى إحياء ها ورواجها في المسلمين فإنه يستحق غضب الله ويطرد من رحمته. فدل الحديث على أن من البدعة استساغ رسوم الجاهلية في الإسلام"(٣)

---

(١) تذكير الإخوان ص: ٦٣كما ورد في الحديث " إن الله احتجز التوبة عن صاحب كل بدعة " انظر سلسلة الصحيحة /١٦٢٠

(٢) أخرجه البخاري ـ الديات ـ ٦٨٨٢ انظر الفتح ٢١٠/١٢

(٣) تذكير الإخوان ص:٦٤ ويقول شيخ الإسلام ابن تيمية عندما يذكر أمور الجاهلية الممنوعة في الحديث:" وهذا كله يقتضي أن ما كان من أمر الجاهلية وفعلهم فهو مذموم في دين الإسلام وإلا لم يكن في إضافة هذه المنكرات إلى الجاهلية ذم لها، ومعلوم أن إضافتها إلى الجاهلية خرج مخرج الذم وهذا كقوله سبحانه﴿ولاتبرجن تبرج الجاهلية الأولى﴾ الأحزاب/ ٣٣ فإن في ذلك ذما للتبرج وذما لحال الجاهلية الأولى، وذلك يقتضي المنع من مشابهتهم في الجملة، ومنه قوله لأبي ذر لما عير رجلا بأمه:" إنك إمرؤ فيك جاهلية" صحيح البخاري (٣٠)ومسلم (١٦٦١) فإنه ذم لذلك الخلق والأخلاق الجاهلية التي لم يجيء بها الإسلام ومنه قوله تعالى﴿ إذ جعل الذين كفروا في قلوبهم الحمية
==

المطلب الثالث : المبتدع مطرود من الحوض

خلال بيانه مضار البدع يورد الحديث الذي فيه أن ناسا من أمته يطردون عن الحوض بسبب محدثاتهم، فقد صور الشاه تصويرا مؤثرا عن شدة الموقف ودنو الشمس وتعطش الناس إلى الماء وعرضهم على النار ولكن بدعهم في هذا الموقف الحرج تحيل بينهم وبين حوض النبي صلى الله عليه وسلم وتمنعهم من الماء واستنبط منها بأنه يجب الحذر من البدع وإلا سيطرد صاحبها عن الحوض في وقت تشتد الحاجة إليه (١).

==

حمية الجاهلية فأنزل الله سكينته على رسوله وعلى المؤمنين﴾ الفتح/ ٢٦ فإن إضافة الحمية إلى الجاهلية اقتضى ذمها فما كان من أخلاقهم وأفعالهم فهو كذلك" اقتضاء الصراط المستقيم "١/ ٢٠٩

(١) انظر تذكير الإخوان ص: ٧٢-٧٣

المبحث الثاني: مفهوم البدعة

ويتطرق الشاه إلى تحديد مفهوم البدعة وأقسامها وأحكامها ويقرر قبل تعريف البدعة بأنه يجب تفسير المصطلحات الشرعية بنصوص شرعية أخرى فيقول:" لفظ البدعة الوارد في الحديث لاينبغي الرجوع لمعرفة معناه ومدلوله إلا إلى الحديث الشريف"(١)

ثم يقول:" ... عن عرباض بن سارية أنه قال:" صلى بنا رسول ا لله ذات يوم ثم أقبل علينا بوجهه فوعظنا موعظة بليغة ذرفت منها العيون ووجلت منها القلوب فقال رجل يارسول ا لله كأن هذه موعظة مودع فأوصنا فقال: أوصيكم بتقوى ا لله والسمع والطاعة وإن كان عبدا حبشيا فإنه من يعش منكم بعدي فسيرى اختلافا كثيرا فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين تمسكوا بها وعضوا عليها بالنواجذ، وإياكم ومحدثات الأمور فإن كل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة"(٢)وعن عائشة رضى ا لله عنها أنها قالت : قال رسول ا لله صلى ا لله عليه وسلم من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد"(٣) وعن أنس قال : جاء ثلاثة رهط إلى أزواج النبي صلى ا لله عليه وسلم يسألون عن عبادة النبي صلى ا لله عليه وسلم فلما أخبروا بها كأنهم تقالوها فقالوا: أين نحن من النبي صلى ا لله عليه وسلم فقد غفر ا لله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر فقال أحدهم أما أنا فأصلى الليل أبدا وقال الآخر أنا أصوم النهار أبدا ولا أفطر، وقال الآخر أنا أعتزل النساء فلا أتزوج أبدا فجاء النبي صلى ا لله عليه وسلم إليهم فقال: أنتم الذين قلتم كذا وكذا أما وا لله إني لأخشاكم لله وأتقاكم له لكني أصوم وأفطر وأصلى وأرقد وأتزوج النساء فمن رغب عن سنتي فليس مني "(٤)

---

(١) إيضاح الحق الصريح في أحكام الميت والضريح ص:٣ يقول شيخ الإسلام:" ومما ينبغي أن يعلم أن القرآن والحديث إذا عرف تفسيره من جهة النبي صلى ا لله عليه وسلم لم يحتج في ذلك إلى أقوال أهل اللغة..." الفتاوى١٣/ ٢٨

(٢) أخرجه الإمام أحمد في مسنده ٤/ ١٢٦ وأبوداود في سننه ـ السنة ـ ٤٦٠٧ ـ ٥/ ١٣ والترمذي ـ العلم ـ ٢٦٧٦ ـ ٥/ ٤٤ وقال حديث حسن صحيح وابن ماجة في المقدمة (٤٢ـ ٤٤) ١/ ١٥ وهو حديث صحيح انظر صحيح الجامع الصغير ١/ ٤٩٩ والسنة لابن أبي عاصم ٣٧ـ ٥٤، وإرواء الغليل ١٠٧/٨ وسلسلة الصحيحة ٢/ ٦٤٧

(٣) أخرجه البخاري ـ ٢٦٩٧ ـ الفتح ٥/ ٣٠١

(٤) أخرج البخاري في صحيحه بألفاظ مختلفة ـ٥٠٦٣ ـ الفتح٩/ ١٠٤

المطلب الأول :تقسيم البدعة إلى أصلية و وصفية

وبعد الإطالة في شرح هذه الأحاديث الثلاثة يقول الشاه:" ليعلم أن الأحاديث الثلاثة المذكورة تدل على أن البدعة تنقسم إلى قسمين:

القسم الأول: أن يكون الشيء في نفسه محدثا كما يدل عليه الحديث الأول : يعني حديث عرباض بن سارية رضى الله عنه"

وجه الدلالة فيه قوله " وإياكم ومحدثات الأمور، فإن كل محدثة بدعة.." فالمفهوم من هذه الفقرة هو الاجتناب من " محدثات الأمور" أي من مستجدات الأمور التي لم تكن عليه سنة النبي صلى الله عليه وسلم ولاسنة الخلفاء الراشدين.

"القسم الثاني: هي الزيادة أو النقصان في عمل مشروع أو إحداث الهيئات الجديدة فيه، أي يؤتى عمل مشروع على وجه غير مشروع في الشريعة، يدل عليه الحديث الثاني والثالث"(١)

"ووجه الاستدلال بهما أن حديث عائشة يدل على المنع من الإحداث مطلقا فيما شرعه النبي صلى الله لقوله"في أمرنا" وذلك لايتحقق إلا بالزيادة أو النقص أو بإحداث شروط وقيود وهيئات لم يأت بها الشرع كما يدل عليه حديث الرهط الثلاثة أيضا".

يقول الشاه:" فالقسم الأول أسميه " البدعة الأصلية" والثاني" اسميه "البدعة الوصفية".

المطلب الثاني: في تحديد مفهوم البدعة الأصلية

يقول الشاه إن" تعيين مفهوم البدعة الأصلية موقوف على تعيين مفهوم الكلمتين اللتين وردتا في الحديث الأول وهما " المحدثات" و" أمور".

مدلول لفظ "المحدثات"

بعد بحثه في مدلوله يقول:" إن لفظ الإحداث يطلق على إيجاد شيء جديد في العرف، ويطلق أيضا على شيء جديد لم يكن موجودا ولامثله في الزمن السابق، فخياطة عباء جديد أو طبخ خبز طازج أو صنع سيف جديد لايسميه أحد اختراع لباس أو خبز أو سيف".

---

(١) إيضاح الحق الصريح في أحكام الميت والضريح ص: ٤

" فمن هنا يعلم أن وجود مثيل شيء ونظيره في الزمن السابق(١) بمثابة وجود الشيء نفسه يعني أن الشيء المحدث الجديد لم يكن موجودا في الحقيقة قبل هذا الزمن ولكن يحكم له بالوجود لوجود مثيله ونظيره"(٢)

هذا المعنى الذي ذكره الشاه هو شرح لمدلوله اللغوي، فإن في اللغة يقال:" حدث، حدوثا وحداثة، نقيض " قدُم"(٣) "والحدوث، كون شيء لم يكن، ومنه أحدثه الله فحدث،(٤) والحديث، الجديد من الأشياء(٥)

فاستنبط من هذا المعنى " أن لفظ الإحداث يطلق على إيجاد شيء جديد.... ويطلق أيضا على شيء جديد لم يكن موجودا ولامثله.....".

يقول البغوي:" محدثات الأمور، ما أحدث علي غير قياس أصل من أصول الدين"(٦)

ثم يقول محددا مفهوم المحدث:" فالمحدث إذا، الشيء الذي لم يكن موجودا في نفسه في تلك الأزمنة المباركة ولانظيره لأن وجود شيء بنفسه أو نظيره في عهد النبي صلى الله عليه وسلم يجعله سنة أصلية ووجوده أو نظيره في الأزمنة الثلاثة يلحقه بالسنة، (٧) ودليله أننا منعنا من اتباع المحدثات لأمره صلى الله عليه وسلم:" إياكم ومحدثات الأمور" وأمرنا باتباع الأمور الرائجة في عهد الرسالة والصحابة والتابعين لقوله صلى الله عليه وسلم:" عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين"(٨) "ولما روى عبد الله بن عمرو رضى الله عنه أنه قال : قال

---

(١) ويقول الشاه يعرفه" المراد في كلامنا ب" الزمن السابق" زمن سيد المرسلين والخلفاء الراشدين والصحابة والتابعين لهم رضوان الله عليهم أجمعين"

(٢) إيضاح الحق الصريح في أحكام الميت والضريح ص:٥

(٣) انظر لسان العرب ٢/ ١٣١

(٤) الصحاح ١/ ٢٧٨

(٥) القاموس المحيط ٢١٤

(٦) شرح السنة للبغوي ١/ ٢٠٨

(٧) "يلحقه بالسنة" يعني في عدم كونه بدعة، إذ يجوز اتباع ما كان معروفا لدى الصحابة والتابعين كما يظهر من تفسيره.

(٨) أمره صلي الله عليه وسلم بالاتباع يستلزم أن ما كان من سنتهم لايدخل في مدلول البدعة كما قال البغوي: " فأمر بلزوم سنته وسنة الخلفاء الراشدين والتمسك بها بأبلغ وجوه الجد ومجانبة ما أحدث، وفيه دليل على أن الواحد من الخلفاء الراشدين إذا قال قولا وخالفه غيره من الصحابة كان المصير إلى ==

رسول الله صلى الله عليه وسلم :" ليأتين على أمتي كما أتي على بني إسرائيل حذو النعل بالنعل حتى إن كان منهم من أتي أمه علانية لكان في أمتي من يصنع ذلك وإن بني إسرائيل تفرقوا على اثنتين وسبعين فرقة وستفترق أمتي على ثلاث وسبعين ملة كلهم في النار إلا ملة واحدة قالوا: " من هي يا رسول الله قال: ما أنا عليه وأصحابي"(١)

ويستدل بخيرية القرون المفضلة التي شهد بها النبي صلى الله عليه وسلم بأن ما كان فيها من الأمور الرائجة لايدخل في مفهوم البدعة لأنها شر فيقول:" عن عمران بن حصين قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: خير أمتي قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم ثم أن بعدكم قوما يشهدون ولايستشهدون ويخونون ولايؤتمنون وينذرون ولايوفون ويظهر فيهم السمن"(٢)

وقد قرر الشاه خلال هذا الكلام أن ما كان عليه أهل القرون المفضلة لا يدخل في مدلول المحدثات(٣) وخصص هذا العموم بقيود تفيد بأن مراده هو أن يكون الأمر منتشرا عندهم من غير إنكار فيكون ذلك من قبيل السنة الحكمية، والاستناد إلى ما كان أهل القرون المفضلة أصل مهم استند إليه علماء السلف من قبل و ردوا بها على المبتدعة كثيرا يقول الأشعري:" قولنا الذي نقول به وديانتا الذي ندين بها التمسك بكتاب ربنا وبسنة نبينا صلى الله عليه وسلم وما

قوله أولى وإليه ذهب الشافعي في القديم" شرح السنة للبغوي ١/ ٢٠٦ وانظر تفاصيله بأحسن وجه في "إعلام الموقعين ٤"/ ١١٨- ١٢٣

(١) تقدم تخريجه. استدل به المؤلف بأن النبي صلى الله عليه وسلم جعل طريق الصحابة طريق النجاة، ويستنبط منه بأن ما عليه الصحابة لاتدخل في مدلول المحدثات لأنها شر الأمور فكيف يكون فيها النجاة.

(٢) أخرجه البخاري - ٣٦٥٠ - ومسلم- ٢٥٣٥ يقول النووي:" والصحيح أن قرنه صلى الله عليه وسلم، الصحابة والثاني، التابعون والثالث، تابعوهم" شرحه لصحيح مسلم ١٦/ ٣٢١ ويقول ابن حجر:" واتفقوا أن آخر من كان من أتباع التابعين ممن يقبل قوله ممن عاش إلى حدود العشرين ومأتين وفي هذا الوقت ظهرت البدع ظهورا فاشيا وأطلقت المعتزلة ألسنتها ورفعت الفلاسفة رؤوسها وامتحن أهل العلم ليقولوا بخلق القرآن وتغيرت الأحوال تغيرا شديدا...." فتح الباري ٧/ ٦

(٣) سيأتي تعريف المحدثات ص: ٢٩١ في تعريف البدعة الأصلية

روى عن الصحابة والتابعين وأئمة الحديث ونحن بذلك معتصمون وبما كان يقـول بـه أبـو عبـد الله أحمد بن حنبل ..."(١)

"ولذا لانجد كتابا من كتب السلف ومن هم على طريقتهم من أهل السنة إلا ويذكرون فيه أقوال الصحابة والتابعين وأئمة الهدى، يفسرون بها القرآن والحديث ويستدلون بهـا علـى مـن خالفهم ويعتصمون بها في معرفة الحق والصواب"(٢)

شروط اتباع أهل القرون المفضلة والأدلة على ذلك:

إنه لما قرر اتباع القـرون المفضلـة لم يجعـل اتبـاعهم مطلقـا بـل خصـص قولـه بـأن الاتبـاع المطلوب في الأمور التي كانت منتشرة فيما بينهم ومشتهرة فيهم من غير إنكار ولارد ولاقـدح، أما إذا كان هناك أمور أنكر عليها أو أتى بها شـخص أو أشـخاص فإنهـا لاتخـرج مـن كونهـا محدثات فلايتبع فيها فيقول:" المراد بوجود الشيء أو نظيره في القرون الثلاثة، هو انتشار العمـل عليه في قرن من القرون الثلاثة من غير نكير ولااستنكار واشتهاره فيما بينهم مـن غـير رد عليـه ولاقدح فيه، وليس المقصود صدوره عن بعض الناس شاذا أو نادرا، أو قد اعترض على من أتـى به وأنكر عليه وإن كان المتلبسون بذلك طائفة ضخمة، فهذه الأمور لاتخرجها من حد المحدثات بل هي داخلة فيها(٣) والدليل عليه قوله صلى الله عليه وسلم :" ما أنا عليه وأصحابي" والمـراد ب"ما" هنا هو خلق الصحابة وسيرتهم وعملهم يشير إليه الحديث الـذي رواه رزيـن عـن ابـن

---

(١) الإبانة ص: ٥٢ "واعتبروا أن أحسن طرق تفسير القرآن هـو تفسـير القـرآن بـالقرآن ثـم بالسـنة، ثـم بأقوال الصحابة والتابعين" انظر الفتاوى ١٣/ ٣٦٣ وانظر للتفصيل " إعلام الموقعين ٤/ ١١٨- ١٥٥

(٢) انظر الفتاوى ١٣/ ٣٣٣

(٣) فإنه من الممتنع أن يقول بعض الصحابة والتـابعين في كتـاب الله الخطـأ المحض ويمسـك البـاقون عـن الصواب فلايتكلمون به فيستحيل خلو عصرهم عن ناطق بالصواب واشتماله على ناطق بغـيره فقـط. انظر إعلام الموقعين ٤/ ١٥٥ بتصرف ويقول ابن القيم:" إذا قال الصحابة قولا فإما أن يخالفه صحابي آخر أو لايخالفه، فإن خالفه صحابى لم يكن قول أحدهما حجة على الآخر وإن خالفه أعلم منه كمـا إذا خالف الخلفاء الراشدون أو بعضهم غيرهم من الصحابة في حكم.... الصحيح أن الشق الذي فيـه الخلفاء أو بعضهم أرجح وأولى أن يؤخذ به.... وإن لم يخالف الصحابي صحابيا آخر... واشتهر قوله فالذي عليه جماهير الطوائف من الفقهاء أنه إجماع وحجة...."٤/ ١١٩- ١٢٠ ويقـول عـن حجيـة قول التابعي:" يجب اتباع التابعي فيما أفتى به و لم يخالفه فيه صحابي ولاتابعي..."٤/١٥٦

مسعود رضى الله عنه أنه قال : من كان مستنا فليستن بمن قد مات فإن الحي لايؤمن عليه الفتنة وأولئك أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم كانوا أفضل هذه الأمة وأبرها قلوبا وأعمقها علما وأقلها تكلفا اختارهم الله لصحبة نبيه ولإقامة دينه فاعرفوا لهم فضلهم واتبعوهم على أثرهم وتمسكوا بها ما استطعتم من أخلاقهم وسيرهم فإنهم كانوا على الهدى المستقيم"(١)

ويوضح ذلك بمثال فيقول:" والمتبادر إلى الذهن بلفظ السيرة المضافة إلى قوم أن تكون رائجة ومنتشرة في القوم كله وليس المقصود شذوذ واحد من الناس بعمل، أو طعن فيه وأنكر عليه منهم..... فمثل أكل اللحم النيئ، لايقال في العرف أنه من عادات الهنود وإن أكله بعض الناس نادرا بخلاف الأحباش فكان من عادتهم الرائجة أكله نيئا فهو إذا من عادات الأحباش"

ويستدل عليه بقاعدة أصولية أيضا فيقول:" فإن لفظ" أصحابي" جمع تكسير ومضاف إلى ياء المتكلم التي هي معرفة في نفسها، وصيغة جمع التكسير المضاف إلى المعرفة تفيد الاستغراق، يعني أنه يشمل جميع أفراده ويطلق على كل فرد منها(٢)ودليله ما رواه البخاري ومسلم في صحيحيهما عن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه في رواية التشهد أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : فإنه إذا قال أى كلمة "عباد الله الصالحين" أصاب كل عبد صالح في السماء والأرض،(٣)فعلم من الحديث أن لفظ"عباد الله" يفيد الاستغراق ويقصد به كل العباد وكذلك لفظ" أصحابي" أيضا يفيد الاستغراق ويدخل فيه جميع الصحابة، والاستغراق الحقيقي الذي نتكلم عنه في هذا الموضع يثبت إذا اجتمع جميع الصحابة على خصلة أو طريقة ما ويتحقق الاستغراق العرفي عند اجتماع أكثر الصحابة عليها ومن لم يوافقهم في هديهم وطريقتهم منهم لايُنكر عليهم".

ويستدل بحديث" خير أمتي قرني" أيضا فيقول:" وجملة " خير أمتي قرني" أيضا تدل على المعنى المذكور لأن إضافة الخيرية إلى " قرني" تفيد أن العادات الشائعة في هذا الزمن يغلب عليها الخير والصلاح، ولايفهم منه أن كل عمل من كل رجل من أهل هذا الزمن يكون خيرا، فمثلا لو قال قائل: " أن الناس من دهلى في زمن ملك محمد شاه كانوا مسرفين" يفهم منه في

---

(١) أخرجه ابن عبد البر في " جامع بيان العلم وفضله" ٢/ ٩٧ وزاد فيه " أقلها تكلفا، وأقومها هديا وأحسنها حالا، الرواية منقطع انظر المشكاة بتخريج الألباني ١/ ٦٧

(٢)"المحلى بالألف واللام بغير المعهود، أو إضافتها إلى معرفة"من صيغ العموم انظر روضة الناظر وجنة المناظر ١٢٣/٢

(٣) جزأ من حديث أخرجه البخاري ـ الصلوة ـ ٨٣١ انظر الفتح ٢/ ٣١١ ومسلم ـ الصلوة ـ ٤٠٢

العرف أن العادات الرائجة في الزواج والمأتم والمأكل والملبس والمسكن يغلب عليه الإسراف والتبذير وإن كان بعضهم يبتعدون عنه نادرا أو العدد الكثير من البدويين لم يكونوا يعرفونها ،..... وقوله صلى الله عليه وسلم ثم" يظهر الكذب" في الحديث نفسه من رواية النسائي يوضح هذا المعنى جليا لأنه قال:" ثم يظهر الكذب"(١)ولم يقل ثم يوجد الكذب، والمستفاد الصريح من هذا هو عدم ظهور الكذب في القرون الثلاثة، وليس فيه نفي وجوده..... و لايعني ذلك أن الكذب يعدم في القرون المفضلة أو لا يكذب واحد من الناس"(٢)

خلاصة ما تقدم:

بعد ما شرح الشاه رحمه الله معنى المحدثات وحدد معناها بأنها الأشياء التي لم تكن موجودة بنفسها ولانظيرها في عهد النبي صلى الله عليه وسلم والصحابة والتابعين لأن وجودها في عهد النبي صلى الله عليه وسلم يجعلها من السنة، ووجودها في القرون المفضلة يلحقها بالسنة واستدل لهذا المعنى بقول النبى صلى الله عليه وسلم " ما أنا عليه وأصحابي" وبقوله صلى الله عليه وسلم" خير أمتي قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم...."

والمراد بوجودها في القرون الثلاثة هو أن ينتشر العمل بها من غير نكير، أما إذا شذ بالعمل به أحد أو طائفة، أو أُنكر عليه فلا تخرج من حد المحدثات، واستدل عليه بأدلة، **منها** أن قوله صلى الله عليه وسلم " ما أنا عليه وأصحابي" يدل على ما كان عليه خلق الصحابة وسيرتهم

---

(١) كلمة "ثم يظهر الكذب " ليست في رواية عمران بن حصين فهي رواية مستقلة رواها الترمذي عن عمر بن الخطاب في ـ الفتن ـ ٢١٦٥ ـ وفي ـ الشهادات ـ ٢٣٠٣ وابن ماجة ـ الأحكام ـ ٢٣٦٣ ـ و لكنها بلفظ" ثم يفشو الكذب" ولعل " ثم يظهر الكذب" في النسائي الكبرى كما أحال عليه صاحب "مشكاة المصابيح" ١٦٩٥/٣

(٢) إيضاح الحق الصريح في أحكام الميت والضريح ص: ٥ ـ ٨ يقول ابن حجر في شرح هذا الحديث:" واقتضى هذا الحديث أن تكون الصحابة أفضل من التابعين والتابعون أفضل من أتباع التابعين، لكن هذه الأفضلية بالنسبة إلى المجموع أو الأفراد؟ محل بحث وإلى الثاني نحا الجمهور" فتح الباري ٧/ ٦ بل العكس الصحيح انظر شرح النووي لصحيح مسلم ١٦/ ٣١٨ وقال ابن القيم:" وكلما كان العهد بالرسول أقرب كان الصواب أغلب وهذا حكم بحسب الجنس لابحسب كل فرد فرد من المسائل، كما أن عصر التابعين وإن كان أفضل من عصر تابعيهم فإنما هو بحسب الجنس لابحسب كل شخص شخص ولكن المفضلون في العصر المتقدم أكثر من المفضلين في العصر المتأخر...." إعلام الموقعين٤/١١٨

وعادتهم وليس المراد إذا كان أحاد من الناس انفرد بالعمل به فأنكر عليه جمع من الناس، **ومنها** استدلاله بلفظ" أصحابي" أيضا، وهو أن صيغة الجمع إذا أضيفت إلى ياء المتكلم التي هي معرفة تفيد الاستغراق فلفظ " أصحابي" يفيد الاستغراق فيدخل فيه جميع الصحابة فلا يتحقق هذا المعنى إلا إذا اجتمع جميع الصحابة أو غالبهم على أمر من الأمور، فاجتماعهم هذا يخرجه من حد المحدثات، **ومنها** استدلاله بقوله صلى الله عليه وسلم" خير أمتي قرني" بأن إضافة الخيرية إلى " قرني" تفيد أن العادات الشائعة في هذا الزمن يغلب عليها الخير والصلاح، ولايدل هذا أن كل عمل من كل رجل فيه خير وصلاح، وأطال في شرح هذا المعنى، وبعد هذا الشرح وتحديد معنى المحدثات تناول معنى" الأمور" الوارد في الحديث " من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد".

المراد" بالأمور" في الحديث أمور الدين:

يقول في شرح هذا اللفظ:" ليعلم أن المراد ب" الأمور" في الحديث أمور الدين.... لأن الأمر الذي يختص به الأنبياء إنما هو أمر ديني يدل عليه الحديث الذي رواه مسلم عن رافع بن خديج أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: " إنما أنا بشر إذ أمرتكم بشيء من أمر دينكم فخذوا به وإذا أمرتكم بشيء من رأيي فإنما أنا بشر"(١) "دلالة هذا الحديث صريحة أن اتباع سيرة السلف في غير الأمور الدينية ليس بواجب، فمن هنا لامانع من إيجاد شيء جديد من أمور الدنيا"(٢)

وقد فسر تلك الكلمة أبو عبيد، يقول يحيى بن سعيد سمعته يقول:" جمع النبي صلى الله عليه وسلم جميع أمر الآخرة في كلمة" من أحدث في أمرنا ما ليس منه فهو رد، فأشار بأن المراد بهذه الجملة هي أمور الآخرة دون أمور الدنيا..."(٣)

يقول الشاه " والمقصود بأمر الدين الأمور التي يتعلق بها أحكام الشارع....... وهي الأحكام السمعية التي لايتصور معرفتها من غير إعلام الشارع ولامجال للعقل فيها، ولها قسمان:

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه ـ وبوب عليه النووي" باب وجوب امتثال ما قاله شرعا دون ما ذكره من معايش الدنيا على سبيل الرأي" ـ٢٣٦١ـ انظر شرح النووي ١٥/ ١٢٦

(٢) إيضاح الحق الصريح في أحكام الميت والضريح ص: ٨ ـ ٩

(٣) شرح السنة للبغوي ١/ ٢١٨

القسم الأول: الأحكام التكليفية، والمراد بها مطالبة أمر من أمور الدين، أو الترغيب في فعله أو التحذير منه.... وتفيد جميع العبارات الواردة في هذا الباب (باب الترغيب أو الترهيب) بأن أمرا إما ينفع في الآخرة أو يضر فيها، ونسمي هذه الأحكام "الأحكام التكليفية".

"القسم الثاني: " هو الحكم في شيء أنه ركن أو شرط أو لازم لعبادة أو معاملة، أو نعده مُكمّلا لشكل العبادة أو لهيئتها ونسمي هذه الأحكام "الأحكام الوصفية".

" فالأمر الديني إذا هو الحكم السمعي سواء كان الحكم التكليفي أو الحكم الوصفي"

خلاصة تعريف البدعة الأصلية:

وبعد هذا التفصيل يلخص تعريف البدعة فيقول:"فالبدعة الأصلية إذا " كل عقيدة أو مقام أو حال أو وارد أو عبادة أو عادة أو معاملة محدثة في المعنى المذكور، والعامل به يعتقد(١) فيه منفعة الآخرة، ويسعى لأجلها ،أو يحترز منها لاعتقاده أنها ضارة في الآخرة، أويعمل معتقدا أنه ركن عبادة أو معاملة أو شرطها أو لازمها أو يتركها زاعما أنه مناف لعبادة أو معاملة ومخالف لها نسميها البدعة الأصلية، وهو المقصود بلفظ "محدثات الأمور" الوارد في الحديث".

المطلب الثالث: البدعة الوصفية

يقول الشاه خلال بحثه عن البدعة الوصفية:" أما البدعة الوصفية فمدار البحث كله على حديث عائشة رضى الله عنه" من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد".

فتحقيق معنى البدعة الوصفية موقوف على تحقيق معنى الكلمات الثلاثة وهي "احدث" و"امرنا" و"ما " الموصولة، وقد سبق تحقيق معنى" أحدث" و"أمرنا" فيما قبل أما "ما" الموصولة فمدلوله يكون عاما وشاملا إلا أنه يخصص في الاستعمال بوجهين:

أولا: بصلته،

ثانيا: بالتأمل في سياقه وقرينة الكلام والمتكلم والسامع.... "(٢)

ثم فصل المؤلف في إثبات هذا المعنى بضرب المثال، وخلاصته أنه لوقيل للجاهل أنه لايليق له إحداث أمر يتعلق بالعلماء يفهم منه أنه منع من إحداث شيء يختص به العلماء لعلمهم

---

(١) فإن الشاه قد جعل اعتقاد صاحب البدعة فيها شرطا لازما للحكم بالبدعة وهو شرط مهم . انظر " كتاب الحوادث والبدع" للطرطوشي مع حاشية المحقق ص: ٢١

(٢) إيضاح الحق الصريح في أحكام الميت والضريح ص:١٣

والعقلاء لعقولهم، كتصنيف كتاب أو إنشاء أسلوب جديد... ولم يمنع هو من إنشاء طراز خاص في المأكل والمشرب والملبس والمسكن ونحوها من الأشياء التي لاعلاقة لها بالعلم وبعد إيضاح هذا المثال يقول:" كذلك يفهم من الحديث أن من أحدث أمرا يهتم به الأنبياء بالتعليم والتبليغ فهو مردود وغير مشروع"(١)

بيان الأمور التي يهتم بها الأنبياء لأجل النبوة:

وهنا يختلج في الصدر سؤال ألا وهو المعرفة عما يهتم به الأنبياء لأجل منصب نبوتهم فيجيب عليه الشاه بقوله:" إن الترغيب في الأمور النافعة في الآخرة والترهيب مما يضر فيها من خواص النبوة، وهذا هو الدين، ويشترك فيه جميع الأديان السماوية كما يدل عليه قوله تعالى ﴿شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا والذي أوحينا إليك وما وصينا به إبراهيم وموسى وعيسى .....﴾(٢)

ويقول في شرحه": فتعيين الأمور المذكورة وحدوده وتخصيص أشكالها وهيئاتها التي تنفع في الآخرة أو تضر من خصائص رسالة الأنبياء وهي الشريعة والمنهاج وهذا يختلف باختلاف الرسل، قال الله عز وجل﴿ لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا﴾(٣)

ويوضح ذلك بمثال فيقول:" فمثلا الترغيب في الصلاة والنكاح والتنفير عن الشرك والزنا مشترك في اصل كل دين، ولكن تعيين الصلاة بتحديد أوقاتها وركعاتها وشروطها وغيرها من التفاصيل، أو تعيين النكاح باشتراط الإيجاب والقبول والصداق والشهود، أو تحديد الشرك بالطيرة والحلف بغير الله ..... فتعيين هذه التفاصيل والجزئيات كلها تشريع والتشريع حق الأنبياء عليهم السلام".(٤)

المطلب الرابع: التفصيل في طرق التشريع

ثم أطال النفس في تعيين طرق التشريع لأهميتها وحاجة الناس إليها لأنه ذكر فيما قبل أن التشريع حق الأنبياء عليهم السلام خاص بهم واستحقوا ذلك لأجل النبوة،ويهتمون به لأنه

---

(١) إيضاح الحق الصريح في أحكام الميت والضريح ص: ١٣- ١٤

(٢) سورة الشورى / ١٣

(٣) سورة المائدة / ٤٨

(٤) يعنى أن الأنبياء يشرعون هذه التفاصيل بأمر من الله عز وجل. إيضاح الحق الصريح ص: ١٤

مقصود بعثتهم. وإذا اتضحت طرق التشريع واختصاص الأنبياء بها وأنه لامدخل فيه لعقل بشر ولالكلام أحد من الناس، تبقى صورة الشريعة واضحة وجلية فلا مناص لأحد إلا الاتباع دون الابتداع ولذلك قد فصل تفصيلا كثيرا في بيان طرق التشريع فيقول:" إن تعيين الصور المخصوصة لأصول الدين أو تحديدها بحدود معينة من الشارع يتم على جهتين،

أولا: "جهة اللزوم وذلك أن يعين أصل من الدين بطريقة مخصوصة فلا يعتبره الشارع إذا كانت مفقودة منه أو يعتبره معدوما،

الثاني: "جهة التكميل وذلك أن يعين عمل من الدين بهيئة لو أدى بها كان مقبولا ومستحسنا عند الشارع، فالصورة المعينة سواء كان لها أثر في الاستحسان الشرعي أم لا ولكن لها أثر بالغ في ثبوت ذلك الأصل"

وقد حاول الشاه في هاتين الصورتين أن يبرز أمرا هاما وذلك أن الشارع إذا عين صورا وقيودا وشروطا للعقائد والعبادات أو حدها بحدود معينة فتعيينه وتحديده هذا يكون من جهتين يعني جهة اللزوم والتكميل، فما شرعه الشارع على جهة اللزوم فهو واجب، ولاعبرة بعمل مع فقدانه عند الشارع وقد يعين الشارع أمرا بهيئة خاصة فيجب أن يؤتى بتلك الهيئة، وهذه الهيئة قد لاتكون لازمة ولكن لها أثر بالغ في كمال تلك العبادة وتمامها. وإذا فقدت تلك الهيئة تكون العبادة مشوهة ناقصة ثم ذكر أمثلة عديدة من الأمور الشرعية التي تدل على هذين الجهتين فيقول:"منها : إجراء أمر وإنفاذه في الأمور الدينية إما أن يكون على سبيل اللزوم مثل تعيين القيام والقراءة والركوع والسجود ونحوها في الصلاة وإلزام الإيجاب والقبول في النكاح وإما أن يكون على سبيل التكميل مثل تعيين القيام بعد الركوع والجلوس بعد السجود والتسبيحات فيها وإعطاء مقدار زائد على القرض الذي اقترض من غير شرط سابق".

ومنها :" تعيين الأوقات إما لزوما نحو تحديد الأوقات الخمسة لأداء الصلوات، وشهر رمضان للصيام، وشهر ذي الحجة للحج، وحولان الحول لوجوب الزكاة ونحوها وأذان الجمعة للإمساك عن البيع والشراء.....".

وإما مكملا نحو: تعيين ليالي رمضان ونصف الشعبان(١) للقيام وآخر الليل للتهجد وارتفاع الشمس لصلاة الإشراق.... وغيرها من الأوقات التي عينها الشارع لايمكن إحصاءها".

ومنها:" تعيين الأمكنة إما أن يكون لازما مثل تعيين المكان الطاهر للصلاة غير المقبرة والحمامات، والمدينة لإقامة الجمعة والأعياد،(٢) والمساجد للاعتكاف، والمواقيت للإحرام، والحرم والكعبة وعرفة ومنى والمزدلفة، والصفا والمروة للحج ..... ".

"إما أن يكون تعيينها للتكميل دون اللزوم نحو: تعيين المساجد للصلوات المكتوبات، ولعقد النكاح(٣) والبيوت لتلاوة القرآن وصلاة التطوع.... وغيرها كثير من الأمكنة المعينة من جهة الشارع لايمكن إحصاءها مثل التوقيتات الزمنية".

ومنها:" تعيين العدد إما لزوما نحو عدد الركعات في المكتوبات، وعدد الصيام المفروض... وإما تكميلا نحو تعيين عدد الركعات في النوافل وعدد التسبيحات في الصلاة وبعد الفراغ منها ... ".

ومنها: " تعيين أعمال الأعضاء والجوارح إما أن يكون لازما وإما أن يكون مكملا نحو تعيين القلب للنية وكنايات الطلاق...... ".

ومنها :"تعيين هيئات مخصوصة، إما أن يكون لازما أو مكملا له، مثل استقبال القبلة وستر العورة..... وأمثلة الأوضاع المسنونة في جميع العبادات".

---

(١) يقول ابن القيم بعد ما ذكر حديثا في فضل القيام في ليلة النصف من شعبان:"والعجب ممن شم رائحة العلم بالسنن أن يغتر بمثل هذا الهذيان، ويصليها، وهذه الصلاة وضعت في الإسلام بعد الأربع مائة، ونشأت من بيت المقدس فوضع لها عدة أحاديث" ثم ساقها / انظر " المنار المنيف"ص: ٩٩ وقال القرطبي في تفسيره ١٦/ ١٢٨ " وليس في ليلة النصف من شعبان، حديث يعول عليه لا في فضلها ولا في نسخ الآجال فيها، فلا تلتفتوا إليها" انظر للتفصيل " كتاب الحوادث والبدع" ص: ١٢٨ ـ ١٣٣ و"كتاب الباعث على إنكار البدع والحوادث" ص: ١٢٤ ـ ١٣٧

(٢) وقد اشترطت الحنفية، المدن لإقامة الجمعة دون القرى، وهو شرط لا أصل له، إذ به تفوت الجمعة على عدد هائل من المسلمين، انظر "الموعظة الحسنة للقنوجي في آخر كتاب " الأجوبة النافعة " للشيخ الألباني ص: ٤٣ ـ ٤٤ وقد ألمح البخاري إلى جوازه في صحيحه حيث بوب" باب الجمعة في القرى و المدن" انظر الفتح ٢/ ٣٧٩

(٣) و لم يثبت شيء من السنة في عقد النكاح في المساجد.

ومنها: " تعيين المقدمات البدائية فإن كانت لازمة نسميها "شروطا" وإن كانت مكملة نسميها التمهيدات، نحو تعيين الغسل أو الوضوء أو التيمم عموما للصلوات الخمسة وللجمعة والعيدين... وتقديم خطبة النكاح وحضور الولي أو السيد أو الشهود في النكاح.... وتقديم البسملة في العبادات والعادات والأفعال ونحوها من الأمور التمهيدية الكثيرة للأعمال المشروعة".

ومنها:" تعيين الأمور النهائية في العبادات والعادات على الوجهين المذكورين نحو قراءة الأذكار المسنونة بعد التسليم، وأداء السنن المؤكدة، والجلوس على المصلى إلى طلوع الشمس..... وتعيين المسجد النبوي ومسجد القباء للزيارة في الحج، (١) وإلزام الصداق ودعوة الوليمة والدعاء بالبركة في حفلة النكاح.... وغيرها الأمور الكثيرة في العبادات والمعاملات من جهة الشارع... ".

ومنها: " تعيين المصارف والمحل للأفعال.... ".

ومنها: "تخصيص الألفاظ لمواقع مخصوصة، نحو تخصيص ألفاظ الأذان والإقامة للمكتوبات والاستعاذة والبسملة قبل قراءة القرآن في القيام..... ".

ومنها:" تعيين صفة أداء الأذكار والأدعية فمثلا الجهر بالأذان والإقامة والقراءة في الصلوات الجهرية، والتلبية وتكبيرات أركان الصلوة والعيدين، وتشريع الإخفاء والإسرار في غيرها من المواضع وخاصة عند الدعاء".

منها:" تحديد أنواع الأموال، فمثلا حددت بعض أقسام الأموال في باب الزكاة والربو وتحديد أربعة أقسام من الأنعام في باب الأضاحي مع تعيين عمرها وخلوها من العيوب...".

ومنها:" تعيين اللباس وألوانه، فمثلا مشروعية الحرير والأحمر والأصفر من اللباس وحلي الذهب والفضة للنساء دون الرجال".

ومنها:" تعيين الأمور التي يشرع إظهارها أو إخفاءها، فبعض الأمور الشرعية مطلوبة إظهارها وإشهارها مثل إظهار العبادات الواجبة وصلاة الجنازة... وبعضها مطلوبة إخفاءها وإسرارها مثل التطوعات والنوافل وزيارة القبور".

منها:" تخصيص الجماعة لأداء بعض الأعمال وبعضها تشرع أداءها فرادى.... ".

---

(١) يجوز زيارة المسجد النبوي ومسجد القباء لورود الأحاديث الصحيحة فيها، ولكن لم يثبت شيء في تخصيصها بالحج.

منها:" تعيين طرق جبر النقص مثل تعيين الفدية والقضاء ومثلية الشيء الهالك أو قيمته عند تلف المغصوب والأمانة.....".

ومنها: " تعيين النتائج والثمرات في باب العبادات والمعاملات والجنايات فمثلا إذا أتى بالعبادات المطلوبة استحق الأجر العظيم في الآخرة وبرئت منه الذمة في الدنيا في باب العبادات...".

وبعد هذا التفصيل يقول الشاه رحمه الله:" والغرض من هذا التفصيل أن الصور المذكورة وغيرها التي تشبهها، من أمثلة التحديدات الشرعية، وكلها داخلة تحت أبواب التشريع كما ذكرها الله عز وجل في الآية﴿تلك حدود الله فلا تعتدوها ومن يتعد حدود الله فأولئك هم الظالمون﴾ وكما أشار إليها في الحديث (إن الله حد حدودا فلا تضيعوها)"(١)(٢)

المطلب الخامس: ثمرة التفصيل في بيان طرق التشريع

ولقد فصل الشاه في تحديد مفهوم البدعة الوصفية تفصيلا دقيقا وأطال النقاش فيه، بدأ البحث عن البدعة الوصفية بحديث عائشة رضي الله عنها (من أحدث في أمرنا هذا ماليس منه فهو رد) وأشار إلى أن معنى الحديث متوقف على شرح ثلاثة ألفاظ " الإحداث" و" الأمور" ولفظ "ما " الموصولة في الحديث وقد تقدم شرح كلمتين السابقتين في تعريف البدعة الأصلية أما "ما" فيكون مدلوله عام وشامل إلا انه يخصص بقرينة الكلام وبصلته، فالمراد هنا هو الأمر الذي يهتم به الأنبياء لأجل منصب الرسالة، فالمفهوم المستخلص إذا " من أحدث أمرا في أمور الأنبياء التي يهتمون بها لأجل نبوتهم فهو مردود".

وهذا الإجمال اقتضى منه أن يفصل عن الأمور التي يختص بها الأنبياء فذكر أن الأنبياء مهمتهم إرشاد الناس إلى ما ينفعهم في الآخرة والتحذير عما يضرهم فيها، ويشترك فيه جميع الأديان إلا أن الشرائع تختلف في تعيين صور العبادة وأوقاتها وهيئاتها وأشكالها وفي العادات

---

(١) سبق تخريج الحديث ص: ١٧٠.

(٢) انظر إيضاح الحق الصريح في أحكام الميت والضريح ص: ١٤ ــ ١٩ يقول الطرطوشي رحمه الله :" وأصل هذا الباب أن زمان الفعل ومكانه وقرائنه كل ذلك شرط في الفعل وجوبا أو استحبابا" الحوادث والبدع ص: ١٦١ ويقول الشاطبي مبينا ما كان مطلوبا تركه في الشرع : "أن يطلب تركه وينهى عنه لكونه مخالفا لظاهر التشريع من جهة ضرب الحدود وتعيين الكيفيات والتزام الهيئات المعينة أو الأزمنة المعينة مع الدوام ونحو ذلك" الاعتصام ١/ ٢٨.

والمعاملات، وهذه الحدود والصور المعينة والتحليل والتحريم كلها تشريع والتشريع حق الأنبياء عليهم السلام خاص بهم، ومن هنا بين صور التشريع ولهما جهتان، جهة اللزوم وجهة الكمال.

والمراد من جهة اللزوم بأنه يجب أداء العمل المشروع حسبما شرع لازما من غير زيادة ولانقص فيه وإلا يصبح غير معتبر عند الشارع،

أما المراد من جهة الكمال بأن العمل على الصورة المشروعة مستحب ومستحسن جدا، ولكن إذا طرأ فيه نقص أو زيادة فلا يبطل أصل العمل بل يفقد بهاءه وكماله، ومن الصور التي عددها تعيين الأوقات، والأمكنة، والعدد، والهيئات، والشروط والأركان، ..... في العبادات والعادات والمعاملات والأقوال والأفعال وأنها كلها من باب التشريع وكذلك تعيين أعمال الأعضاء والجوارح وتحديد أنواع الأموال في الزكاة والأضحية والربا وتعيين الأمور التي يشرع إظهارها أو إخفاءها .....ونحوها الصور المذكورة كلها لايشرع إلا من جهة الشارع فهو تشريع.

قصد الشاه بهذا التفصيل الدقيق الرائع، إبطال ما يفعله الناس من عند أنفسهم بتخصيص بعض الأشياء أو بتعيين بعض الأشياء في العبادات والعادات والأقوال والصدقات مع اعتقاد بأنها مشروعة، وأراد أن يمنعهم عن ذلك و أن ينبههم على أنها بدعة .

فلا يستحق أحد غير الأنبياء عليهم السلام أن يشرع مثل تلك التحديدات أو التعيينات.

وهذا التفصيل الذي ذكره الشاه تؤيده الأدلة، وقد أشار الشاطبي رحمه الله إليه إشارة موجزة، ولما عرف البدعة بقوله" طريقة في الدين مخترعة تضاهي الشرعية يقصد بالسلوك عليها المبالغة في التعبد لله سبحانه" نقول في شرح تلك الكلمات ..." تضاهي الشرعية" يعني أنها تشابه الطريقة الشرعية من غير أن تكون في الحقيقة كذلك، بل هي مضادة لها من أوجه متعددة".

" منها وضع الحدود كالناذر للصيام قائما لايقعد، ضاحيا لايستظل، والاختصاص في الانقطاع للعبادة والاقتصار من المأكل والملبس على صنف دون صنف من غير علة".

ومنها: التزام الكيفيات والهيئات المعينة كالذكر بهيئة الاجتماع على صوت واحد واتخاذ يوم ولادة النبي صلى الله عليه وسلم عيدا وما أشبه ذلك".

ومنها:" التزام العبادات المعينة في أوقات معينة لم يوجد لها ذلك التعيين في الشريعة كالتزام

صيام يوم النصف من شعبان وقيام ليلته". وثم أوجه تضاهي بها البدعة الأمور المشروعة"(١)

فالشاطبي رحمه الله قد جعل هذه الشروط والقيود والهيئات وتعيين الأوقات والأزمنة من الشريعة، ومعلوم أن الشريعة لاتؤخذ إلا من الله ورسله عليهم السلام، فمن زاد الأمور المذكورة مستندا إلى عقله وهواه فإنه قد ابتدع بدعة في الدين.

والتفصيل في طرق التشريع المذكورة مهم جدا، لأن المبتدعة لايبتدعون بدعة إلا ما تشبه السنة في حدودها وقيودها وأوقاتها وآدابها حتى يلبسوا بالسنة فيكون مقبولا كما يقول الشاطبي:" فإن صاحب البدعة إنما يخترعها ليضاهي بها السنة حتى يكون ملبسا بها على الغير أو تكون هي مما تلتبس عليه بالسنة، إذ الإنسان لايقصد الاستتباع بأمر لايشابه المشروع لأنه إذ ذاك لايستجلب به في ذلك الابتداع نفعا ولايدفع به ضررا ولايجيبه غيره إليه، ولذلك تجد المبتدع ينتصر لبدعته بأمور تخيل التشريع ولو بدعوى الاقتداء بفلان المعروف منصبه في أهل الخير....."(٢)

المطلب السادس : وجوب مراعاة المراتب في الأمور الشرعية

بعد ما تناول الشاه صور التحديدات الشرعية وقرر بأنها من باب التشريع وليس لأحد أن يحدد شيئا أو يعينه ويتعبد به بل الواجب عليه أن يتبع فيه الأنبياء عليهم السلام، تناول أمرا هاما وفصل الكلام فيه وهو" مراعات التفاوت والمراتب في الأمور الدينية" فيقول:" هذا باب طويل الذيل لطيف المأخذ ومسرح العلماء الربانيين وذلك بأن العالم الرباني لما يتأمل في أمر شرعي ذو جوانب عديدة يستحضر في ذهنه قواعد الشرع وأدلته المتعلقة به، فيدرك أن الجوانب كلها وإن كانت مستحسنة عند الشارع ولكن الاهتمام ببعضها أكثر من بعض، فمثلا الصلاة مطلوبة بجميع شروطها وأركانها وهيئاتها ولكن أهمية أركانها و شروطها أكثر من غيرها... وهكذا عندما يكون العالم الرباني واسع العلم ولطيف الذهن ويتأمل في سيرة النبي صلى الله عليه وسلم ينكشف له أن جميع الأمور التي اشتملت عليها سيرته المباركة تعد من قبيل السنة النبوية، ولكن اهتمامه صلى الله عليه وسلم وعنايته لبعض الأفعال والعادات أكثر من غيرها، يظهر هذا بالتأمل في قرائن حاله وقوله وفعله ويتضح الفرق بين الأمور التي اهتم بها أو أكثر الاعتناء بها

---

(١) الاعتصام ١/ ٢٩ ـ ٣٠

(٢) الاعتصام ١/ ٣٠

وبين الأمور التي لم يهتم بها كثيرا أو لم يكثر الاعتناء بها، فمثلا الاعتناء الموجود بالمساجد وبناءها وتعميرها وترسيخها وحمايتها غير موجود في شأن القبور، فرغب في اجتماع المسلمين بالمساجد مع التأكيد فيه والثناء عليه، وأنذر من التكاسل فيه والإعراض عنه، وأبدى السرور والحبور على هذا الاجتماع كما أبدى الغضب والسخط على ترك هذا الاجتماع، وعلى هذا القياس الأمور التي ورد فيها الترغيب أو الترهيب ينبغي الاعتناء به والاجتهاد فيه، أما زيارة القبور فلا ينبغي الاهتمام بها، وكما ينبغي الاهتمام لنفع الميت بالصلاة عليه والترغيب فيها وتعليمها وتبليغها وترويجها والتأكيد عليها والتنويه بشأنها فلاينبغي مثل ذلك الاهتمام لأدعية أخرى، والاهتمام الذي ينبغي للصدقة عن الميت لاينبغي في إيصال ثواب الصلوة والصوم وتلاوة القرآن وذكر ا لله عز وجل، والاهتمام الذي ينبغي في الاستعداد للجهاد سواء كان استعدادا ماديا أو معنويا، من ترغيب الناس فيه وتحريضهم عليه، وبذل الوسع في جمع العدة والعُدة وصرف الأوقات الغالية في التدابير المتعلقة بالجهاد، لاينبغي مثل ذلك السعي الحثيث والرغبة الشديدة في تدريس علوم غير نافعة، وفي العزلة والنوافل والتزام الخلوات والرياضات والمجاهدات وفي الأذكار والمراقبات، وكما ينبغي العمل الشديد والمحاولة الأكيدة في تعليم الناس الأحكام الواضحة من الكتاب والسنة لاينبغي في حل المسائل الفقهية الغريبة وطرف الفقهاء الخيالية والتأمل في المباحث الكلامية الصعبة وفهم الإشارت الصوفية الدقيقة."

ويواصل الشاه كلامه فيقول:"وخلاصة الكلام أن فروع مباحث التشريع متنوعة وجوانبها عديدة ومع ذلك فهي ترجع إلى قسمين،

١ـ باب التحديدات ٢ـ باب حفظ مراتب أمور الملة"

بعد هذا البحث الطويل يقول الشاه محددا معنى حديث عائشة:" فالمراد بالحديث في ضوء هذا التحقيق كالتالي: " من أحدث أمرا جديدا في الدين أو قام بترويجه وهو من قسم التحديدات أو يحدث بسببه تغير في المراتب في أمر من أمور الدين فهو مردود" ثم يستنتج منه معنى البدعة الوصفية، فيقول:" كل تحديد محدث في أمر من أمور الدين أو كل إحداث يسبب تغييرا في مراتب أمور الدين، ويعتبر المبتدع هذا الوصف الطارئ من قبل الشارع، أم يعتبره من الاستحسان الشرعي فيعمل به، أم يجعل هذا الوصف الطارئ مبطلا للعمل المشروع الأصلي، فنسميها البدعة الوصفية"(١)

---

(١) إيضاح الحق الصريح في أحكام الميت والضريح ص: ١٩ـ ٢١

فالبدعة الوصفية عند الشاه هو العمل المشروع الثابت في الأصل إلا أنه زيدت فيه قيود أوشروط تسببت في تغيير مرتبتها المشروعة، ثم أن هذا التغيير الطارئ يعتبره المبتدع من الشارع، وأن له أثرا في قبوله أو رده مع أن الشرع لم يأت به .

والبدعة الوصفية عنده تشبه البدعة الإضافية عند الشاطبي رحمه الله (١)وبهذا التعريف للبدعة الوصفية، جعل الشاه كل ما يقوم به المبتدعة من الزيادة أو النقصان في الأمور الشرعية أو في مراتبها من البدعة.

وبهذا قد ألزم وجوب التمسك بالسنة كما هي وأنه لايجوز الميل عنها قيد شبر، بل يتبع في كل أمر صغير كان أو كبير اتباعا كاملا كما يقول ابن الوزير اليماني:" إن معظم ابتداع المبتدعين من أهل الإسلام.... الزيادة في الدين أو النقص منه....". "ومن الزيادة في الدين أن يدخل فيه ما لم يكن على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وعهد أصحابه رضى الله عنهم ."ولايخفى على من له أدنى عقل وتمييز من المسلمين أن نجاة أهل الإسلام في اتباع الرسول صلى الله عليه وسلم ولزوم ما جاء به من غير تصرف فيه بزيادة ولانقصان ولاابتداع عبارة لم تكن ، وسواء كانت تلك الزيادة أو النقص حقا أو باطلا....(٢)

(١) انظر الإعتصام ١/ ٢١٠

(٢) إيثار الحق على الخلق ص: ١٠٠- ١٠٢

المبحث الثالث : البدعة الحكمية أو الفعلية

المطلب الأول : مدار البدعة على اعتقاد صاحبها أنها من الدين

ولم يكتف الشاه بهذا التفصيل في البدعة بل رأى الناس قد استغرقوا في أنواع من البدع فأراد تنبيههم وإقناعهم على كونهم على البدعة ففصل تفصيلا دقيقا فيقول: "ولايخفى عند التأمل في تعريف قسمى البدعة أن مدار البدعة المطلقة على العقيدة فقط يعنى الاعتقاد في الشيء أنه نافع أو ضار عند الله عز وجل ولم يكن كذلك عند الله عز وجل فهي بدعة حقيقية" (١)

وألمح الشاه إلى أن الأصل في الحكم بالبدعة اعتقاد صاحبه، فمن اعتقد في عمل الثواب عند الله أو العقاب عنده ولم تأت به الشريعة فهو بدعة، كما تقدم.

المطلب الثاني: البدعة الحكمية أو الفعلية

مدلول البدعة الحكمية :

إذا كان الاعتقاد شرط أساسي في الحكم بالبدعة، فماذا يقال عن بعض الأعمال التي لايعتقد فيها صاحبها النفع والضر في الآخرة ولايعتقد مشروعيتها ولكنه يهتم بها كاهتمامه الأعمال المشروعة ويبذل فيها جهده وماله، كبذله في الأعمال المشروعة ويعتني في أدائها كاعتنائه بأمور مشروعة، وصار يلتمس العذر بأنه لايعتقد فيه ثوابا ولاعقابا، فهل يجوز له أن يعمل عليه؟؟

نجد الشاه رحمه الله لرغبته في السنة وبعده عن البدعة وما يقرب إليها لم يستسغ تلك الأمور أيضا بل حذر الناس منها وجعلها مثل البدعة في الحكم فيقول: "إن شيئا محدثا لايعتقد فيه صاحبه النفع والضر في الآخرة ولكن يهتم بها مثل اهتمامه بالأمور النافعة أو الضارة في الشرع، فمثلا ينبغي تحري يوم العيد للأضحية لأجل فضيلته مع جوازها في اليومين بعده وإن غلت الأسعار .. وكثرت الأشغال من صلاة العيد وآدابها وزيارة الأحبة والأقرباء، وقل نفعه لكثرة اللحم في ذلك اليوم وقلة حاجة الفقراء إليه، فالمهم أن لاتفوت فضيلة يوم العيد مع هذه

---

(١) إيضاح الحق الصريح ص: ١١

المشاكل والمصاعب، أما أن يقاس عليه تعيين يوم الوفاة للصدقة عن الميت وإن أصابه فقر أو عرضت له أسفار أو كثرت الأمطار وانتشرت الأمراض أو واجهت المشاكل مثلها أو أشدها في تلك الأيام التي عينها هو، فلايستسيغ ولايستحسن فوات خصوصية اليوم المذكور، وإن اضطر لها أن يقترض أو يسبب ذلك في زيادة المرض ولايبالي ذلك بل يتحمل إلغاء السفر لأجله ويعد الأجهزة الكاملة ليحمي طعام الصدقة من الأمطار ولايبالي لأجله التلوث بالوحل والوسخ وفوات الجماعات وطمأنينة الصلوة وضياع التعليم الشرعي ودروسه، يتحمل هذه كله ولايرضى فوات اليوم المذكور وإن لم يعتقد أفضليته على غيره من الأيام"(١)

ويمثل أيضا بمثال من واقع المجتمع فيقول:"والأرملة التي لاترغب في النكاح مع غلبة الشهوة وشدة الفقر والمسكنة لأجل موت زوجه، وكثرة الوحشة لفقد من تستأنس إليه، تجتنب عن الزنى وتبتعد عنه وهذا يعد من حسناتها ... وكذلك تجتنب عن النكاح الثاني وتبتعد عنه إن لم تعتقد قبح النكاح الثاني"(٢)

ويمثل من واقع المجتمع بمثال آخر فيقول: "فإن النكاح لايصح إلا بإذن الولي وحضور الشاهدين فالولي والشهود من شروطه، تتوقف صحة النكاح على هذه الشروط، وإن كان في هذا التأخير مشاكل، كذلك الناس يؤخرون النكاح ويوقفونه على استطاعة وتجهيز الجهاز المطلوب الموعود(٣) أو على استطاعة إقامة حفلة مناسبة، كتأخيرهم لعدم وجود الكفو أو الولي وقد يضطرون إلى اقتراض قروض باهظة لتجهيز الجهاز المناسب أو لإقامة الحفلة الفخمة التي تكون مصدرا لكثير من المشاكل الدينية والدنيوية، منها الفقر والإفلاس والتعامل بالربا، أو

---

(١) فإن القبوريين في بلاد الهند قد شرعوا أنواعا من الأطعمة للأولياء والأموات تعبدا بها يقول إحسان الهي في كتابه "البريلوية" بعد ما نقل من كتب القوم" فأنهم أوجبوا على اليتامى وورثة الميت أن يقدموا إليهم الأطعمة في اليوم الثالث ثم الرابع ثم السابع ثم اليوم العاشر وأما الحادي عشر فضروري على كل شخص...لأنه يوم مخصوص لنذر الشيخ عبد القادر جيلاني.... " ص: ١٣٤

(٢) انظر حول هذه العادة القبيحةص:

(٣) ففي بلاد الهند عادة قبيحة شنيعة تسربت إلى المسلمين بطبيعة مجاورتهم مع الهنادكة وهي أن الرجل يطالب أموالا هائلة وأشياء كثيرة من أهل البنت عند الزواج بها وقد بلغت هذه المطالب قديما وحديثا إلى حد أصبح الناس يتشاءمون من ولادة البنت ويفلس الرجل بعد زواج بنته" وفي بلاد الأفغان عكس ذلك يطلب ولي المرأة من الزوج أموالا كثيرة فيمسك بنته ولايرسلها إلى زوجها حتى يوفي شروطه"

طلب المساعدات والذل أمام الناس بالسؤال فيصبرون على هذه كلها ولكن يأبون تخطي هذه الرسوم والعادات، فمثل هذه البدع نسميها البدعة الحكمية أو العملية"(١)

وبهذا قد سد الشاه أبواب البدع التي يعمل بها الناس وإن لم يعتقدوا مشروعيتها.

المطلب الثالث : حكم البدعة

بعد ما عرف الشاه البدعة تطرق إلى بيان حكم البدعة وقبل بيانه للحكم قدم له بعض المقدمات :

المقدمة الأولى:

يقرر فيها الشاه بأن لفظ البدعة إذا أطلق يقصد به مفهوم شرعي دون مفهوم لغوي فيقول: " فعلم من هذه التفاصيل بأن المراد من لفظ البدعة في الأحاديث المذكورة، هو ما قدمنا ثم إن المعنى المذكور للبدعة حقيقة شرعية، وحمل لفظ البدعة عليه واجب عند انعدام القرائن الخارجية، واستعماله في معني سواه من قبيل المجاز، الذي لايمكن الحمل عليه إلا بوجود قرائن خارجية، كما وقع في كلام أمير المؤمنين عمر رضي الله عنه في التراويح" نعمت البدعة هذه"(٢) والمراد من لفظ البدعة في كلامه أن التراويح في هذه الهيئة المخصوصة بهذا الالتزام في جميع ليالي رمضان لم يكن موجودا في عهد النبي صلى الله عليه وسلم المبارك، وهذا المعنى أعم من المعنى الأول فإطلاق لفظ البدعة على هذا كإطلاق لفظ النفاق على تغير الحال المطلق كما وقع في قول حنظلة رضى الله عنه " نافق حنظلة"(٣) وقرينة تجوزه في هذا المقام امتناع قصد الحقيقة الشرعية، لصدور تلك العبارة من الخليفة الراشد، وما فيها من الدلالة على مدح التراويح، وتحسين الخليفة الراشد لشيء يلحقه من سنته وسنته ملحقة بسنة النبي صلى الله عليه وسلم، فتصبح ضد البدعة".

وبعد تمهيد هذه المقدمة ينبغي العلم أن المراد من لفظ البدعة في هذا الموضع يعني في موضع تحقيق حكمه، معنى شرعي، وليس معنى مجازي"(٤).

---

(١) إيضاح الحق الصريح في أحكام الميت والضريح ص:٢١ ـ ٢٢

(٢) جزء من حديث أخرجه البخاري ـ التراويح ـ ٢٠١٠ انظر الفتح ٢٥٠/٤

(٣) جزء من حديث رواه مسلم في صحيحه ـ التوبة ـ ٢٧٥٠

(٤) إيضاح الحق الصريح في أحكام الميت والضريح ص: ٦١ ـ ٦٤

المقدمة الثانية:

يقرر الشاه في هذه المقدمة بأن كل أمر شرعي يشتمل على حسن قليلا كان أو كثيرا وتتراوح درجة الطلب له في الشرع بين الوجوب والندب، كما أن كل أمر منهي في الشرع قبيح، وتختلف درجات النهي بين الكراهة والحرمة فيقول: "ليعلم أن حكم الشارع الذي يخاطب به عباده يكون على ثلاثة وجوه:

١- أن يكون مطلوبا مثل الصلاة والصيام،

٢- أو يكون مطلوبا تركه مثل السرقة والزنى،

٣- أو يخير فيه إن شاء فعله وإن شاء تركه.

فالشارع لايطلب فعله ولاتركه مثل أكثر الأشياء المباحة من الأكل والشرب واللباس ونحوها.

ثم إن مراتب الحسن في الأمور المطلوبة تختلف باختلاف مراتب العلة، مثل الأكل باليمين والاستنثار بالشمال، وسائر آداب الأكل والشرب واللباس والجماع ... ونحوها من العادات الحسنة لكل منها درجة من الحسن، وطلب الشارع يتعلق بها حسب مرتبتها، فللخلق الحسن والواردات والأحوال والمقامات مرتبة حيث حسنها الشارع وطلبها، ولمسائل العبادات والمعاملات، وخاصة أحكام الصلاة لها مرتبة أعظم من غيرها، ومرتبة العقيدة، خاصة التوحيد والإيمان بالرسالة فوق جميع المراتب. وتقاس علي هذه المراتب قباحة الأمور الممنوعة مثل الأكل بالشمال والاستنثار باليمين ونحوها من العادات السيئة، لكل منها مرتبة من القبح ويتعلق نهي الشارع حسب مرتبتها،....... وهكذا لو تأملنا في كل مرتبة من تلك المراتب المذكورة لظهرت في كل مرتبه، مراتب كثيرة، ثم إذا أعدنا النظر في كل مرتبة من هذه المراتب لظهرت فيها مراتب أخرى، وهكذا تستمر هذه المراتب من غير نهاية،... فعلام الغيوب جلت قدرته ما خلق من درجات الجنة، وفي مقابلها من دركات النار، يعجز عقل البشر عن إدراك تفاصيلها، ولكن بالجملة نؤمن إيمانا يقينا أن في جميع درجات الجنة راحة ونعمة وفى جميع درجات النار عذاب ومشقة، ودرجة الأنبياء في حصول الراحة والنعمة أعلى من جميع السابقين ودرجة السابقين أولى وأفضل من جميع الصالحين وإن كان هناك تفاوت بين أفراد كل صنف من الأصناف المذكورة . ويقاس عليها دركات النار أيضا فمثلا فإن دركة الكفار من حيث الألم أشد من المبتدعة ودركة المبتدعة أشد من دركة الفساق والفجار".

"و بهذا يفهم مجملا أن في جميع الأمور المطلوبة في الشريعة، حسن سواء كان قليلا أو كثيرا، وفي جميع الأمور الممنوعة في الشريعة قبح قليلا كان أو كثيرا، و يفهم أيضا أن مقتضى بعض الأمور المطلوبة في الشرع ندب ومقتضى بعضها وجوب وبعضها داخلة في أصل الإيمان، وهكذا مقتضى بعض الأمور الممنوعة في الشريعة كراهة، ومقتضى بعضها حرمة وبعضها كفر"(١).

ثم يقرر الشاه بأن معرفة حكم الشرع في أمر ما يكون على مرحلتين:

"الأولى: معرفة مجملة،هل هو مشروع أم لا؟

الثانية: معرفة درجة الطلب أو النهي"،

"وتكفي للمؤمن الصادق حجة للانتهاء عن أمر بأنه منهي، من غير أن يلتفت إلى درجة النهي، فيستنبط الشاه بناء على هذه القاعدة بأن البدعة منهية في الشرع مطلقا،فيجب الاجتناب عنها فيقول: "ثم ليعلم أن معرفة الحكم الشرعي في أمر من الأمور الدينية أو الدنيوية، يكون على طريقتين.

أولا: بحث إجمالي يعني التحقيق عن أمر أهو حسن في الشرع أو قبيح يعني أهو من جنس المطلوبات الشرعية أم من الممنوعات ؟؟

ثانيا: البحث عنه بحثا تفصيليا يعني معرفة درجة ذلك العمل من الحسن والقبح ومحاولة إدراك درجة الطلب ودرجة النهي عند الشارع.

ومثاله أن الجوعان إذا أخبر بوجود طعام في مكان يشتاق إليه برغبة شديدة ويندفع إليه كذلك العاشق الصادق بمجرد علمه أن معشوقه يحزن من شيء ويتألم منه، يبغضه ويكرهه ويفر من قربه كما يفر الجبان من ساحة القتال، وإن لم يعرف مدى حزن المعشوق ودرجته.

كذلك المؤمن الصادق بمجرد علمه عن شيء بأنه قبيح في الشريعة وممنوع فيها، يكرهه في قلبه ويبغضه وينفر من قربه كنفور أصحاب العز والشرف عن العار والمذلة، ويدل عليه الحديث الآتي:" الحلال بين والحرام بين وبينهما مشتبهات فمن اتقى الشبهات استبرأ لدينه وعرضه"(٢)

---

(١) إيضاح الحق الصريح في أحكام الميت والضريح ص: ٦٤ -٦٥

(٢) رواه البخاري بمعناه - الإيمان - ٥٢ انظر الفتح ١/ ١٥٣

"فالخلاصة بأنه يكفي للمؤمنين المتقين والموحدين المتبرئين من الشرك الحكم الإجمالي في الترغيب والترهيب، أما البحث عن حكمه التفصيلي فهو منصب المجتهدين، وخوض المقلدين فيه لايفيد إلا المشاغبة والمشاجرة أو المناظرة والجدال وتضييع الأوقات".

"فإذا بينا هذه المقدمة فينبغي العلم أن مقصودنا الأصلي في هذا المقام البحث عن البدعة مطلقا، هل هي حسنة في الشريعة أم قبيحة وليس مقصودنا معرفة درجات حسن البدعة وقبحها"(١).

المقدمة الثالثة:

يقرر الشاه في هذه المقدمة بأن حكم الشرع قد يكون مخصوصا فلا يعمم ذلك الحكم على جميع أفراده، ويستنبط منه الشاه بأنه نُهي عن البدعة مطلقا فيدخل فيه كل بدعة، فمن استثنى بدعة من هذا الحكم العام يجب عليه الدليل فيقول: "ليعلم أن الأمور المتعددة إذا كانت مندرجة تحت حكم عام واحد مثل اندراج المسلم والكافر في مفهوم الإنسان، ولحم الخنزير والغنم في مفهوم المطعوم، والخمر والماء في معنى المشروب، واندراج النقد والجنس في مفهوم المال والزنى وجماع الزوجة والأمة في معنى الوطي، فحكم الشريعة يتعلق به على طريقين.

"أولا: أن يتعلق حكم خاص مع كل واحد من تلك الأشياء المخصوصة، وأما بالنظر إلى ذاته مطلقا لايتعلق به حكم من أحكام الشريعة، فمثلا لحم الغنم حلال ولحم الخنزير حرام ولكن لايتعلق حكم التحليل باللحم مطلقا، وعلى هذا التقدير لاينبغي في موضع الترغيب والترهيب التحذير من اللحم مطلقا ولا الترغيب فيه، وكذلك في باب التقوى والتورع الذي أفضل المحاسن الشرعية الاحتراز من اللحم مطلقا ليس بشيء بحجة أن لحم الخنزير المحرم من جنسه، بل هذا من الوساوس الممنوعة في الشرع، وفي باب الفتوى لن يجوز للمفتي أن يحكم بحكم على شيء مطلقا وينبغي له أن يعلم المستفتي أن سؤاله ناقص لايستحق الجواب لأن المطلق في هذه الصورة ينقسم إلى أقسام مختلفة ولكل قسم حكم مستقل ..... وفي باب بيان الأحكام لايناسب عقد " القضية الكلية" أو " القضية المطلقة" مثل أن يقول في موضع بيان المطعومات المحرمة" كل لحم حرام" أو " هذا القدر من اللحم حرام" وإن كان يصح هذا الجواب في عرف اللغة بالنظر إلى مُخصّص العموم ومُقيّد المطلق لاحتمال المراد ب" كل لحم" لحم

---

(١) إيضاح الحق الصريح في أحكام الميت والضريح ص: ٦٥- ٦٧

الحيوانات المخصوصة، وباللحم المطلق لحم الحيوانات المحرمة، ولكن مثل هذا الكلام قبيح عند العوام والخواص وساقط من البلاغة، وبعيد من عرف اللغة".

"ثانيا: أن يتعلق حكم من أحكام الشريعة بالنظر إلى ذاته مطلقا ثم إن ذلك الحكم ينطبق على جميع أفراده باعتبار إطلاقه، فالمطلق بالنظر إلى ذاته يقتضي ذلك الحكم في جميع أفراده وإن اختفى الحكم المطلق في بعض أفراده بسبب العوارض الخارجية، مثل أن مطلق لحم الخنزير حرام وإن يصير مباحا في المخمصة، ومطلق شرب الخمر حرام وإن وجب عند الإكراه، ومطلق السرقة حرام وإن جاز عند الاضطرار..... وعلى هذا التقدير فإن الترغيب في مطلق الذكر الإلهي والترهيب من مطلق شرب الخمر في باب الترغيب والترهيب ركن من أركان إشاعة الدين وإعلاء كلمة الله، وذكر تفاصيل الموانع والعوارض الخارجية ليست من لوازم الوعظ والتذكير بل قد يضر ذكرها، وعند بيان معنى الآية ﴿ الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم ﴾ وبيان الحديث "لايزال لسانك رطبا من ذكر الله" (١) ينبغي بيان فضائل دوام الذكر ومنافعه وليس من اللازم بيان مسألة الاحتراز منها في الحمام. وعند بيان معنى الآية ﴿ إنما الخمر والميسر والأنصاب و الأزلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون﴾(٢) وحديث "إن شارب الخمر كعابد وثن" (٣) ينبغي بيان مضار شرب الخمر ومفاسده، ولا بيان وجوب شربه عند الإكراه، ..... لأن بيانه في باب الترغيب والترهيب يضر كثيرا ويخف حسنه وقبحه في نظر العوام إلا عند وقوع تلك الصورة وسؤال الناس عنها ينبغي الجواب مطابقا للسؤال وبهذا المنهج يقع الترغيب والترهيب من الشارع....، وفي موضع الفتوى ينبغي للمفتي أن يجري الحكم بالحل والحرمة على المطلق ولايفصل الموانع والعوارض الخارجية ما لم يسأل عنها السائل، ولايتكلم عن تقسيم المطلق إلى حلال وحرام، بل يقرر الحكم المطلق ويجعل من الشاذ الصور الخارجية التي يختفي فيها حكم المطلق لعوارض خارجية، فمثلا لو سأل أحد عن الخمر هل هي حلال أم حرام؟ يكتفي على هذا القدر من السؤال فيجيب بحرمته، أما لو سأل أحد في خصوص مسألة الإكراه فعندئذ يتحقق قضية الإكراه وحال المكره عليه ثم يجيب حسب

---

(١) جزء من حديث رواه الترمذي ـ الدعوات ـ ٣٣٧٥ والحديث صحيح انظر صحيح الجامع الصغير ٢/ ١٢٧٣

(٢) سورة المائدة / ٩٠

(٣) رواه ابن ماجة بمعناه ـ الأشربة ـ ٣٣٧٥ ـ والحديث صحيح انظر صحيح الجامع الصغير ٢/ ١٠٢٠

حاله، ولكن القول بأن الخمر ولحم الخنزير ينقسمان إلى حلال وحرام كسائر الأطعمة، وهذا القول وإن كان له وجه من الصحة بعد التدقيق بحيث أنه حلال في حالة الإكراه وحرام في غيرها ولكنه من الألغاز الفقهية التي يختبر بها أذهان الطلاب، وليس من قبيل أحكام القضاء والإفتاء... وقد يكون مثل هذا الكلام عند بيان الأحكام الشرعية استهزاء بآيات ا لله وتعويد العوام على المداهنة، بل هذا كلام باطل محض في العرف والعادة وإن صح من ناحية اللغة، بل الكلام المفيد والنافع في عرف اللغة أن يقول:" أن كل خمر حرام ونجس ويبعد عن ا لله، وأصله خبيث وإباحتها عند الإكراه والضرورة يجري مجرى الشواذ، والحق في هذا المقام عقد قضية كلية أو مطلقة، وليس التفصيل في تقسيمه. يعني كل "خمر حرام " أو "القدر القليل من الخمر حرام" ولايقول: بعض الخمر حلال وبعضه حرام."

"وفي باب المناظرة عند تحقيق حكم صورة خاصة من ادعى جريان الحكم المطلق في الصورة الخاصة المبحوث فيها فهو متمسك بالأصل لايفتقر إلى دليل لإثبات دعواه ودليله ذلك الحكم المطلق، بخلاف الشخص المدعى تخصيص الصورة المذكورة فدعواه مخالف للظاهر فيحتاج إلى دليل خارجي، مثل قول قائل :"شرب الخمر حرام لزيد" فلايحتاج إلى دليل بخلاف من قال: " إن كان مطلق شرب الخمر حرام ولكنه يجوز لزيد، فهو محتاج في دعواه إلى دليل خارجي من إثبات حالة الاضطرار أو الإجبار أو الجنون، بحيث جاز له شربه"(١)

بعد هذه التمهيدات التي ساقها الشاه يقرر بأن الواجب هو إجراء الحكم المطلق على البدعة فيقول:" ولما اتضحت هذه المقدمة ليعلم أن مقصودنا في هذا المقام هو التأمل في البدعة هل هي من القسم الأول حتى يتأمل في كل بدعة مخصوصة لنعرف كونها حسنة أو سيئة، ثم التأمل في إثبات حسنها وقبحها بالأدلة الخارجية وأن لايحكم بحكم مطلق على البدعة، أو هي من القسم الثاني بحيث تثبت لمطلق البدعة صفة الحسن أو القبح بقطع النظر عن الدلائل الخارجية".

"الغرض أن المقصود هو البحث عن حكم مطلق، وليس البحث عن العوارض الطارئة التي يختفي من أجلها الحكم المطلق في بعض الصور، فعند ما يحكم على أمر أنه بدعة يجري عليه حكم البدعة المطلقة من الحسن أو القبح، وإن ادعى أحد استثناء الصورة الخاصة وجب عليه أن يقيم عليه دليلا".

---

(١) انظر إيضاح الحق الصريح في أحكام الميت والضريح ص:٦٧- ٧١

"ولما بينا هذه المقدمات الثلاثة نقول أن هناك ثلاث احتمالات:

أولا:

"أن تكون البدعة المطلقة حسنة من حيث أصلها مثل العبادات الشرعية من الصلاة والصيام والذكر وتلاوة القرآن.... .

و هذا الاحتمال باطل اتفاقا، لم يذهب إليه عاقل ولاسفيه لأن جميع أصحاب المذاهب يعتبرون البدعة عيبا لا كمالا، والاختراعات في أمور الدنيا مثل القوس والرمح يعتبرونها حرفة وليست من أمور الدين ".

ثانيا:

" أن البدعة المطلقة لاتكون حسنة ولاقبيحة مثل مطلق الأكل والشرب والجماع والمحادثة واكتساب الأموال والاشتغال بالصنائع فتنقسم إلى قسمين، حسن وقبيح، فيحتاج لإثبات حسن بدعة مخصوصة أو قبحها إلى الدلائل الخارجية والعوارض الطارئة عليها حتى يظهر أحد الحكمين، وبمجرد اندراجه في البدع لانستطيع أن نحكم بحكم، وهذا هو المشهور عند العوام في هذا العصر".

ثالثا:

"أن تكون البدعة المطلقة في معنى الحقيقة الشرعية، سواء كانت حكمية أو حقيقية أو أصلية أو وصفية، أو كانت بدعيتها من جهة تحديدات وتوقيتات المبتدعة، أو بتغيير موقعها الثابت في السنة، فسائر هذه الأقسام قبيحة باعتبار أصلها، سواء كانت مكروهة أو حراما أو موصلة إلى الكفر، مثل سائر الأمور القبيحة في الأصل مثل الكذب والفحش والظلم والغيبة والحسد، فإثبات قبحها لايحتاج إلى دليل آخر فيكفي لكونها قبيحة بأنها بدعة، كما أنه لاحاجة إلى دليل آخر لإثبات قباحة الكذب أو الفحش، فكونه كذبا أو فحشا يكفي للحكم عليه بالقبح، كذلك يجرى حكم البدعة بمجرد ثبوته بأنه من البدعة، فيجب الاجتناب عنها لأجل التقوى، وعند الترغيب والترهيب يجب تحذير جميع الناس منها، وينبغي بيان قباحة هذه الأشياء علنا في مجالس الوعظ ومحافل التذكير خاصة إذا كانت منتشرة، ويبالغ في الإنكار عليها والتحذير منها ويعتبر بذل الجهد في محوها وإبطالها من مساعي إعلاء كلمة ا لله، فمثلا لو انتشر الكذب والفحش بين الناس في عصر من العصور فكما يهتم في إنكاره وتحذير الناس منه كذلك ينبغي الاهتمام في محو كل بدعة منتشرة في كل زمان، وكما أنه يجب التنفير من مطلق الفحش

كذلك يجب التحذير من مطلق البدعة دائما وأبدا بل أشد منه بمراتب كثيرة".

"ومن ادعى في بدعة بأنها مستثناة من القباحة ويحاول إثبات حسنها فيلزمه دليل قاطع من الدلائل الشرعية ولايلزم ذلك من يذمها لأجل كونها بدعة، مثل الشخص الذي يستحسن كذبا خاصا أو فحشا خاصا، فيلزمه إقامة دليل قاطع عليه وليس في ذمة من يوجب الاحتراز منه، فاحتمال كونه بدعة يكفي للاجتناب عنه، كما صرح بذلك الشيخ ابن الهمام في "فتح القدير"(١) وصاحب "مجالس الأبرار" ويدل عليه ما جرى عليه العلماء في باب رواية الحديث بأن احتمال الكذب أيضا ملحق بأصل الكذب، كما يدل عليه قوله صلى الله عليه وسلم: "من روى عني حديثا يرى أنه كذب فهو أحد الكاذبين"(٢) وهذا هوا المذهب الحق."

"والخلاصة أن البدعة المطلقة تكون بمثابة الذكر الإلهي من حيث الاحتمال الأول ومثل الكلام المطلق من حيث الاحتمال الثاني ومثل الكذب والفحش من حيث الاحتمال الثالث.

فالمذهب الثالث مؤيد من الكتاب والسنة والإجماع والقياس، وأما الاحتمال الثاني المشهور بين العوام باطل مثل الاحتمال الأول والدلائل التي يتشبثون بها كلها باطل منشأها سوء الفهم"(٣)

وبهذا التفصيل قد فند الشاه مزاعم من يستحسن بدعة ما أو يستسيغها، وجعلها مثل الكذب والفحش الذي لايحتاج إلى دليل لاثبات قباحته بل كونه بدعة يكفي الاجتناب عنها.

---

(١) وهو محمد بن عبد الواحد الشهير بابن الهمام السكندري، كان من أهل الاجتهاد توفي في رمضان ٨٦١ هـ انظر الفوائد البهية ص: ١٨٠

(٢) رواه مسلم في آخر مقدمته وهو آخر حديث في الباب الأول.

(٣) انظر إيضاح الحق الصريح في أحكام الميت والضريح ص:٧١ ـ ٧٤

الفصل الرابع: الرد على المبتدعة

ويشتمل على مبحثين:

المبحث الأول: الرد على الصوفية

المبحث الثاني : الرد على بدع الفقهاء

المبحث الأول: الرد على الصوفية

المطلب الأول: الصوفية أهم المانعين عن طريق الحق

الشاه رحمه الله لم يكتف بالدعوة إلى الاعتصام بالكتاب والسنة و بيان العوائق التي تصد الطريق إليه بل حذر مما يناقضه من البدع التي هي أعظم معصية بعد الشرك با لله عز وجل، ولما فصل الكلام في تعريف البدعة وأقسامها وأنواعها تفصيلا دقيقا عرج على بيان أنواع البدع الخطيرة المنتشرة في طوائف المسلمين، وهم لايستنكرونها بل يتعبدون بها ويدعون إليها.

ومن تلك البدع الخطيرة بدعة التصوف التي ابتلى بها المسلمون، فإنه قد أدخل في الإسلام والمسلمين كل أنواع الكفر والزندقة وحمل في طياته كل الفلسفات الباطلة ومبادئ الانحراف والضلال ومزجها بالإسلام وعقائده، ولذلك قد تكثفت جهود الشاه رحمه الله في الرد عليهم وفي بيان معتقداتهم الفاسدة وأعمالهم المنكرة ويعتبرهم أهم المانعين عن الصراط المستقيم.

فيقول: "فإن أهم المانعين عن طريق الحق أولئك الصوفية الملاحدة الذين لايخافون من مخالفة الشريعة بل يجعلون المخالفة طريقة لهم، ويتعلمون أشغال القبيحة البدعة الشركية، ويعلمونها وينشرون الإلحاد بين الناس فينبغي أن يعاملوا حسب أعمالهم وأقوالهم فمن يستحق القتل يقتل ومن يستحق التعزير يعزر وإن لم يكن استطاعة لإجراء أحكام الشريعة عليهم فَيَتَبَرأ منهم ولايلتقي بهم ويستقبح الذهاب إليهم، وإن كان يرجو هدايتهم فينصحهم مرة أو مرتين فإن اهتدوا فهو من فضل الله وإلا يجتنب من زيارتهم، واجتناب مصاحبة السوء لازم في حق من يبتغي وجه الله"(١)

صرح الشاه في الكلام المذكور بأن الصوفية الذين لايحترمون الدين وأحكامه من "الملاحدة" فمن سبر معتقد أصحاب وحدة الوجود، وعرف سرهم حق المعرفة فلا يتردد في الحكم عليهم بالإلحاد(٢)لما عندهم من اللعب بالدين والاستهزاء با لله ورسوله وبشريعته وكل ذلك يرجع إلى عقائدهم الفاسدة المبنية على الفلسفات الضالة، منها أن الوجود كله واحد ليس هناك خالق ومخلوق وعبد ومعبود بل ليست هناك غيرية، فمن لم يدرك هذه الحقيقة فإنه محجوب عن

---

(١) انظر صراط مستقيم ص: ٦٥

(٢) وقد جعلهم ابن تيمية في أماكن عديدة من الملحدين انظر الفتاوى ٢/ ٩٦، ١١٥

التوحيد ونشأت من هذه العقيدة سلسلة لامتناهية من العقائد الفاسدة من إباحة الخروج من الشريعة وعبادة إبليس وتعاطي القبائح(١)

ويقول الشاه في موضع أن من بلايا أولئك الملاحدة الاستهزاء بالدين، وانتشر هذا بين عوام المسلمين أيضا فيقول :" فإن الاستهزاء با لله وشعائره من بدع الصوفية الملاحدة التي انتشرت بين العوام بل ابتلى به بعض المقبولين أيضا وينبغي لطالب الحق أن يحترز من سماع هذه الطامات وإن كان يحسن الظن بقائلها ولن يتلفظ هو بنفسه ولايتبع فيه أحدا كائنا من كان، مثلما قال القائل : اشتريت ا لله بدرهم.... (٢)

ولاشك أن هذه الطائفة قد جعلت أصولا تبيح له كل شيء، فاستهان أهلها بالشريعة.

وما أحسن ما قال الذهبي في آخر ترجمة الحكيم الترمذي : نعوذ با لله من الإشارات الحلاجية والشطحات البسطامية وتصوف الاتحادية، فواحزناه على غربة الإسلام والسنة"(٣)

ثم الشاه رحمه ا لله يستغرب من جرأة هؤلاء على الاستهزاء بالدين والخروج منه فيقول في شرح حديث الاستسقاء الذي قال فيه الأعرابي: " فإنا نستشفع بك على ا لله ونستشفع با لله عليك فقال النبي صلى ا لله عليه وسلم سبحان ا لله! سبحان لله ا فما زال يسبح حتى عرف ذلك في وجوه أصحابه ثم قال: ويحك إنه لايستشفع با لله على أحد شأن ا لله أعظم من ذلك ...."(٤)ويقول في شرحه:" سبحان ا لله إن محمدا الذي شرفه ا لله على جميع خلقه لما سمع من إعرابي كلمة تدل على جهله با لله وقصور عقله وإساءة أدبه معه، ملأ قلبه خوفا ومهابة، فجعل يبين عظمة ا لله التي ملأت العالم من العرش إلى الفرش وما بال أقوام طالت ألسنتهم فتشدقوا بكلام تكاد السموات يتفطرن منه وتنشق الأرض كأن بينه وبينهم صداقة ، فقال البعض: إني اشتريت ربي بأقل من درهم وبعضهم يقول:" أنا أكبر من ربي بسنتين ومنهم من يقول:" إذا تجلى ربي في صورة غير صورة شيخي ومرشدي لاأرفع إليه بصرى ....(٥)

---

(١) الفتاوى ٢/ ٨٢ و ١٢٤ ـ ١٢٥

(٢) انظر صراط مستقيم ص: ٦٣ ـ ٦٤

(٣) السير ١٣/ ٤٤٢

(٤) جزء من حديث أخرجه أبوداود ـ السنة ـ ٤٧٢٦ قال أبوداود والحديث بإسناد أحمد بن سعيد هو الصحيح ووافقه عليه جماعة ... وقد صحح الحديث ابن القيم في تهذيب السنن ورد على من ضعفه، انظر حاشية عون المعبود ١٣/ ٩ وما بعده

(٥) تقوية الإيمان ص: ١٣٩ـ ١٤٠

المطلب الثاني: الرد على عقائد الصوفية ورياضاتهم وأحوالهم

يرد الشاه على العقيدة التي أطبقت عليه جميع الطرق الصوفية، وهي منتشرة عند عوامهم وخواصهم فيقول:" فإن الكلام في التوحيد الوجودي من بدع الملاحدة الوجودية التي اشتهرت بين العوام والخواص واشتبهت بأقوال كبار أئمة الطرق، فيستلذون بالشهوات النفسية بزعم اتحادهم با لله تعالى ويظنونها معارف وحقائق مبتلين بمكر الشيطان وخبث النفوس، فيضيعون أوقاتهم فيما لاينفع، و لم يأمر بها إمامنا وقدوتنا محمد المصطفي عليه السلام ولو كان نافعا مثل الصلوة والصيام لأرشدنا إليها ﴿حريص عليكم بالمؤمنين رءوف رحيم﴾(١)(٢)

الشاه جعل الوجودية من الملاحدة، والوجودية فرقة صوفية تعتقد بوحدة الوجود، وهي عقيدة منتشرة حيث يرون " أن وجود المخلوق هو وجود الخالق لايثبتون موجودين خلق أحدهما الآخر بل يقولون :" الخالق هو المخلوق والمخلوق هو الخالق ويقولون إنّ وجود الأصنام هو وجود ا لله وأن عباد الأصنام ما عبدوا شيئا إلا ا لله"(٣)

ويقول في موضع يرد على عدد من معتقداتهم : "ليعلم أن مسئلة وحدة الوجود ووحدة الشهود(٤) ومبحث تنزلات الخمسة والصادر الأول والكلام حول تجدد الأمثال والكمون والبروز ونحوها... من مباحث التصوف كلها من قسم البدع الحقيقية، إن اعتقد صاحبها أنها من الدين، أو عدها من الدين وإن لم يعتقدها من العقائد الدينية فإنها بالتأكيد أصبحت من البدع الحكمية في هذا الزمن"(٥)

يقول الشاه يرد على الرياضات الصوفية :" السعي في حصول مقام الفناء العلمي (٦)والانسلاخ والاضمحلال واستكشاف مغيبات عالم المثال(٧) والجهد في نيل واردات الوجد

(١) صراط مستقيم ٦٩

(٢) سورة التوبة / ١٢٨

(٣) الفتاوى ٢/ ٣٦٤، ٣٦٥

(٤) وهو الاعتقاد عن وجود ا لله بأنه وجود مستقل بائن من الخلق، ولكن الكون والخلق بمثابة الظلال، والكون مضمحل في وجود الخالق. انظر "شريعت وطريقت: ص:٧٥

(٥) إيضاح الحق الصريح في أحكام الميت والضريح ص: ٢٣-٢٤

(٦) " الفناء " عند الصوفية غاية عظمى ويعانون في سبيل حصوله معاناة عظيمة، وهو " أن يفني العبد ذاته في ذات الرب فتزول صفات البشرية وتحل الصفات الإلهية، فكلما ارتفعت صفة قامت صفة إلهية مقامها فتزول صفة العبد في الجهة الربانية" دراسات في التصوف ص: ٢٨٩ وقيل :"الفناء أن لاترى ==

(١)والحال(٢) والغيبوبة(٣) والاستغراق(٤) والسكر(٥) والشطح(٦) والقيام بالرياضات الشاقة لحصولها(٧) وعقد الهمة، في باب تأثيرات الكونية والنفسية(٨) وإشراف الخواطر (٩)وإلقاء

==

شيئا إلا الله ولاتعلم إلا الله فتعتقد أنه لاشيء إلا هو"معجم المصطلحات الصوفية ص: ٢٠٧يقول شيخ الإسلام يبين أقسام الفناء :" أما النوع الثالث وهو الفناء عن وجود السوي وهو قول الملاحدة أهل الوحدة كصاحب الفصوص وأتباعه هم الذين يقولون وجود الخالق هو وجود المخلوق، وما ثم غير ولاسوى في نفس الأمر" ويسمونه التوحيد انظر الفتاوى ٢/٣٧٠

(٧) فإن الصوفية يعتقدون بعالم غير عنصري تتمثل فيه المعاني بأجسام مناسبة لها في الصفة، وتتحقق هنالك الأشياء قبل وجودها في الأرض، فإذا وجدت في الأرض فكانت تلك التي تحققت قبل وقوعها في الأرض، وأن كثيرا من الأشياء مما لاجسم لها عند العامة تنتقل وتنزل ولايراها جميع الناس(الحجة الله البالغة للشاه ولى الله ص: ١٣) ولكن الصوفية يكتشفون كل غيب بناء على كشفهم فيكشف لهم معاني من القرآن والحديث لايعلمها علماء الظاهر ويعرفون أسرار الحروف المقطعة ويقرؤون من اللوح المحفوظ، فيشير الشاه بأن ما يسعون في الرياضات لاستكشاف الغيب فكلها باطل.

(١) أما "الوجد" عند الصوفية" خشوع الروح عند مطالعة سر الحق" وقيل:" أن يعجز الروح من غلبة الشوق عند ورود حلاوة الذكر فلا يعرف صاحبه ماذا يفعل فيرقص تارة ويصفق أحيانا وقد يمزق ثيابه وقد يزعق الواحد ويصفر.... انظر معجم مصطلحات الصوفية ص: ٢٦٣

(٢) أما "الحال" عندهم هو ما يرد على القلب من طرب أو حزن أو بسط أو قبض" وقيل:" الأحوال هي المواهب الفائضة على العبد من ربه"(معجم المصطلحات الصوفية ص: ٧٣) وهي صفة ممدوحة لايحصل عليها إلا من كان أهلا لها وهم قليلون.

(٣) " الغيبوبة" أن يغيب الشخص عن حظوظ نفسه وقد يغيب من نفسه أيضا، فلا يعلم ما يجرى حوله لاشتغال الحس بما يرد إليه من الله عزوجل فما تصدر منها من أفعال لايشعرها فمثلا يروى أن أبا حفص الحداد كان في حانوته فسمع آية من القرآن فورد على قلبه وارد فغفل من إحساسه فأدخل يده في النار وأخرج الحديد المحماة بيده" انظر معجم المصطلحات الصوفية ص: ١٩٨

(٤) "الاستغراق" أن لايلتفت قلب الذاكر إلى الذكر في أثناء الذكر ولا إلى القلب بل يستغرق في مشاهدة الحق دون الخلق، ويعبرونه بالفناء أيضا انظر معجم المصطلحات الصوفية ص: ٦

(٥) " السكر" وهو دهش يلحق سر المحب في مشاهدة جمال المحبوب فجأة لأن روحانية الإنسان إذا انجذبت إلى جمال المحبوب ذهل الحس من المحسوس وألّم بالباطن فرح ونشاط وهزة وانبساط لتباعده عن عالم التفرقة.." انظر معجم المصطلحات الصوفية ص:١٣١

(٦) أما "الشطح" فحدث عنه فإنه بحر لاساحل له فهم يتفوهون بكل الزندقة والكفر والاستهزاء بالدين ويجوز ونه استنادا إلى الشطح ويبررونه بناء عليه، ويعرفونه بأنه:" عبارة مستغرقة في وصف وجد

==

الحرارة في قلوب الحاضرين(١) وعلم دعوات الأسماء الجلالية والجمالية، فهذه كلهـا مـن البـدع الحقيقية لأن المشتغل بهذا يعتقد فيه القربة والعبادة بل أكثر الناس يعتـبرون هـذه الأمـور حقيقـة الإحسان المشروع المطلوب في الشريعة".(٢)

فاض بقوته وهاج بشدة غليانه وغلبته" " الفكـر الصـوفي" ص: ٤٥٣و" بأنهـا " كلمـة عليهـا رائحـة رعونة ودعوى تصدر من أهـل المعرفـة بـاضطرار واضطـراب"معجـم المصلحـات الصوفيـة ص: ١٤٠ فإنهم قد برروا بهذا التعريف كل كفر وزندقة واعتذروا لمن تكلم به.

(٧) أما الرياضات الشاقة فقد امتاز القوم بالتشدد على النفـوس والغلـو في العبـادات والمعـاملات بـإحداث المحدثات، لا أصل لها في الدين . فمثلا يقول الشعراني عن كيفية بلوغـه درجـة عاليـة في السـلوك:... "فجاهدت نفسي كذا كذا سنة، وجعلت لي حبلا في سقف خلوتي أضعه في عنقي حتى لاأضع جنـبي على الأرض وبالغت في التورع حتى كنت أسف التراب إذا لم أجد طعاما يليق بمقامي الذي أنـا عليـه في التورع وكنت أجد للتراب دسما كدسم اللحم أو السمن أو اللبن" " تقديـس الأشـخاص في الفكـر الصوفي" ص: هذه طريقتهم وديدنهم ولهم فيها آداب وأصول متبعة شاقة يسـلكها كـل مـن انضـم معهم وقد تلاعب بهم الشيطان في ترويض النفوس فحرموا على أنفسهم ما أحل لهم وقللوا من تنـاول الطعام بل تنزهوا من شرب الماء البارد حتى أضروا أبدانهم وقلوبهم، فقد رد عليهـم الشـاه في موضـع آخر انظر صراط مستقيم ص: ١٢٠

(٨) فالمراد بعقد الهمة في تأثير الكون والنفس" اعتقادهم في مشايخهم بأنهم بمجرد إرادتهم وعزمهم يؤثرون في الكون والنفوس والمراد بالهمة:" كل مالا يتوصل إليه شـخص إلا بسـبب ظـاهر يتوصـل إليـه النبي والولي بهمته وزيادة، وهي الزيادة في الأمور الخارجة مـن مقـدور البشـر رأسـا" ومثالـه بـأن صوفيـا قال:" وقل للسلطان هذه همة واحدة أثرت في شجرة مثمرة أيبستها فكيف همم جماعة من المظلومين في قمع الظالمين"ومن أمثلته أن أم الفقراء قالت:" تمنيت أن يأتينا غدا أبو الحسن بن قيطون فاكتبوا إليه فقال أبو محمد: هكذا تعمل العامة، فقالت: له العجوز فماذا تفعل؟ قال: أسوقه بهمتي فقالت: افعـل، فقال: قد حركت الساعة خاطره بالوصول إلينا غدا إن شاء الله"المعجم الصوفي ص: ١١٤

(٩) "إشراف الخواطر" يقصدون به أن المرشد والولي يدرك ما يخطـر في قلـوب النـاس أو مـا يوسـوس في قلوب المريدين له، فإن أبا سعيد الخراز كان يقول في شرح آية ﴿لآيات للمتوسمين﴾ المتوسم هو الذي يعرف الوسم وهو العارف بما في سويداء القلب" انظر المصدر السابق

(١) والمراد " بإلقاء الحرارة في قلوب الحاضرين" بأن مشايخ الصوفية يقومـون بإلقـاء المعـارف على قلـب مريديهم يسمونه " التوجه" وذلك لأنهم يوجهون قلـوب مـن يريدونهـم إلى مـا يريـدون مـن العبـادة والزهد، وهي معروفة لديهم . سيرة سيد أحمد شهيد ص: ١٢٠

(٢) إيضاح الحق الصريح في أحكام الميت والضريح ص: ٢٤

ولاشك إن جميع ما ذكر من أحوالهم وعقائدهم وعاداتهم، يعتزون بها ولايقوم نحلتهم إلا بها، فقد رد الشاه على جميعها وجعلها من البدع الحقيقية، فلا يجوز لأحد أن يشتغل بها.

ويقول في موضع يبين فضائل الأنبياء وخصائصهم بأنهم كانوا بعيدين عن هذه الأمور فيقول:" .... وأنهم بريئون من السكر والشطح ونزيهون من الغيبوبة والضوضاء ويبحثون دائما عن طريق العبودية "(١)

ويقول في شرح آية ﴿ فإذا نفخ في الصور فلا أنساب بينهم﴾(٢)فإن الآية تدل على أن ما يعتقد الناس بأنهم من الأشراف أو من عائلة الشيخ الفلاني أو من أولاد الشيخ الفلان، وسيكونون مكرمين معززين يوم القيامة بسبب كبارهم، وذنوبهم كلها تكون مغفورة من أجل آبائهم ثم أنهم ينجون أتباعهم وتلاميذهم من النار، فهذا كله معتقد باطل فلا عبرة بالأنساب هنا"(٣)

فإنه يرد بهذا الشرح على الصوفية الذين يخدعون العوام ومريديهم بأنهم سوف يحمونهم من العذاب ويدخلونهم في الجنة ومن دخل في طريقتهم فاز بسعادة الدنيا والآخرة ويدل على اعتزازهم بالعائلة والطريقة ما ينقل عن الرفاعي أنه قال:

أحمي مريدي على كل حالة ... وأدخلهم دار النعيم أمامي

فمن كان منا أو يلوذ ببابنا ... غدا يوم القيامة تحت خيامي

وأحميهم ما يخشى يوم خوفه ... وفي معظم الحالات منه أحامي(٤)

ويواصل الشاه يرد على بدع الصوفية فيقول:" تعيين العدد والأشخاص والأوقات والأجناس في باب الختم والزاد وعقد محافل السماع الصوفية ومحافل قراءة الكتاب وإقامة مجالس المراثي والمآتم و...دعوة الناس وتجميعهم للأربعين وليوم الثالث(٥) والأعراس(٦) والتداعي على

---

(١) منصب إمامت ص: ١٣

(٢) سورة المؤمنون / ١٠١

(٣) تذكير الإخوان ص: ١٧٣

(٤) دراسات في التصوف ص: ٢٢٤

(٥) وهي أطعمة يطبخونها وجوبا عن الميت بعد وفاته،"البريلوية " ص: ١٢٤

(٦) أما الأعراس المراد بها الأعياد يقيمونها سنويا في يوم معين على القبور يسمونها أعراسا، وسمي عرسا لأن ذلك اليوم يزور الأولياء عروس الكون أي محمدا صلى الله عليه وسلم لأنهم يوم وفاتهم يزوروونه ويرونه" "البريلوية " ص: ١٢٤

الاجتماع في زيارة القبور وتعيين الأوقات لها والمراقبة عليها(١) وقراءة القرآن عليها مجتمعين، وتعيين أوقات الصدقة عن الميت والتزام قراءة سورة الفاتحة والإخلاص عليها وتعظيمها وتعيين جنسها ومصرفها، والاستمداد من أهل القبور وتقبيلها، والطواف بها و تقبيل أعتابها والوقوف أمامها تعظيما وإجلالا وإلقاء الأردية والشيلان والأزهار والأغلفة عليها،وغسل القبور وإيقاد السرج عليها والاجتماع عندها بنية التقرب إلى الله، وتعيين صلوة الهلع للأموات والأذان على القبر بعد دفن الميت وغيرها كثير من الأعمال، كلها بدع حقيقية في حق أهل عصرنا لأنهم يعملونها تعبدا..."(٢)

المراد بالختم، المجالس التي تعقد لختم القرآن، فإن الخرافيين قد أحدثوا محدثات واشترطوا لها شروطا للمبالغة في التعبد، منها مجالس الختم يقيمونها بكل اهتمام ويطبخون لها أنواعا معينة من الأطعمة ويستأجرون ناسا لقراءة القرآن وإهداء ثوابها للأموات، وغالبا ما يكون هؤلاء الأموات مبتلين بالشرك الأكبر وكثير من المكفرات، فإنهم " قد أعطوا للعصاة البغاة رسيد الجنة ووزعوا عليهم صكوك الغفران بإقامة محافل إهداء الثواب وختم القرآن وقراءة الفاتحة وقد كتب البريلوي وأتباعه كتبا ومصنفات ذكروا فيها استحباب بل وجوب قراءة الفاتحة وختم القرآن على الأطعمة والثمار والحلويات والمأكولات والمشروبات وإيصال ثوابها إلى الميت في الأيام المعينة المخصوصة..."(٣)

وقد ذكر الشاه بعض ما كانوا يأتون من الزاد والأطعمة وما جوزوا منها وما منعوا منها في كتبه(٤).

الرد على الأوراد والأذكار المحدثة:

فللأوراد المحدثة أهمية كبرى عند الصوفية، وتمتاز كل طريقة بأذكار معينة ويحافظون عليها محافظة شديدة أكثر من فرائض الله عزوجل ويعتقدون في أذكارهم وأورادهم فضائل لاتوجد

(١) الصوفية ومن على منهجهم يعتكفون على قبور مشايخهم والصالحين وتنزل عليهم أرواحهم أو يلتقون بأرواحهم فتخبرهم عن الغيب وقد يستمدون ويستغيثون بأرواحهم ويطلبون منها الدعاء ونحوها من الشركيات التي يعتقدونها فيلتزمون هذه الأعمال بكل تقدس واحترام.

(٢) إيضاح الحق الصريح في أحكام الميت والضريح ص: ٢٥- ٢٦

(٣) البريلوية ص: ١٣٥

(٤) انظر تقوية الإيمان ص: ١٢٩

لأهم أركان الدين بل غالبهم يتبجح أن الخضر والنبي لقنوهم بها يقظة أو مناما، وعموما يوجد في تلك الأذكار المحدثة شرك وكفر واستعانة بالشياطين واستمداد بالأرواح، والشيطان يلعب بهم بتلك الأذكار فيحسبون أن الأنوار تتجلى عليهم وتنزل عليهم الملائكة، وينكشف لهم غيب السموات ولأرض، وما هي إلا وساوس الشيطان، وتلاعبه بهم، ومن هنا أراد الشاه إبطال هذه الوظائف والأوراد وما اشترطوا لها من شروط وآداب فيقول: "تعيين الأوراد والأذكار والرياضات والخلوات والأربعينات(١) والعبادات النافلة(٢)وتعيين أوضاع الأذكار من الجهر والإخفاء والضربات والأعداد والمراقبات البرزخية(٣) والتزام الطاعات الشاقة كلها من البدع الحقيقية في حق أكثر الطالبين لها لأنهم يعتبرون إياها أصل الكمال الشرعي أو مكملة له، وتعتبر بدعة حكمية في حق الخواص الذين يعلمونها ويروجونها مع اعتقادهم أنها وسيلة لاغير أما في حق خواص الخواص الذين يقومون بتعليم الأغبياء وبليدي الذهن الذين ابتعدت نفوسهم عن العبادة كثيرا أو تورطوا في المعاصي، فيجذبونهم بإظهار هذه الروضة الغناء إلى عبادة الحق، ولإصلاح استعدادهم الناقص يستخدمون بقدر الحاجة والضرورة على أنها وسائل بدون التزامها ولاترويجها ولايهتمون بها ويتركونها بعد حصول المقصود فتعليمهم أحيانا تلك

---

(١) الخلوات والأربعينات، أمكنة مخصوصة للعبادة بعيدة من مجتمع الناس يدخلون فيها لتكميل مراحل السلوك، وللدخول فيها آداب وشروط وقد ذكر الفوتي ستة وعشرين شرطا للدخول في الخلوة منها أن تكون مظلمة وأن تكون بعيدة من الناس ويداوم الصوم والسهر وقلة الأكل فيها وقد يجعلونها في مغارات الجبال والغابات فلايحضرون الجمعة ولاالجماعات ونحوها من الشروط التي ليس لها برهان.انظر فرق معاصرة ص:٦٤٧،٦٤٩

(٢) أما العبادات النافلة التي أشار إليها الشاه ما يفعلها الصوفية بتشريعها من عند أنفسهم من الصلاة والصوم وزيارة القبور والمراقبة ونحوها ويهتمون بها مالا يهتمون لما شرعه الله ورسوله ويجعلون فيها من الفضائل مالا توجد في الفرائض المشروعة ومن صلواتهم مثلا صلاة الفاتحة، وصلاة الكفاية ونحوها . انظر فرق معاصرة ص: ٦٠٦- ٧١٧

(٣) والمراقبة" هو أن يعتزل الذاكر في الخلوة بمكان مظلم فيلف رأسه في جبته أو يتدثر بكساء أو إزار ففي مثل هذه الحالة يسمع نداء الحق ويشاهد جلال حضرة الربوبية" انظر حاشية " إغاثة اللهفان نقلا عن الغزالي ١/ ١٦ففي المراقبات يشاهدون الملائكة وأرواح الأنبياء ويسمعون منهم أصواتا ويقتبسون منهم فوائد، ولها أنواع وأقسام وآداب عندهم.

الأمور المذكورة، التي نشأت صدفة ولمصلحة مؤقتة لتعليم بعض الناس لاتعتبر بدعة، ولكن كلامنا هنا في أكثرية أهل زماننا الذين يعتقدونها من الشريعة المستمرة والطريقة المسلوكة"(١)

الشاه رحمه الله جعل هذه الأمور كلها التي تنبني عليها شريعة الصوفية من البدع الحقيقية في حق أولئك الذين يعتبرونها من الدين ويتعبدون بها أو يعتبرونها من الفضائل، وتصبح هذه الأمور بدعة حكمية في حق أولئك الذين لايتعبدون بها ولكن يهتمون بها نشرا وتعليما، ثم إن من يجعلها مجرد وسيلة ولايلتزم بها بل يستعملها عند الضرورة وحسب الضرورة لمصلحة مؤقتة ولايهتم بترويجها وتعليمها فلا تكون في حقه بدعة. ولكن يؤخذ عليه بأن الأمور المذكورة قد أصبحت شعار أهل البدعة المتصوفة، فكيف يسوغ لمن يريد إصلاح "بليدي الذهن" أن يستأنس بها ويترك ما ثبت من منهج الصحابة والتابعين في تربية العصاة وغيرهم.

ثم إن الشروط العديدة التي اشترطها حتى لاتكون في حقه من البدعة،

١_ أن يكون صاحبها من أخص الخواص أي فوق درجة الخواص.

٢_ وأن يستخدمها بقدر الحاجة والضرورة في إصلاح من فسدت أمزجتهم كثيرا.

٣_ وأن يجعلها من الوسائل ولايلتزم بها .

٤-وأن لايروجها ولايهتم بها ولايعلمها غيره.

٥-وأن يتركها بعد حصول المقصود.

فوجود هذه الشروط ومراعاتها من الصعوبة بمكان، وليس هناك ميزانا يوزن به وجود هذه الشروط وعدمها حتى تجوز لشخص دون شخص، وأيضا أن تجويزها مع هذه الشروط الصعبة يفتح بابا خطيرا وهو إحداث الوسائل المحدثة لمن تتوفر فيه هذه الشروط لحصول مقاصد شرعية.

ولاشك فإنه مخالف لما كان عليه السلف رحمهم الله فإنهم كانوا يوصون أنفسهم وغيرهم بالوقوف على ما وقف أولئك الأسلاف وقد اشتهر عن إمام دار الهجرة قوله: لن يصلح آخر هذه الأمة إلا بما صلح به أولها"

(١) إيضاح الحق الصريح في أحكام الميت والضريح ص: ٢٤ _ ٢٥

الغلو في تعظيم المرشد:

الصوفية لاتقوم قائمتهم إلا بالغلو في الأشخاص مشايخهم أحياء كانوا أو أمواتا، وقد اختلقوا أساطير خيالية، لترسيخ تقديس الأشخاص والمشايخ في قلوب المريدين، وأكدوا وجوب التمسك بمرشد من مشايخ الطرق للنجاة بل كفروا كل من لم ينسلك بطريقة ما، يقول القشيري:" يجب على المريد أن يتأدب بشيخ فإن لم يكن له أستاذ فإمامه الشيطان (١) ثم إنه لايجوز لأحد أبدا أن ينتقل من طريقة إلى طريقة أخرى ويجعلون الانتقال بمثابة الارتداد من الدين(٢)

هذه ظاهرة منتشرة في جميع المسلمين وخاصة في بلاد العجم فينكر عليهم الشاه ويقول:" فإن الغلو في تعظيم المرشد يظهر منه اعتقاد كونه إلها أو نبيا من بدع الصوفية المشركين الرائجة في جميع أهل العصر وخاصة في الهند وقد تورط فيه الصالحون أيضا فينبغي اتخاذ المرشد للرجل الذي لايخالف الشريعة أبدا وأن يكون ثابتا على متابعة الكتاب والسنة ويجعله مرشدا وقائدا ولكن لايجعل اتباعه نصب عينيه دائما بل يكون متبعا لله ورسوله في الحقيقة، فما أمره المرشد من أمر الشريعة فيقبله بكل حماس ويلتزم الأمر المباح إذا أمره المرشد(٣) وأما ما كان مخالفا للشريعة فلا يتبعه أبدا بل يرده لما ورد في الحديث (لاطاعة لمخلوق في معصية الخالق)(٤) وإن بايع على مرشد ثم رأى منه أمرا منكرا ينصحه وإن لم ينته ينكث البيعة و لم يعتبره مرشدا"(٥)

فقد قوم الأود وصحح المسار بقوله: " ينبغي اتخاذ المرشد للرجل الذي لايخالف الشريعة أبدا وأن يكون ثابتا على متابعة الكتاب والسنة... . فجعل اتباع الشريعة ميزانا فمن كان

---

(١) "الفكر الصوفي"ص: ٣١٤

(٢) انظر الفكر الصوفي ص: ٤٤٥ وقد أشار إليه الشاه أيضا.

(٣) لا إلزام إلا ما ألزمه الكتاب والسنة.

(٤) صح الحديث بألفاظ مختلفة وقد رواه البخاري بمعناه انظر صحيح البخاري ـ الأحكام ـ ٧١٤٤

(٥) صراط مستقيم ص: ٦٩

خاضعا للشريعة يستحق أن يسترشد منه، وأما من خالف الشريعة لن يكون إماما ولاشيخا ثم إنه أجاز نكث البيعة التي يمنعه الصوفية ويهددون بكل ويل ودمار لمن نكث أو أراد نكثها .

وبهذا قد رد الشاه على جميع الصوفية الذين يبالغون ويغلون في طاعة المشايخ بل يوجبون بعدم الإنكار عليهم مهما رأوا منهم من المنكرات، لأن العارف يجوز له الإتيان بجميع المحرمات، كما أسسوا قواعد وأصولا تأييدا لقولهم(١)

الرد على شغل البرزخ:

شيخ الطريقة يحتل مكانا عظيما في شريعة الصوفية وقد بالغوا في تعظيمه حتى أوصلوه إلى درجة الألوهية، ويلقنون أتباعهم أول درس " كن بين يدي شيخك كالميت بين يدي الغاسل" (٢) ومن أصولهم بأن يستحضر دائما وأبدا صورة الشيخ بل ويستغيث به عند الملمات فيغيثه(٣) بل زاد الطين بلة عندما أوجدوا ذكرا خاصا سموه شغل البرزخ فيرد عليه الشاه فيقول:" ومن الأشغال المبتدعة " شغل البرزخ" اشتهر عند المتأخرين وطريقته أنهم يستحضرن صورة الشيخ في الخيال بكل تعيين وتشخص لأجل دفع الوساوس وجمع الهمة ويتوجهون إلى تلك الصورة بكل تعظيم وإكرام كأنهم جالسون أمام الشيخ بكل أدب واحترام وخشوع".

ويفصل في حكمه فيقول:" فيمكن لنا معرفة حكمه بمعرفة حكم "التصوير" فإن تصوير صورة الحيوان كبيرة من الكبائر، واتخاذها تعظيما وتوقيرا محرم، وأن قول إبراهيم عليه السلام ﴿ ما هذه التماثيل التي أنتم لها عاكفون﴾(٤) يدل بعمومه أن العكوف على التصاوير ممنوع واستحضار صورة الشيخ في كل وقت قائما أو قاعدا بكل تعظيم يعتبر من العكوف، ولاشك أن من فعل هذه الأعمال مع التصاوير فإنه آثم، والفرق بينه وبين من يستحضر ذات الشيخ بأن الأول يتعلق بصورة في الورقة والآخر ينقش صورة شخص بجميع صفاته الحية من اللون والشعر وسمات الوجه في خياله، وإن كان هذا ليس عبادة الأصنام في الظاهر ولكنه في الحقيقة عبادة

---

(١) انظر للتفصيل موضوع" الصوفية والخروج عن التعاليم الشرعية " في رسالة " تقديس الأشخاص في الفكر الصوفي" ص ٤٢٧

(٢) انظر الفكر الصوفي ص: ٣١٩

(٣) انظر للتفصيل عقيدة التيجانيين في التيجاني على لسان الشيخ تقي الدين الهلالي في آخر كتاب "الفكر الصوفي"

(٤) سورة الأنبياء / ٥٢

صنم، ثم إن الصورة في الورقة لا يحيط بجميع الملامح الدقيقة كما تحيطها الصورة الخيالية، وقد يؤدي شغل البرزخ ببعض الناس إلى اتخاذ صور الشيخ، وتعظيمها بكل معاني التعظيم، فيصبحون مثل عباد الأصنام تماما، ولاشك إن هذا الشغل سيؤدي إلى أمور منهية فوجب أن يكون هذا الشغل محرما، كما أن الصور حرمت لأنها تسبب عبادة الأصنام"(١)

فالشاه رحمه الله جعل هذا الذكر المهم في شريعة الصوفية مثل العكوف على الأصنام بل أشد منه تحريما.

بدعة الاقتداء فيما يختص بالنبي صلى الله عليه وسلم أو ببعض أفراد أمته:

مشايخ الصوفية لم يقتصروا على جواز الخروج من الشريعة بحيل عديدة كما قدمنا بل رفعوا أنفسهم عند أتباعهم إلى درجة جاز لهم التشريع من التحليل والتحريم،وجعلوا أنفسهم مكان النبي، فلهم من القداسة والأدب ما للنبي ولذا نسبوا إلى أنفسهم جميع الخصائص التي كان يختص بالنبي صلى الله عليه وسلم من جواز الزواج بأكثر من أربع، وحرمة أزواجه على غيره، ونحوها من الخصائص، وهذه ظاهرة ملموسة عند الصوفية فيقول الشاه يردعليها : "اتباع الأنبياء عليهم السلام في أحكام تختص بهم أو في أخطاء صدرت منهم بطبيعة الاقتضاء البشري، أو في أحكام تختص ببعض أفراد أمتهم بنص ثابت، مثل عدم نقض الوضوء من النوم (٢) والجمع بين أكثر من أربع نساء في الوقت الواحد كما هو خاص بالنبي صلى الله عليه وسلم(٣) ومثل الاستغفار للمشرك(٤) والصلاة على المنافق(٥) التي صلاها خطأ، ومثل الامتناع عن النكاح الثاني الذي يختص به أزواج المطهرات(٦) وعدم قبول الصدقات الواجبة كالزكاة، وصدقة الفطر وصدقات

---

(١) صراط مستقيم ص: ١٦٣

(٢) يشير إلى حديث صحيح روته عائشة قالت:... فقلت يا رسول الله أتنام قبل أن توتر؟ فقال: ياعائشة إن عيني تنامان ولاينام قلبي. اخرجه البخاري ـ التهجد ـ ١١٤٧ انظر فتح الباري ٣/ ٣٣

(٣) كما ورد في قول تعالى﴿يا أيها النبي إنا أحللنا لك أزواجك التي آتيت أجورهن ... ﴾الآية الأحزاب/٥٠

(٤) كما في قوله تعالى﴿ استغفرلهم أو لاتستغفر لهم إن تستغفر لهم سبعين مرة فلن يغفر الله لهم..﴾ التوبة /٨٠

(٥) كما في قوله تعالى﴿ ولاتصل على أحد منهم مات أبداولاتقم على قبره ﴾ سورة التوبة /٨٤

(٦) لقوله تعالى﴿النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم وأزواجه أمهاتهم﴾ سورة الأحزاب /٦

النذور والكفارات لكونها محظورة على بني هاشم(١) والاكتفاء بشهادة شاهد واحد في موضع الشهادتين الذي كان خاصا " بذي الشهادتين"(٢) والقطع بدخول الجنة الذي كان خاصا ببعض الصحابة وأهل البيت(٣) ونحوها من الأمور تعتبر بدعا حقيقية شنيعة في حق من يعتقد تعميم هذه الأمور الخاصة أو يحتسب باتباع الأخطاء" (٤)

ويواصل الشاه الرد على من يتبع أخطاء السلف الشاذة فيقول: "اتباع الصحابة والتابعين وأتباعهم فيما وقع منهم شذوذا وليس عليه دليل من الكتاب والسنة ولا من القياس الصحيح المنقول من المجتهدين و لم يصدر عن جميعهم ولا عن أكثرهم و لم يصل إلى درجة الرواج والتعامل عليه من غير إنكار عليه في عهدهم مثل الاستمداد من أهل القبور الواقع من الأعرابي في عهد عمر رضى الله عنه (٥) أو زيارة القبور للنساء كما هو منقول عن عائشة رضى الله عنها(٦) وجواز المتعة (٧) ومسح القدمين في الوضوء المروي عن ابن عباس (٨) والعزف على

---

(١) كما قال النبي صلى الله عليه وسلم :" إنا لاتحل لنا الصدقة" أخرجه مسلم ـ الزكاة ـ ١٠٦٩

(٢) يلقب به خزيمة الأنصاري رضى الله عنه " الذي جعل رسول الله صلى الله عليه وسلم شهادته شهادة رجلين" انظر صحيح البخاري ـ التفسير ـ ٤٧٨٤ الفتح ٥١٨/٨

(٣) قد وردت أحاديث كثيرة تنص عموما وخصوصا بدخول أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم الجنة، منها قوله صلى الله عليه وسلم :" لايدخل النار أحد بايع تحت الشجرة"رواه مسلم ـ ٢٤٩٦ـ وقوله صلى الله عليه وسلم في أصحاب بدر:" اعملوا ما شئتم قد غفرت لكم" رواه البخاري ٧/ ٣٠٤ و٣٠٥، ومسلم ـ ٢٤٩٤ وقد أجمعت الأمة على دخول العشرة المبشرين بالجنة في الجنة وغيرهم من الصحابة.

(٤) إيضاح الحق الصريح في أحكام الميت والضريح ص: ٣٤

(٥) وهو أثر غير ثابت انظر للتفصيل " التوسل وأنواعه وأحكامه " مقالات الشيخ الألباني، رتبه عيد عباسي ص: ١٣٠ ـ ١٣٤

(٦) يشير إلى حديث عائشة رضى الله عنها، رواه الترمذي ـ الجنائز ـ ١٠٥٥، بأنها قالت :" لوحضرتك ما دُفنتَ إلا حيث مُتّ، ولو شهدتك ما زرتك" انظر تفصيل المسألة والكلام حولها. أحكام الجنائز للألباني ص: ٢٣١

(٧) انظر ماروي في جواز المتعة عن ابن عباس/ البخاري ـ النكاح ـ ٥١١٦ الفتح ١٦٧/٩

(٨) وقد روى عن ابن عباس وغيره المسح على القدمين، انظر أقوالهم والراجح منها في تفسير ابن جرير ٤/ ٤٧١ في تفسير آية الوضوء في المائدة:٦

العود المروي عن عبد الله بن جعفر(١) وغيرها من الأمور التي ظهرت في زمنهم ولكن أنكرها أهل الحق في زمنهم، مثل جلوس الأمراء والحكام على عرش السلطنة وقيام الخدام والحواشي أمامهم المنقول عن الأمير معاوية رضى الله عنه والجلوس على المنبر للخطبة المنقول عنه وعن سائر خلفاء بني أمية ورفع اليدين للدعاء أثناء خطبة الجمعة المنقول عن بعض أمراء بني أمية واتخاذ المنبر في مصلى العيد وتقديم خطبته على صلاته المنقول عنهم(٢) وغيرها من الأعمال التي ظهرت في عهدهم وعمل به بعض الناس ولكن أهل الحق رفضوه فهذه كلها من البدع الحقيقية، إن اعتقد صاحبها أنها ملحقة بالسنة، وإن لم يعتقد كونها من الدين تصبح في حقه من البدع الحكمية بشرط أن لاتكون من الممنوعات الشرعية"(٣).

بدعة الإسقاط:

الخرافيون المتأثرون بالصوفية وغيرهم كما استهانوا بالشريعة بإباحة الخروج لأناس معينين، كذلك قد سهلوا طريق الاستهزاء بالدين للعوام بإحداث بدع خطيرة، منها بدعة الإسقاط التي بها تسقط جميع التكاليف من المكلف وذلك أن المشايخ يأخذون فدية الصلاة ويقومون بإسقاط ذنوب الميت، وطريقته أن وارث الميت يقدم مصحفا ونقودا وأجناسا من الأطعمة إلى جماعة من المشايخ المجتمعين، لإسقاط الفرائض عنه، فيقبلون هذه الأشياء ويسقطون عنه ما ترك من الفرائض في حياته. وهي عادة منتشرة في المجتمع المسلم في شبه القارة الهندية إلى يومنا هذا(٤)

فرد عليهم الشاه رحمه الله وناقش علماء هم فقد سأل أحدهم:" على أي أساس تعملون على "حيلةالإسقاط" وهو فدية الصلاة المنتشر بين الأفغان، فأجابه العالم: بالقياس،

(١) وهو صحابي توفي سنة ٨٠ هـ أو بعده بقليل، يقول الذهبي: "وكان وافر الحشمة،كثير التنعم،وممن يستمع الغناء" انظر السير ٤٦٢/٣

(٢) مروان بن الحكم أول من بنى المنبر في المصلى وخطب قبل صلاة العيد وقد أنكر عليه أبو سعيد الخدري رضى الله عنه، أصل الحديث في البخاري ـ العيدين ـ ٩٥٦ـ انظر فتح الباري ٢/ ٤٤٩ وفي مسلم ـ العيدين ـ ٨٨٩

(٣) إيضاح الحق الصريح في أحكام الميت والضريح ص:٣٤-٣٥

(٤) انظر للتفصيل عن هذه البدعة " البريلوية" ص: ١٤٤ـ ١٤٥ والموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب المعاصرة ص: ٧٢ وسيد أحمد شهيد ص: ٦٦٥وقد رد على هذه البدعة رشيد رضا في تفسير سورة الأنعام خلال شرح الآية﴿ ولاتكسب كل نفس إلا عليها ﴾/١٦٤

فاستفسر الشاه : ما هو المقيس عليه؟

أجابه: على مسألة الشيخ الفاني، في باب فدية الصوم،

فاعترض عليه الشاه: هذا قياس مع الفارق لعدم مساواة حكمهما، فالقياس في الشرع هو حمل النظير على النظير، ولاينطبق هذا في "الإسقاط "لأن مسائل الصوم تختلف من مسائل الصلاة، فمثلا يجوز قصر الصلاة ولايجوز قصر الصوم، بل فيه القضاء وتسقط الصلاة عن الحائض والنفساء ولايسقط الصوم فلا بد من أدائه قضاء...."

أجابه العالم: إذن فاعتبره صدقة نافعة للميت في كل حال.

اعترض عليه الشاه : إنما الاعتراض على الإسقاط وليس على الصدقة منه فإن الصدقة لاتحتاج إلى الحساب.

فسأله العالم: ما هي القباحة في هذه الفدية؟؟.

أجاب الشاه: أولا: إنها بدعة لخروجها عن الأصول الأربعة، وثانيا: قد يكون هناك يتامى من الوارثين وأنتم ألزمتموهم الإسقاط بناء على العادة والرواج، وأنكم جعلتم إهماله كإهمال الفرائض فيصبح هذا تصرفا في مال اليتامى من غير وصية، وبذله في غيره محله، فيصدق عليهم قوله تعالى﴿ إن الذين يأكلون أموال اليتامى ظلما إنما يأكلون في بطونهم نارا﴾(١) وثالثا: إذا جعلت الصدقة المحددة على الركعات فلا يمكن المحاسبة والمؤاخذة على من ترك الصلاة، فتصبح هذه القاعدة مسقطة للصلاة"(٢)

الرد على السماع الصوفي:

فإن للسماع(٣) مرتبة عظيمة في شريعة الصوفية فإنهم يتعبدون بها ويهتمون بها لأنه حسب زعمهم حياة للقلوب وتنشيط لها فالقلوب تتحرك وجدا وشوقا بالغناء وأنها تسبب السرور في النفوس، ولايكاد يخلو مجلس الذكر الصوفي من السماع، وهذه عادة قبيحة توجد في غالب الطرق الصوفية، ولها فضائل عظيمة عندهم، وقد رد على هذا السماع الصوفية علماء السلف قديما وحديثا فقد رد عليهم ابن تيمية وابن القيم رحمهما الله ردا مفصلا (٤) ولم يثبت

---

(١) سورة النساء /١٠

(٢) سيرة سيد أحمد شهيد ٦٦٥

(٣) المقصود به الغناء بالألحان الناعمة

(٤) انظر الاستقامة ١/ ٢١٦ - ٤٢١ وإغاثة اللهفان ١/ ٣٤٤ وما بعده

عن النبي صلى الله عليه وسلم والصحابة والتابعين ومن بعدهم إلا تلاوة القرآن ودراسة الحديث والتفقه فيه، فلم يكونوا يتعبدون بالشعر ولاكانوا يستنشدونها من المردان والأحداث. فيقول الشاه يرد عليه:" الغناء الخالي من المزامير واختلاط المردان من غير الشهوة إن لم يكن من الممنوعات الشرعية ولكنه لا يخلو من الضرر في حق طلاب الحق... ويجب الابتعاد عنه لأن الصوت الناعم اللطيف والصورة الخلابة من الأشياء التي يتمكن حبها في القلب ويبقى أثرها إلى مدة مديدة، ولأنها من المباحات التي توصل إلى المحرمات والابتعاد عنها شعار أهل التقوى... ولذلك لم يرو هذا عن الأنبياء والصحابة بل كانوا يكرهونه"(١)

ويبين مضاره فيقول:" وقد انتشر السماع والضرب والغناء حتى أن بعض الناس يتعبدون بها ويقيمون محفل السماع والرقص على قبور المشايخ وقد ذمه القرآن ﴿ومن الناس من يشتري لهو الحديث ليضل عن سبيل الله بغير علم﴾* فسره ابن عباس والحسن لهو الحديث بالملاهي، والملاهي يطلق على الغناء والمزامير غالبا"(٢) "وفيه ضياع للمال وصد الناس عن سبيل الله حيث تضيع صلوات بعضهم ويفقد بعضهم الخشوع فيها وبعضهم يرغبون من أجله في الزنى وبعضهم يغمى عليه وبعضهم يرقص بالطرب..." فإقامة محفل السماع والرقص على القبور منتشرة في شبه القارة الهندية ويسمونه "عرسا" ويعتبرونه من أهم العبادات التي تستجلب رحمة الله وبركات الأولياء وأهل القبور، ويذكرون فضائل عديدة لمن اشترك في هذه الأعراس"(٣)

ويقول في شرح الآية ﴿واستفزز من استطعت منهم بصوتك واجلب عليهم بخيلك ورجلك وشاركهم في الأموال والأولاد وعدهم وما يعدهم الشيطان إلا غرورا﴾(٤) بأن الشيطان قد زين لهم الطرب والرقص والغناء وجمع لهم من رجله من الجن والجنيات الفساق والمغنين والمغنيات والعاهرات الزانيات والمردان لكي يضلهم عن سبيل الله، وزين لهم بأن الغنى

---

(١) صراط مستقيم ص: ١٣٣ ـ ١٣٦

(*) سورة لقمان / ٦

(٢) رد الإشراك ص: ١٢٤

(٣) تذكير الإخوان ص: ١٦٦ وانظر البريلوية ص: ١٢١ تحت عنوان " أعراس وأعياد"

(٤) سورة الإسراء / ٦٤

يسبب السرور القلبي للشوق الإلهي وأن الصورة الجميلة تذكر القدرة الإلهية وأن صرف المال باسم فلان يجلب البركة فيه... كلها تغريرات الشيطان "

" فكيف يدعي زيادة الإيمان والشوق الإلهي بالغناء وقد جعله النبي صلى الله عليه وسلم سبب النفاق(١) وأن الصحابة كانوا يغطون آذانهم إذا سمعوا شيئا من الغنى(٢) فكيف يكون فيه الرغبة إلى الله والشوق إليه.... وقد تجاوز الأمر من الأحياء إلى الأموات فيسمعونهم الغناء، والشيطان يلعب بهم ويخيلهم بالشوق والطرب وهؤلاء السفهاء يعتبرونها الأنوار الإلهية ويجعلون هذا الحال كمالا، سبحان الله! ما علاقة الأنوار الإلهية في الأعمال الشيطانية وإن كانت هناك أنوار إلهية فتكون في الصلاة والتلاوة وسماع الحديث" (٣)

---

(١) يشير إلى حديث جابر رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:" الغنا ينبت النفاق في القلب كما ينبت الماء الزرع، الحديث ضعيف انظر مشكاة المصابيح تحقيق الشيخ الألباني برقم ٤٨١٠-

(٢) روى نافع عن ابن عمر أنه لما سمع صوت مزمار وضع إصبعيه في أذنيه حتى نأى عن المكان ... الحديث رواه أحمد في مسنده ٢/ ٨، ٣٨ وأبوداود - ٤٩٢٤، ٤٩٢٥، ٤٩٢٦.وقال:"حديث منكر".

(٣) تذكير الإخوان ص: ١٦٨

المبحث الثاني: الرد على بدع الفقهاء

الفقهاء المتأخرون من أصحاب الرأي لم يلتزموا بنصوص شرعية في المسائل الفقهية، بل وسعوا باب القياس واعتمدوا عليه كثيرا، فاستحسنوا أمورا أو استكرهوها، من غير دليل صحيح، ثم الذين جاءوا بعدهم تمسكوا بها والتزموها حتى أصبحت بمرور الزمن في درجة الفرائض فيرد الشاه صنيعهم ويجعله من ا لبدعة فيقول:" استحسانات أكثر الفقهاء والصوفية المتأخرين المبنية على الظن المحض وإحداثهم بعض المسائل في العبادات والعادات لجلب بعض الفوائد الدينية والمصالح الشرعية بدون استناد إلى دليل شرعي أو إحداث تحديد(١) لأصل من أصول الدين بحدوده الخاصة من غير دليل ليروجوا أمرا لم يكن موجودا عند السلف وزمنهم، أو كان موجودا ولكن بصورة أخرى ثم يمثل له فيقول:" مثل الصلوة المعكوسة(٢) وإيجاب تقليد إمام معين من أئمة المجتهدين، وإهداء ثواب أعمال الأحياء إلى الأموات غير ما جاز فيه النيابة من العبادات المالية، فإنها مشروعة(٣)أو تخصيص طريقة خاصة لذكر كلمة التهليل بأوضاع

---

(١) يقصد به زيادة الشروط في أمر شرعي و لم يرد به دليل، فمثلا اشترط المتأخرون من الفقهاء للمسح على الجوربين أن يكون ثخينا لايشف ويمكن فيه المشي وغيرها شروط عديدة، فقد رد المحققون من العلماء مثل هده الشروط، انظر للتفصيل "رسالة المسح على الجوربين" لجمال الدين القاسمي، وتقديم أحمد شاكر وتخريج وتعليق الشيخ الألباني .

(٢) الصوفية ومن اقتفى أثرهم من المبتدعة قد أحدثوا أذكارا وصلواتا بشروط وقيود في أوقات معينة وأزمنة معينة بهيئات معينة، منها صلاة دعاء حفظ القرآن، وصلاة الفتح وصلاة رؤية النبي صلى ا لله عليه وسلم وصلاة الرغائب وصلاة البراءة ونحوها من الصلوات، ومنها الصلاة المعكوسة التي أشار إليها الشاه وجعلها من البدعة. انظر للتفصيل " السنن والمبتدعات المتعلقة بالأذكار والصلوات ص:١٢١

(٣) الشاه بدع إهداء أجر الأعمال البدنية وجوز إذا كانت مالية والمسألة خلافية، قد اتفقت الأئمة على أن العبادات المالية تصل إلى الميت وأما البدنية كالصلاة والصيام ففيه خلاف ولكن مع ذلك "فلم يكن من عادة السلف إذا صلوا تطوعا، وصاموا وحجوا، أو قرأوا القرآن يهدون ثواب ذلك لموتاهم المسلمين ولالخصوصهم... فلا ينبغي للناس أن يعدلوا عن طريق السلف فإنه أفضل وأكمل وا لله أعلم" انظر التفصيل الفتاوى ٢٤/ ٣٢٣

مخصوصة من الأعداد والضربات والجلسات(١) وتعيين مقدار الماء الكثير الذي لاينجس بوقوع النجاسة بعشرة في عشرة(٢) وتشهير العزلة لأجل العبادة والمطالعة، وترويج المسائل الكشفية والقياسية ، والاستغراق فيها بصرف جميع الهمم فيها، وإهمال ظاهر الكتاب والسنة إلا للتبرك والنيمن، والإعراض عن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وعدم المبالاة لإقامة الجهاد باللسان وبالسنان ونحوها من الأمور المحدثة، .... كلها من البدع الحقيقية....(٣)

ويواصل الكلام على رد ما استنبطه الفقهاء من غير قياس صحيح ثم تمسك به الناس على أنه من الدين فأصبحت من البدع فيقول:" إن مسائل المجتهدين السابقين إن كانت مستنبطة بقياس صحيح فإنها من قسم السنة الحكمية (٤) ولكن تخريجات الفقهاء المتأخرين مثل تحديد الماء الكثير بعشرة في عشرة بالقياس على أرض حول البئر واستحباب التلفظ بالنية في العبادات قياسا على أداء ألفاظ العقود في المعاملات، وإيجاب تقليد مجتهد من المجتهدين السابقين، والحكم بالتزام بيعة شيخ معين من شيوخ الطريقة بالقياس على لزوم طاعة إمام الوقت وبيعته، وجواز تقبيل القبور بالقياس على ما نقل من النبي صلى الله لعيه وسلم تقبيل عثمان بن مظعون رضي الله عنه بعد وفاته، (٥) وعلى ما نقل عن أبي بكر الصديق تقبيله للنبي صلى الله عليه وسلم بعد وفاته، (٦) وجواز إهداء الثواب للأموات بالقياس على جواز إهداء المال وهبته للأحياء،

---

(١) يشير إلى ما أحدثوا من البدع في الأذكار، ومن أذكارهم ذكر بضرب واحد وطريقته أن يجلس الذاكر على هيئة الصلاة متوضئا ثم يخرج لفظ الله بكل قوة وشدة من صدره ويضرب به أمام وجهه ويتصور عند أداء هذا اللفظ أن هناك نور يخرج مع هذا اللفظ ولما ينتهي ضربه يبقى رنين الصوت في خياله.... وهكذا أذكار بعضها بضربتين وبعضها بضربات ولطائف عديدة في الجسم ولكل لطيفة ذكر خاص وطريقة مخصوصة، وبالرجوع إلى كتبهم يعرف ذلك .

(٢) وهي مسألة فقهية عند الأحناف الذين يقدرون الماء الكثير الذي لاينجس بملاقات النجاسة بعشرة أذرع في عشرة وليس لهم فيه دليل صحيح ولاقياس صحيح ولكنه هو الراجح في المذهب. انظر الهداية ص: ٨٠

(٣) إيضاح الحق الصريح في أحكام الميت والضريح ص: ٢٦

(٤) تقدم تعريفها ص: ١٨٦

(٥) حديث تقبيل النبي صلى الله عليه وسلم له وهو ميت، رواه الترمذي - الجنائز - ٩٨٩ - وأبوداود - الجنائز - ٣١٦٣ - وقال الترمذي حسن صحيح.

(٦) انظر الحديث في الترمذي - الجنائز - ٩٨٩

بخلاف مسألة النيابة عن الميت فإنها متفق عليها في العبادات المالية ومختلف في العبادات البدنية، ومثل حكم نسخ الأحاديث الدالة على تحريم المزامير(١) قياسا على نسخ حرمة استعمال ظروف الخمر(٢) وغيرها من التخريجات المنقولة بلا حصر من الفقهاء والصوفية المتأخرين، وكتب الفقه والسلوك مشحونة بها وغالب أتباعهم يعدون هذه التخريجات المحدثة من أحكام الشريعة وأسرار الطريقة وفي الحقيقة كلها من البدعة، وجل اعتمادهم في إثباتها إما طرف شعرية أو نكات وهمية لن تخرجها من حدود البدعة ولاتدخلها في دائرة الشريعة الإيمانية والطريقة الإحسانية"(٣)

فالشاه رحمه الله يلحق الأحكام المستنبطة بقياس صحيح بالسنة في الحكم، لأن المجتهد لم يزد إلا أنه عمم الحكم الشرعي الثابت بعلة جامعة، ولكنه يرد على ما تعود الفقهاء المتأخرون وملأت بها الكتب الفقهية من تخريجات وتفريعات لايوجد لها دليل ولامنفعة بل ولها مضرة وسلبيات عديدة بحيث تمسكت كل طائفة بما نقل عن أسلافها بغض النظر عن وجود الدليل فتفرقوا في فرق شتى.

---

(١) حديث تحريم المعازف ، أخرجه البخاري - ٥٥٩٠ - انظر الفتح ٥١/١٠

(٢) نهى النبي صلى الله عليه وسلم عن استعمال أواني الخمر في حديث وقد عبد القيس ، انظر صحيح مسلم - الإيمان - ٢٣ ونسخ هذا الحكم بحديث بريدة رضى الله عنه أنظر صحيح مسلم -الأضاحي - ١٩٧٧ - وفي الأشربة ٦٤- ٦٥.

(٣) إيضاح الحق الصريح في أحكام الميت والضريح ص: ٥٣

الباب الثالث: جهوده في توضيح عقيدة السلف

ويشتمل على أربعة فصول:

الفصل الأول : جهوده في بيان توحيد الربوبية

الفصل الثاني : جهوده في بيان توحيد الألوهية

الفصل الثالث: جهوده في بيان توحيد الأسماء والصفات

الفصل الرابع : جهوده في الإيمان بالأنبياء وبالقدر وفي بيان مسائل الإيمان وفضائل الصحابة والإمامة

الفصل الأول: جهوده في بيان توحيد الربوبية

ويشتمل على أربعة مباحث:

المبحث الأول : مدلوله اللغوي و الاصطلاحي

المبحث الثاني : تعريف توحيد الربوبية وبيان حقيقته

المبحث الثالث: الإشراك في توحيد الربوبية

المبحث الرابع : توحيد الربوبية يستلزم توحيد الألوهية

المبحث الأول : مدلوله اللغوي و الاصطلاحي

المطلب الأول: التوحيد في اللغة

التوحيد مشتق من كلمة "وحّد " والوحدة، الانفراد، ويقال رأيته وحده، أي رأيته منفردا انفرادا، وفلان واحد دهره، أي لانظير له(١) والواحد، الشيء الذي لاجزء له البتة ثم يطلق على كل موجود(٢).

ويقول ابن الأثير:" الواحد في أسماء الله هو الفرد الذي لم يزل وحده، ولم يكن معه آخر" ونقل عن الأزهري قوله: الفرق بين الواحد والأحد، أن الأحد بني لنفي ما يذكر معه من العدد، والواحد، اسم بني لمفتتح العدد، فالواحد منفرد بالذات في عدم المثل والنظير والأحد منفرد بالمعنى(٣).

يقول الأصفهاني:"وهو لفظ مشترك يستعمل على ستة أوجه:

الأول :ما كان واحدا في الجنس أو في النوع كقولنا الإنسان والفرس واحد في الجنس وزيد وعمرو واحد في النوع،

الثاني: ما كان واحدا بالاتصال إما من حيث الخلقة كقولك شخص واحد وإما من حيث الصناعة كقولك حرفة واحدة.

الثالث: ماكان واحدا لعدم نظيره إما في الخلقة كقولك الشمس واحدة وإما في دعوى الفضيلة كقولك فلان واحد دهره.

الرابع: ما كان واحدا لامتناع التجزيء فيه إما لصغره كالهباء وإما لصلابته كالألماس .

الخامس:للمبدأ إما لمبدأ العدد كقولك واحد اثنان .... والواحد في كلها عارضة، .... وأحد مطلقا لا يوصف به غير الله تعالى.

ومنه وحد، بالتضعيف توحيدا أي جعله واحدا،مثل "ثناه" و"ثلثه".(٤)

---

(١) انظرالصحاح للجوهري ٥٤٨/٢ والقاموس المحيط ٤١٤

(٢) انظر المفردات في غريب القران ص :٥١٤ للأصفهاني

(٣) انظر النهاية في غريب الحديث ١٥٩/٥

(٤) انظر المفردات في غريب القران ص :٥١٤ للأصفهاني

يظهر من استعمال مادة (وحّد) بأنها تفيد انفراد الشيء عن غيره في ذاته وصفاته بحيث لانظير له ولامثيل له، ومن هنا يتجلى معنى التوحيد، بأنه اعتقد بكونه واحدا أو نسبه إلى الوحدة.

يقول السفاريني :" والتوحيد تفعيل للنسبة كالتصديق والتكذيب لا للجعل، فمعنى وحدت الله نسبت إليه الوحدانية، لاجعلته واحدا فإن وحدانية الله ذاتية ليست بجعل جاعل "(١)

المطلب الثاني: التوحيد في الاصطلاح

توحيد الله يعني اعتقاد كونه إلها واحدا في ذاته وصفاته وأفعاله مع نفي الشريك، وإفراده بالعبادة.(٢)

طالما اختلف الناس في مسمى التوحيد،منهم من جعل إنكار الصفات توحيدا ومنهم من جعل إثبات الصانع توحيدا، ومنهم من جعل التوحيد الإقرار بوحدة الوجود، والحق بأن التوحيد الذي جاء به الرسل قسمان :

١- توحيد في الإثبات والمعرفة، وهو المسمى بتوحيد الربوبية والأسماء والصفات،

٢- وتوحيد في القصد والطلب وهو توحيد العبادة (٣)

(١) لوامع الأنوار ١/ ٥٧

(٢) انظر شرح العقيدة الطحاوية ص: ٨٨ وعقيدة الشيخ محمد بن عبد الوهاب ص: ٣٣٥

(٣) انظر شرح عقيدة الطحاوية ص: ٨٨ و تيسير العزيز الحميد ص: ٣٣

المبحث الثاني: تعريف توحيد الربوبية و بيان حقيقته

المطلب الأول : تعريف توحيد الربوبية

توحيد ا لله عز وجل في أفعاله مثل الرزق والخلق والتدبير والإحياء والإماتة وإجابة الدعاء وشفاء المرضى، وأنه المتفرد بالخلق والأمر ونحوها، يسمى توحيد الربوبية. يشير إليه الشاه خلال شرحه معنى الإيمان با لله فيقول: " الإيمان با لله يعني أن يعتقد الرجل اعتقادا جازما بأن ا لله هو الخالق المالك الذي يقضي حوائجه ويكشف غمومه ويهبه الرزق"(١) ثم ذكر مدلول توحيد الألوهية والأسماء والصفات .

ويقول في موضع وهو يعرف الربوبية:" ومعنى الربوبية أنه بلغ في رجوع الحوائج واستحلال المشكلات واستدفاع البلايا بمجرد الإرادة والقهر على الأسباب مبلغا استحق به غاية الخضوع والتذلل، أي ليس للتذلل لديه والخضوع عنده حد محدود فما من تذلل وخضوع إلا وهو مستحسن بالنسبة إليه وهو مستحق له"(٢).

يلاحظ في هذا التعريف شيئان:

أولا: أنه ذكر فيه بعض لوازم الربوبية من الخضوع والتذلل، كأنه يشير بأن الألوهية والعبادة داخلة في معنى الربوبية، فهما متلازمتان أبدا (٣) بحيث لايتصور عاقل بأن يكون ربا غير معبود، ولذا فسر القرطبي وغيره معني الرب بأنه معبود.(٤)

ثانيا: إنه أبرز من معاني الربوبية معنى جامعا لعدد من الصفات ومنها الإرادة المطلقة النافذة في كل شيء، بمعنى أن إرادة ا لله غير خاضعة لأسباب كونية طبيعية بل الأسباب خاضعة لإرادته.

---

(١) تذكير الإخوان ص: ٧٥

(٢) رد الإشراك ص: ١٤

(٣) يقول الشيخ محمد بن عبد الوهاب: الرب، والإله، في صفة ا لله تبارك وتعالى، متلازمة غير مترادفة، انظر الدرر السنية ١٢/٣

(٤) القرطبي في تفسيره ١/ ١٣٧ واستدل بقول الشاعر:

أ رب يبول الثعلبان برأسه   لقد ذل من بالت عليه الثعالب.

والسبب إلى تركيز هذه الخصوصية من الربوبية كما يظهر من جهوده بأن الشرك المنتشر بين المسلمين في القرون المتأخرة، مبني على هذا الاعتقاد الفاسد فيمن يخضعون له ويتذللون أمامه، بأنه يقدر على التصرف في الأمور الكونية بل الأسباب الكونية تخضع لإرادته ومشيئته، بمعني أن عنده قوة غيبية وسلطان قاهرفوق الأسباب العادية، وهذا شأن الرب سبحانه، ويقول رشيد رضا(١) مبينا هذا المعنى :... "فالرب هو المدبر لكل أمر والمتصرف فيه بكل شيء غير مقيد بالأسباب وهؤلاء يشركون معه غيره في هذا التصرف الخاص بالربوبية..."(٢)

والواقع يشهد أن المشركين ينسجون حول من يعبدونهم من الأحياء والأموات حكايات وخرافات كلها تدل دلالة صريحة على التصرف المطلق في الكون وبمجرد إرادتهم تنقلب الأحوال من سوء إلى حسن ومن موت إلى حياة ونحوها من التصرفات ويستدلون بها على عظمتهم القاضية للخضوع والتذلل أمامهم(٣)

ويشير في موضع آخر إلى هذا المعنى خلال رده على المشركين الذين يظنون اعتقاد التصرف في الأولياء والأنبياء من لوازم التعظيم لهم فيقول بأن تعظيم الأنبياء لايعني الاعتقاد فيهم بالربوبية ويفسر الربوبية بأنه" إثبات التصرف المستقل لهم في الأمور الكونية أو الاعتقاد عن نفسه بأنه تحت قدرتهم لأن هذه الأمور من مقتضى علاقة العبودية والربوبية التي تختص با لله عزوجل "(٤)

فيجعل استقلال التصرف في الأمور الكونية عن خواص الربوبية التي لايشترك فيها الأنبياء فضلا عمن سواهم.

الإيمان با لله عز وجل بأنه خالق ومحي ومميت لاينازع فيه كل من انتسب إلى الإسلام، ولكن البلية كل البلية الاعتقاد في الأولياء، التصرف المطلق في الأمور الكونية، ولعل هذا الخطأ الفاحش الذي لايتنبه إليه من يتلوث بالشرك جعل الشاه يركز عليها في تعريف الربوبية.

---

(١) توفي سنة ١٣٢٠هـ انظر الأعلام ١٢٥/٦

(٢) حاشيته على صيانة الإنسان ص: ٤٤٨

(٣) انظر بعض هذه الحكايات في " البريلوية "ص: ٢١٤ بأن الولي يستجيب لمريده من مسيرة سنة ونحوها من الصفات الإلهية الكثيرة.

(٤) إيضاح الحق الصريح في أحكام الميت والضريح:٧٦

المطلب الثاني : توحيد الربوبية لم ينازع فيه الكفار

هذا التوحيد لم ينازع فيه الكفار و لم يكونوا يسوون بين ا لله وبين معبوداتهم في الخلق والرزق، فا لله أخبر عنهم بأنهم كانوا مقرين بأن ا لله وحده ربهم وخالقهم وخالق السموات والأرض كما في الآية﴿ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض ليقولن ا لله﴾(١) وقال تعالى:﴿قل من يرزقكم من السماء والأرض أمن يملك السمع والأبصار ومن يخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي ومن يدبر الأمر فسيقولن ا لله فقل أفلا تتقون﴾(٢) "بل لم يذهب إلى نقيضه طائفة معروفة من بني آدم بل القلوب مفطورة على الإقرار به أعظم من كونها مفطورة على الإقرار بغيره من الموجودات كما قالت الرسل فيما حكى ا لله عنهم:﴿ قالت رسلهم أفي ا لله شك فاطر السموات والأرض﴾(٣) (٤)ولـذا لم ينشغل الأنبياء بإثبات الرب الخالق والمالك كما هو منهج المتكلمين.

ويقرر الشاه بأن مشركي مكة كانوا معترفين بالربوبية، فيقول بعد ما ذكر اختصاص الرب بالتصرف في العالم والتفرد في الخلق و أنه لا أحد يعتقد الشركة فيه إلا من كان ممسوخا فيقول: "ان هذا الاعتقاد ليس من شأن الإنسان أن يتلوث به اللهم إن كان ممسوخا كفرعون وأمثاله، وليس لأحد أن يذعن بأن الكتب الإلهية إنما نزلت والأنبياء إنما بعثوا لأجل إصلاح أمثال هؤلاء الممسوخين فقط، كيف ومشركو العرب الذين سماهم النبي صلى ا لله عليه وسلم بالمشركين وقاتلهم وأراق دماءهم وسبى ذراريهم ونهب أموالهم لم يكونوا مذعنين بهذا الاعتقاد بقوله تعالى﴿ قل من بيده ملكوت كل شيء وهو يجير ولايجار عليه إن كنتم تعلمون سيقولون لله قل فأنى تسحرون﴾(٥) (٦)

---

(١) سورة الزخرف: ٨٨

(٢) سورة يونس: ٣٢

(٣) سورة إبراهيم: ١٠

(٤) شرح العقيدة الطحاوية ص: ٧٧

(٥) سورة المؤمنون ص: ٨٨ - ٨٩

(٦) رد الإشراك ص: ١٣

المطلب الثالث: إقرار توحيد الربوبية فطري وعقلي

يقرر في شرح الآية المذكورة بأن الإقرار بتوحيد الربوبية فطري وعقلي فيقول:" إن العقل السليم والفطرة المستقيمة تدل على إثبات القدرة المطلقة لله التي ليست فوقها قدرة والتصرف المطلق الذي لا يزاحمه تصرف والأمر القاهر الذي لاينسخه أمر..."(١)

ويستدل على كونه فطريا من الشرع بما ورد في تفسير قول الله عزوجل﴿ وإذ أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذريتهم وأشهدهم على أنفسهم ألست بربك قالوا بلى شهدنا...﴾(٢) يقول في شرحه: أخرج أحمد عن أبي بن كعب رضي الله عنه أنه قال:"جمعهم فجعلهم أزواجا ثم صورهم فاستنطقهم فتكلموا ثم أخذ عليهم العهد والميثاق وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم؟ قالوا : بلى: قال فإني أشهد عليكم السموات السبع والأرضين السبع وأشهد عليكم أباكم آدم ﴿شهدنا أن تقولوا يوم القيامة إنا كنا عن هذا غافلين﴾ ثم تكلم بهذا: اعلموا أن لا إله غيري ولارب غيري ولاتشركوا بي شيئا إني سأرسل إليكم رسلي يذكرونكم عهدي وميثاقي وأنزل عليكم كتبي، قالوا شهدنا بأنك ربنا وإلهنا لارب لنا غيرك ولاإله لنا غيرك(٣).

ويقول أيضا في شرح أثر أبي بن كعب بأن الله صنف أولاد آدم أصنافا جماعة الأنبياء والأولياء والشهداء ... كلها جماعات مستقلة بعد ما أوجدها " ثم وهبها النطق ثم قال: ألست بربكم فأقرت جميعا فقالت: بلى: أنت ربنا ثم أخذ منها العهد والميثاق أن لاتشرك في ملكه وحكمه أحدا وأن لاتتخذ غيره ربا والها فقبلته جميعا وأعطت العهد والميثاق وأشهد الله على ذلك السموات والأرض وأباهم آدم وقال: سأبعث إليكم الأنبياء ليذكروا بهذا العهد والميثاق ويكون معهم الكتب السماوية فأقرت كل طائفة على حدة بالتوحيد وأنكرت الشرك فتبين مما

---

(١) تقوية الإيمان ص: ٨١

(٢) سورة الأعراف: ١٧٢

(٣) أخرجه أحمد في المسند ٥/ ١٣٥ وابن جرير في التفسير ٦/ ١١٤ برقم ١٥٣٧٤ أحاديث إخراج الذرية من ظهر آدم وأخذ الميثاق أحاديث صحيحة "ولايبعد دعوى التواتر المعنوي في الأحاديث والروايات فيي ذلك" انظر السلسلة الصحيحة ٥/١٥٨-١٦٣

تقدم أنه لاينبغي لأحد أن يحتج بكلام عالم أو شيخ أو كلام آباء وأجداد أو كلام ملوك وسلاطين."(١)

فالشاه رحمه الله يقرر بأن الفطرة والعقل والشرع كلها متفقة على أن الإقرار بوجود الله وربوبيته إقرار راسخ في قلوب البشر وهم مجبولون عليه فليسوا بحاجة إلى من يثبتها بدلائل عقلية بعيدة غامضة.

(١) تقوية الإيمان ص: ٦٠

المبحث الثالث: الإشراك في توحيد الربوبية

القرآن يصرح بأن المشركين الذين خاطبهم النبي صلى الله عليه وسلم لم يكن شركهم في الربوبية بل كان شركهم شرك الوساطة في توحيد العبادة وذلك أنهم كانوا يجعلون بعض المخلوقات وسائط بينهم وبين الله ويعتقدون فيهم أنهم يقربون إلى الله ويشفعون فيهم. كما في الآية ﴿ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى﴾* بل كانوا عند الشدة يخلصون العبادة لله ويلجؤون إليه تاركين جميع الآلهة كما يقول الله عز وجل ﴿وإذا مسكم الضر في البحر ضل من تدعون إلا إياه فلما نجاكم إلى البر أعرضتم وكان الإنسان كفورا﴾(١)

ولكن العجب كل العجب أن المسلمين في القرون المتأخرة قد أشركوا بالله في الربوبية والألوهية أما الشرك في الربوبية لاعتقادهم فيهم التصرف المطلق في الكون والنفع والضر وإغاثة المستغيثين وإجابة دعاء المكروبين فصاروا يدعون أهل القبور وبعض الأحياء من الصالحين تارة مستقلا وتارة مع الله يعظمونهم تعظيم من يملك النفع والضر(٢).

ولما رأى الشاه رحمه الله هذا الشرك منتشرا بين الناس قد بوب بابا مستقلا ب"رد الإشراك في التصرف" رد فيه جميع معتقدات، وشبهات واعتراضات المشركين الذين يتشبثون بها لتبرير شركهم في الربوبية.

المطلب الأول: رد الإشراك في التصرف

يقول في شرح قول الله تعالى﴿ قل من بيده ملكوت كل شئ وهو يجير ولايجار عليه إن كنتم تعلمون سيقولون لله قل فأنى تسحرون﴾(٣) "العقل والفطرة تدل على إثبات القدرة المطلقة التي ليست فوقها قدرة والتصرف المطلق الذي لايزاحمه تصرف والأمر القاهر الذي لاينسخه أمر فمن والاه الله وتولاه فليس لأحد أن يعتدي عليه ومن عاداه وسخط عليه فليس لأحد في الدنيا أن يحميه أو يدافع عنه وإذا سئل أحد عن ذلك كان جوابه بأن الله هو

---

* -سورة الزمر :٣

(١) سورة الإسراء: ٦٧

(٢) الدر النضيد في إخلاص كلمة التوحيد ص: ١٤٣ في مجموعة الرسائل السلفية.

(٣)سورة المؤمنون : ٨٨ ـ ٨٩

المتفرد بهذه القدرة المطلقة والتصرف المطلق والأمر القاهر الذي ليس فوقه أمر فإذا كان الأمر كذلك كان طلب قضاء الحاجات من غير الله أمرا باطلا وطلبا للمحال".

"وأن الكفار في عهد النبي صلى الله عليه وسلم لم يكونوا يساوون أحدا في الألوهية والقدرة وفي الخلق ولكنهم كانوا يعتقدون أن آلهتهم والأصنام التي كانوا يعبدونها هم وكلاء هم عند الله وبذلك كفروا فمن أثبت في عصرنا لمخلوق التصرف في العالم واعتقد أنه وكيله عند الله ثبت منه الشرك ولو لم يساوه بالله و لم يثبت له قدرة كقدرة الله ...."(١)

فيشير بأن القدرة المطلقة والتصرف المطلق والأمر القاهر الذي ليس فوقه أمر،وهذه كلها من خصائص الرب سبحانه ولا أحد يشترك في شئ منها.

ولو تصفحنا عقائد الصوفية والقبورية في من يلتجئون إليهم لرأينا أنهم يثبتون التصرف المطلق من إنزال المطر وإعطاء الرزق وإحياء الأموات وغيرها من التصرفات والقدرة، للأحياء والأموات،فلا شك هذا شرك مضاعف على شرك أهل الجاهلية وإليك مثالا منها قولهم: "إن أحمد الرفاعي* كان يفقر ويغني ويسعد ويشقي ويميت ويحيي.... وإن السموات السبع في رجله كالخلخال"(٢).

ثم يعرف الشاه الإشراك في التصرف من خلال واقع المسلمين بأسلوب واضح وعبارة صريحة فيقول:" الذي يجب أن يعتقده الإنسان أن التصرف في العالم بالإرادة وإصدار الأمر والنهي والإماتة والإحياء كما يشاء والبسط والقبض في الرزق والإفاضة بالصحة والمرض والفتح والهزيمة وتسخير القضاء والقدر لإنسان حتى يكون النصر دائما حليفه ويكون محظوظا ولاتزال أموره في إقبال أو بالعكس وإنجاح المطالب وتحقيق الأماني ودفع البلايا والإغاثة في الشدائد وإنهاض العاثر، هذه كلها من خصائص الله سبحانه وتعالى لايشاركه فيها أحد من الأنبياء والأولياء والشهداء والصلحاء والعفاريت والجنيات فمن أثبت هذا التصرف المطلق لأحد منهم وطلب منه حاجاته وقرب القرابين والنذر لأجل ذلك أو ناداه في نازلة وبلية كان مشركا

---

(١) تقوية الإيمان ص: ٨١ ـ ٨٢

* – هو أحمد بن علي بن يحي الرفاعي الحسني، مؤسس الطريقة الرفاعية، وقبره إلى الآن محط الرحال لسالكي طريقته، توفي ٥٧٨هـ الأعلام ١/١٧٤

(٢) كتبه رشيد رضا، يرد عليهم في حاشية صيانة الإنسان عن وسوسة الشيخ دحلان ص: ٤٢٠

ويقال لهذا النوع من الشرك "الإشراك في التصرف" سواء اعتقد أنهم يقدرون على ذلك بأنفسهم أو وهبهم الله تبارك وتعالى هذه القدرة ومنحهم هذه الكرامة"(١)

ولقد ذكر هنا جميع ما كان من الضلال في المسلمين من الشرك في الربوبية، وأبطله لأنهم يشركون بالله بهذه المعتقدات إذ يوصفون المخلوق العاجز بصفات الخالق سبحانه.

المطلب الثاني: لاتصرف لمخلوق مهما بلغ من المنزلة

أ- النبي لايستطيع التصرف في الكون

فإن الذين غلوا في الأحياء والأموات وأثبتوا لهم صفات الرب، شقوا طريقهم إليه بالغلو في النبي صلى الله عليه وسلم، لأنه إذا ثبت له علم الغيب والتصرف فيثبت لغيره من الأولياء أيضا، فكتبهم مليئة بالغلو في شخصية الرسول صلى الله عليه وسلم بل لايؤمنون ببشريته أولا ويثبتون له صفات الرب ثانيا(٢)

ويسهل إبطال التصرف عن الأولياء والأبدال(٣) والأقطاب(٤) وما نسج حولهم من حكايات التصرف المطلق في الكون إذا نفي ذلك عن النبي صلى الله عليه وسلم، فإذا كان النبي عاجزا عن مثل هذا التصرف وتثبت له الصفات البشرية فأولى أن يكون غيره عاجزا عن التصرف وأولى أن يتصف بعجز البشرية، ويبطل إذاً أن يُرجع إليه عند الحاجات ويلجأ إليه لطلب النفع أو دفع الضر، وهذا المعنى فصله الشاه رحمه الله في شرح قول الله عز وجل فيقول:" قال الله عز وجل﴿قل لا أملك لكم ضرا ولا رشدا قل إني لن يجيرني من الله أحد

---

(١) تقوية الإيمان ص: ٤٦

(٢) انظر : البريلوية ص: ٥٥ للشيخ إحسان إلهي ظهير

(٣) يعتقد الخرافيون من الصوفية وأتباعهم بأن الأبدال سبعة والمراد بالبدل " من سافر من موضع وترك جسدا على صورته حيا بحياته ظاهرا بأعماله بحيث لايعرف أحد أنه فقد، وذلك هو البدل لاغير ..." التعريفات للجرجاني ص: ٤٣

(٤) "والقطب قد يسمى غوثا باعتبار التجاء الملهوف إليه وهو عبارة عن الواحد الذي هو موضع نظر الله في كل زمان أعطاه الطلسم الأعظم من لدنه، وهو يسري في الكون وأعيانه الباطنة والظاهرة سريان الروح في الجسد بيده قسطاس الفيض الأعم...." التعريفات للجرجاني ص: ١٧٧

ولن أجد من دونه ملتحدا﴾(١) وقد أمر الله النبي صلى الله عليه وسلم بأن يخبر المسلمين بأنه لايقدر على نفعهم و ضرهم ويخبر أن لاتغرهم نفوسهم فيقولون إن نبينا صلى الله عليه وسلم له رتبة عالية عند الله يضر وينفع ويفعل ما يشاء ونحن في أمته وهو لنا ركن شديد فإنه وكيلنا عند الله وشفيعنا إليه، من الله بمكان ليس لأحد، فلا خوف علينا ولاخطر، فيتوسعون في الأماني ويستخفون بالعمل وأن النبي صلى الله عليه وسلم لايملك لهم ضرا ولارشدا وأنه - وهو سيد الأنبياء - لن يجيره من الله أحد فكيف يستطيع أن يجيرهم من الله ويمنعهم من عذاب الله وعقابه"(٢)

ثم يعرج إلى بيان ضلال المبتدعة الذين يعتقدون في غير النبي ما لايليق اعتقاده في النبي صلى الله عليه وسلم بل يليق بالله عز وجل فيقول:" وبذلك علم ضلال أولئك العامة الذين ينسون الله ويستخفون بأحكامه معتمدين على نصرة الشهداء و المشايخ، فإذا كان نبي الله صلى الله عليه وسلم يخاف الله ولايرى له ملجأ إلا رحمة الله، فكيف بمن دونه من أفراد أمته وأتباعه"(٣)

ويقرر نفس المعنى في شرح الحديث الذي نهى فيه النبي صلى الله عليه وسلم عن إطلاق لفظ " السيد"(٤) لأنه قد يراد ب" السيد" من يملك الأمر مطلقا، فيفعل ما يشاء كشأن الملوك في الدنيا(٥)وهذا مختص بالله، تعالى فلا سيد في هذا المعنى إلا الله،،ومما قال في شرح لفظ السيد: "إن أريد ب"السيد" "السيطرة على العالم والتصرف بمطلق الإرادة كما يتصرف الملوك القاهرون فانه لايتصرف في أضعف مخلوق كالذرة تصرف السيد في ملكه فضلا عن ضخام الأمور وكبار المخلوقات"(٦)

---

(١) سورة الجن :٢١- ٢٢

(٢) تقوية الإيمان ص: ٨٢

(٣) المصدر السابق

(٤) انظر الكلام حول الحديث وشرحه ص:

(٥) ومن معاني "السيد " الرب والمالك ... (النهاية ٢/ ٤١٨) وهذا الإطلاق قد يشعر معنى الربوبية والملكية المطلقة التي أشار إليها الشاه.

(٦) تقوية الإيمان ص:١٥٦ ترجمة الندوي

الشيعة والصوفية ومن تأثر بهم غلوا غلوا عظيما في الأشخاص حتى وصفوهم بصفات الخالق واعتقدوا فيهم قدرة التصرف والنفع والضر فكانت النتيجة الطبيعية لهذه المعتقدات هو البعد عن الشريعة والاستخفاف بالدين وهو أمر مشهود فرد عليهم الشاه بطريقة لطيفة، بأن هذه الأمور لايقدرعليها أفضل البشر فكيف يقدر عليه غيره؟؟؟.

ثم إنه يبين مرتبة النبي والنبوة بأنها مرتبة عظيمة، ومهمة النبي هو عبادة ا لله وحده وإرشاد الناس إلى عبادته وهذه هي سر كرامتهم وتفوقهم على غيرهم وليس من كرامتهم وتعظيمهم أن يثبت لهم شيء من خصائص الربوبية فيقول:" نفي النبي صلى ا لله عليه وسلم عن نفسه القدرة المطلقة والعلم بالغيب، إنما أكرمه ا لله بالرسالة وشرفه بالنبوة والنبي مكلف بالإنذار والتبشير لاغير....والإنذار والتبشير لاينفع إلا من كان في قلبه إيمان وليس من شأن النبي إنشاء الإيمان في قلوب الناس إنما هو فعل ا لله تبارك وتعالى"(١)

ويقول مبينا سر فضيلة الأنبياء والأولياء :" إن الأنبياء والأولياء قد شرفهم ا لله على الخلق وعلت منزلتهم عند ا لله لأنهم يدعون الناس إلى ا لله ويرشدونهم إلى طريق الحق ... وليس شرفهم بأن يمنحهم ا لله قدرة التصرف في العالم، فيميتون من يشاؤون أو يرزقون أولادا لمن يشاؤون أو يفرجون الكرب ويحققون أماني الناس ويقضون حاجاتهم، ويجعلون من يشاؤون منتصرا أو منكسرا أو غنيا أو فقيرا أو وزيرا أو ملكا ويسلبون ممن يشاؤون ملكا أو إمارة أو يجعلون في قلب من يشاؤون الإيمان، أو ينتزعون منه أو يشفون مريضا أويسلبون منه الصحة، وقد تساوى في ذلك جميع العبادة صغيرهم أوكبيرهم كلهم عاجزون ضعفاء لايقدرون على شيء"(٢).

فنفى عن الأنبياء والأولياء قدرة التصرف التي يثبتها المشركون من المنتسبين إلى الإسلام بل هم مثل سائر المخلوق في عدم التصرف والقدرة، فإذاً من الحماقة أن يلتجئ إليهم أحد في أمور لايقدر عليها سوى ا لله عز وجل.

---

(١) تقوية الإيمان ص:٧٦

(٢) المصدر السابق ص: ٧٦

ب – خواص الأمة لايستطيعون التصرف في العالم

فلما أنكر الشاه الاعتقاد الفاسد وهو التصرف في الأمور الكونية عن النبي صلى الله عليه وسلم عرج على نفي هذا الاعتقاد عن خواص الأمة، لأن القلوب متعلقة بهم، فيقول في شرح قوله تعالى﴿ويعبدون من دون الله مالا يملك لهم رزقا من السموات والأرض شيئا ولايستطيعون﴾(١) "يقول بعض العامة إن الأنبياء والأولياء والأئمة * والشهداء يقدرون على التصرف في العالم ولكنهم رضوا بقضاء الله وقدره، وأدبوا نفوسهم وألجموها فتواضعوا لعظمته وإلا إذا شاؤوا قلبوا هذا العالم تقليبا ولكنهم أمسكوا عن ذلك تعظيما للشرع وأدبا معه وهذا باطل، لأن الآية نفت هذا الزعم وأثبتت عجزهم وضعفهم وأنهم لايملكون للناس رزقا من السموات والأرض فليست لهم قدرة على الأمطار ولا على السحاب والريح وليس لهم سلطان على الأرض فتخرج زرعها وتقذف خزائنها، وإن كل ذلك بيد الله وقبضته"(٢)

ونشأ من هذا المعتقد الفاسد الاعتقاد في كبرائهم ومشايخهم وفيمن يعبدونهم بأنهم سوف يخلصونهم من النار ويدخلونهم الجنة وإن لم يكن معهم شيء من العمل وهذا معتقد فاسد نجده في الصوفية، والقبورية، والشيعة، وفي جهال المسلمين الذين تأثروا من الرافضة والصوفية(٣).

يرد الشاه على هذا المعتقد فيقول: " أخرج الشيخان عن أبي هريرة قال: لما نزل﴿وأنذر عشيرتك الأقربين﴾* دعا النبي صلى الله عليه وسلم قرابته فعم وخص، فقال: يا بني كعب بن لوي ! أنقذوا أنفسكم من النار فإني لاأملك لكم من الله شيئا..... وذكر الحديث بطوله(٤).

---

(١) سورة النحل: ٧٣

* – يقصد به الأئمة الذين يعتقد فيهم الإمامية وهم إثنا عشر إماما يعتقد فيهم التصرف في العالم والعصمة وعلم الغيب والإحياء والإماتة ونحوها من الصفات الإلهية، انظر للتفصيل كتاب عم الشاه اسماعيل،التحفة الإثني عشرية.

(٢) تقوية الإيمان ص: ٨٣

(٣) كما دندن به الشيخ التيجاني يقول: وليس لأحد من الرجال أن يدخل كافة أصحابه الجنة بغير حساب ولا عقاب ولو عملوا من الذنوب ما عملوا وبلغوا من المعاصي ما بلغوا إلا أنا وحدي " جواهر المعاني٢/ ١٧٦ نقلا من رسالة الماجستير " تقديس الأشخاص في الفكر الصوفي".

(٤) أخرجه البخاري في تفسير سورة الشعراء برقم(٤٧٧١) انظر فتح الباري ٥٠١/٨

ومما قال في شرحه:" يعني إن الذين لهم صلة بأحد الصالحين أو المشايخ بنسب يعتمدون على نصرته ولايخافون الله، ثقة بهذه القرابة وتيها ودلالا بهذا النسب فلذا أمر الله نبيه صلى الله عليه وسلم أن يحذر من يتصل به بنسب أو قرابة من هذا الغرور وقد فعل ذلك النبي صلى الله عليه وسلم.....وبين أن أمور الآخرة أو الحساب، فإنه لايملك منها شيئا ولايستطيع أن يدافع عن أحد أو يحتج لأحد فيجب على كل واحد أن يجد في إصلاح شئونه ويسعى في الخلاص من النار، والحديث دليل على أن القرابة أو النسب لايغنيان عن الله شيئا ولاينفعان عند الله"(١).

ويبطل عقائد المشركين في كبار البشر بأنهم ينفعون أو يضرون أو يشفعون بقدرتهم وتصرفهم،بل إنهم عاجزون مثل عجز أي مخلوق من خلقه خاضعون تمام الخضوع فلا ينبغي اللجوء إليهم فيقول:" إن جميع الخلق سواء كانوا علماء أو عبادا، حكاما أو ملوكا، كلهم عبيد خاضعون عاجزون ضعفاء لايملكون موتا ولاحياة ولابعثا، ولايملكون إذا نشرهم الله وطلبهم إلا أن يقفوا أمام ربهم خاضعين ساكتين طائعين مستسلمين يقول الله عز وجل في سورة مريم﴿ إن كل من في السموات والأرض إلا آتي الرحمن عبدا لقد أحصاهم وعدهم عدا وكلهم آتيه يوم القيامة فردا﴾(٢) فظهر أنه هو المتصرف وحده في الجميع وأنه لايمكن أحدا من أحد وأن الناس يأتون ربهم فرادى لايكون أحد وكيلا أو حاميا لأحد، وقد وردت آيات كثيرة في هذا المعنى ومن تأمل في آيتين أو أربع من الآيات الكثيرة التي ذكرنا ها علم الفرق بين الشرك والتوحيد وتجلت حقيقتهما(٣).

ويؤكد ذلك مستدلا بآية أخرى فيقول : " قال الله تعالى﴿ ولاتدع من دون الله ما لاينفعك ولا يضرك فان فعلت فانك إذا من الظالمين﴾(٤) ومن السفاهة والظلم أن يعطى الإنسان العاجز الضعيف ما كان من حق القادر القوي، ويعاملهما معاملة سواء"(٥).

---

(١) تقوية الإيمان ص: ٩٨- ٩٩

(٢) سورة مريم ص: ٩٣- ٩٥

(٣) تقوية الإيمان ص: ٤٤

(٤) يونس : ١٠٦

(٥) تقوية الإيمان ص: ٨٤

فالشاه يقرر عجز المخلوق أمام قدرة الله ومشيئته مهما بلغ من المرتبة فهو عاجز لن يستطيع التصرف حتى ينفع غيره من البشر فالإعراض عن الله القادر المطلق واللجوء إلى المخلوق العاجز حماقة وسفاهة.

ج – نفي التصرف عن الملائكة

يبطل الشاه رحمه الله ما يعتقدون في ما سوى الله من التصرف ببيان عجزهم وضعفهم حتى يقنعهم ويقرب إلى فهمهم، ويشرح ذلك ببيان عجز الملائكة الذين هم أقرب إلى الله من غير هم من الخلق فيقول: " قال الله تعالى﴿قل ادعو الذين زعمتم من دون الله لايملكون مثقال ذرة في السموات ولا في الأرض وما لهم فيهما من شرك وما له منهم من ظهير ولاتنفع الشفاعة عنده إلا لمن أذن له حتى إذا فزع عن قلوبهم قالوا ماذا قال ربكم قالوا الحق وهو العلي الكبير﴾(١) فالذين يستغيث بهم هؤلاء الجهال ويطلبون منهم قضاء حاجاتهم لايملكون مثقال حبة من خردل، ولاشيئا من قطمير في السموات وفي الأرض وما لهم فيهما من شرك وليسوا من شركاء في ملك الله حتى يقبل شفاعتهم استسلاما واضطرارا، وأنهم لايستطيعون أن يشفعوا إلا بإذنه ولا أن يقضوا رغبات المستشفعين بقدرة وقهر بل بالعكس من ذلك قد بلغ بهم العجز والضعف إلى حد أنه إذا توجه إليهم أمر من الله أخذ هم الخوف والهيبة، ويمنعهم الأدب والفزع عن مراجعة الله واستفسار عما خوطبوا به وأمروا بل أقبل بعضهم على بعض يتساءلون عن الحقيقة فإذا اتضح لهم الأمر فمازادوا على أن يقولوا:آمنا وصدقنا فضلا عن معارضة الملك القاهر وعن الدفاع عن أحد."(٢)

يثبت الشاه خلال هذا الشرح عجز البشر والملائكة الذين يستغيث بهم هؤلاء المشركون فحالهم أنهم يخافون على أنفسهم فضلا أن يسعوا إلى إجابة أو نفع من يدعوهم من البشر بل إذا سمعوا وحيا أخذتهم الهيبة والفزع ويخضعون أمامه كما في الحديث الصحيح الذي رواه البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه: إن نبي الله صلى الله عليه وسلم قال: إذا قضى الله

(١) سورة سبأ ٢٢-٢٣

(٢) تقوية الإيمان ص: ٨٥

الأمر في السماء ضربت الملائكة بأجنحتها خضعانا لقوله كأنه سلسلة على صفوان، فإذا فزع عن قلوبهم قالوا: ماذا قال ربكم؟ قالوا الذي قال الحق وهو العلي الكبير الحديث بطوله(١).

د - احتجاجه على رد الإشراك في التصرف بالقضاء والقدر

إن للإيمان بالقضاء والقدر صلة وثيقة بتوحيد الربوبية، وذلك أن المؤمن يفرد الله عز وجل بالمشيئة والفعل والتصرف، وأنه ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن، وليس لأحد أن يتدخل ولا أن يعترض على الله عز وجل.

ولما كان الشاه ينكر على الذين يعتقدون التصرف في غير الله، استدل عليه بالإيمان بالقضاء والقدر، لأن الإيمان به يقتضي إبطال عقيدة التصرف عن الأولياء والأنبياء فيقرر هذا المعنى خلال حديث ابن عباس رضي الله عنه قال له النبي صلى الله عليه وسلم : "يا غلام احفظ الله يحفظك، احفظ الله تجده تجاهك، وإذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله، واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك، ولو اجتمعوا على أن يضروك بشيء لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك، رفعت الأقلام وجفت الصحف"(٢) فإنه لاماحي لما أثبته الله ولامثبت لما محاه الله وأن القضاء كائن، والأمر محتوم وإن اجتمع الناس جميعا صغيرهم وكبيرهم على أن ينفعوا أحدا أو يضروه لم يجاوز ذلك قدر الله وقضاءه.. وكذلك ثبت من هذا الحديث أن ما يعتقده بعض الجهلة والسفهاء أن الله عز وجل قد منح الأولياء قدرة على تغيير قضاء الله وقدره، فمن لم يرزقه الله ولدا يرزقه هؤلاء الأولياء ولدا ومن انتهى عمره وحضرته الوفاة زادوا في عمره فهذا كله باطل"(٣).

المطلب الثالث: حكم من اعتقد التصرف فيما سوى الله

بهذا قد هدم الشاه رحمه الله اعتقاد القبوريين والمشركين، وهو قدرة التصرف في الأنبياء والأولياء وعن جميع البشر مهما بلغ من المرتبة و الشرف فإنه لايتخلىعن عجز البشرية، وجعل

---

(١) أخرجه البخاري برقم ٤٨٠٠ انظر فتح الباري٨/ ٥٣٧

(٢) أخرجه الترمذي ـ صفة القيامة ـ (٢٥١٨) وأحمد فالمسند ١/ ٢٩٣ وابن أبي عاصم في السنة برقم ٣١٦ـ ٣١٨ وصححه الألباني في تخريجه للسنة.

(٣) تقوية الإيمان ص: ٩٤ـ ٩٥

اعتقاد التصرف من الشرك والكفر ليس بعده شرك وكفر، يقول :"فإثبات قدرة التصرف لغيره يثبت به الشرك ويصير الإنسان به مشركا...."(١)

ويؤكد هذا الحكم في موضع آخر فيقول: "وما يحدث في العالم ليس من قدرتهم(٢) ولامن نتائج قوتهم ولم يعطهم الله قدرة التصرف في العالم ولم يفوض إليهم أمور بني آدم بحيث يتصرفوا فيها بقدرتهم بأمر الله عز وجل ويحدثوا في العالم التغيرات الكثيرة والتقلبات العديدة، فإن هذا الاعتقاد شرك محض وكفر بحت فمن اعتقد في هؤلاء هذا الاعتقاد القبيح يصبح مشركا من غير شك وكافرا مطرودا"(٣).

اعتقاد تأثير الأنواء(٤)شرك:

إن النبي صلى الله عليه وسلم حمى جناب التوحيد حماية كاملة فلم يترك ذريعة توصل إلى الشرك إلا وسدها، ومن تلك الذرائع تعلق الناس بالأنواء، فكانوا ينسبون نزول المطر إلى الأنواء قديما وحديثا.

ولما رأى الشاه رحمه الله تمسك الناس بالنجوم واعتقادهم فيها رد على هذه المعتقدات، فيقول: "أخرج الشيخان عن زيد بن خالد الجهني قال:" صلى بنا رسول الله صلى الله عليه وسلم صلاة الصبح بالحديبية على إثر سماء كانت من الليل فلما انصرف أقبل على الناس، فقال : هل تدرون ماذا قال ربكم قالوا: الله ورسوله أعلم، قال: قال: أصبح من عبادي مؤمن بي وكافر بي فأما من قال:مطرنا بفضل الله ورحمته فذلك مؤمن بي وكافر بالكواكب وأما من قال: مطرنا بنوء كذا وكذا فذلك كافر بي ومؤمن بالكواكب(٥).

" ومعنى الحديث أن من يعتقد للنجوم تأثيرا في العالم وما يحدث فيه من الحوادث كان عند الله ممن كفر به وعبد النجوم، ومن اعتقد أن كل ما يحدث في الكون من خير وشر يأتي من

---

(١) تقوية الإيمان ص:٤٣

(٢) والكلام يتعلق بالأبدال

(٣) منصب امامت ص: ٦٢

(٤) النوء : النجم مال للغروب، أو سقوط النجم في المغرب مع الفجر وطلوع آخر يقابله من ساعته في المشرق" انظر قاموس المحيط ص: ٦٩

(٥) أخرجه البخاري ـ الاستسقاء ـ ١٠٣٨ـ انظر فتح الباري ٢/ ٥٢٢ ومسلم ـ الإيمان ـ ١٢٥

الله تبارك وتعالى كان عند الله من عباده الصالحين المقبولين الذين تبرءوا من عبادة النجوم والكواكب".

"وأيضا يدل الحديث على أن الإيمان بأن من الساعات ما تأتي بالسعد ومنها ما تأتي بالنحس وسؤال المنجم عن ساعة سعد ونحس والاعتماد الكلي على ما يخبر به من الشرك فان لها علاقة بالنجوم، والإيمان بالكواكب وتأثيرها من خصائص عباد النجوم "(١)

وفي فتح المجيد : " إذا اعتقد أن للنوء تأثيرا في إنزال المطر فهذا كفر، لأنه أشرك في الربوبية، والمشرك كافر، وإن لم يعتقد ذلك فهو من الشرك الأصغر، لأنه نسب نعمة الله إلى غيره، ولأن الله لم يجعل النوء سببا لإنزال المطر فيه، إنما هو فضل من الله ورحمته يحبسه إذا شاء وينزله إذا شاء"(٢)

ثم يقرر الشاه بأن النجوم مخلوقة لله، ليس لها تأثير في مجاري العالم وحوادثه، فمن اعتقد فيها هذا الاعتقاد فهو كافر، ويسلك مسلك الكفار، فيقول:" أخرج رزين عن ابن عباس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : من اقتبس بابا من علم النجوم بغير ما ذكر الله فقد اقتبس شعبة من السحر"(٣) والمنجم كاهن والكاهن ساحر والساحر كافر."

يقول في شرحه:" إن الله قد ذكر النجوم والكواكب في كتابه وهي تدل على حكمة الله وقدرته وقد جعلها الله زينة وجمالا للسموات الدنيا وهي رجوم للشياطين* ولم يذكر أن لها تأثيرا في ملكوت السماوات والأرض ولالها علاقة بسعادة البشر وشقاوتهم فمن عدل عما ذكره الله من فوائدها إلى ما لم تخلق له هذه النجوم واستدل بها على الغيب كما يفعل البراهمة من أخذ بعض الأخبار من الجن وإخبار الناس بها ويقال لها بالعربية الكهانة، فطريق المنجم والكاهن سواء والكهان يتوددون إلى الجن كما يفعل السحرة بالإيمان بهم وندائهم وتقديم

---

(١) تقوية الإيمان ص: ١٣٠- ١٣١

(٢) فتح المجيد ص: ٢٦٣

(٣) أخرجه أبوداود - الطب - ٣٩٠٥ وابن ماجة - الأدب - ٣٧٢٦ وأحمد ١/ ٢٧٧ وكلهم بلفظ من اقتبس علما من النجوم اقتبس شعبة من السحر" وهذا اللفظ صححه الألباني انظر صحيح الجامع الصغير (٦٠٧٤) والزيادة التي أوردها المؤلف رواها رزين،انظر جامع الأصول ١١/ ٥٧٦

* - يشير إلى الآية " وجعلناها رجوما للشياطين " الملك / ٥

النذور والقرابين إليهم، فهذا كله من الكفر فالمنجم والكـاهن والسـاحر كـل منهـم يتبـع طريـق الكفر".(١)

(١) تقوية الإيمان : ص ١٣١

المبحث الرابع : توحيد الربوبية يستلزم توحيد الألوهية

تقدم بأن الخصومة بين الأنبياء وأممهم لم تقع إلا في توحيد العبادة لله وحده و قرر ا لله عز وجل بأن من كان خالقا ومتصرفا وقادرا على كل أمر هو المستحق للعبادة وحده،

فالإيمان بتفرده في الخلق والتدبير مستلزم ألا يعبد إلا ا لله فجعل ا لله الأول دليلا على الثاني، وكانوا يسلمون في الأول وينازعون في الثاني ويتعجبون منه فيقولون ﴿أجعل الآلهة إلها واحدا إن هذا لشيء عجاب﴾*

وقرر الشاه واستدل به على إثبات التوحيد ورد الشرك فقال: " إذا اعتقد في أحد أن علمه محيط وتصرفه قاهر فلا بد أن يتذلل عنده ويفعل لديه أفعال التعظيم ويعظمه تعظيما لايكون من جنس التعظيمات المتعارفة فيما بين الناس وهو المسمى بالعبادة"(١)

ومعنى كلامه رحمه ا لله بأن اعتقاد العلم الشامل المحيط لكل شيء في أحد واعتقاد تصرفه القاهر على كل شيء يثمر التذلل والخضوع أمامه، يعني إذا اعتقد فيه صفات الربوبية فلابد أن يعتقد فيه صفات الألوهية، بأن يخضع ويتذلل أمامه ويعظمه تعظيما يليق به، وهذا الذي تُسمى بالعبادة.

ويبين التلازم فيما بينهما في معنى الربوبية فيقول:" معنى الربوبية أنه بلغ في رجوع الحوائج واستحلال المشكلات واستدفاع البلايا بمجرد الإرادة والقهر على الأسباب مبلغا استحق به غاية الخضوع والتذلل أي ليس للتذلل لديه والخضوع عنده حد محدود، فما من تذلل وخضوع إلا وهو مستحسن بالنسبة إليه وهو مستحق له"(٢).

ولاشك فإنه خلط معنى الربوبية بمعنى الألوهية لشدة التلازم فيما بينهما، ويثبت بأن كونه ربا يستحق كل خضوع وتذلل إلى أقصى الغاية، وأن كل تذلل وخضوع من غير حد محدود يستحسن عنده، ويشرح ذلك بمثال بأن الإيمان بالربوبية يستدعي توحيد الألوهية فيقول: " إن

---

* - سورة ص : ٥ انظر شرح العقيدة الطحاوية ص: ٧٦- ٨٦

(١) رد الإشراك ص: ١٧

(٢) المصدر السابق ص: ١٦

الله هو خالقنا وربنا ونحن نقر بذلك فوجب علينا أن لاننادي إلا إياه ولانستعين إلا بـه ومالنـا ولغيره؟ فمن كان عبدا للملك وخادما له انقطع إليه كليا ويصرف نظره عن كل ملك ورئيس فضـلا عـن وضيـع أوخسـيس، أيحسـن بنـا أن نكـون أقـل حيـاء وأضعـف وفـاء مـن المملـوك لمولاه؟"(١)

ويقرر في شرح الآية﴿ قل من بيده ملكوت كل شيء وهو يجـير ولايجـار عليـه إن كنتـم تعلمون سيقولون لله قل فأنى تسحرون﴾(٢)

"بأن العقل والفطرة تدل على وجود الرب القادر المطلق القاهر على الأسـباب، فمـن كـان بمثل هذه القدرة التي لايزاحمه أحـد في القـدرة، فالالتجـاء وطلـب الحوائـج إلى غـيره أمـر بـاطل لايسلمه عقل" ويقول بعد ما ساق صفات الرب التي لايشاركه فيها أحد من الخلق،".... فإذا كان الأمر كذلك كان طلب قضاء الحاجات من غير الله أمرا باطلا، وطلبا للمحال.(٣)

---

(١) تقوية الإيمان ص: ٦٤

(٢) سورة المؤمنون/ ٨٨ ـ ٨٩

(٣) تقوية الإيمان ص: ٦٤

الفصل الثاني: جهوده في بيان توحيد الألوهية

ويشتمل على ثلاثة مباحث:

المبحث الأول : أهمية توحيد العبادة

المبحث الثاني :شرح كلمة التوحيد ومعنى العبادة

المبحث الثالث : أفراد العبادة

المبحث الأول : أهمية توحيد العبادة

التوحيد وإخلاص العبادة لله وحده عقيدة أساسية في دين الإسلام، فلا وجود للإسلام بدون التوحيد، وسمي دين الإسلام توحيدا لأن مبناه على توحيد الله عزوجل في ذاته وصفاته وألوهيته(١)،ولتحقيق توحيد الألوهية خلق الله الخلق كما في قوله عزوجل ﴿وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون﴾(٢) أي يوحدوه بالعبادة (٣) فالعبادة هي التوحيد ومن لم يأت به لم يعبد الله (٤) والدليل عليه أن الخصومة بين الرسل وبين خصومهم لم يكن في إثبات الخالق المتصف بصفة الحياة والقدرة والتصرف في الكون، فإنما كانت الخصومة في توحيد العبودية، فمن لم يحقق هذا التوحيد لم يحقق الغاية التي من أجلها خلق.

الله أرسل الرسل وأنزل الكتب وأقام الحجج كلها لعبادة الله وحده، ومن أجلها وقعت الخصومة بين الرسل وبين أممهم،وفي تحقيق هذا التوحيد الذي غلط في مسماه طوائف من أهل الكلام والفلسفة والذوق والفناء (٥)

المطلب الأول : مقصود بعثة الرسل، الدعوة إلى توحيد العبادة

الشاه رحمه الله قد كان يهتم بتوحيد العبادة أيما اهتمام، وقد قرر في كثير من المواضع أهمية هذا التوحيد، وأنه أصل مقصود إرسال الرسل وإنزال الكتب، فيقول مؤكدا هذا المعنى: "قال الله تعالى"﴿ولقد أرسلنا نوحا إلى قومه إني لكم نذير مبين أن لاتعبدوا إلا الله إني أخاف عليكم عذاب يوم أليم﴾(٦) قد دلت الآية على أن الصراع بين المسلمين والكفار بدأ من عهد نوح عليه السلام، فما زال الصادقون من عباد الله ينهون عن أن يُعظَّم أحد من الخلق تعظيما

---

(١) انظر تيسير العزيز الحميد ص: ٣٢

(٢) سورة الذاريات /٥٦

(٣) فتح المجيد ص: ٣٢

(٤) انظر كتاب التوحيد مع فتح المجيد ص: ٣٣

(٥) انظر : التدمريةص: ١٧٩- ١٨٦

(٦) سورة هود / ٢٥ - ٢٦

يجدر با لله عزوجل، وعن أن تصرف إليه أعمال يقصد منها غاية التعظيم والذل و التواضع وهي مختصة با لله وظلت هذه الحرب قائمة بين الحزبين على قدم وساق"(١)

فالشاه يقرر بأن الحرب في تحقيق توحيد العبادة ظلت قائمة من عهد نوح عليه السلام بين المؤمنين المخلصين وبين من يشرك با لله عزوجل. ويقرر بأن ا لله عزوجل قد أخذ الميثاق بالتوحيد قبل أن يخلق الخلق ومنع من الشرك فيقول في شرح أثر أبي بن كعب رضي ا لله عنه(٢)"وقد تبين من هذا الحديث أنه قد سبق أمرا لله بالتوحيد والنهي عن الشرك لكل نسمة في عالم الأرواح، وما بعث الرسل ونزلت الصحف إلا لتبين ذلك وتؤكده، وقد يشير كلام الأنبياء الذين يبلغ عددهم إلى مائة ألف وأربعة وعشرين ألفا،(٣) وعلم الكتب السماوية التي يبلغ عددها إلى مائة وأربعة كتب إلى هذه النكتة(٤) وهو الاعتصام بالتوحيد وإخلاص الدين لله والابتعاد عن الشرك واتخاذ غيرا لله حاكما يتصرف في الكون واتخاذه ربا يطلب منه أن يحقق مطالبه ويسعف بحاجته".(٥)

ويقول في موضع بأن الشرائع كلها اتفقت على الدعوة بالتوحيد ونبذ الشرك، فيقول: " اتفقت جميع الشرائع على التوحيد ومنع الشرك، وكل ما عدا ذلك من السبل والطرق فهي طرق الضلال والهلاك قال تعالى﴿وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا نوحي إليه أنه لاإله إلا أنا فاعبدون﴾(٦)(٧)

---

(١) تقوية الإيمان ص: ١٠٠

(٢) سبق تخريج هذا لأثر .ص : ٩٣

(٣) ورد حديث صحيح يدل على هذا العدد من الأنبياء، انظر مشكاة المصابيح٣/١٢٢ بتعليق الشيخ الألباني

(٤) روى أبوذر حديثا طويلا عن رسول ا لله صلى ا لله عليه وسلم، وفيه أنه سأل عن عدد الكتب؟ فقال:مائة كتاب وأربعة كتب ... والحديث ضعيف جدا ، انظر الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان٢/٧٧

(٥) تقوية الايمان ص: ٦١

(٦) سورة الأنبياء ٢٥

(٧) تقوية الإيمان ص: ٥٨

فالشاه رحمه الله يقرر بأن جميع الأنبياء والرسل والكتب جاء ت تقرر هـذا المبدأ المهـم ألا وهو " الاعتصام بالتوحيد وإخلاص الدين لله والابتعاد من الشرك . وقد فصل شيخ الإسلام ابن تيمية هذا الموضوع في مواضع عديدة (١)

المطلب الثاني: أول واجب على المسلم تفقه معنى التوحيد والشرك

ثم إنه لما رأى بعد الناس من التوحيد الخالص وتورطهم في الشرك قرر بأنه يجب قبل كل شيء على المسلمين أن يتفقهوا في التوحيد لأنه رأس مال المسلم، فيقول: " إن الشرك قد شاع في هذا الزمن وانتشر وأصبح التوحيد الخالص غريبا ولكن معظم الناس لايعرفون معنى الشرك ويدعون الإيمان مع أنهم قد تلوثوا بالشرك وتورطوا فيه، فمن الواجب قبل كل شيء أن يفقه الناس معنى الشرك والتوحيد حتى يعرفوا حكمهما في القرآن وآثارهما في الحياة"(٢)

فإنه يوجب قبل كل شيء معرفة التوحيد وما يناقضه وهو الشرك، ويدل عليه وصية النبي صلى الله عليه وسلم لمعاذبن جبل لما أرسله الى اليمن فقال له:" إنك تقدم على قوم من أهل الكتاب فليكن أول ما تدعوهم إلى أن يوحدوا الله ....."(٣) فأول واجب هو الإيمان بالله وحده بإخلاص العبادة له ونفي الشرك عنه، و ما أحدثه الفلاسفة وأتباعهم من المعتزلة والمتكلمين من إيجاب النظر والمعرفة والشك، فليس هو طريق الأنبياء عليهم السلام.(٤)

المطلب الثالث: فضل التوحيد وثوابه

أما فضله فهو عظيم وثوابه جزيل بل التوحيد أساس لقبول الأعمال وردها، فالواجب على كل مسلم أن يعرف فضله وأهميته حتى لايأخذه الكسل في تحقيقه ولا يتهاون في شأنه فيقول الشاه وهو يقرر فضل التوحيد: " أخرج الترمذي عن أنس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: قال الله تعالى:" يا ابن آدم إنك لو لقيتني بقراب الأرض خطايا ثم لقيتني لاتشرك بي

---

(١) انظر مثلا الفتاوى ٢/ ٦ــ١٤

(٢) تقوية لإيمان ص: ٣٧

(٣) أخرجه البخاري ـ التوحيد ـ ٧٣٧٢ انظر فتح الباري١٣/ ٣٤٧

(٤) انظر التفصيل في الفتاوى ٢/ ١ـ ١٤ وفتح الباري ١٣/ ٣٤٩

شيئا إلا آتيك بقرابها مغفرة"(١) وقد دل هذا الحديث على أن الإنسان مهما أتى به من ذنوب واقترف من آثام وإن كانت تعدل ذنوب أكبر العصاة والمجرمين كفرعون وهامان ولكنه بريء من الشرك بدل الله سيئاته حسنات وآتاه مثل هذه الذنوب مغفرة، وأن جميع ذنوب العاصي تمحى وتغتفر ببركة التوحيد،(٢) كما أن للشرك شؤما وظلمة تطغى على جميع الحسنات وتحبط جميع العبادات وهذا هو الحق فإنه إذا وقر في قلب المؤمن أن لاإله إلا لله، لارب سواه ولاملجأ ولامنجأ إلا إليه وأن لامعقب لأمره ولارادّ لقضائه وليس له وكيل ولا شفيع إلا بإذنه فقد تطهر من أدران الشرك، فما صدر عنه من ذنب فهو من مقتضي البشرية، أو نتيجة النسيان والسهو ويستولي على قلبه الخوف من هذه الذنوب ويعاف هذه الذنوب ويستوحش منها حتى تضيق عليه الأرض بما رحبت وتضيق عليه نفسه، وكل من كان هذا شأنه غشيته رحمة الله ولطفه وكلما أكثر من الذنوب اشتدت به الكآبة والحزن وأحاطت به الوحشة فمن كانت قدمه راسخة في التوحيد، عملت ذنوبه ما لاتعمل عبادة غيره(٣) فكان الفاسق الموحد خيرا من المشرك، كما أن الوفي المقصر من الرعية خير من الثائر المتملق، لأن الأول نادم على تقصيره والثاني مغتر بخديعته ونفاقه وهو يحسب أنه يحسن صنعا"(٤)

أثبت الشاه للتوحيد أعلى الفضائل وأعظمها في هذه الفقرة، وأن الموحد اذا سلم من الشرك لايخلد في النار، كما تدل عليه أحاديث كثيرة منها: " من شهد أن لاإله إلا الله وأن محمدا عبده

---

(١) أخرج الترمذي بمعناه في سننه ـ الدعوات ٣٥٤٠ وقال الترمذي حسن غريب، وقد صححه بشواهده مخرج فتح المجيد انظر ص: ٧٨

(٢) قوله هذا ليس على إطلاقه، بل أهل السنة يعتقدون أن أهل الكبائر من أمة محمد صلى الله عليه وسلم لايخلدون في النار، هم تحت مشيئة الله سبحانه، إن شاء غفر لهم وإن شاء عذبهم ، انظر الفتاوى٨/ ٢٧٠

(٣) يدل عليه بما رواه مسلم في صحيحه عن أبي ذر قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إني لأعلم آخر أهل الجنة دخولا وآخر أهل النار خروجا منها رجل يؤتى به يوم القيامة، فيقال: أعرضوا عليه صغار ذنوبه وارفعوا عنه كبار ها فتعرض عليه صغار ذنوبه فيقال: عملت يوم كذا وكذا، كذا وكذا وعملت يوم كذا وكذا، كذا وكذا فيقول نعم، لايستطيع أن ينكر وهو مشفق من كبار ذنوبه أن تعرض عليه فيقال له: فإن لك مكان كل سيئة حسنة فيقول رب قد عملت أشياء لا أراها ها هنا، لقد رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم ضحك حتى بدت نواجذه. الإيمان ـ ٣١٤

(٤) تقوية لإيمان ص:٦٥-٦٦

ورسوله حرم الله عليه النار"(١) " فإن الله حرم على النار من قال لا إله إلا الله يبتغي بذلك وجه الله "(٢) وغيرها من الأحاديث كلها تدل على أن العبد إذا حقق توحيد العبادة واجتنب الشرك ستغفر له ذنوبه(٣)

(١) جزء من حديث أخرجه مسلم في صحيحه - الإيمان - ٣٩

(٢) أخرجه البخاري - الصلوة - ٤٢٥ ومسلم - المساجد ومواضع الصلاة - ٢٦٣

(٣) انظر تيسير العزيز الحميد ص: ٨٧

المبحث الثاني :شرح كلمة التوحيد ومعنى العبادة

المطلب الأول : في شرح كلمة "لا إله إلا ا لله"

يقول الشاه رحمه ا لله وهو يشرح كلمة التوحيد: " أخرج الشيخان عن ابن عمر قال قال رسول ا لله صلى لله عليه وسلم : بني الإسلام على خمس شهادة أن لاإله إلا ا لله وأن محمدا عبده ورسوله وإقام الصلوة وايتاء الزكوة والحج وصوم رمضان"(١) كثير من الناس يجهلون معناها بل يعتقدون ما يضاد تلك الشهادة ويدعون الإسلام، وليعلم أن الشهادة معناها إخبار ما ثبت عند الشاهد باليقين الكامل من غير شك وشبهة، فإذا أخبر بما شهده فهو صادق، وإن لم يثبت عنده باليقين التام ثم إذا شهد به فهو شاهد كذاب وإن كان الأمر كما زعم، كقول المنافقين في عهد النبي صلى ا لله عليه وسلم: نشهد أنك لرسول ا لله " و لم يكونوا يؤمنون بقلوبهم فكذبهم ا لله عزوجل لأنهم لم يؤمنوا بالقلوب إيمانا كاملا كما قال ا لله ﴿وا لله يشهد إن المنافقين لكذبون﴾(٢) فيقرر في هذه الكلمة بأنه إذا صدق بقلبه باليقين الكامل ثم تلفظ باللسان بان ا لله هو المستحق للعبادة وليس غيره وأن محمدا صلى ا لله عليه وسلم عبده ورسوله فاذا كان صادقا في نطقه يصبح الناطق به مسلما وإلا فلا ..... فمن آمن بقلبه واعترف بلسانه فكأنه يقول عن نفسه: بأني لست مشركا ولا عابد وثن أو نجم أوشيخ أو مرشد وأتبرأ من جميع الأديان من دين المجوس والصابئة والثنوية والهنود، لأنه اعترف وأقر بأنه لا معبود سوى ا لله عزوجل وبأني لا أعبد غيره...(٣)

ثم يقول بعد ذكر عدد من أنواع العبادات القولية والفعلية: فلا أحد يستحق شيئا من تلك العبادات سوى ا لله عزوجل ولا يستحق ذلك أحد لا كبير ولا صغير، ولا جسم أحد، ولا

---

(١) أخرجه البخاري ـ الإيمان ـ ١٨ انظر فتح الباري ٤٩/١ ومسلم ـ الإيمان ـ ٢١

(٢) سورة المنافقون /١

(٣) تذكير الإخوان ص: ٧٦

روحه، ولا أمير، ولا فقير، ولاملك، ولاجن، ولاغول، ولاسعالي، (١) ولا بيت ولامكان عبد فيه أحد، ولا علم لأحد، ولاتكية، ولازاوية، ولاكف ولاقدم، ولاصورة، ولاتمثال ولاقبر."(٢)

خلال هذا الشرح يثبت الألوهية لله عزوجل وينفي عمن سواه لأنها تشتمل على نفي وإثبات نفي الألوهية والربوبية عما سوى الله حتى من أعظم المخلوقات مثل الأنبياء والأولياء، وإثباتها لله وحده " وإلهية الله، هي مجموع عبادته على مراده نفيا وإثباتا علما وعملا جملة وتفصيلا (٣)

المطلب الثاني: تعريف العبادة

ويعرف العبادة التي اشتبه معناها على كثير من الناس فيقول: "العبادة هي غاية الإذلال لنفسه لغاية التعظيم لغيره (٤) ويعرفها في موضع: " والعبادة تعني الأمور التي خصها الله لتعظيمه وبينها للبشر حتى لايشركوا فيها غيرا لله"(٥) ويقول في موضع يبين أن الإيمان بالربوبية يستلزم عبادته فيقول: " إذا اعتقد في أحد أن علمه محيط وتصرفه قاهر فلا بد أن يتذلل عنده ويفعل لديه أفعال التعظيم والخضوع ويعظمه تعظيما لايكون من جنس التعظيمات المتعارفة فيما بين الناس وهو المسمى بالعبادة"(٦) ويمثل لبعض الأمور التعظيمية التي خصها لله لنفسه فلا يصرف لغيره، فيقول:"مثل السجود أو الركوع أو القيام بغاية الأدب وطواف بيته وإنفاق المال والصوم باسمه والنذر له وطلب الحوائج منه واللهج باسمه وقت الجلوس والقيام والاستعانة والتزام الورد والوظيفة باسمه والقتال مع من أنكر عبادته، فهذه كلها أعمال العبادة"(٧) "فشهادة العبد أن العبادة لايستحقها سوى الله عزوجل بمثابة قوله بأنه ثبت لدي باليقين الجازم بأنه لايليق

---

(١) كلمة غول وسعالي، تطلق على شيطان يأكل الناس، أو ساحرة الجن، انظر القاموس المحيط ص:١٣١١و ١٣٤٤

(٢) المصدر السابق

(٣) انظر عقيدة الشيخ محمد بن عبد الوهاب ص: ٣٤٠

(٤) تذكير الإخوان ص: ٧٦

(٥) تقوية الإيمان ص: ١٠٠

(٦) رد الإشراك ص: ١٧

(٧) تذكير الإخوان ص: ٧٦ و ١٧٨

صرف شيء من تلك العبادة إلى غيره، فلا أحد يستحق الحمد والشكر والنداء والدعاء عند الشدائد سوى الله عزوجل ولا يستحقها أحد لا شيخ ولاصغير ولاملك ولاجن ....(١)

فان كثيرا من لأمور التي ذكرها الشاه هنا قد رد عليها في باب مستقل بعنوان" باب ذكر رد بدعات الرسوم" وجعل فيها فصلا بعنوان " إفراط التعظيم"(٢)وذكر فيها الأعمال التعبدية التي يصرفها القبوريون إلىالمشائخ والكبار والقبور، فيجوزون الركوع والخضوع والسجود لها على أنها للتعظيم أي أنها سجدة تعظيمية ويستدلون عليها بسجود الملائكة لآدم وسجود إخوة يوسف، ليوسف عليه السلام وينفون أن تكون تلك الأعمال من العبادة بل هي من باب الإكرام والتعظيم، وقد استدل به السبكي(٣) واستند إليه النبهاني* ويتستر به كل خرافي(٤).

فأراد الشاه رحمه الله في تعريف العبادة أن يرد على هذا المعتقد فعرفها بأنها أمور خصها الله لنفسه وبينها للبشر فمن صرفها إلىغيره فقد أشرك وبهذا التعريف كأنه قضى على جميع ما يأتون من أفراد العبادة لغير الله .

---

(١) نفس المصدر

(٢) رد الإشراك ص: ١٢٢ وانظر شرحه في" تذكير الإخوان" .

(٣) هو تقي الدين السبكي والد التاج السبكي صاحب الطبقات، كان أشعري العقيدة وشافعي المذهب جوز شد الرحال لزيارة قبر النبي صلى الله عليه وسلم ورد على ابن تيمية في عدم تجويزه، وله مخالفات غيرها مع شيخ الإسلام ابن تيمية وتلميذه ابن القيم توفي ٧٥٦هـ انظر طبقات الشافعية١٠ /١٣٩ والأعلام ٤/ ٣٠٢

* - يوسف بن اسماعيل بن يوسف النبهاني، له كتب كثيرة تحامل على علماء السلف مثل شيخ الإسلام ابن تيمية وابن القيم وغيرهم توفي سنة ١٣٥٠ هـ الأعلام ٨ /٢١٨

(٤) انظر للتفصيل غاية الأماني في الرد على النبهاني ص: ٣٠ - ٣١

المبحث الثالث : أفراد العبادة

المطلب الأول : أنواع العبادة كلها حق لله والبشر يستحقون التعظيم دون العبادة

يقرر الشاه في موضع آخر بأن السجدة ونحوها من أفراد العبادة لايستحقها إلا الله عزوجل وأن الأنبياء والأولياء وإن كانوا يستحقون التعظيم ولكن ينبغي أن يكون من جنس تعظيم البشر وليس كتعظيم البشر للإله فيقول:

" أخرج أحمد عن عائشة رضي الله عنها، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان في نفر من المهاجرين والأنصار فجاء بعير فسجد له فقال أصحابه: يارسول الله! تسجد لك البهائم والشجر فنحن أحق أن نسجد لك فقال: أعبدوا ربكم وأكرموا أخاكم"(١) الحاصل من هذا الحديث أن الناس إخوان فمن ارتفعت منزلته وكبرت سنه كان بمنزلة الأخ الأكبر واستحق الإكرام الزائد والله رب جميع الناس وهو يستحق العبادة، وقد دل هذا الحديث على أن الأولياء والأنبياء والأئمة وأبنائهم والمشائخ والشهداء وعباد الله المقربين كلهم بشر وكلهم عباد عاجزون وإخوة لنا ولكن الله فضلهم وكرمهم فهم بمنزلة الإخوان الكبار الذين طعنوا في السن ونحن مأمورون بطاعتهم ونحن بالنسبة إليهم صغار فيجب أن لانعظمهم إلا كبشر لاكإله"(٢)

قرر في الفقرة السابقة بأن الله هو الرب الذي يستحق العبادة أما غيره من البشر مهما بلغوا من المنزلة الرفيعة فهم يستحقون التعظيمدون العبادة، وهي نكتة مهمة طالما غفل عنها الغلاة من الصوفية والشيعة والخرافيين فانهم قد عظموا البشر الأحياء والأموات تعظيما بلغوا بهم درجة الألوهية.

ثم إن هؤلاء القبوريين الغلاة يعتقدون في الأموات قدرات وتصرفات أكثر من الأحياء وقد لايقدسون الشخص في حياته مثل ما يقدسون بعد موته وهذه ظاهرة ملموسة في غالب البلدان الإسلامية، وذلك لتعلق قلوبهم بالقبور والمشاهد دون الله عزوجل، فيرد عليهم الشاه بحجة قوية

---

(١) أخرجه أحمد في مسنده ٦/ ٧٦ إسناده ضعيف، آفته علي بن زيد بن جدعان، وهو ضعيف مات سنة١٣١هـ انظر ميزان الاعتدال ١٢٧/٣ وتقريب التهذيب ص: ٤٠١

(٢) تقوية الإيمان ص: ١٤٧

بأن الحي مادام حيا يستلزمه صفات البشرية من العجز والضعف فكيف يتصف بصفات الألوهية بعد موته، فصرف العبادة اليهم حماقة.

المطلب الثاني : سرد أفراد العبادة

منها: السجود

ومن أنواع العبادة السجدة، فهي حق خالص لله عزوجل وهي صورة ظاهرة تدل على غاية الذل فلا يستحقها إلا الله، ويقرر الشاه هذا المعنى:"أخرج أبوداود عن قيس بن سعد قال أتيت الحيرة فرأيتهم يسجدون بمرزبان لهم فقلت: لرسول الله صلى الله عليه وسلم أحق أن يسجد له، فأتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت : إني أتيت الحيرة فرأيتهم يسجدون لمرزبان لهم فأنت أحق بأن يسجد لك فقال لي: أرأيت لو مررت بقبري أكنت تسجدله فقال: لا، فقال : لاتفعلوا"(١) وقد نبه النبي صلى الله عليه وسلم قيس بن سعد على أنه سيموت يوما ما (ويوارى جسده الشريف في اللحد)* فكيف يستحق السجود، إن السجود للحي الذي لايموت وملكه لايزول، وعلم من هذا أنه لايجوز السجود لحي ولاالميت ولاالقبر فان كل نفس ذائقة الموت والحي لايتخلى عن خصائص البشرية، فكيف يصير إلها يسجدله إذا مات، فالعبد عبد حيا وميتا"(٢)

يقول في موضع بأن السجود أعظم شعائر العبادة ولذا لايجوزلأحد غيره فيقول يردشبهة من جوزها:"قال الله تعالى﴿ لا تسجدوا للشمس ولاللقمر واسجدوا لله الذي خلقهن إن كنتم إياه تعبدون﴾(٣) وقد دلت الآية على أن السجدة من أعظم شعائر العبادة وهي مختصة بالله جل وعلا فلا تجوز لمخلوق وقد تساوى في هذه الصفة القمر والشمس والنبي والولي، ومن قال:إنه قد جاز السجود في الأديان القديمة لبعض المخلوقات، كما ثبت سجود الملائكة لآدم عليه الصلاة والسلام، وسجود يعقوب ليوسف عليه السلام فلا بأس أن نسجد لشيخ أو ولي فهذا

---

(١) أخرجه أبوداود في سننه ـ ٢١٤٠ـ وان كان في إسناد أبي داؤد ضعف إلا أن الحديث صحيح بطرق أخرى كثيرة انظر إرواء الغليل ٧/ ٥٤

* – من نسخة أردو حققه " غلام رسول مهر"طبعت من دار الإفتار بالرياض.

(٢) تقوية الإيمان ص: ١٤٩ ـ ١٥٠

(٣) سورة فصلت : ٣٧

باطل، وقد أبيح النكاح بالأخوات الشقيقات في شريعة آدم فهل يبيح هؤلاء المحتجون بهذه الدلائل أن يتزوج الإخوة أخواتهم"(١)

وقد ألقم الحجر بهذه الحجة لهولاء الذين يلبسون على العوام فيجوزون السجود وأفراد العبادة لغير ا لله عزوجل.

منها: التوكل

ومن تلك الأعمال التعبدية، التوكل علىا لله عزوجل فانه عبادة عظيمة وقد أمرا لله في عديد من المواضع كمافي الآية﴿وعلى ا لله فليتوكل المؤمنون﴾ * وفي الآية﴿ ومن يتوكل على ا لله فهو حسبه﴾** فان المؤمن بقضاء ا لله وقدره لا يلتفت إلا إليه ولايتوكل إلا عليه لإيمانه الجازم بأنه لاتقع صغيرة ولاكبيرة إلا بإرادته ومشيئتة، وإذا تعلق قلب العبد بغيرا لله يضطرب أمره وإيمانه فيتوجه إلى غيرا لله لقضاء حوائجه فيتوكل عليه ويرغب فيه، فأنكر الشاه رحمه ا لله هذه الأمور ودعا إلى اللجوء إلى ا لله والتوكل عليه في شرح حديث النبي صلي ا لله عليه وسلم فيقول: "أخرج ابن ماجة عن عمرو بن العاص قال: قال رسول ا لله صلى ا لله عليه وسلم: إن من قلب ابن آدم بكل واد شعبة فمن اتبع قلبه الشعب كلها لم يبال ا لله بأي واد أهلكه ومن توكل على ا لله كفاه الشعب"(٢)

يقول في شرحه: "ومن المشاهد أن الإنسان إذا رغب في شيء وتعلق قلبه به أو حلت به مصيبة فلم تنكشف، تشتت فكره وذهب في طلب المدد كل مذهب ... " ثم ذكر عددا من أنواع الشرك الذي يقع فيه من لايتوكل على ا لله حق التوكل ثم يدعو إلى التوكل علىا لله فيما لايقدر عليه إلا ا لله ببيان ثمراته فيقول:"وأما من توكل على ا لله و لم تشعب به المذاهب عده ا لله في عباده المقبولين وفتح ا لله عليه سبيل الهداية، وأذاقه حلاوة الإيمان ورزقه اجتماع الخاطر، وبرد اليقين، وهدوء النفس، مما لاسبيل إليه لمن تشتت فكره ولكن ضعيف العقيدة متفرق الهوى

---

(١) تقوية الإيمان ص:١٠١

* - سورة آل عمران: ١٢٢

** - سورة الطلاق :٣

(٢) أخرجه ابن ماجة ـ الزهد ـ ٤١٦٦ والحديث ضعيف، انظر سنن ابن ماجة ص: ٣٤٢

يتحمل الحزن والقلق من غير جدوى، والمؤمن المتوكل الموحد يعيش بالهدوء والطمأنينة والسكينة"(١)

جملة من أفراد العبادة:

ويبين أفراد العبادة بإرشاد العباد إلىما ينبغي لهم تجاه ا لله عزوجل فيقول:" ويجب على كل انسان أن يظل داعيا لله تعالى، خائفا منه، مستغيثابه، بائيا بآثامه بين يديه مؤمنا بربوبيته ونصرته لايعلم لنفسه إذا سرح بصره وأرسل خياله ملجأ ولاملاذا إلا ا لله ولايعتمد على نصرة غيره لأنه غفور رحيم سيفرج الكرب ويكشف الغم من فضله ويغفر الذنوب جميعا برحمته، ويأمر من يشاء بشفاعته فكما يجب عليه أن يفوض إليه جميع حاجاته ومآربه، يلزمه أن يكل إليه أمر نصرته وشفاعته يختار لها من يشاء ويأمر بها من يشاء، ولا ينبغي له أن يعتمد على أحد اعتمادا ينسيه الاعتماد على ا لله ويشغله عنه ويستهين بأحكامه ...."(٢)

ويذكر بعض أفراد العبادة التي يقع الإنسان في الشرك بها فيقول: " الشرك أن يأتي الإنسان بأعمال وأفعال خصها ا لله بذاته الرفيعة وجعلها شعارا للعبودية لأحد من الناس كالسجود لأحد والذبح باسمه والنذر له والاستعانة به في الشدة واعتقاد أنه حاضر وناظر في كل مكان وكل ذلك يثبت به الشرك"(٣).

ولاشك فإن دعاء ا لله والاستعانة به والخوف والتوكل والاعتماد ونحوها من العبادات التي ذكرها كلها عبادات خالصة، لايستحقها سوي ا لله عزوجل وكلها داخلة في معنى الألوهية، وهذا هوالحق والمنهج الصواب،يقول صاحب تيسير العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد:" وقد دخل في الإلهية جميع أنواع العبادة الصادرة عن تأله القلب لله بالحب والخضوع والانقياد له وحده لاشريك له فيجب إفرادا لله تعالى بها كالدعاء والخوف والمحبة والتوكل والإنابة والتوبة والذبح والنذروالسجود وجميع أنواع العبادة فيجب صرف جميع ذلك لله وحده لاشريك له

---

(١) تقوية الإيمان ص: ٩٦- ٩٧

(٢) تقوية الإيمان ص: ٩٢

(٣) المصدر السابق ص: ٤٣

فمن صرف شيئا مما لايصلح إلا لله من العبادات لغيرا لله فهو مشرك ولو نطق ب" لاإله إلا الله " إذ لم يعمل بما تقتضيه من التوحيد والإخلاص"(١)

ويسرد أفراد العبادة التي لايجوز صرفها إلا إلى الله سبحانه فيقول: "إن الله سبحانه خصص بعض أعمال التعظيم لنفسه وهي التي تسمى " عبادة" كالسجود، والركوع، والقيام بخشوع وخضوع، كوضع يده اليمنى على اليسرى، وإنفاق المال باسم من يعتقد فيه العظمة والكرامة، والصوم له، وقصد بيته من أرجاء بعيدة، وشد الرحال إليه بوجه يعرف كل من رآه إنه يروم بيته حاجا أو زائرا، والنداء باسمه في الطريق كالتلبية، والاجتناب عن الرفث والفسوق والقنص وصيد الحيوانات، والذهاب بهذه القيود والآداب، والطواف ببيته، والسجود إليه، وسوق الهدي إليه، وكسوذلك البيت، والوقوف على عتبته والإقبال على الدعاء، والاستغاثة والسؤال لتحقيق مطالب الدنيا والآخرة، وتقبيل حجر من أحجار هذا البيت، والالتزام بجداره، والتمسك بأستاره،(٢) وإنارة المصابيح حوله، والاشتغال بخدمته بالمجاورة كالكنس والإنارة والفرش والسقاية، وتهيئة أسباب الوضوء والغسل، وشرب ماء بئره تبركا، وصبه على الجسم، وتوزيعه فيما بينهم وحمله إلى من لم يحضر(٣) والمشي مدبرا عند العودة حتى لايجعل ظهره قبل البيت (٤)واحترام الغابة التي تقع حوله والتأدب معها حتى لايقتل صيدها ولايقطع شجرها ولايختلى عشبها وكلأها ولايرعى ماشية في حماها كل هذه الأعمال علمها رب العلمين عباده، وخصصها لنفسه فمن أتى بها لشيخ طريقة أونبي أو جني أو لقبر محقق أو مزور أو لنصب أو لمكان عبادة عكف فيه أحد الصالحين على العبادة أو لبيت أو لأثر من آثار أحد الصالحين يتبرك به أو شعار يعرف به أو يسجد لتابوت أو يركع له أو يصوم باسمه..." وذكر هنا عديدا من

---

(١) انظر ص: ٧٣ ـ ٧٤

(٢) هذا تسامح من المؤلف رحمه الله فإن الوقوف على عتبة البيت، وتقبيل حجر من الكعبة غير الحجر الأسود، والالتزام بجداره سوى ما كان بين الركن والباب (مناسك الحج والعمرة للألباني ص: ٢٣) والتمسك بأستاره، لم يرد عن النبي صلى الله عليه وسلم فيه شيء ولا من الصحابة والتابعين رحمهم الله والعبادة مبناها على الشرع فيجب أن لانعمل إلا بما شرع. يدل عليه قول عمر: إنه جاء إلى الحجر الأسود، فقبله، فقال: إني أعلم أنك حجر لاتضر ولاتنفع، ولو لا أني رأيت النبي صلى الله عليه وسلم، يقبلك ما قبلتك، رواه البخاري ـ الحج ـ ١٥٩٧ انظر الفتح ٤٦٢/٣

(٣) وقد ثبت شربه وحمله وصبه على المرضى، انظر مناسك الحج والعمرة للألباني ص: ٤٣

(٤) ولم يثبت في الشرع هذا العمل.

أفراد العبادة التي يشرك فيها الناس غيرا لله ثم قال: فقد يثبت بها الشرك ويسمى الإشراك في العبادة"(١)

ويقول أيضا: " النذر لله في الشدائد والهتاف بذكره عند كربة وضيق وافتتاح كل عمل باسمه والذبح له حين رزقهم ا لله ولدا شكرا لله تبارك وتعالى وتسميتهم بأسماء يلوح فيها التوحيد والعبودية، كعبدا لله وعبد الرحمن وخدا بخش، وا لله ديا وأمة ا لله، وا لله دي(٢) وتخصيص جزء من حواصل المزارع وثمار البساتين باسم ا لله تعالى وتخصيص جزء من المال والماشية ونذره لله تبارك وتعالى وتعظيم الهدى والقلائد لبيته يعني لايركبه ولايحمل عليه شيئا وامتثال أوامره والانتهاء عن نواهيه في المأكل والمشرب والملبس، واعتقاد كل مايصيبه من خير أوشر ومجاعة، ورخص وغلاء وصحة ومرض وفتح وهزيمة وسعد وشقاء وحزن وفرح كله في يده.... وإذا أراد أن يحلف يحلف باسمه إلى غير ذلك من علامات التعظيم وشعائره، فمن عظم مثل هذا التعظيم للأنبياء والأولياء والأئمة والشهداء والعفاريت والجنيات.......كل ذلك يثبت منه الشرك".(٣)

وهكذا قد حاول الشاه أن يذكر جميع أعمال العبادة وأفرادها التي وقع فيها الشرك من القبوريين وغيرهم ولايعتبرونها من الشرك ويعتذرون لأعمالهم بأنها تعظيم للأنبياء والأولياء والأئمة فرد عليهم الشاه بأن هذا النوع من التعظيم لايليق إلا با لله عزوجل فمن عظم غيره مثل تعظيمه فقد أشرك با لله، ثم عدد جميع الأعمال التعظيمية بأنها خاصة با لله عزوجل وبأنها من العبادة، وحكم على من يصرفها إلى غيرا لله بأنه مشرك.

---

(١) تقوية الإيمان ص: ٤٧ ـ ٤٩

(٢) هذه أسماء هندية تدل على التوحيد

(٣) تقوية الإيمان ص: ٤٩-٥٢

الفصل الثالث

جهوده في توحيد الأسماء والصفات

ويشتمل على مبحثين:

المبحث الأول : سبب قلة كلام الشاه في موضوع الأسماء والصفات

المبحث الثاني: إثبات جميع الصفات والرد على من يؤولها

المبحث الأول : سبب قلة كلام الشاه في موضوع الأسماء والصفات

الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين قد آمنوا بالله ورسوله وبما أنزل إليه إيمانا عن اقتناع وفهم، وآمنوا بما أخبر القرآن من الأمور الغيبية من الأسماء والصفات واليوم الآخر وأحواله وغيرها من الأمور الكثيرة، ولايظن فيهم أنهم آمنوا من غير فهم، ثم إن الصحابة والتابعين لم ينازعوا قط في مسألة واحدة من مسائل الأسماء والصفات مع وجود اختلافهم في المسائل الاجتهادية (١).

لم يطلع القرن الثاني إلا ونشأت بدعة الجهمية (٢)والمعتزلة(٣) وكلها تدور حول إنكار الأسماء والصفات و تعطيلها وامتدت هذه المباحث إلى قرون طويلة، فكان الأخذ والرد والمناظرات والمناقشات كلها تدور بين فرق المسلمين على مسائل الأسماء والصفات ثم على المسائل الكلامية من الجوهر والعرض والماهية والقدرة والاستطاعة ونحوها من المسائل المبنية على الفلسفة الوثنية اليونانية(٤)ولذا نرى السلف رحمهم الله في كتبهم ركزوا على رد هذه البدع ولم يكن الخلاف حول توحيد العبادة والربوبية، وبعد ما ظهرت عبادة القبور والمشاهد في قرون متأخرة كثرت جهود أهل السنة في ردها وإنكارها فركزوا على توضيح توحيد الألوهية بل إلى تعليم توحيد الربوبية أيضا، وهذه ظاهرة ملموسة في دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب أعظم الدعوة التي قامت أخيرا.

---

(١) انظر إعلام الموقعين ١/ ٤٩

(٢) تنتسب إلى جهم بن صفوان، تلميذ الجعدبن درهم الذي أسس بدعة خلق القرآن، أخذ منه الجهم وأضاف فيه بدعة إنكار الصفات والقول بالجبر وغيرها من البدع يقول الذهبي: وما علمته روى شيئا، لكنه زرع شرا عظيما، قتل سنة ١٢٨هـ انظر ميزان الاعتدال ١/٤٢٦

(٣) أسسه واصل بن عطاء البصري يسمون أنفسهم أصحاب العدل والتوحيد ينفون الصفات ويخرجون من الملة بالكبيرة، يقولون بأن العبد خالق أفعاله ونحوها من البدع المشهورة عنهم . انظر ترجمته في الميزان٤/٣٢٩ وعقائدهم في الملل والنحل للشهرستاني ص: ٤٣-٤٦

(٤) انظر بيان تلبيس الجهمية ١/ ٣٢٤

فكان أساس دعوته شرح كلمة التوحيد وما يناقضها من الشرك، وموضوع رسائله ومؤلفاته تدور غالبا حول شرح توحيد الألوهية ونقض الشرك الواقع فيه، لحاجة الأمة إلى فهمها دون غيرها من المسائل، ويظهر هذا جليا أن الذين خالفوه وعادوه إنما هو في مسائل توحيد العبادة غالبا دون مسائل الصفات(١) و لم يكثر كلامه عن مسائل الأسماء والصفات وقواعدها لأن حاجة الأمة إلى معرفة توحيد العبادة كانت أكثر منها.

وكذلك نرى الشاه رحمه الله بأنه قلما تطرق إلى مناقشة مسائل الأسماء والصفات وطبيعة دعوته أيضا لم تكن تقتضي الخوض في المسائل العلمية الدقيقة، لأن دعوته كانت موجهة إلى العوام دون العلماء وكانوا هم المخاطبين في مواعظه ومؤلفاته وخطبه، والعوام بفطرتهم لاينكرون صفات الله عزوجل، ويدل عليه بأن الذين عاندوه وخالفوه وكفروه وردوا عليه انما خالفوه في مسائل العبادة دون الصفات، ولا يزالون يخالفونه ويردون عليه في موضوع الألوهية والشرك ولكن المتأمل في مؤلفاته يرى بأنه يثبت لله عزوجل أسماء وصفات ومعانيها، فيقول يشرح الإيمان بالله " والمراد بالإيمان بالله أن يعتقد اعتقادا جازما بأن الله هو الخالق المالك الذي يقضي جميع حوائجه ويكشف غمومه ويرزقه، ويعتقد فيه جميع المحامد والمحاسن وجميع أوصاف الكمال وينزهه من جميع العيوب ويتوجه إليه في كل حال ويشكره في العسر واليسر....(٢)

لاشك هذا التفسير يشمل التوحيد بأقسامه الثلاثة، وإن لم يصرح بذلك، وينزه الله عزوجل عن مماثلة المخلوقين ومشابهتهم مع وصفه بصفات الكمال بل يجعل اتصافه بصفات الكمال ونفي المماثلة من أصل معنى الألوهية فيقول يبين معنى الألوهية:" ومعنى الألوهية : أن يعتقد في حقه أنه بلغ في الاتصاف بصفات الكمال من العلم المحيط أو التصرف بمجرد القهر والإرادة مبلغا جل عن المماثلة والمجانسة مع سائر المخلوقين"(٣)

الظاهر أنه مشى في هذا التعريف على الجادة وهي إثبات الصفات على قاعدة أهل السنة المعروفة " إثبات بلا تمثيل ونفي بلا تعطيل" فإنهم يثبتون صفات أثبتها الله ورسوله بلاكيف وينزهون الله عما نزه نفسه عنه ورسوله تنزيها بلا تعطيل .

---

(١) انظر دعاوي المناوئين لدعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب عرض و نقض

(٢) تذكير الإخوان ص: ٧٥

(٣) رد الإشراك ص: ١٦

فالشاه ينفي المماثلة والمجانسة بعد إثبات جميع صفات الكمال ويقول يقرر ذلك في مواضع عديدة بأنه لايجوز اطلاق صفة خاصة با لله عز وجل على المخلوق فيقول: "ومغزى الحديث(١) أن الكلمة التى لاتليق إلا با لله تعالى، والصفة التى خاصة به لايجوز أن يوصف بها غيره كملك الملوك ومالك العالم كله...(٢)

ومما يدل على منهجه السليم في الأسماء والصفات جوابه في المناظرة الواقعة بينه وبين خصومه(٣)وقد سألوه مدى إعمال العقل في القرآن والحديث، وأجاب مفصلا نهى فيه عن العقل الفلسفي(٤) ثم قال: " وإن إعمال العقل في آيات الصفات والمتشابهات لايجوز كإعماله في مفهوم آية﴿ الرحمن على العرش استوى﴾(٥) فاني اعتقد بأن لايتدخل فيه العقل(٦) وهذا أمر مشهور ومسلم بأن أئمة السلف كانوا يعتقدون هذا المعتقد" الاستواء معلوم والكيف مجهول" وهذا هو الثابت في باب الاستواء، واني أتذكر الآن بأن المتأخرين أولوا الآيات المتشابهات في" شرح عقائد نسفي"(٧) للرد على مطاعن الجهال والفرق الضالة"(٨)(٩)

---

(١) يشير إلى حديث نهى فيه النبي صلى ا لله عليه وسلم عن التكني بأبي الحكم لأن ا لله هو الحكم، أخرجه أبوداؤد ـ الأدب ـ ٤٩٥٥ والنسائي٨/ ١٩٩ الحديث صحيح انظر إرواء الغليل ٨/ ٢٣٧

(٢) تقوية الإيمان ص: ١٤٢

(٣) وقد سبقت تفاصيله في بيان " مؤلفاته" ص: ٤١

(٤) يقول المعلمي: "إن المآخذ أربعة سلفيان وهما الفطرة والشرع وخلفيان وهما النظر العقل المتعمق فيه، والكشف الصوفي، انظر القائد إلى تصحيح العقائد ص: ٣٧ وما بعده

(٥) سورة الأعراف / ٥٣

(٦) لعله يرى بأنه لاينبغي إعمال العقل في بيان الكيفية، وإلا فإنا نعلم استواء ا لله عزوجل على العرش بذاته، ونؤمن به.

(٧) وهو من أهم كتب " الماتريدية" ألفه أبو حفص نجم الدين عمر النسفي من أئمة الماتريدية، توفي ٥٣٧ هـ انظر ترجمته في الجواهر المضية ٢/ ٦٥٧ والفوائد البهية ١٤٩

(٨) اللجوء إلى التأويل تجنبا من معارضة المخالفين يفتح باب بدعة التأويل في النصوص، فيصبح رد بدعة ببدعة، تنشأ منها آثار سيئة للغاية.

(٩) هذا النص منقول ومترجم من مقالة الشيخ نسيم أحمد فريدي الذي رد فيها على من طعن في الشاه اسماعيل وكتابه تقوية الإيمان، والشيخ فريدي نقل هذا النص من مخطوط فارسي، ولكنه يرى بأن الشاه اسماعيل فوض المناظرة إلى زميله الشيخ عبد الحي ولم يكن هو موجودا، انظر (مجلة" الفرقان "

فإثباته صفة الاستواء التى اشتد فيهـا النزاع بين السلف وغيرهم على نهج أهل السنة والجماعة، نهج السلف، يدل على أنه لم يكن ينكر الصفات مطلقا مثل المعتزلة، و لم يكن يؤول الصفات النقلية التي يؤولها أهل الكلام من الأشاعرة والماتريدية، وصفة الاستواء لايثبتها أهل الكلام بحجة أن ا لله ليس محلا للحوادث، فإثبات الشاه لهذه الصفة دليل واضح على منهجه في الصفات، وهو إثباتها بلاكيف.

وهكذا قرر الشاه قاعدة عظيمة عليها مدار عقيدة أهل السنة والجماعة في جميع صفات ا لله عزوجل بأنها لاتكيف، فان بيان الكيفية تابعة لكيفية الذات فإذا لم تعرف كيفية الذات فلن تعرف كيفية صفاتها(١) لأن الكلام في الصفات فرع عن الكلام في الذات(٢) فأصبحت صفة الاستواء ميزانا لمعرفة منهج شخص ما في الصفات فمن أثبتها بلاكيف فهو لغيرها أشد إثباتا ومن أنكرها أو أولها فهو أقرب إلى انكار غيرها أو تأويلها. ويثبت العرش في شرح حديث "أطيط السموات كأطيط الرحل ..."(٣) بأن عظمة العرش فوق تصور المخلوق وخياله فيقول:" فجميع الأنبياء والأولياء أمام عظمة ا لله وجبروته أقل من ذرة وإن عرشه قد أحاط بالسموات والأرض كالقبة ليئط به أطيط الرحل بالراكب فليس في مقدرة مخلوق أن يشرح عظمته ولايمكن له أن يتخيلها".(٤)

الشهرية العدد الخاص في ذكر نسيم أحمد فريدي) (١٩٨٩م) بينما يرى العالم المؤلف السلفي الشيخ عزيز الدين أن الشاه وعبد الحي كانا يردان على خصومهم ونقل ذلك معتمدا على بعض النسخ من المخطوط" انظر: مطرق الحديد على صاحب التحقيق الجديد ص: ٧٥ وأكمل البيان في تأييد تقوية الإيمان ص: ٨٠١

(١) انظر شرح اعتقاد أهل السنة والجماعة للالكائ ٣/ ٣٨٧ وقد ذكر كثيرا من الآثار عن السلف هذا المعنى وكتاب التوحيد لابن منده ٣/ ١١٥

(٢) انظر " التدمرية " رسالة شيخ الإسلام ابن تيمية. ص: ٤٣ ـ ٤٦

(٣) الأطيط صوت الأقتاب، فكثرة ما فيها من الملائكة قد أثقلتها حتى أطت" انظر النهاية ٥٤/١ انظر تخريج الحديث ص: ٢١٣

(٤) تقوية الإيمان ص: ١٣٩

المبحث الثاني: إثبات جميع الصفات والرد على من يؤولها

الشاه رحمه الله قد أثبت صفات الذات والفعل، ورد على من يؤولها ردا شديدا ومن أوجه الرد عليهم بأن القول بتأويل الصفات طعن في النبي صلى الله عليه وسلم واتهامه بكتم العلم الأساسي وهو ما يتعلق بذات الله عزوجل وليس طعن في النبي فقط بل هو طعن في الله عزوجل أيضا بأنه أرسل لهداية البشر أناسا لم يبينوا الحق بل بينوا لهم مالا يليق بالله أصلا، وأن التأويل ليس من منهج أهل السنة الذين هم على طريقة الصحابة والتابعين فيقول: " والعجب أن أرباب الشرائع صلوات الله عليهم لم ينصبوا قرينة على صرف الكلام عن الظاهر و لم يذكروا مدة عمرهم قط عند أحد من أتباعهم المخلصين والمخلصين لا في السر ولا في العلن أن ظاهر هذا الكلام ليس بمراد بل لم يتكلموا بالحقيقة قط من أن الرب تبارك وتعالى منزه عما نسند إليه، كيف و لم يثبت حديث صحيح ولا ضعيف يطابق ما يدعيه هؤلاء من نفي أمثال تلك الأحكام عنه، فكأنهم ينسبون الإضلال إلى أرباب الشرائع نعوذ بالله، بل ينجر هذا إلى الاعتراض عليه تبارك وتعالى بأنه اختار لهداية الناس رجالا لم يكشفوا لهم قط عما هو العمدة من أبواب الهداية وهو الإلهيات بل علموهم مالا يطابق الواقع أصلا سبحانك هذا بهتان عظيم فأولئك قد خلعوا ربقة الشريعة من عنقهم فليسوا من أهل السنة في شيء وإن يسم بعضهم نفسه به، بل أهل السنة في الحقيقة هم الصحابة وأتباعهم فلسنا ننكص على أعقابنا بعد إذ سمعنا أن الرحمن على العرش استوى(١)وأنه ينزل في كل ليلة إلى السماء الدنيا(٢) وأنه يحول بين المرء

---

(١) صفة استواء الله على العرش لها أدلة عديدة من القرآن والحديث ولكن قد وردت سبع آيات بصيغة الاستواء على العرش . انظر الأعراف ٥٣: ويونس :٣ والرعد: ٢ وطه: ٥ والفرقان: ٥٩ والسجدة: ٤ والحديد: ٤ وهي تدل على جهة العلو أيضا.

(٢) أحاديث النزول كثيرة متواترة صحيحة انظر " كتاب النزول للدارقطني، فانه أفرد كتابا مستقلا وأورد فيه هذه الأحاديث عن عدة من الصحابة وقد خرج الألباني عن جمع من الصحابة في الإرواء ٢/١٩٤-١٩٩ ولشيخ الإسلام ابن تيمية كتاب باسم " شرح حديث النزول" مطبوع متداول.

ونفسه(١) وأنه نادى من جانب الطور الأيمن في البقعة المباركة من الشجرة أن يا موسى(٢). وأنه تجلى على الجبل فجعله دكا(٣)وأنه رآه محمد صلى الله عليه وسلم في منامه فوضع يده بين كتفيه حتى وجد برد أنامله بين ثدييه وقال يا محمد فيم يختصم الملأ الأعلى (٤) وأن العرش يئط

---

(١) يشير إلى قوله تعالى﴿واعلموا أن الله يحول بين المرء وقلبه و أنه إليه تحشرون﴾ الأنفال: ٢٤ ومن أقوال السلف في تفسيرها : أن الله يحول بين الكافر والإيمان وبين المؤمن والكفر ومنها: أن الله يحول بين المرء وعقله فلايدري ما يعمل ومنها : أنه قريب من قلبه فلا يخفى عليه شئ. ويقول الطبري: وأولى الأقوال بالصواب أن يقال: إن ذلك خبر من الله عزوجل أنه أملك لقلوب عباده منهم وأنه يحول بينهم وبينها إذا شاء حتى لايقدر ذو قلب أن يدرك به شيئا من ايمان أو كفر أو أن يعي به شيئا أو أن يفهم إلا بإذنه ومشيئته" انظر تفسير ابن جرير ٦/ ٢١٣

و وردت أحاديث كثيرة في هذا المعنى منها :ما رواه مسلم (٢٦٥٤) من حديث عبد الله بن عمر وبن العاص أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: إن قلوب بني آدم كلها بين إصبعين من أصابع الرحمن كقلب واحد يصرفه كيف يشاء"

(٢) يشير إلى قوله تعالى ﴿ وناديناه من جانب الطور الأيمن وقربناه نجيا﴾ مريم:٥٢ استدل به على كلام الله عزوجل لموسى رغم من ينكر هذه الصفة من الفرق الضالة، وناديناه: هو تكليم الله تعالى (انظر المحرر الوجيز ٤/ ٢٠ ويقول ابن كثير:..... فكلمه الله تعالى وناداه وقربه فناجاه " ٣/ ١٣١ ويقول: الأصبهاني في كتابه " فصل في إثبات النداء صفة لله عزوجل " ثم ساق الأدلة فيه، انظر الحجة في بيان المحجة ١/ ٢٦٩

(٣) يشير إلى قوله تعالى:﴿ فلما تجلى ربه للجبل جعله دكا ﴾ الأعراف:١٣ وقد أول المؤولون بأن معنى الآية، تجلى أمره وقدرته وسلطانه وعلمه. انظر(تفسير ابن عطية ٢/ ٤٥١ و"الرؤية"(رسالة ماجستير المطبوعة)ص: ٨٨ وهو مخالف لما فسر به أهل السنة والجماعة، بل الحق بأن الرب اطلع للجبل دون أمره وقهره، كما قال الطبري :" فلما اطلع الرب للجبل، جعل الله الجبل دكا" وقد ورد عن ابن عباس وغيره بأنه قال :" ما تجلى منه إلا قدر الخنصر" انظر الرويات العديدة في تفسير ابن جرير٦/٥٣ وتفسير ابن كثير ٢/ ٢٥٤ وفيه إثبات رؤية الله سبحانه خلافا لمن أنكرها بحيث إنه إذا جاز أن يتجلى للجماد الذي لاثواب له ولاعقاب فكيف يمتنع على أولياء ه في دار كرامته، انظر الطحاوية ص: ٢٠٧

(٤) هو طرف من الحديث ولفظه":...رأيت ربي في أحسن صورة، فقال فيم يختصم الملأ الأعلى يا محمد؟ قال: قلت أي ربي أي ربي مرتين فوضع كفيه بين كتفي فوجدت بردها بين ثديي فعلمت ما في السموات والأرض .... وقال فيم يختصم الملأ الأعلى يا محمد؟ ....يُستدل به على رؤية النبي

به أطيط الرحل بالراكب(١)وأنه يضحك (٢) ويتبشبش (٣) ويحب(٤) ويعادي(٥)ويرضى(٦) ويسخط(٧) ويتردد(٨) في قبض نفس عبده المؤمن وأنه بين العبد وبين قبلته في الصلوة(٩) وأنه

صلى الله عليه وسلم ربه تبارك وتعالى في الدنيا رؤية منامية، والحديث قد تعددت طرقه واختلفت الآراء في تصحيحها وتضعيفها وقد رواه الترمذي في سننه في تفسير سورة ص برقم(٣٢٣٣) ورواه الدارقطني بأسانيد عدة في " كتاب الرؤية" عن تسعة من الصحابة وبعضها صحيحة انظر" الرؤية" للدارقطني برقم (٢٢٧ إلى رقم ٢٥٨) والسنة لابن أبي عاصم برقم (٤٣٣ -٤٤٠) وقد صححها الشيخ الألباني وضعفه ابن خزيمة في كتاب التوحيد ١/ ٥٣٢ وقال الدارقطني ٦/ ٥٧ بعد ذكر أوجه الخلاف " ليس فيها صحيح وكلها مضطربة" وقد أفرده الإمام الحافظ ابن رجب في تأليف وسماه " اختيار الأولى في شرح حديث اختصام الملأ الأعلى" تكلم على طرقه واختلاف ألفاظه وشرحه شرحا كافيا و الكتاب مطبوع.

(١) يشير إلى حديث الاستسقاء الطويل وفيه(إن عرشه على سمواته لهكذا، وقال بأصابعه مثل القبة وإنه ليئط به أطيط الرحل بالراكب) أخرجه أبوداؤد في كتاب السنة ـ باب الجهمية (٤٧١١) انظر عون المعبود ١٣/ ٨ وقد فصل ابن القيم في بيان طريق هذا الحديث، وحكم بثبوته انظر، تهذيبه للسنن في حاشية عون المعبود ١٣/ ٩-١٣والحديث دليل على استوائه على العرش وجهة العلو لله سبحانه.

(٢) صفة الضحك صفة فعلية قائمة بالله سبحانه كما يليق بذاته وهي ثابتة في أحاديث صحيحة منها: ما ثبت في حديث طويل في الرؤية والشفاعة وفيه ذكر حال آخر من يدخل الجنة وطرفه(... فيقول : يارب لا تجعلني أشقى خلقك، فلا يزال يدعو حتى يضحك فاذا ضحك منه أذن له بالدخول فيها......" أخرجه البخاري ــ الرقاق ــ باب الصراط جسر جهنم (٦٥٧٣) انظر فتح الباري ٤٤٤/١١ومسلم في الإيمان (١٨٢)وفي قوله صلى الله عليه وسلم " يضحك الله إلى رجلين يقبل أحدهما الآخر يدخلان الجنة يقاتل هذا في سبيل الله فيقتل ثم يتوب الله على القاتل فيستشهد، أخرجه البخاري (٢٨٢٦) انظر فتح الباري ٦/ ٣٩ ومسلم (١٨٦٧)

(٣) تبشبش به، آنسه وواصله (القاموس المحيط : ٧٥٥) وفي النهاية : البش : فرح الصديق بالصديق واللطف في المسألة والإقبال عليه ١/ ١٣٠

وهو يشير إلى حديث صحيح رواه ابن خزيمة عن أبي هريرة رضي الله عنه يقول: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لا يتوضأ أحدكم فيحسن وضوءه ويسبغه ثم يأتي المسجد لايريد إلا الصلوة فيه إلا تبشبش الله إليه كما يتبشبش أهل الغائب بطلعته " صحيح ابن خزيمة (١٤٩١) ٢/ ٣٤٢، وأورده المنذري في الترغيب والترهيب ١/ ٢٠٨ وصححه الشيخ الألباني في صحيح الترغيب والترهيب١/١٩٤-١٩٥ وفي حديث آخر أن النبي صلى الله عليه وسلم قال:" لايوطن رجل المساجد

للصلاة والذكر إلا تبشبش الله عزوجل له كما يتبشبش أهل الغائب إذا قدم عليهم غائبهم " رواه ابن ماجة(٨٠٠)١/٢٦٢ وابن حبان في صحيحه (٣٠٩١) وابن خزيمة (١٥٠٣) والحاكم ١/ ٢١٣ وأحمد في مسنده ٢/ ٣٠٧، ٣٢٨. فالحديث دليل على ثبوت هذه الصفة لله تعالى.

(٤) صفة المحبة ثابتة لله عزوجل في القرآن والحديث وقد أخبر بأنه﴿ يحب المحسنين﴾ البقرة : ١٩٥ و﴿ يحب المتقين﴾ التوبة : ٤ و من الحديث قوله صلى الله عليه وسلم:" مهلا يا عائشة، فإن الله يحب الرفق في الأمر كله " رواه البخاري - ٦٠٤٤، انظر فتح الباري ١٠/٤٤٩ وسأله ابن مسعود أي العمل أحب إلى الله ؟ قال: " الصلاة على وقتها قلت: ثم أي؟ قال: بر الوالدين، قلت: ثم أي؟ قال الجهاد في سبل الله " أخرجه البخاري ٥٢٧/ فتح الباري ٢/ ٩

(٥) وهي صفة، مثل الحب والبغض والرضى، وقد وردت بها أحاديث منها: قوله صلى الله عليه وسلم: "من عادى عمارا عاداه الله، من يعاد عمارا يعاد الله، حم ٤/ ٨٩، ٩٠

(٦) وهي صفة فعلية من الصفات الفعلية لايثبتها إلا أهل السنة وينكرها أو يؤولها أهل الكلام وقد ثبت في القرآن في آيات عديدة منها قوله تعالى﴿ رضي الله عنهم﴾ (المجادلة: ٢٢) وقوله ﴿لقد رضي الله عن المؤمنين إذ يبايعونك تحت الشجرة...﴾(الفتح :١٨) ومن السنة ما جاء عن أفضل نعمة الله على أهل الجنة كما في الحديث.... قال: أحل عليكم رضواني فلا أسخط عليكم بعده أبدا.. .. أخرجه البخاري في صحيحه انظر فتح الباري ١١/ ٤١٥ ومسلم في صحيحه (٢٨٢٩)

(٧) وقد أسند الله إلى نفسه صفة السخط كما في قوله تعالي﴿ لبئس ما قدمت لهم أنفسهم أن سخط الله عليهم ﴾ المائدة ٨٠

(٨) يشير إلى حديث أخرجه البخاري دون أصحاب الكتب الستة - الرقاق - ٦٥٠٢ انظر فتح الباري ١١/٣٤١ عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إن الله قال: من عادى لي وليا فقد آذنته بالحرب. وفي آخره ....(وما ترددت عن شيء أنا فاعله ترددي عن نفس المؤمن يكره الموت وأنا أكره مسائته.) وقد رد هذا الحديث طوائف من المسلمين بحجة أن الله لايوصف بالتردد وانما التردد صفة من لايعلم عواقب الأمور.

ولكن كلام الله ورسوله حق فإن الله ليس كمثله شيء في ذاته ولافي صفاته ولافي أفعاله، وقد ورد به حديث صحيح يجب التسليم به على مراد الله. يقول شيخ الإسلام ابن تيمية في شرح الحديث" فبين سبحانه أنه يتردد لأن التردد تعارض إرادتين، وهو سبحانه يحب ما يحب عبده، ويكره ما يكرهه، وهو يكره الموت فهو يكرهه، كما قال: وأنا أكره مسائته، وهو سبحانه قد قضى بالموت فهو يريد أن يموت فسمى ذلك ترددا ، ثم بين أنه لابد من وقوع ذلك " الفتاوى ١٠/ ٥٩ ويقول في موضع " والله سبحانه قد قضى بالموت، فكل ما قضى به فهو يريده ولابد منه، فالرب مريد لموته لما سبق به

إذا حفظه عبده وجده تجاهه(١) وإن العبد لايزال يتقرب إليه بالنوافل حتى يصير سمعه وبصره ويده ورجله(٢) وأنه سيتجلى غدا في المحشر ويكلم العبد ليس بينه وبينه ترجمان(٣)

وأنه سيظهر في صورة لايعرفه المؤمنون بها ثم في أخرى يعرفونها (٤)وأنه سيرونه عيانا روية القمر ليلة البدر(٥)وسيصافح أو يعانق أمير المؤمنين عمر بن الخطاب(٦)وسيطلع عليهم في

قضائه، وهو مع ذلك كاره لمسائة عبده، وهي المساءة التي تحصل له بالموت، فصار الموت مرادا للحق من وجه مكروها له من وجه، وهذا حقيقة التردد" الفتاوى ١٨/١٣١

وانظر شرح صفة التردد بالتفصيل في الفتاوى ١٨/ ١٢٩ - ١٣١ وللشوكاني كتاب في شرح هذا الحديث باسم" قطر الولي في شرح حديث الولي" وانظر جامع العلوم والحكم ص: ٣١٣- ٣٢٥.

(٩) وهو حديث صحيح أخرجه البخاري بطرق متعددة في كتاب الصلوة برقم ٤٠٥، ٤٠٦، ٤١٣، ٤١٥ والحديث حق على ظاهره وهو سبحانه فوق العرش وهو قبل وجه المصلي بل هذا الوصف يثبت للمخلوقات، فان الإنسان لو أنه يناجي السماء أو يناجي الشمس والقمر لكانت السماء والشمس والقمر فوقه، وكانت أيضا قبل وجهه. انظر الفتاوى ٧/ ١٠٧

(١) يشير إلى وصية النبي صلى الله عليه وسلم لابن عباس بقوله : " يا غلام ألا أعلمك كلمات ينفعك الله بهن ؟ فقلت: بلى! فقال: احفظ الله يحفظك، احفظ الله تجده تجاهك ..." والحديث صحيح أخرجه أحمد في المسند ١ / ٢٩٣ و٣٠٣ والترمذي (٢٥١٨)في صفة القيامة، وابن أبي عاصم في السنة (٣١٦- ٣١٨) وغيرهم، ولابن رجب الحنبلي كتاب قيم في شرح هذا الحديث باسم (نور الاقتباس في مشكاة وصية النبي صلى الله عليه وسلم لابن عباس) والحديث دليل على المعية الخاصة لعباده الصالحين كما يقول ابن رجب في كتابه المذكور:" معناه أن من حفظ حدود الله وراعى حقوقه وجد الله معه في جميع الأحوال يحوطه وينصره ويحفظه ويوفقه ويؤيده ويسدده..." ص: ٢٢

(٢) يشير إلى حديث الولي الذي سبق تخريجه فمعنى الحديث بأن العبد إذا أخلص الحب لله وأصبح يتقرب إليه بالنوافل فلا يتحرك إلا في مرضاة الله عزوجل فحبه وبغضه لله ولايعطي إلا لله ولايمنع إلا لله ولايريد إلا ما يريده الله أمرا به ورضا ولايلتفت إلى عذل العاذلين ولوم اللائمين فهذه حال السابقين من أولياء الله انظر الفتاوى ١٠/ ٧٥٤ و١١/ ٧٦

(٣) وهو حديث صحيح متفق عليه رواه البخاري في مواضع عديدة منها في الرقاق - ٦٥٣٩ وفي التوحيد ٧٤٤٣ و ٧٥١٢ انظر فتح الباري ١١/ ٤٠٠ و١٣/ ٤٢٣ و٤٧٤ ورواه مسلم في الزكوة ـــ ١٠١٦ وفيه دليل على ثبوت صفة الكلام لله عزوجل.

(٤) وهو ثابت في حديث الشفاعة والرؤية المشهور، وهو حديث طويل جدا وطرفه " قال: هل تضارون في رؤية الشمس والقمر إذا كانت صحوا؟ قلنا : لا قال: فإنكم لاتضارون في رؤية ربكم يومئذ إلا

الجنة من فوق فيقول: السلام عليكم(١) وأمثال ذلك كثيرة لاتعد ولاتحصى ربنا آمنا بما أنزلت واتبعنا الرسول فاكتبنا مع الشاهدين. وما ادعاه اولئك من سلب أمثال هذه الأحكام عنه فليس لهم عليه حجة إلا ما هو أوهن من نسج العنكبوت".(٢)

وهكذا قد أثبت الشاه صفة الاستواء والنزول والكلام والرؤية واليد والعلو والضحك والتبشبش والحب والمعاداة والرضي والسخط والقرب وغيرها من الصفات الذاتية والفعلية التي جاءت بها النصوص، ورد على المؤولين الذين لايثبتون هذه الصفات لله عزوجل.

كما تضارون في رؤيتهما .... فيأتيهم الجبار في صورة غير صورته التي رأوه فيها أول مرة فيقول : أنا ربكم ... الحديث رواه جمع من الأئمة، رواه البخاري في صحيحه بأسانيد عديدة منها في كتاب التوحيد ـ باب قول الله تعالى : وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة ٧٤٣٤ ـ ٧٤٤٠ انظر فتح الباري ١٣/ ٤١٥ـ ٤٢٢ ومسلم في صحيحه ـ الإيمان ـ باب معرفة طريق الرؤية ١٨٢، ١٨٦ انظر شرح النووي٥/ ٢١

(٥) وهو نفس الحديث السابق

(٦) منهج أهل السنة في ذات الله وصفاته وصف ما وصفه الله ورسوله والسكوت عما لم يخبر الله عن نفسه ولارسوله وطريقتهم إثبات ما أثبته الله ورسوله من الصفات من غير تكييف ولاتمثيل ولاتشبه ولاتعطيل ولاتحريف، فإثباتهم من غير تشبيه، بل هم ينكرون التشبيه أشد الأنكار، فصفات الخالق على ما يليق به، وصفات المخلوق على ما يليق بذاته، و المصافحة والمعانقة لأحد من المخلوقين لم يثبت في آية ولافي أثر صحيح ولذا لايجوز وصف الله عزوجل بها، نعم: قد روى ابن ماجة في المقدمة عن أبي بن كعب قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: أول من يصافح الحق عمر، وأول من يسلم عليه، وأول من يأخذ بيده فيدخله الجنة ولكنه ضعيف، وقال ابن كثير في جامع المسانيد: هذا الحديث منكر جدا وما هو أبعد من أن يكون موضوعا، انظر سنن ابن ماجة ١٠٤ ١/ ٣٩ وأورده ابن القيم في " حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح" وقال: فهو حديث منكر جدا ص: ١٠ وضعفه الشيخ الألباني في ضعيف الجامع الصغير (٢١٤٩)

(١) يشير إلى حديث رواه ابن ماجة في سننه (١٨٤) ١/ ٦٥ والدارقطني في الرؤية برقم ٥١ ص: ١٦٦ والآجري ص: ٢٦٨ واللالكائي ٣/ ٤٣١ وغيرهم عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: بينا أهل الجنة في نعيمهم إذ سطع لهم نور فرفعوا رؤوسهم فاذ الرب تبارك وتعالى قد أشرف عليهم، فقال: السلام عليكم يا أهل الجنة، وهو قول الله عزوجل ﴿سلام قولا من رب رحيم﴾ يس: ٥٨ الحديث.

(٢) عبقات ٩٠ـ ٩١

ثم تطرق الشاه إلى أهم المسائل التي يخوض فيها المتكلمون إثباتا أو نفيا وهي الكلام في الجوهر والأعراض وحدوثها، واستنتاج حدوث العالم وإثبات الصانع بناء على حدوثها، وغيرها من المسائل التي خاضوا فيها وبنوا عليها إنكار الصفات أو تأويلها، ويوجبون تعلمها وتعليمها، **فيقول الشاه** يرد عليهم "ليعلم أن مسألة تجرد الواجب وبساطته حسب الذهن يعني تنزيه واجب الوجود عن الزمان والمكان والجهة والماهية، ومن التركيب العقلي، ومبحث العينية وزيادة الصفات وتأويل المتشابهات وإثبات رؤية بلا جهة ولامحاذاة، وإثبات الجوهر الفرد، وإبطال الهيولى والصورة والنفوس والعقول أو بالعكس، والكلام في مسألة القدر والقول بصدور العالم على سبيل الإيجاب وإثبات قدم العالم ونحوها مباحث أخرى من علم الكلام وإلهيات الفلاسفة، كلها من قسم البدع الحقيقية، إن اعتقد صاحبها أنها من الدين أو عدها من الدين وإن لم يعتقدها من العقائد الدينية فإنها أصبحت بالتأكيد من البدع الحكمية في هذا الزمن....(١)

الفلاسفة وأتباعهم يقدرون وجود الله عزوجل وجودا مطلقا ويعبرون عنه بأنه واحد بسيط من جميع جهاته ويقولون بأنه ليس مركبا من الوجود والماهية ومن الذات والصفات (٢) لأن إثبات الذات والصفات يستلزم التركيب على قولهم والمركب يفتقر إلى أجزائه والمفتقر إلى أجزائه لايكون واجبا، وقالوا متى ما أثبتنا معنى يزيد على مطلق الوجود كان تركيبا، فهذا التركيب الذي يقدرون في العقل ثم ينفون كونه مركبا، ثم إن الواحد البسيط الذي يقدرونه في الأذهان لاوجود له في الخارج أصلا فإن الذات إذا وجدت، وجدت بصفاتها الازمة وصفاتها لاتكون إلا بها(٣) فالشاه رحمه الله يرد بقوله " أن مسألة تجرد الواجب وبساطته في الذهن دون أن يكون له وجود في الحقيقة ...." ونحوها من المباحث التي بنى عليها أهل الكلام مذهبهم، بل يعتبرونه من أسس العقيدة، ويجعلها من البدع الحقيقية.

أما تنزيه الله تعالى من الجهة مطلقا، التي أشار إليها الشاه، أنكرها النفاة من الجهمية، والمعتزلة، والأشاعرة، والماتريدة، بناء على قاعدتهم الفاسدة، بأن كل ما كان في جهة فهو جسم، والله منزه من الجسم فليس له جهة علو وليس هو مستو على العرش، تعالى الله عما

(١) إيضاح الحق الصريح في أحكام الميت والضريح ص: ٢٣-٢٤

(٢) درء تعارض العقل والنقل ١/١٠٢

(٣) درء تعارض العقل والنقل ص: ١/٢٨٠وما بعده

يقولون علوا (١) ويقال لمنكرى الجهة بأن الجهة قد يراد بها أمر وجودي مخلوق، كما إذا أريد بها العرش أو السموات، وقد يراد بها أمر عدمي كما إذا أريد بها ما فوق العالم، فنفي الجهة بمعنى الأول صحيح لأن الله ليس حالا في شيء من مخلوقاته، وإن كان النفي بمعنى الثاني فهو باطل لأن الله عزوجل فوق العرش فوق السموات السبع، وتثبت له جهة العلو، وهو العلي المتعال،(٢)

ويشير الشاه رحمه الله بقوله" ومبحث العينية وزيادة الصفات "إلى مسألة مهمة وهي هل الصفات عين ذاته أو زيادة على الصفات" ولقد تخبط فيها المتفلسفة ومن تبعهم من الفرق الضالة الذين أنكروا الصفات.

ترى طائفة من الفلاسفة أن " الصفة هي الموصوف فجعلوا العلم عين العالم وجعلوا هذه الصفة هي الأخرى.." (٣) فيقولون إن العاقل والمعقول والعقل، والعاشق والمعشوق والعشق.. هو شيء واحد وإنه موجود واجب له عناية ويفسرون عنايته بعلمه أو بعقله ثم يقولون:" وعلمه وعقله هو ذاته،وقد يقولون : إنه حي عليم قدير مريد متكلم سميع بصير، ويقولون: إن ذلك كله شيء واحد فإرادته عين قدرته وقدرته عين علمه وعلمه عين ذاته وهذا صريح البطلان والفساد في العقول والمنقول، هؤلاء منتهاهم نفي الصفات ولوازم الذات، ولذلك يقررون الوجود المطلق بشرط الإطلاق، ومعلوم أن الوجود المطلق بشرط الإطلاق يوجد في الذهن دون الواقع فإن الإنسان المطلق بشرط الإطلاق لايكون إلا في الأذهان دون الأعيان، ومن هذه الفلسفة الباطنية نشأ مذهب غلاة الصوفية الوجودية القائلين بوحدة الوجود وذلك أن الوجود المطلق يطلق على كل وجود من غير فرق بين الواجب والممكن وبين الخالق والمخلوق كما أن الإنسان المطلق يطلق على هذا الإنسان وهذا الإنسان وعلى الذهني الخارجي، وهكذا فقد وقعوا في إلحاد أعظم من إلحاد النصارى(٤)

أما المعتزلة فقد توهموا بأن الصفات زائدة على الذات وزعموا أن إثباتها يستلزم تعدد القدماء، فأنكروا الصفات خوفا من تعدد القدماء. ومعلوم أن المحظور إثبات ذوات قديمة أما

---

(١) درء تعارض العقل والنقل ص: ١/٢٤٩-٢٥٤

(٢) انظر التحفة المهدية شرح التدمرية ص: ١٤٠

(٣) التدمرية ص: ١٧

(٤) درء تعارض العقل والنقل ص: ١/ ٢٨٢ -٢٩٠ والتدمريةص: ٤٠ - ٤٤

إثبات ذات موصوفة بصفات الكمال على ما يليق بجلاله مطلوب في الشرع ومفهوم في العقل، وبعض المتكلمين قالوا بزيادة الصفات على الذات، (١) "وهذا لفرط تحرزهم عن القول بتعدد القدماء حتى منع بعضهم أن يقال:" صفاته قديمة وإن كانت أزلية..."(٢) و ليس مقصودهم إثبات ذات مجردة عن الصفات بل قالوا بزيادة الصفات على الذات لما تصوروا في الذهن ذاتا مجردة عن الصفات وهي في الواقع غير موجودة.

أما الشاه رحمه الله فينكر على من يخوض في قضية الصفات هل هي عين الذات أو زيادة عليها، ويجعل الخوض في مثل هذه القضايا المحدثة من البدع الحقيقية،(٣) فينبغي للمسلم أن يجتنب منها، بل الواجب هو إمرار الصفات كما هي بلا كيف كما كان عليه أصحاب القرون المفضلة.

أما منعه من تأويل "المتشابهات"(٤)لأن الخوض في المتشابهات من علامات أهل البدع فإن مأخذهم ومصدرهم هو طلب المتشابهات من النصوص(٥) كما نصت عليه الآية﴿ فأما الذين في قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله﴾(٦) وقد حذر النبى صلى الله عليه وسلم من مثل هؤلاء كما في حديث عائشة أنها قالت" تلا رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه الآية﴿ هو الذي أنزل عليك الكتاب منه آيات محكمات هن أم الكتاب وأخر متشابهات...﴾ إلى قوله أولو الألباب﴾ قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فإذا رأيت الذين يتبعون ما تشابه منه فأولئك الذين سمى الله، فاحذروهم(٧)

---

(١) انظر شرح المقاصد للتفتازاني ٤/ ٦٩ ـ ٧٧

(٢) المصدر السابق ص: ٤/ ٧٠

(٣) لاشك أن الخوض فيها على وجه الباطل باطل، أما تناولها لإحقاق الحق ولإنتصار السنة، مطلوب ومحمود.

(٤) والمتشابه على قسمين :" أحدهما إذا رد إلى المحكم عرف معناه والآخر مالا سبيل إلى معرفة حقيقته فالمتتبع له مبتغ للفتنة" النهاية في غريب الحديث والأثر ص: ٢/ ٤٤٢

(٥) انظر الاعتصام للشاطبي " الباب الرابع في مأخذ أهل البدع"

(٦) سورة آل عمران / ٧

(٧) رواه البخاري ـ التفسير ـ ٤٥٤٧ انظر الفتح ٨/ ٢٠٩

"فمن كان سليم القلب ومستقيم المنهج يؤمن بمتشابهه ويعمل بمحكمه أما أهل الزيغ والضلال يأخذون من المتشابه الذي يمكنهم أن يحرفوه إلى مقاصدهم الفاسدة، وينزلوه عليها لاحتمال لفظه لما يصرفونه..."(١)

أما قوله " إثبات رؤية بلا جهة ولامحاذات" فهو قول الأشاعرة والماتريدية القائلين بالرؤية بلا جهة ولا مقابلة"(٢)

اشترط هؤلاء بعد إثبات الرؤية نفي الجهة والمقابلة وذلك بناء على قولهم الفاسد بأن الله لاتثبت له جهة العلو، فأنكروا علوه واستواءه على العرش ولذا يقول شيخ الإسلام: "فأما رؤية ما لانعاين ولانواجهه فهذه غير متصورة في العقل "(٣) فأثبتوا شيئا خياليا لايوجد في الواقع فأصبحت الرؤية التي يثبتونها لاحقيقة لها" (٤)لأنهم نفوا لازم الرؤية ونفي اللازم نفي لملزومها وهذا واضح جلي لدى أهل العلم " وإلا فهل تعقل رؤية بلا مقابلة؟ ومن قال : يرى لا في جهة فليراجع عقله "فإما أن يكون مكابرا لعقله وفي عقله شيء وإلا فإذا قال يرى لا أمام الرائي ولاخلفه ولاعن يمينه ولا عن يساره ولافوقه ولاتحته رد عليه كل من سمعه بفطرته السليمة"(٥)

وبقولهم هذا واعتقادهم بها وقعوا في بدعة شنيعة ولذلك رد عليهم الشاه رحمه الله وجعل إثبات الرؤية بلا جهة وبلا محاذاة من البدع الحقيقية، إن اعتقد صاحبها وجعلها من قضايا الدين، لأن الشرع لم يرد بهذا ولاتكلم به سلف الأمة، وإنما أحدثه المتكلمون المتخبطون في آراء الفلاسفة"(٦)

ثم إنه رد على من خاض في موضوع الجوهر، والهيولى والصورة والنفوس والعقول إثباتا أو نفيا. ولاشك إن الخوض في إثباتها وردها لم يكن معهودا عند سلف الأمة ومن انتهج منهجهم،

---

(١) تفسير ابن كثير في شرح الآية المذكورة ١/ ٣٥٣ وتفسير السعدي ١/ ٣٥٧

(٢) انظر شرح المقاصد ٤/ ١٧٩، ١٨١ ـ والصفات الإلهية ص: ٣٣٥

(٣) الفتاوى ١٦/ ٨٥

(٤) الفتاوى ٨/ ٣٥٦

(٥) شرح العقيدة الطحاوية ص: ٢١١

(٦) قطف الثمر في بيان عقيدة أهل الأثر ص: ١٤٠

ولذا يقول شيخ الإسلام ابن تيمية:" فإن إثبات الجوهر الفرد مما أنكره أئمة السلف والفقهاء، وأهل الحديث والصوفية وجمهور العقلاء وكثير من طوائف أهل الكلام.."(١)

الجوهر الفرد عندهم " كل ما كان متحيزا بذاته فهو جوهر وإن كان يقبل الانقسام فهو الجسم وإن لم يقبل الانقسام فهو الجوهر الفرد، ويعبر أيضا بالجزء الذي لايتجزأ "(٢) وأن الأجسام تتألف من أفراده بانضمام بعضها إلى بعض،أما الهيولى والصورة والنفوس والعقول يثبتها الفلاسفة، الجوهر إن كان حالاً في جوهر آخر فالمحل الهيولى، والحالّ الصورة يعني الصورة الجسمية، فالصورة عندهم هو ما كان طويلا عريضا عميقا(٣) فالجسم ما كان مركبا من الهيولى والصورة، ثم إن كان تعلقه بالجسم تدبيرا وتصرفا فنفس وإلا فعقل.(٤)

"السلف لم يذموا الكلام لمجرد ما فيه من الاصطلاحات المولدة كلفظ الجوهر والعرض والجسم وغير ذلك بل لأن المعاني التي يعبرون عنها بهذه العبارات فيها من الباطل المذموم في الأدلة والأحكام ما يجب النهي عنه"(٥)

المتكلمون بنوا أحكامهم على الجوهر والعرض، فإن الجوهر هو ما قام بنفسه واحتمل الأعراض، والعرض هو ما لايقوم بنفسه إنما يقوم بالجوهر، ثم إنهم قالوا بتركيب الأجسام وأنها مركبة بجواهر مفردة، وبنوا على هذه القاعدة كثيرا من الأحكام الشرعية فاختلفوا فيها اختلافا شديدا، فأولوا النصوص وحرفوها وأنكروها إذا رأوا مخالفة النصوص لما أسسوا من قواعدهم، وأعرضوا عن الكتاب والسنة ولجئوا إلى عقولهم القاصرة.

وقد لجئوا إلى طريقة الجوهر والعرض في إثبات وجود الله عزوجل أي إلى إثبات الصانع حسب قولهم، وذلك أن الأعراض حادثة أي وجدت بعد أن لم تكن، وأنها تستلزم الأجسام وما كان مستلزما للحادث فهو حادث، وأنكروا الصفات الإلهية بناء على هذه القاعدة.

ومعلوم بالضرورة أن الإقرار بوجود الله فطري ولايحتاج إلى هذا النظر المتعمق الفلسفي وأن الأنبياء عليهم السلام لم يدعوا إلى هذه الطريقة.

---

(١) درء تعارض العقل والنقل ٤/ ١٣٥

(٢) انظر شرح المقاصد ٣/ ٦

(٣) انظر هداية الحكمة ص: ٥٤

(٤) انظر شرح المقاصد ٣/ ٦

(٥) درء تعارض العقل والنقل ١/ ٤٤

أما العقول والنفوس التي أنكر عليها الشاه يتكلم بها المتفلسفة ويثبتون واجب الوجود الذي صدرت عنه العقول والنفوس والأفلاك .

والعقل عندهم الروح المجردة عن المادة أي من الجسم والنفس هي الروح المدبرة للجسم وإذا فارقت الجسم صارت عقلا محضا.

أما النفوس فقد اختلف في بيانها وأحكامها الفلاسفة المشّاؤون والطبيعون، وقد تباينت أقوالهم في الأنفس بأنها جوهر يتعلق بالجسم تعلق التدبير والتصرف وباقية بعد فناء الجسم. أما العقول فقد ذكروا " العقول العشرة" والنفوس التسعة، وحجتهم بأن الواجب واحد بسيط، والبسيط لايصدر عنه إلا واحد وهو الصادر الأول ويسمونه العقل الأول وأنه لوازم ذاته، وصدر العقل الثاني من العقل الأول، والعقول هذه هي المؤثرة في الأفلاك بمعنى أنها صدرت منها ولكل فلك عقل ونفس. وقد قالوا :" أن العقول المجردة العشرة هي الملائكة وأنها قديمة أزلية والعقل رب ما سواه، والعقل الفعال هو المبدع كل ما تحت فلك القمر وهو الذي يحدث جميع الحوادث.

هذه المعتقدات الباطلة والآثار الوخيمة التي نشأت بسبب هذه الفلسفة وعلم الكلام التي ينبني عليها، ولذا اشتد إنكار السلف على كل من اشتغل به، وقد عمموا قولهم:" بأن كل من طلب الدين بالكلام فقد تزندق..."(١) "ولايوجد في كلام النبي صلى الله عليه وسلم ولا أحد من الصحابة والتابعين، ولا أحد من الأئمة المتبوعين، أنه علق بمسمى الجوهر والجسم والتحيز والعرض ونحو ذلك شيئا من أصول الدين، لا الدلائل ولا المسائل"(٢)

كذالك الخوض في مسألة القدر على وجه الباطل التي بدعها الشاه رحمه الله،لأن الذين خاضوا فيه قد تخبطوا في عديد من المسائل منها: أن العبد خالق لأفعاله كقول المعتزلة، وذلك بناء على نفي القدر، ومنها القول بجبر العبد كقول الجهمية، بأن الإنسان لايقدر على شيء في الحقيقة إنما هو مجبور في أفعاله، والأشعري، وإن نسب الفعل الحادث إلى العبد وسماه كسبا ولكنه تابع للجهمية في المعنى(٣) وذلك أنهم جعلوا الإنسان مجبرا و مكرها أمام قضاء الله

---

(١) انظر أقوال السلف في ذم الكلام و أهله، الحجة في بيان المحجة ١/ ١٠٢وما بعده والإبانة لابن بطة٢/٥٣٤

(٢) درء تعارض العقل والنقل ١/ ٤٥

(٣) انظر " المسائل المشتركة بين أصول الفقه وأصول الدين ص: ١٣٩

وقدره فسلبوا من العبد اختياره، ومنها مسألة التكليف بما لايطاق، وقد قال بوقوعه وجوازه عدد من المتكلمين الأشاعرة(١) وكل هذا مخالف لما جاء به الشرع وما عليه أئمة الهدى وإنما التجأوا إلى هذا القول للرد على المعتزلة والذين لايقرون بأن الله خالق أفعال العباد، وهذا رد بدعة ببدعة، والباطل بالباطل(٢) فإن النبي صلى الله عليه وسلم قد نهى عن الخوض في القدر لما فيه من المضرة، وكره أئمة السنة الخوض في أمور لم تكن في عهد النبي والصحابة رضى الله عنهم أجمعين.

وقد ركز الشاه على صفة العلم الخاص لله عزوجل وصفة القدرة، وذلك بأن صفة العلم لها علاقة وطيدة بالألوهية ورد الشرك في الدعاء،وصفة القدرة لها علاقة عظيمة بتوحيد الربوبية ورد الشرك الواقع في التصرف. يقول شيخ الإسلام ابن تيمية: "صفات الكمال ترجع إلى "ثلاثة" : العلم، والقدرة والغنى، وإن شئت أن تقول : العلم، والقدرة، والقدرة إما على الفعل، وهو التأثير وإما على الترك وهو الغني، والأول أجود، وهذه الثلاثة، لاتصلح على وجه الكمال إلا لله وحده، فإنه الذي أحاط بكل شيء علما، وهو على كل شيء قدير، وهو غني عن العالمين".(٣)

وقد بوب بابا خاصا " رد الإشراك في العلم" للرد على الشرك الموجود بين الناس في توحيد الألوهية وذلك أن الإنسان عندما يلجأ أو يدعو أو يستغيث بأحد من قرب وبعد ويعتقد فيه أنه يعلم حاله في كل وقت فهذا الاعتقاد يوصل إلى عبادته. ولذا أراد أن يبين بأن العلم المحيط صفة خاصة لله عزوجل فعلمه شامل لكل شيء وغيره عاجز فمن أثبت لغير الله هذا العلم يصبح مشركا (٤).

ويثبت علم الغيب لله وحده وينفي عن جميع خلقه فيقول في شرح الآية﴿وعنده مفاتح الغيب لايعلمها إلا هو﴾* وأما شأن الإطلاع على الغيب فهو خاص بالله تعالى وهو يملكه

---

(١) المصدر السابق ص: ١٤٠

(٢) انظر درء تعارض العقل والنقل ١/ ٦٥

(٣) الفتاوى ٣١٢/١١

(٤) انظر للتفصيل تقوية الإيمان ص: ٤٦

* - سورة الأنعام / ٥٩

ويتصرف فيه كما يشاء وهو صفته الدائمة و لم يقدر وليا أو نبيا أو جنيا أو ملكا أو شيخا أو شهيدا أو إماما أو سليل إمام أو عفريتا أو جنية على أن يطلعوا على الغيب متى شاؤوا"(١).

وكذلك أثبت القدرة الشاملة غير المحدودة لله عزوجل،لإثبات ربوبيته أولا ورد الإشراك فيه ثانيا، لأن الاعتقاد في أحد بالقدرة الغيبية يستدعي أن يعبده(٢).

كذلك نرى في غضون كلامه ما يدل على أنه يثبت لله صفات ذاتية وفعلية من غير تشبيه كما يقول في صفة الغيرة :" فهو أغير من كل غيور وأقوى من كل قوي فيجب أن يخشى بأسه ويخاف سطوته"(٣)

ويشرح الحديث الذي فيه إثبات الأصابع لله على ظاهره بأن القلوب بين أصابع ا لله عزوجل يقلبها كيف يشاء ولذا ينبغي للعبد أن يخاف على نفسه(٤).

---

(١) تقوية الإيمان ص: ٦٨

(٢) انظر "توحيد الربوبية" من هذا البحث.

(٣) المصدر السابق ص: ٥٥

(٤) تذكير الإخوان ص: ١٠١ وأحاديث إثبات الأصابع صحيحة انظر السنة لابن عاصم ص: ١٠٤

الفصل الرابع : جهوده في توضيح الشرك في الألوهية تعريفه ومضاره وأقسامه وأنواعه وشبهات المشركين وإزالتها

ويشتمل على ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: الشرك تعريفه، وأقسامه، ودحض الشبهات فيه

المبحث الثاني : ذكر جملة من أنواع الشرك وسد الذرائع الموصلة إليها

المبحث الثالث: عودة الشرك القديم في الأمة وشبهات المشركين فيه

تمهيد

ضرر الشرك وخطورته:

إن معرفة الشرك وأقسامه وأنواعه وخطورته والتفاصيل فيه حتم لازم على كل مؤمن لأنه ينقض أصل الإسلام وأساسه ويضر أصل الإيمان الذي هو شرط أساسي في كونه مؤمنا، وإن معرفة ما يناقض التوحيد للحذرمنه حماية للتوحيد ولذلك كان حذيفة رضي الله عنه يسأل عنه فيقول: "كان الصحابة يسألون رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الخير وكنت أسأله عن الشر مخافة أن يدركني"(١) فإن من لايعرف الجاهلية يخشى عليه أن يقع فيها، كما قال عمر رضى الله عنه " إنما تنقض عرى الإسلام عروة عروة، إذا نشأ في الإسلام من لايعرف الجاهلية"(٢)

ولأهميته بذل الشاه رحمه الله جهودا عظيمة في التنبيه عليه وتوضيحه وتفسيره وبيان أنواعه وأحكامه بل صرف جل اهتمامه إليه وركز عليه في مؤلفاته وخطبه ومواعظه تركيزا بالغا لما كان يرى المجتمع حوله غارقا في جميع أنواع الشرك ظنا منهم أنه دين نزل به القرآن وجاءبه الرسول صلى الله عليه وسلم.

وقد جعل كتابه تقوية الإيمان بكامله في بيان التوحيد ورد الشرك، وجعل كتابه رد الإشراك للرد على موضوع الشرك، وكتب(مثنويين)(٣) أبياتا طويلة في موضوع التوحيد ورد الشرك، بعضها بالفارسية وبعضها بالأردية وكان لهما تأثير عظيم في التحذير من الشرك.

أعظم الذنوب الشرك با لله وهو محبط للأعمال:

الشرك خطره عظيم وضرره جسيم وهو أعظم ذنب عصي به الله وبه يُحبط الأعمالُ مهما بلغت من الكثرة والقيمة، بل يخرج صاحبه من الملة الحنيفية ويدخل في الكفر ويبقى في النار خالدا مخلدا لايخرج منها أبدا.

---

(١) أخرجه البخاري في الفتن ٧٠٨٤ انظر فتح البارِي ١٣/ ٣٥

(٢) الدرر السنية ١/ ٤٣٠

(٣) المثنوي من الشعر ، ماكان فيه كل سطرين بقافية واحدة ، معجم الوسيط ص: ١٠٢

يقرر الشاه هذه المعاني في صدد تحذيره من الشرك بقوله: قال ا لله تعالى﴿ إن ا لله لايغفر أن يشرك به ويغفر مادون ذلك لمن يشاء ومن يشرك با لله فقد ضل ضلالا بعيدا﴾(١) "اعلم أن الناس ينحرفون عن صراط ا لله المستقيم إذا غلبهم الهوى، وجمحت بهم النفوس، فمنهم من يميز بين الحرام والحلال ومنهم من يمارس سرقة أو يأتي بعمل من أعمال الفسق أو يترك الصلاة والصيام أو لايأتي بما فرض ا لله عليه من حقوق الأهل والعيال ولايحسن إلى والديه ويغلظ القول لهما ولكن من أشرك با لله فقد أشرف وظلم نفسه ظلما عظيما وقد جنى جناية لايغفرها ا لله وأما الذنوب والآثام الأخرى فعسى أن يغفرها ا لله برحمته ويتجاوز عنها ولكن الشرك لايغفر بل لابد أن يوفي جزاءه"(٢).

الشرك أحب إلى الشيطان من المعاصي:

يقرر الشاه رحمه ا لله في بيان ضرر الشرك بأنه أعظم ذنب إذ ينقض أصل التوحيد ولذا يحب الشيطان أن يقع الناس فيه دون المعاصي فيقول: " أخرج مسلم عن عبد ا لله بن عمرو قال: قال رسول ا لله صلى ا لله عليه وسلم: يخرج الدجال فيبعث إليه عيسى بن مريم، فيطلبه فيهلكه ثم يرسل ا لله ريحا باردة من قبل الشام ولايبقى على وجه الأرض أحد في قلبه مثقال ذرة من إيمان إلا قبضته، فيبقى شرار الناس في خفة الطير وأحلام السباع لايعرفون معروفا ولاينكرون منكرا فيتمثل لهم الشيطان فيقول: ألا تستحيون،فيقولون ماذا تأمرنا، فيأمرهم بعبادة الأوثان وهم في ذلك دار رزقهم، حسن عيشهم.(٣)

ومما ذكر في شرح الحديث".... يدل الحديث على أن الإنسان مهما غرق في المعاصي، وطرح رداء الحشمة والحياء، و لم يقصر في أكل أموال الناس بالباطل، و لم يميز بين الخير والشر كان أفضل من المشرك وممن يعبد غيرا لله،لأن الشيطان يرضى بأن يقلع الإنسان عن هذه السيئات ويكف عن الذنوب ويتمسك بالشرك"(٤)

---

(١) سورة النساء ١١٦

(٢) تقوية الإيمان ص: ٥٣

(٣) أخرجه مسلم في الفتن - ٢٩٤٠

(٤) تقوية الإيمان ص:١١٨

الشرك أعظم الظلم وأقبح العيوب:

الشاه رحمه الله نوع أساليبه في بيان خطر الشرك ومضرته وسلك مسالك عديدة لترسيخ قباحة الشرك وشناعته في قلوب المسلمين الذين تلوثوا بالشرك وتهاونوا بأمره وتقللوا من شأنه لمعايشتهم مع عباد الأوثان، بل زالت كراهته من القلوب مع أنها أقل درجات الإيمان بل ليس وراء ذلك حبة خردل من الإيمان، ولايوجد له الإنكار بقدرما يوجد لأصغر الذنوب التي تكفر بالصلوات والحسنات، وهذا انحراف عظيم وضلال مبين ولذا قد حاول الشاه أن يبين مضرته من ناحية الشرع ومن ناحية العقل والواقع بضرب الأمثال، فيقول:"﴿ وإذ قال لقمان لابنه وهو يعظه يابني لاتشرك با لله إن الشرك لظلم عظيم﴾(١)وقد وهب الله تعالى لقمان الحكمة العميقة والعقل السليم الذي تفطن به أن أكبر الظلم أن يجود الإنسان على أحد بحق غيره فمن أعطى حق الله لأحد خلقه فقد عمد إلى حق أكبر كبير فأعطاه أذل ذليل وكان كرجل وضع تاج الملك على رأس منبوذ(٢) فأي جور أكبر من هذا الجور وأي ظلم أعظم من هذا الظلم. واعلم أن كل مخلوق كبيرا كان أو صغيرا أذل من منبوذ أمام عظمة الله وجلالته وظهر من هذه الآية وشهدبه الشرع والعقل السليم أن الشرك من أقبح العيوب، وهذا هو الحق ومازال الناس يعتبرون إساءة الأدب إلى كبرائهم وساداتهم أكبر عيب، ولما كان تبارك وتعالى أكبر من كل كبير كانت إساءة الأدب إليه، والإشراك معه عيب ليس فوقه عيب وقد اتفقت جميع الشرائع على المنع من الشرك والأمر بالتوحيد وكل ماعداها من السبل والطرق فهي طرق الضلال والهلاك قال الله تعالى ﴿وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا نوحي إليه أنه لاإله إلا أنا فاعبدون﴾* (٣)

---

(١) سورة لقمان : ١٣

(٢) والمنبوذ في ديانة الهندوكية أذل مخلوق وذلك لاعتقادهم أن الإله لما أراد خلق العالم أخرج البراهمة من فمه، و"الشتري"من يده و"الويش" من بطنه و"الشودر" من أرجله، وهم الأنجاس المنبوذون أولاد شمترا، وكان من الشتري فغضب الإله ودعا على أولاده فصاروا من أرذل الناس، يحرم عليهم الدخول في المعابد والهياكل، لأن أرواح الآلهة تفر من لقائهم، ولايمكن الزواج بهم لأنهم ينجسون بمجرد المس فكيف بالزواج ..... انظر "مسألة المنبوذين في الهند" لعبد العزيز الثعالبي ص: ٦٨، و٧٦

* - سورة الأنبياء ٢٥

(٣) تقوية الإيمان ٥٨

الشرك يحبط الأعمال:

يقول الشاه محذراً من الشرك بأن مضرته عظيمة جدا وهي رد جميع الأعمال فيقول : "أخرج مسلم عن أبي هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: قال الله تعالى (أنا أغنى الشركاء عن الشرك، من عمل عملا أشرك فيه معي غيري تركته وشركه وأنا منه بريء)(١) والحديث دليل واضح على أن الله تبارك وتعالى لايقبل عملا أشرك فيه معه غيره فلا يقبل عبادة مشرك بل يتبرأ منها وليس شأنه شأن الذين يأخذون نصيبهم من الشئ المشترك بينهم وبين غيرهم فإنه أغنى من كل غني وأغير من كل غيور فلا يقبل إلا عملا خالصا منزها من الشرك، ليس لأحد فيه نصيب ولاحصة"(٢)

ويقول:" أخرج الترمذي عن أنس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: قال الله تعالى: " يا ابن آدم انك لو لقيتني بقراب الأرض خطايا ثم لقيتني لاتشرك بي شيئا إلا آتيك بقرابها مغفرة"(٣) وقد دل الحديث على أن الإنسان مهما أتى من ذنوب واقترف من آثام وإن كانت تعدل ذنوب أكبر العصاة والمجرمين كفرعون وهامان ولكنه بريء من الشرك بدل الله سيئاته حسنات..."(٤)

مضرة الشرك من ناحية العقل والواقع:

فبعد ما بين مضرة الشرك وحكمه من الشرع تطرق الشاه إلى ضرب مثال من الواقع حتى يقرب إلى الأفهام مضرته فيقول:" ومثاله أن الملك قد يعفو عن أناس من رعيته يرتكبون سرقة وعن أناس يقطعون الطريق على القوافل، أو يشنون غارة، ومنهم من يتكاسل عن الحراسة، أو الخفارة فينام عنها ومنهم من يتخلف عن حضور مجلس الملك ومنهم من يتولى عن ساحة الحرب ومنهم من يقصر في أداء الضرائب والخراج وواجبات الحكومة فلكل ذنب من هذه الذنوب عقوبات معينة عند الملك إن شاء أخذ بها وإن شاء عفا،وبإزاء هذه الجنايات جنايات تظهر منها الثورة على الملك والخروج عليه، مثل أن يبايع لأمير أو وزير أو عمدة قرية أو

---

(١) أخرجه مسلم في الزهد ـ ٢٩٨٥

(٢) تقوية الإيمان ص: ٥٩

(٣) تقدم تخريج الحديث ص: ٥٩

(٤) تقوية الإيمان ص: ٦٥ وكلامه ليس على إطلاقه، بل هم تحت المشيئة، انظر التعليق عليه ص:

موظف حكومي أو كناس أومنبوذ من أهل المهن الوضيعة والطبقات السافلة بالملك، فيصنع له إكليلا ويعد له عرشا أو يخاطبه " بجلالة الملك" و" ظل ا الله في الأرض" أو يأتى له بالتحيات التي يؤتى به الملوك، ويقف بين يديه كما يوقف بين يدي الملوك أو يحتفل بيوم جلوسه، كما تحتفل الرعية والشعب بيوم جلس فيه ملكهم على العرش وجرى تتويجه فيه(١) أو يقدم له نذرا كما يقدم للملوك(٢) فهذه الجناية أكبر وأعظم من كل جناية ومرتكبها لامحالة لاق جزاءه فكل ملك يستهين بشأن هذه الجنايات، ويغفل عن معاقبة هؤلاء المجرمين كان في ملكه ضعف ووهن، ينسبه العقلاء إلى قلة الحياء والغيرة وسقوط الهمة، أما مالك الملك عزوجل فهو أغير من كل غيور وأقوى من كل قوي فيجب أن يخشى بأسه ويخاف سطوته فكيف يتغافل عن المشركين وكيف لايوفيهم جزاءهم رحم ا الله جميع المسلمين ووقاهم من آفات الشرك"(٣)

---

(١) وقد اعتاد الملوك في الهند تعيين أيام للصدقات على المساكين ومن أهم تلك الأيام، اليوم الذي اعتلى فيه الملك على عرش السلطنة فيقيم كل سنة حفلة لذكرى جلوسه عليه فيوزن بالذهب والفضة ثم يوزع ذلك في الفقراء وكان الملك يختص بهذا الرسم.

(٢) وكان الوزراء وكبار الناس في المملكة إذا دخلوا على الملك في الهند يقدمون إليه نقدا بوضعه في الراحة اليمنى بطريقة مرسومة يسمى ذلك نذرا، وأحيانا يقبله الملك وأحيانا يضع يده عليه فيرد إليهم فيعتبرونه شرفا عظيما.

(٣) تقوية الإيمان ص:٥٣- ٥٦

المبحث الأول:تعريف الشرك، وأقسامه، والرد عليها، وإبطال الإشراك في صفة علم الغيب

المطلب الأول : تعريف الشرك وأقسامه

يقول الشاه :"إن العامة الذين يشركون مع الله أحدا من الخلق يزعمون أن الشرك هو مساواة المخلوق بالخالق بجميع الوجوه مع أن هذا الاعتقاد يأنفه البشر وليس من شأن الإنسان أن يتلوث به والشرك بالله ليس محصورا في أن يعتقد أن ما سوى الله شريك له في فعل من أفعال الربوبية فإن مشركي العرب الذين سماهم النبي صلى الله عليه وسلم بالمشركين وقاتلهم وأراق دماءهم وسبى ذراريهم ونهب أموالهم لم يكونوا مذعنين بهذا الاعتقاد بدليل قوله تعالى﴿ قل من بيده ملكوت كل شئ وهو يجير ولايجار عليه إن كنتم تعلمون سيقولون الله قل فأنى تسحرون﴾(١) وأمثال هذه الآية كثيرة جدا"(٢)ثم يثبت بأن الشرك الذي أبطله النبي صلى الله عليه وسلم وقاتل لأجله هو الشرك في الألوهية بصرف شئ من العبادات إلى غير الله فيقول:" إن الكفار الذين كانوا في عهد النبي صلى الله عليه وسلم لم يكونوا يعدلون آلهتهم بالله، بل كانوا يقرون بأنهم مخلوقون وعبيد و لم يكونوا يعتقدون أبدا، بأن آلهتم لايقلون عن الله قدرة وقوة، وهم والله في كفة واحدة فما كان كفرهم وشركهم إلا نداءهم لآلهتهم واتخاذهم لهم شفعاء ووكلاء، والنذور التي كانوا ينذرون لهم والقرابين التي كانوا يقربونها بأسمائهم، فمن عامل أحدا بما عامل به الكفار آلهتهم وإن كان يقر بأنه مخلوق وعبد كان هو وأبو جهل في الشرك سواء(٣)ولذا يعرف الشرك بأنه شرك في الألوهية فيقول: "معنى الشرك أن يشرك أحدا من سوى الله معه تعالى في الألوهية أو الربوبية"(٤)ويعرف بعبارة أوضح من هذا فيقول: " إ ن حقيقة الشرك أن يأتي الإنسان بأعمال وأفعال خصه الله بذاته الرفيعة، وجعلها شعارا للعبودية، لأحد من الناس كالسجود لأحد والذبح باسمه والنذر له .... وكل

---

(١) سورة المؤمنون : ٨٨ - ٨٩

(٢) انظر رد الإشراك ص: ١٣ - ١٤

(٣) تقوية الإيمان ص: ٤٣ وأيضا ص: ٨٢

(٤) رد الإشراك ص: ١٤

ذلك يثبت به الشرك ويصير الإنسان به مشركا وإن كان يعتقد أن هذا الإنسان أو الملك أو الجني الذي يسجد له أو يذبح أو ينذرله أو يستغيث به أقل من الله شأنا وأصغر منه مكانا وأن الله هو الخالق وهذا عبده وخلقه، لافرق في ذلك بين الأولياء والأنبياء والجن والشياطين والعفاريت، فمن عاملها هذه المعاملة كان مشركا. "وقد وصف الله اليهود والنصارى الذين غلوا في أحبارهم ورهبانهم مثل ما غلا المشركون في آلهتهم، وغضب على هؤلاء الغلاة المنحرفين كما غضب على غلاة المشركين فقال ﴿اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله والمسيح بن مريم وما أمروا إلا ليعبدوا إلها واحدا لاإله إلا هو سبحانه عما يشركون﴾(١)(٢)

أقسام الشرك:

وقد ابتكر الشاه رحمه الله تقسيما للشرك المنتشر بين المسلمين فجعله في أربعة أقسام بحيث يشمل جميع أقسام الشرك المعروفة بين العوام،و هذا التقسيم مفيد في توضيح أمور الشرك وتقريبه إلى أفهام الناس فيقول بأن الأعمال والصفات التي يختص بها الله عزوجل كثيرة وفي كل منها يطرأ الشرك ونذكر منها أربعة أقسام مهمة وهي:

١ـ الإشراك في العلم ٢ـ الإشراك في التصرف ٣ـ الإشراك في العبادة ٤ـ الإشراك في العادة .

ثم يقول : " وهذه الأنواع الأربعة من الشرك قد جاء ذكرها صريحا في القرآن والحديث"(٣)

الإشراك في العلم:

ويقصد بالإشراك في العلم بأن العلم المحيط الشامل لكل صغير وكبير وغائب وحاضر ومامضى وما سيأتي،صفة خاصة لله عزوجل لايشاركه فيها أحد فمن وصف غيره بهذه الصفة يصبح مشركا. كما يقول الشاه :" إن من شأن الله وحده أن يكون حاضرا وناظرا في كل مكان، يعلم مادق وجل، وما بعد وقرب وخفي وظهر، لاتخفى عليه خافية في أي وقت، لافرق في ذلك بين نور وظلمة وبين سموات وأرضين، وبين قلل الجبال وأغوار البحار، هذا الشأن لله

(١) سورة التوبة : ٣١

(٢) تقوية الإيمان ص: ٤٤

(٣) المصدر السابق ص: ٥٢

الذي لايعزب عنه مثقال ذرة وهذه صفة خاصة با لله تعالى لايشاركه فيها أحد فمن كان يلهج باسم أحد من الخلق ويناديه قائما أوقاعدا ومن قرب وبعد ويستصرخه ويستغيث به عند نزول البلاء ويحمل على الأعداء باسمه ويختم ختمة باسمه أو يراقبه ويصرف همته إليه متمثلا صورته كأنه يشاهده ويعتقد أنه إذا ذكر اسمه باللسان أو القلب أو تمثل صورته أو قبره علم بذلك وعرفه وأنه لايخفى عليه من أمره شيء وأنه مطلع على ما يحل به من مرض وصحة وعسر ويسر وموت وحياة وحزن وسرور ولاتنطق به شفتاه عن كلمة ولايجول بخاطره شيء إلا وعلم ذلك واطلع عليه كان بذلك مشركا وكل ذلك من أمور الشرك ويسمى هذا النوع " الإشراك في العلم" وهو إثبات صفة العلم المحيط لغير ا لله وإن كان هذا الإثبات لنبي أو ولي أو شيخ أو شهيد أو إمام أو ولد إمام(١) أو عفريت أو جنية سواء اعتقد أنه يعلم من ذاته أو يعلم أنه منحة من ا لله وعطية منه وقد استقل بهذا العلم وأصبح له صفة لاتنفك عنه كل ذلك شرك"(٢)

الإشراك في التصرف:

أما الإشراك في التصرف فيفسره الشاه بأنه :" يجب أن يعتقد الإنسان أن التصرف في العالم بالإرادة وإصدار الأمر والنهي، والإماتة والإحياء كما يشاء والبسط والقبض في الرزق والإفاضة بالصحة والمرض والفتح والهزيمة وتسخير القضاء والقدر للإنسان حتى يكون النصر دائما حليفه ويكون محظوظا ولاتزال أموره في إقبال أو بالعكس وإنجاح المطالب وتحقيق الأماني ودفع البلايا والإغاثة في الشدائد وانهاض العاثر هذه كلها من خصائص ا لله سبحانه وتعالى لايشاركه فيها أحد من الأنبياء والأولياء والشهداء والصلحاء والعفاريت ....فمن أثبت هذا التصرف المطلق لأحد منم وطلب منه حاجاته وقرب القرابين والنذر لأجل ذلك أوناداه في نازلة وبلية كان مشركا ويقال لهذا النوع الإشراك في التصرف سواء اعتقد أنهم يقدرون على ذلك بأنفسهم أو وهبهم ا لله تبارك وتعالى هذه القدرة ومنحهم هذه الكرامة"(٣)

---

(١) يقصد به أئمة الشيعة الذين يوصفون أئمتهم بصفات الألوهية وقد كانت هذه العقائد منتشرة في المسلمين لتأثرهم بالشيعة.

(٢) تقوية الإيمان ص: ٤٥

(٣) المصدر السابق ص: ٤٩

فهو يشير إلى توحيد الربوبية وما يقع فيه من الشرك، ولاشك فإن هذا النوع من الشرك قد وقع في المسلمين فأصبحوا يشركون مع ا لله في الربوبية التي لم يكن مشركوا مكة يشركون فيها.

الإشراك في العبادة:

أما الإشراك في العبادة، يشرحه الشاه بقوله" أن ا لله سبحانه وتعالى خصص بعض أعمال التعظيم لنفسه وهي التي تسمى عبادة كالسجود والركوع والقيام بخشوع وخضوع..... كل هذا الأعمال علمها رب العلمين عباده، وخصصها لنفسه فمن أتى بها لشيخ طريقة أو نبي أو جني أو لقبر محقق أو مزور، أو ..... فقدثبت به الشرك، ويسمى الإشراك في العبادة سواء اعتقد أن هذه الأشياء تستحق التعظيم بنفسها وأنها جديرة بذلك أو اعتقد أن رضى ا لله في تعظيم هذه الأشياء وأن ا لله يفرج الكرب ببركة هذا التعظيم".(١)

هذا شرك في توحيد الألوهية التي طالما وقع النزاع بين الأنبياء والرسل وأتباعهم ولايزال مستمرا إلى يومنا هذا.

الإشراك في العادات:

ويعرفه "بأن يعظم غيرا لله في الأعمال التي اعتادها تعظيما لايليق إلا با لله "(٢) ثم ذكر أعمالا كثيرة ومعتقدات عدة تعود عليها الناس في حياتهم العادية كلها تنم عن الشرك(٣)

ويفسره بأنه ينبني على عقيدته في الألوهية والربوبية فيقول:" إذا اعتقد أحد أن معبوده عالم بالعلم المحيط، متصرف بالتصرف القهري لاجرم أنه يعظمه في أثناء مجاري عاداته بأن يميز ما ينتسب إليه كاسمه وبيته ونذره وأمثال ذلك من سائر الأمور بتعظيم ما"(٤)

ويقول بعد ذكر هذه الأقسام" وقد رد ا لله تعالى في محكم كتابه أولا وعلى لسان نبيه صلى ا لله عليه وسلم ثانيا على جميع أنواع الشرك على أصوله وفروعه وذرائعه وأبوابه ومجمله ومفصله"(٥)

---

(١) المصدر السابق ص: ٤٧

(٢) تقوية الإيمان ص: ٥٢

(٣) انظر التفصيل في المصدر السابق ص: ٤٩- ٥٢

(٤) رد الإشراك ص: ١٥

المطلب الثاني: رد الإشراك في صفة علم الغيب، ونفيها عن جميع الخلق

الذين يصرفون بعض العبادات إلى القبور والمشائخ والأئمة من القبوريين والخرافيين، يعتقدون فيمن يعبدونهم بأنهم يعلمون الغيب ولاتخفى عليهم خافية في السماء ولافي الأرض ويدعون بأن الأولياء والمشائخ يعلمون ما في اللوح المحفوظ، فكأنهم يساوون المخلوق بالخالق في صفةالعلم المحيط الشامل (١)

فيرد عليهم الشاه رحمه الله فيقول:" قال الله تعالى﴿ وعنده مفاتح الغيب لايعلمها إلاهو﴾(٢) هذه الآية تدل على أن مفتاح الغيب بيد الله سبحانه وتعالى لايعلمها أحد سواه واعلم أن الله تعالى قد وهب عباده قوى ووسائل للاطلاع على أمور ظاهرة فجعل لهم العين ليبصروا والأذن ليسمعوا والأنف ليشموا واللسان ليذوقوا واليد ليجسوا والعقل ليفهموا وقد مكنهم من هذه الطرق والوسائل ليستخدموها في حاجاتهم فكلما أراد الإنسان أن يبصر فتح عينه وإلا أطبقها وإذا أراد أن يتذوق شيئا أدخله في فمه إن شاء فعل وإن لم يشأ لم يفعل فكأنما أعطاه مفاتيح للاطلاع على هذه الأشياء واكتشافها ومن كان عنده مفتاح كان قادرا على فتح القفل إن شاء فتح وإن شاء لم يفتح فكان الاطلاع على الأمور الظاهرة في تصرف الناس وكانوا أحرارا فيه يتصرفون فيه كيف يشاؤون.

وأما شأن الاطلاع على الغيب فهو خاص بالله تعالى وهو يملكه ويتصرف فيه كما يشاء وهو صفته الدائمة ولم يقدر وليا أو نبيا أو جنيا أو ملكا أو شيخا أو شهيدا أو إماما أو سليل إمام أو عفريتا أو جنية على أن يطلعوا على الغيب متى شاؤوا، إن الله قد يطلع من يشاء على ما يشاء ومتى يشاء ولايجاوز علمه ما أراد الله اطلاعه عليه مثقال ذرة، وكان ذلك وفق إرادة الله تعالى لاهواهم"(٣)

---

(٥) رد الإشراك ص: ١٥

(١) انظر البريلوية / فصل في معتقداتهم ص: ٥٥

(٢) سورة الأنعام :٥٩

(٣) تقوية الإيمان ص: ٦٦ - ٦٧

ثم استدل على نفي علم الغيب من المخلوق بما كان عليه حال النبي صلىا لله عليه وسلم من عدم علمه في قصة الإفك التي أوذي بها النبي صلى ا لله عليه وسلم ولم يعرف حقيقتها حتى نزل الوحي، وبعد ذكر القصة يقول: " فعلم من ذلك يقينا أن مفتاح الغيب بيد ا لله سبحانه، ولم يملكه أحد غيره وليس له خازن بل هو الذي يفتح هذا القفل بيده، فيهب لمن يشاء ما يشاء لايمسك أحد يده ولايمنعه عن ذلك أحد"(١)

وقد ركز على نفي علم الغيب عن النبي صلىا لله عليه وسلم خاصة وعن الأنبياء والأولياء وغيرهم عامة فيقول الشاه رحمه ا لله :" وقد نفي ا لله عزوجل القدرة المطلقة والاستقلال بعلم الغيب عن النبي صلى ا لله عليه وسلم بقوله﴿ قل لاأملك لنفسي نفعا ولاضرا إلا ماشاء ا لله ولوكنت أعلم الغيب لاستكثرت من الخير وما مسنىالسوء إن أنا إلا نذير وبشير لقوم يؤمنون﴾*

"وكان النبي صلى ا لله عليه وسلم سيد الأنبياء والمرسلين وقد شاهد الناس معجزاته الباهرة، ومنه تعلموا أسرار الدين، وغوامض الأمور وباتباعه واقتفاء أثره نال من نال الشرف في الناس والمنزلة عند ا لله، فأمره بأن يخبرالناس بخبره حتى يقيس به الناس غيره فإذا كان هو لايقدر علىشيء ولايعلم الغيب فلا يملك لنفسه نفعا ولاضرا ولو كان يعلم الغيب عرف عواقب الأمور، فإذا عرف عن أمر أن فيه خيرا أقدم عليه وإذا عرف أنه لاخير فيه أمسك عنه"(٢) وكذلك نفي النبي صلى ا لله عليه وسلم عن نفسه القدرة المطلقة والعلم بالغيب، إنما أكرمه ا لله بالرسالة وشرفه بالنبوة....." ثم ذكر وظائف الرسل وسبب كرامتهم ومنزلتهم وبين بأن ا لله شرف الأنبياء والأولياء علىالخلق لأعمالهم الصالحة ودعوتهم إلى الحق والتوحيد وهدايتهم للناس ثم يقول :"وليس شرفهم بأن يمنحهم ا لله قدرة التصرف في العالم فيميتون من يشاؤون أو يرزقون أولادا... وكذلك ليس شرفهم بأن ا لله تبارك وتعالى مكنهم من علم الغيب فيطلعون

---

(١) تقوية الإيمان ص:٦٩

*- سورةالأعراف : ١٨٨

(٢) كما جاء في الحديث الصحيح:" ولو استقبلت من أمري ما استدبرت، ما سقت معي الهدي".انظر صحيح البخاري في الحج ـ ١٦٥١

على خواطر النفوس متى شاؤوا ... فقد تساوى في ذلك جميع الناس صغارهم وكبارهم وهم عن ذلك في عمى..."(١)

وبهذا التفصيل أثبت الشاه رحمه الله بأن اللجوء إلى الخلق وطلب الدعاء منهم ونداء هم كله باطل لايستسيغه عقل ولايجوزه شرع ولذا وجب على الجميع الرجوع إلى الله عزوجل في كل صغيرة وكبيرة.

ثم إنه فصل في نفي علم الغيب عن غير النبي صلى الله عليه وسلم مستدلا بأحاديث منها" أخرج البخاري عن الربيع بنت معوذ قالت: جاء النبي صلى الله عليه وسلم فدخل حين بني علي فجلس على فراشي كمجلسك مني فجعلت جويريات لنا يضربن بالدف ويندبن من قتل من آبائي يوم بدر إذ قالت إحداهن: وفينا نبي يعلم ما في غد، قال: دعي هذه وقولي بالذي كنت تقولين"(٢)وفي هذا الحديث دلالة واضحة على أن لايعتقد الإنسان في نبي أو ولي وإمام أو شهيد أنه يعلم الغيب بل لايصح هذا الاعتقاد في رسول الله صلىالله عليه وسلم ولايصح أن يمدحه بذلك في شعر أو كلام أو خطبة..."(٣)

كما استدل بقول الله عزوجل﴿إن الله عنده علم الساعة وينزل الغيث ويعلم ما في الأرحام وما تدري نفس ماذا تكسب غدا وما تدري نفس بأي أرض تموت إن الله عليم خبير﴾(٤) فاذا كان هذا شأن القيامة التي هى من الأمور القطعية وضروريات الدين، لايعلمها أحد، فما ظنك بغيرها من الأخبار والحوادث كالفتح والهزيمة والسقم والصحة فإنها لم تشتهر كاشتهار القيامة و لم تكن هي قطعية ويقينية كالقيامة، كذلك لايعرف أحد متى ينزل المطر مع أن الفصول محددة ومعينة، وللمطر فصل وحين، وتجيئ فيه الأمطار في غالب الأحيان، وقد تشتد إليه حاجة البشر ويتمناه الأنبياء والأولياء والملوك والحكماء في بعض الأحيان ويرغبون فيها أشد الرغبة، فلوكان إلى العلم به سبيل لاهتدى إليه بعض الأفراد أما الأشياء التي ليس لها فصل معين وجميع الناس يرغبون فيها كأن يموت رجل أو يعيش أو يرزق أحد ولدا أو يغني الإنسان أو يفتقر أو أن ينكسر أحد في حرب أو ينتصر فلا سبيل إلىعلمها لأحد، وكذلك ما

---

(١) تقوية الإيمان ص: ٧٥- ٧٧

(٢) أخرجه البخاري في المغازي - ٤٠٠١

(٣) تقوية الإيمان ص: ٧٨

(٤) سورة لقمان : ٣٤

كان في الأرحام من نطفة فلا يعلم أحد هل هي واحدة أو توأم ذكر أو انثى كاملة أو مخدجة، جميلة أو دميمة مع أن الأطباء قد ذكروا أسبابها ولكنهم لايعلمون شيئا بالاختصاص".

ثم يستطرد في بيان ذلك فيقول: " وإذا كان هذا شأن أمور تظهر أماراتها وتعرف مقدماتها فكيف بما يضمره الإنسان من أفكار وإرادات ونيات وإيمان ونفاق وإذا لم يعلم أحد ما مصيره غدا وما هو فاعله فكيف يعلم حال غيره؟ وإذا لم يعلم مكان موته فكيف يعلم أين يموت فلان ومتى يموت؟"(١)

المطلب الثالث : طرق معرفة الغيب كلها كذب وزور و ادعاء بالألوهية،

إن الناس يعتمدون في استكشاف أمور الغيب على أشياء كثيرة وهي منتشرة في مجتمع المسلمين ثم إنهم يؤمنون بالنتيجة التي يحصلون عليها بهذه الطرق إيمانا جازما ولايكادون يشكون فيها ويرد عليها الشاه فيقول:" وبالجملة إن الذين يدعون الغيب أو يدعون الكشف ومن الناس من يعلم طريق الاستخارة التي لاتخطأ قط ومنهم من يستخرج الأخبار من تقويم النجوم أو الرمل ومنهم من يطوف في الناس وفي يده كتاب يبحث عن الفال، فإنهم جميعا كاذبون مزورون فعلى المسلم الصادق أن يبتعد عنهم ولايقع في شراكهم".(٢)

ثم يقرر بأن دعوى علم الغيب من مخلوق بمثابة دعوى الألوهية لأنه يدعي في نفسه صفة من الصفات الألوهية، فيقول:" وقد دلت هذه الآية على أن من ادعى علما يعرف به الغيب متى شاء، وأن الاطلاع على الأمور المستقبلة في اختياره وتحت تصرفه كان كذابا يدعي الألوهية ومن اعتقد ذلك في نبي أو ولي أوجني أو إمام أو ابن إمام... أو متفائل (٣)أو غير ذلك أوكاهن أو سادن ..... كان مشركا ومنكرا لهذه الآية الكريمة"(٤).

---

(١) تقوية الإيمان ص: ٧٠ ـ ٧٢

(٢) المصدر السابق ص: ٧٢

(٣) وقد اعتاد الناس في الهند وغيرها إذا عمي عليه أمر أو وقعوا منه في حيرة أخذوا كتابا يعتقدون في مؤلفه خيرا يفتحون منه من غير تخير فما واجههم من الصفحة التي فتحوها تفاءلوا به خيرا أو شرا وقد كثر الاعتماد في شبه القارة الهندية وفي إيران على" ديوان حافظ" وهو شاعر ايراني صوفي شمس الدين بهاؤ الدين المتوفي ٧٩٣هـ انظر حاشية تقوية الإيمان ص: ٦٩، وقد يفعلون مثل هذا الفعل مع ==

ردشبهة حول وقوع ما تنبأ المتنبئون:

ثم يرد على شبهة بأن إخبارهم للغيب قد يقع فيقول:" ومن سولت له نفسه و وسوس له الشيطان أنه قد يقع ما يخبر به منجم أو رمال أو كاهن أو متحرف الأخبار بالسعد والنحس فيدل ذلك علىعلمه الغيب كل ذلك باطل، فإن كثيرا ما تخطئ أخبارهم، ويقع عكسها، فتحقق من ذلك أن علم الغيب ليس من صفاتهم وتصرفهم وانما يقولون رجما بالغيب قد يصيبون، وقد يخطئون وهذا هو الشأن في الكشف والاستخارة ومن يبحث عن الفال في المصحف(١) وبازاء ذالك لاخطأ في الوحي، والوحي ليس في اختيار الأنبياء وإنما ذلك من ا لله إذا شاء أوحى إليهم بما شاء وإذا لم يشأ لم يوح إليهم، لاأثر لرغبتهم في ذلك كما قال ا لله تعالى ﴿ قل لايعلم من في السموات والأرض الغيب إلا ا لله وما يشعرون أيان يبعثون﴾*(٢)

المصاحف أيضا ولهم في ذلك آداب وشروط وقد اعتاد الناس في الهند طباعة تلك الطرق بعنوان " التفاؤل من المصحف" أمام المصاحف المترجمة .

(٤) انظر تقوية الإيمان ص: ٦٩ وهو يشير إلى آية ﴿وعنده مفاتيح الغيب لايعلمها إلا هو﴾

(١) تقدم التعليق عليه ص: ٣٠٢

* - تقوية الإيمان ص: ٧٠

(٢) سورة النمل /٦٥

المبحث الثاني : ذكر جملة من أنواع الشرك وسد الذرائع الموصلة إليها

المطلب الأول : الشرك في الدعاء والرجاء والخوف والذبح والنذر والحلف بغير الله و في الطاعة

١ـ الدعاء

الشرك قد عم وطم ووقع في كثير من العبادات ومنها الدعاء، فالدعاء أعظم وأجل عبادة أمر بها الله عزوجل عباده المؤمنين وجعل عليها مثوبة عظيمة وحث عليها ودعا إليها وفي القرآن آيات كثيرة تأمر بدعاء الله عزوجل والإخلاص فيه ﴿ أدعو ربكم تضرعا وخفية إنه لايحب المعتدين﴾(١) ويقول﴿ واسألوا الله من فضله...﴾(٢) ومن السنة قوله صلى الله عليه وسلم:" ينزل ربنا تبارك وتعالى إلى سماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الآخر ثم يقول: " من يدعوني فأستجيب له؟ من يسألني فأعطيه؟ من يستغفرني فأغفرله؟"(٣) وقوله صلى الله عليه وسلم:" الدعاء هو العبادة"(٤)

ونقل ابن حجر عن الجمهور بأن الدعاء من أعظم العبادة فهو كالحديث الآخر" الحج عرفة"(٥) أى معظم الحج وركنه الأكبر.(٦)

---

(١) سورة الأعراف : ٥٥

(٢) سورة النساء : ٣٢

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه ـ التوحيد ـ باب قول الله تعالى: (يريدون أن يبدلوا كلام الله)إنه لقول فصل برقم/٧٤٩٤

(٤) رواه أبوداود ١٤٧٩ والترمذي ٣٣٧٢ وابن ماجة ٣٨٢٨ والحديث صحيح انظر صحيح الجامع الصغير ١/ ٦٤١

(٥) أخرجه أبوداود ـ المناسك ـ ١٩٤٩ والترمذي ـ الحج ـ ٨٨٩ والنسائي ـ الحج ـ ٣٠٤٧ وابن ماجة ـ ٣٠١٥ الحديث صحيح انظر إرواء الغليل ٤/٢٥٦

(٦) فتح الباري ١١/ ٩٤ وانظر التفصيل في هذا الموضوع " تيسير العزيز الحميد " ص: ٢١٨

وتكلم الشاه رحمه الله بأسلوبه السهل الصريح عن الشرك في الدعاء الذي وقع فيه كثير من الناس، وتناول جميع جزئياته بالرد والإبطال فيقول:" قال الله تعالى﴿ ومن أضل ممن يدعو من دون الله من لايستجيب له إلى يوم القيامة وهم عن دعائهم غافلون﴾(١) فإن الآية دلت على أن المشركين قد أمعنوا في الجهل والسفاهة حيث عدلوا عن الله القادر العليم إلى أناس لايسمعون دعاءهم وإن سمعوا لايستطيعون الإجابة لأنهم لايقدرون على شيء فان دعاهم أحد إلى يوم القيامة لايستجيبون فظهر من ذلك أن الذين يدعون الصالحين الذين كانوا في الزمن الماضي من بعيد ويقولون: ياسيدنا ادع الله لنا يقض حاجتنا ويزعمون أنهم ما أشركوا، لأنهم لم يطلبوا منهم قضاء الحاجة وإنما طلبوا منهم الدعاء، فهذا باطل فإنهم ما أشركوا عن طريق طلب قضاء الحاجة لكنهم أشركوا عن طريق النداء فقد ظنوا أنهم يسمعون نداءهم عن بعد كما يسمعون نداءهم من قريب وكان ذلك سواء في حقهم ولذلك نادوا من مكان بعيد مع أن الله سبحانه تعال يقول ﴿وهم عن دعائهم غافلون﴾"(٢)

فالشاه يقرر بأن الطلب من المخلوق فيما لا يقدر عليه إلا الله شرك، فكثير من المشركين يبررون دعوتهم للأموات بأنهم لم يطلبوا منهم شيئا بل جعلوهم واسطة بينهم وبين الله بأن يدعو لهم من الله عزوجل، وهذا أيضا باطل حيث توجهوا بالدعاء إلى الأموات الذين لايقدرون على سماع دعوتهم فضلا أن يقدروا على إجابتها، ثم إن طلب الدعاء من الأنبياء والأولياء والملائكة وإن كانوا أحياء لم يرد به شرع ولاعمل به سلف الأمة، يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: " لم يكن النبي صلى الله عليه وسلم بل ولا أحد من الأنبياء قبله شرعوا للناس أن يدعو الملائكة والأنبياء والصالحين ولايستشفعوا بهم لابعد مماتهم ولافي مغيبهم فلايقول أحد، ياملائكة الله اشفعوا لي عند الله سلوا الله لنا أن ينصرنا أويرزقنا أو يهدينا، وكذلك لايقول لمن مات من الأنبياء والصالحين: يانبي الله، يا رسول الله ادع الله لي، سل الله لي، استغفرا الله لي، .... ولايكتب أحد ورقة ويعلقها عند القبر ولايكتب أحد محضرا أنه استجار بفلان ويذهب بالمحضر إلى من يعمل بذلك المحضر ونحو ذلك مما يفعله أهل البدع من أهل الكتاب والمسلمين كما يفعله النصارى في كنائسهم وكما يفعله المبتدعون من المسلمين عند قبور الأنبياء

(١) سورة الأحقاف :٥

(٢) تقوية الإيمان ص: ٧٤

والصالحين أو في مغيبهم فهذا مما علم بالاضطرار من دين الإسلام وبالنقل المتواتر وإجماع المسلمين أن النبي صلى ا لله عليه وسلم لم يشرع هذا لأمته ... .(١)

٢ـ الخوف الرجاء

يدعو الشاه رحمه ا لله إلى إخلاص الدعاء والخوف والرجاء من ا لله عزوجل بحيث لايرجى إلا منه ولايخاف إلا منه ويقرر هذا المعنى في شرح الآية ﴿وأن المساجد لله فلا تدعوا مع ا لله أحدا وأنه لما قام عبد ا لله يدعوه كادوا يكونون عليه لبدا قل إنما أدعوا ربي ولاأشرك به احدا ﴾(٢) "وقد جرت العادة أن الإنسان إذا أخلص في الدعاء والنداء وتوجه إلى ا لله توجها ممعنا اعتقد الناس أنه قد بلغ في الولاية والروحانية منزلة يقدر فيها على أن يعطي من شاء ما شاء ويسلب ممن شاء ما شاء فيلتفون حوله ويتهافتون عليه تهافت الفراش على الشمعة ويكادون يكونون عليه لبدا، فعلىهذا العبد الصالح أن يكشف الحقيقة ويميز الحق من الباطل وينهى عن دعاء غير ا لله وينفي القدرة على النفع والضر ويوضح أن من دعا غير ا لله ورجا النفع منه أو دفع الضر فقد أشرك ويعلن أنه بريئ من هذا الشرك (٣)

٣ـ الذبح لغيرا لله

فإن الذبح لله عزوجل عبادة عظيمة والذبح لله أجل ما يتقرب به إليه و أجل عبادة مالية النحر، وكان النبي صلى ا لله كثير الصلاة وكثير النحر(٤)

ولكن المسلمين في الهند وغيرها من البلاد كانوا ولايزالون يذبحون الذبائح لغير ا لله عزوجل فيذبحون على المشاهد ويذبحون للجن تخلصا من أذاهم فهذا شرك وينكر الشاه على أولئك الذين يذبحون لغير ا لله فيقول: " قال ا لله تعالى:﴿ ...أو فسقا أهل لغيرا لله به..﴾(٥)"والمراد به دابة أو حيوان خصص لغير ا لله فلا يمس بسوء ويعيش محترما ومعظما وإذا ذبح ذبح إرضاء لمن خصص به وتقربا إليه فإنه حرام ونجس كالخنزير والدم المسفوح والميتة لافرق بينها وبين هذا

---

(١) انظر مجموع الفتاوى ففيه تفصيل جيد ا/ ١٦٢

(٢) سورة الجن : ١٨ـ ٢٠

(٣) تقوية الإيمان ص: ١٠٢

(٤) الفتاوى: ١٦/ ٥٣١

(٥) سورة الأنعام : ١٤٥

الحيوان، و لم تصرح الآية بأن يذكر عليه اسم مخلوق عند الذبح بل إنها اقتصرت على أن كل حيوان نسب إلى مخلوق وأهل به حرام ونجس (١) كالبقرة المنسوبة إلى السيد احمد الكبير(٢) والتيس المنسوب إلى الشيخ سدو(٣) وكل حيوان دجاجة كانت أو بعيرا نسب إلى مخلوق تقربا إليه واشتهر بهذه النسبة كان حراما ونجسا سواء عزي إلى ولي أو نبي أو أب أو جد أو عفريت أو جنية ومن فعل ذلك ثبت عليه الشرك. "(٤)

ويستدل عليه من السنة فيقول: " أخرج مسلم عن أبي الطفيل أن عليا رضي الله عنه أخرج صحيفة مكتوب فيها لعن الله من ذبح لغيرالله(٥) يدل الحديث علىأن الذبح لغير الله من الأعمال التي خصصها الله لتعظيمه ومن ذبح لغير الله فقد أشرك...(٦)

النهي عن الذبح في مكان يذبح فيه لغير الله

الشريعة جاءت بالنهي عن كل ذريعة توصل إلى الشرك والمنكر فنهى النبي صلى الله عليه وسلم عن الذبح في مكان يذبح فيه الجاهليون فيقول الشاه رحمه الله يشرح ذلك " أخرج أبوداود عن ثابت بن ضحاك قال: نذر رجل علىعهد رسول الله صلى الله عليه و سلم أن ينحر إبلا ببوانة، فأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبره فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : هل كان فيها وثن من أوثان الجاهلية يعبد؟ قالوا: لا، قال: كان فيها عيد من أعيادهم؟ قالوا: لا، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: أوف بنذرك، فانه لاوفاء لنذر في معصية

---

(١) إن الشاه رحمه الله أراد أن يبطل حجة المشركين الذين يقولون: بإننا لانذكر عند الذبح إلا إسم الله عزوجل فلايكون شركا، فيرد عليهم بأن الآية لاتنص على أنه لايكون حراما إلا إذا ذكر اسم غير الله عند الذبح بل يكفي لحرمته ونجاسته وكونه شركا نسبته إلى غير الله .

(٢) يغلب على الظن بأنه السيد أحمد الرفاعي مؤسس الطريقة الرفاعية. تقدمت ترجمته ص:

(٣) شخصية خيالية لاوجود لها، وغالب من يعتقد فيها، ويذبح لها لقضاء الحاجات وأداء النذور، النساء.
(نور اللغات ٣/ ٤٦٢ نقلا من حاشية تقوية الإيمان المترجم بالعربية ص: ١٠٦

(٤) تقوية الإيمان ص: ١٠٥ - ١٠٧

(٥) أخرجه مسلم في الأضاحي (١٩٧٨)

(٦) تقوية الإيمان ص: ١١٤

الله"(١) ...... يدل الحديث على أنه لايجوز سوق دابة للذبح لله إلى مكان تذبح فيه لغير الله، وتقرب فيه القرابين لغير الله أو يعبد فيه غيره ويجتمع الناس هناك على شرك وإن صحت النية وصلحت العقيدة لأن التشبه بهم أمر قبيح لايجوز"(٢)

٤ـ النذر لغير الله

النذر عبادة ويدل عليه مدحه تعالى لمن وفي به كقوله﴿ يوفون بالنذر﴾(٣)وإن الله لايمدح إلا على فعل يثاب فاعله ويطلب منه وهي العبادة(٤) فوجب إذا ألا ينذر إلا لله عزوجل فمن نذر شيئا إلىغيره فقد أشرك.

ومن هنا نرى الشاه رحمه الله يمنع النذر لغير الله فيقول في شرح الحديث السابق" والحديث دليل علىتحريم النذر لغير الله، فلا يحل هذا النذر، فإن نذر أحد لجهله للدين فلا وفاء عليه، فانه إثم ولايجوز التمادي والإلحاح على ذنب بل هوذنب أكبر "(٥)

ويقول ردا علىالناذرين للمخلوق بالدواب والأطعمة ونحوها من الأمور التي كان يراها معروفا في مجتمعه بأنها لاتجوز فيقول:" قال الله تعالى﴿ وقالوا هذه أنعام وحرث حجر لايطعمها إلا من نشاء بزعمهم وأنعام حرمت ظهورها وأنعام لايذكرون اسم الله عليها افتراء عليه سيجزيهم بما كانوا يفترون﴾(٦)

"والمفهوم أن الناس يشرعون شرائع من تلقاء أنفسهم فيقولون : الطعام الفلاني ممنوع مقدس يتناوله فلان ويتناوله فلان وقد يسيبون أنعاما ويحرمون ظهورها فلا يركبها أحد ولايحمل عليها حمل، فإنها نذر لفلان، فيجب تعظيمها وأنعام لايذكرون اسم الله عليها وإنما يقصدون بها التقرب إلىغير الله تعالى والذبح باسمه، اعتقادا بأنهم ينالون رضاء الله عن ذلك، ويقضي الله بذلك حوائجهم فهذا كله افتراء وكذب سيلقون جزاءه، وقال تعالى﴿ ما جعل

---

(١) أخرجه أبوداود ـ الأيمان والنذور ـ ٣٣١٣ وصحح الحافظ سنده في التلخيص ٤/ ١٨٠ وصحح الحديث الشيخ الألباني ـ صحيح الجامع الصغير ٢٥٤٨

(٢) تقوية الإيمان ص: ١٤٦

(٣) سورة الإنسان /٧

(٤) انظر تيسير العزيز الحميدص: ٢٠٣

(٥) تقوية الإيمان ص: ١٤٦ الأولى أن يقال شرك أكبر، لأن النذر عبادة وصرفه إلى غير الله شرك.

(٦) سورة الأنعام / ١٣٨

ا لله من بحيرة ولاسائبة ولاوصيلة ولاحام ولكن الذين كفروا يفترون على ا لله الكذب وأكثرهم لايعقلون﴾(١).... تدل الآية على أن تخصيص دابة باسم رجل ممن يعتقد فيهم القدرة على النفع والضرر، والحماية والنذر وإشعارها بذلك، وتعيين أن لايتقرب إلى فلان إلا ببقرة ولاإلى فلان إلا بشاة ولاإلى فلان إلا بدجاجة كلها أمور باطلة ما أنزل ا لله بها من سلطان، وليست هذه الأمور إلا سفاهة وهذيانا ومعارضة لأحكام ا لله وشريعته"(٢)

٥ـ النهي عن الحلف بغير ا لله

الحالف لايحلف بشئ إلا إذا كان في قلبه للمحلوف به عظمة واعتقاد قدرته على الانتقام منه إن كان كاذبا ونحوها من الصفات الألوهية، وقد نهى عن الحلف بغير ا لله حتى لايكون قلب العبد معلقا بغيره، ويقول الشاه رحمه ا لله في بيان تحريم الحلف بغير ا لله:"أخرج الترمذي عن ابن عمر قال: سمعت رسول ا لله صلى ا لله عليه وسلم يقول: من حلف بغيرا لله فقد أشرك"(٣) فقد نهى النبي صلى ا لله عليه وسلم المسلمين في هذا الحديث عن الحلف بغير ا لله فإنه شرك، وقد أجمع العلماء على أن الحلف بغير ا لله حرام"(٤)

وقد اتفق العلماء بأنه لايجوز الحلف بشيء من المخلوقات المعظمة كالعرش والكرسي والكعبة، والملائكة، .... والنهي عن ذلك نهي تحريم عند أكثرهم...."(٥)

ووجه كون الحلف شركا، بأن أكثر العامة لتعلقهم بالأولياء، ولاعتقادهم فيهم القدرة العظيمة، والسر أو التصرف لايقدمون على الحلف بهم إن كانوا كاذبين ويحلفون با لله أيمانا لايبالون فيها صدقهم أو كذبهم ، أما إذا طلب منهم أن يحلفوا بمن يعتقدون فيه، فلا يحلفون إلا إذا كانوا صادقين، لأن المحلوف به عندهم أخوف وأجل وأعظم من ا لله وأسرع انتقاما من

---

(١) سورة المائدة / ١٠٣

(٢) تقوية الإيمان ص: ١٢٦ـ ١٢٧

(٣) أخرجه الترمذي في كتاب الأيمان والنذور(١٥٣٥) وأبوداود أيضا في نفس الكتاب (٣٢٥١) والحديث صحيح انظر إرواء الغليل (٢٥٦١) والسلسلة الصحيحة (٢٠٤٢)

(٤) تقوية الإيمان ص: ١٤٤

(٥) انظر الفتاوى ٢٧/ ٣٢٩

ا لله عزوجل ثم يحكون حكايات كثيرة تدل على ما نزلت من النكبات على من حلف بالأولياء كاذبا لترسيخ الاعتقاد فيهم.(١)

ثم ذكر الشاه رحمه ا لله عددا من الأحاديث التي ورد فيها النهي عن الحلف بغير ا لله ثم يقول في شرحها:" تدل هذه الأحاديث على أن الحلف بمن كان يحلف به المشركون في الجاهلية من الطواغيت والأصنام والآباء يضر بالإيمان والعقيدة، فإذا صدر هذا من المسلم فليقل لاإله إلا ا لله، وليتب إلى ا لله تبارك وتعالى، وكذلك من أراد أن يحلف فليحلف با لله أو يلتزم السكوت لأن السكوت خير من الحلف بغير ا لله"(٢)

٦- الشرك في التشريع

التشريع حق خالص لله عزوجل فلا حلال إلا ما أحله ا لله على لسان رسوله ولاحرام إلا ما حرمه ا لله ورسوله، فلا يعبد ا لله إلا بما شرع، فالطاعة في التحليل والتحريم لأحد من الخلق شرك با لله كما يقرر ذلك الشاه بأن" من لم يترك قول إمامه مع مخالفته الأحاديث الصحيحة ففيه شائبة من الشرك كما يدل عليه حديث الترمذي عن عدي بن حاتم أنه سأل رسول ا لله صلى ا لله عليه وسلم عن قوله " اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون ا لله والمسيح بن مريم فقال يارسول ا لله إنا لم نتخذ أحبارنا ورهباننا أربابا فقال: إنكم حللتم ما أحلوا وحرمتم ما حرموا(٣) وليس المراد بالتقليد في العقائد على ما ينطق به لفظ حللتم وحرمتم فان التحليل والتحريم انما يستعملان في الأفعال"(٤) فيقرر بأن الشرك يثبت بالأفعال أي بطاعتهم في التحليل والتحريم لأنه غالب ما يطلق على الأفعال، ويفصل فيه بقوله:"إن في اتباع شخص معين بحيث يتمسك بقوله وان ثبت على خلافه دلائل من السنة والكتاب ويؤولهما إلى قوله شوب من النصرانية وحظ من الشرك والعجب من القوم لايخافون من مثل هذا الاتباع بل يخيفون تاركه فما أحق هذه الآية في جوابهم ﴿وكيف أخاف ما أشركتم ولاتخافون أنكم

---

(١) انظر حاشية الشيخ ابن باز على فتح المجيد ص: ٤٢٥

(٢) تقوية الإيمان ص: ١٤٥- ١٤٦

(٣) تقدم تخريجه ص: ١٥٦

(٤) تنوير العينين في إثبات رفع اليدين ص:٢٧

أشركتم با لله ما لم ينزل به عليكم سلطانا فأي الفريقين أحق بالأمن إن كنتم تعلمون﴾(١) فتدبر وانصف ولاتكن من الممترين ونعوذ با لله ان نكون من المتعصبين."(٢)

إن ا لله أنكر على المشركين اتخاذ الشريعة من غير أن يأذن ا لله كما في الآية﴿ أم لهم شركاء شرعوا لهم من الدين ما لم يأذن به ا لله﴾ (٣) واتخذ الضالة من المسلمين تشريعات من عند أنفسهم معرضين عن الكتاب والسنة، فيرد الشاه هذه التشريعات ويقول ينهى عنها :"قال ا لله تعالى ﴿ما جعل ا لله من بحيرة ولاسائبة ولاوصيلة ولاحام ولكن الذين كفروا يفترون على ا لله الكذب وأكثرهم لايعقلون﴾(٤)

يقول في شرحها:" قال ا لله تعالى: إن شيئا من ذلك لم يشرعه و لم يأمر به إنما هو افتراء منه وتدل الآية على أن تخصيص دابة باسم رجل ممن يعتقد فيهم القدرة على النفع والضر والحماية والنصر وإشعارها بذلك .... كلها أمور باطلة ما أنزل ا لله بها من سلطان وليست هذه الأمور إلا سفاهة وهذيانا ومعارضة لأحكام ا لله وشريعته"(٥)

ثم يرد على ما شرع المبتدعة لأنفسهم بتحريم بعض الأشياء فيقول:" قال ا لله تعالى﴿وقالوا هذه أنعام وحرث حجر لايطعمها إلا من نشاء بزعمهم وأنعام حرمت ظهورها وأنعام لايذكرون اسم ا لله عليها افتراء عليه سيجزيهم بما كانوا يفترون﴾(٦) أي أن الناس يشرعون شرائع من تلقاء أنفسهم فيقولون: الطعام الفلاني ممنوع مقدس يتناوله فلان ولايتناوله فلان، وقد يسيبون أنعاما ويحرمون ظهورها، فلايركبها أحد، ولايحمل عليها حمل، فإنها نذر لفلان، فيجب تعظيمها وأنعام لايذكرون اسم ا لله عليها وإنما يقصدون به التقرب إلى غير ا لله تعالى والذبح باسمه اعتقادا بأنهم ينالون رضى ا لله من ذلك، ويقضي ا لله بذلك حوائجهم فهذا كله افتراء وكذب سيلقون جزاءه"(٧)

---

(١) سورة الأنعام / ٨١

(٢) تنوير العينين ص: ٢٨

(٣) سورة الشورى / ٢١

(٤) سورة المائدة / ١٠٣

(٥) تقوية الإيمان ص: ١٢٦

(٦) سورة الأنعام / ١٣٨

(٧) تقوية الإيمان ص: ١٢٦

ويواصل الرد عليهم فيذكر عددا من التشريعات التي لم ينزل الله بها من سلطان ويرد عليها فيقول:" قال الله تعالى﴿ولاتقولوا لما تصف ألسنتكم الكذب هذا حلال وهذا حرام لتفتروا على الله الكذب إن الذين يفترون على الله الكذب لايفلحون﴾(١)" والمقصود النهي عن الاستبداد في التحليل والتحريم والإباحة والمنع اعتمادا على الأهواء والتقاليد والعادات، فإن هذا تشريع في الدين والتشريع من حق الله تعالى وحده، وأما ما يعتقده بعض الناس أن من فعل كذا تمت حاجاته ومطالبه وإلا لاتتحقق مآربه وتطرق إليها الفساد فهذه العقيدة باطلة لاأصل لها وافتراء على الله والمفتري على الله لايفلح في مآربه ".

"علم من هذه الآية أن ما شاع في الناس من النهي عن أكل التنبول(٢) ولبس الثوب الأحمر في شهر محرم، وعن تناول الرجال طعاما يطبخ للسيدة فاطمة، وما يلتزمه الناس من خضراوات في تهيئة هذا الطعام، ويكون فيه من أسباب الزينة من حناء ومسحوق الأسنان، ولاتأكل هذا الطعام جارية وامرأة تزوجت بزوج ثان، ولاتقربه أحد من الطبقة الوضيعة ولا الفاجر، وما تعارفه الناس من تخبيص الخبيص، بزاد الشيخ عبد الحق، ويلزم الاحتياط والأدب في تهيئته ويمنع منه من تعود على النارجيلة، وما خصص للشاه مدار، والشيخ أبي على القلندر(٣) ولأصحاب الكهف من أطعمة لها أنواع خاصة، وما اعتاده الناس وتمسكوا به من تقاليد وعادات في العرس والزواج، وعلى إثر موت رجل من الأقارب، وفي المآتم، وما يحرم من الزواج بعد موت رجل من الأقارب والعظماء، ويمنع هؤلاء عن الحضور في هذه الأعراس، وما يكره من أعمال، وصنع بعض الأطعمة وصنع بعض أنواع الكامخ والمخلل في البيوت، ولبس بعض الناس من اللون الأزرق ومن اللون الأحمر، وبعض أنواع القماش لبعض الطبقات، فكل ذلك من اختراع الناس ووقوعهم في الضلال، والحكم بغير ما أنزل الله، ومن أنواع الشرك، والتدخل في ملكه، ومعارضة شرعه بشرع يشرعونه."(٤)

---

(١) سورة النحل / ١١٦

(٢) هي أوراق شجرة معروفة في الهند، فإذا مضغوها تحمر الأسنان كأنها حبات الرمان، ويمتلئ الفم بالرائحة الطيبة، ويفرح القلب، انظر العلاقة السياسية والثقافية بين الهند والخلافة العباسية ص: ١٥

(٣) هو شرف الدين أبوعلى القلندر أحد الصوفية، ينتمي إلى طريقة سهروردية توفي سنة ٧٢٤هـ

(٤) تقوية الإيمان ص: ١٢٨- ١٢٩

المطلب الثاني : حماية التوحيد بسد جميع الذرائع إلى الشرك

نهى النبي صلى ا لله عليه وسلم عن جميع الأقوال والأفعال والعادات التي تمس جناب التوحيد بل حماه عن كل وسيلة وذريعة قولية كانت أوفعلية توصل إلى الشرك، فالنهي عما يضر الأساس حماية له، والنهي عن الشرك بأقسامه صيانة للتوحيد، وقد منع النبي صلى ا لله عليه وسلم عن إطلاق السيد على غيرا لله، ونهى عن الحلف بغير ا لله وعن الغلو في المدح وغيرها من الأفعال والأقوال وقد تناولها الشاه بالشرح والبيان .

أولا: النهي عن الكلمات الشركية

ومن كمال حماية النبي صلى ا لله عليه وسلم للتوحيد منعه من الكلمات الشركية منها:

١ – نهيه عن إطراء النبي صلى ا لله عليه وسلم وغيره

نهى النبي صلى ا لله عليه وسلم عن الغلو في مدح شخصيته لأن المبالغة في ذاته سيؤدي إلى وصفه بصفات فوق صفات البشرية كما أن النصارى لما تجاوزوا الحد في مدح عيسى ادعوا فيه الألوهية، وقد وقع في الأمة ما نهى عنه النبي صلى لله عليه وسلم، ويقول الشاه يرد هذه المعتقدات:" أخرج الشيخان عن عمر قال: قال رسول ا لله صلى ا لله عليه وسلم لاتطروني كما أطرت النصارى عيسى ابن مريم، فإنما أنا عبده فقولوا عبد ا لله ورسوله"(١)

ويقرر في شرحه أن منصب الرسالة يتضمن جميع المحامد والمحاسن ثم إن كونه رسولا لايعني أنه اتحد مع ا لله أو حل فيه أو ذاب في ذات ا لله كما يذوب الملح في الماء ونحوها من الاعتقادات الفاسدة فيقول:" فلا يصح مثل هذا القول في عبد من عباد ا لله فإن النصارى كفروا بهذا الاعتقاد في المسيح عليه السلام وابتعدوا عن رحمة ا لله تعالى ولذلك نهى رسول ا لله صلى ا لله عليه وسلم أمته عن تقليد النصارى في إطرائهم لنبيهم وغلوهم فيه فاستحقوا غضب ا لله ولعنته". ثم يقول:" ولكن الأسف أن الغلاة من هذه الأمة لم يمتثلوا أمر النبي صلى ا لله عليه وسلم وقلدوا النصارى في أقاويلهم وما زاد النصارى على أن قالوا: إن ا لله سبحانه وتعالى قد ظهر في زي عيسى عليه الصلاة والسلام ولباسه، فهو بشر من ناحية وإله من ناحية أخرى وقد قال بعض الغلاة من المسلمين مثل ذلك في رسول ا لله صلى ا لله عليه وسلم:

---

(١) أخرجه البخاري ـ الأنبياء (٣٤٤٥) الفتح ٦/ ٤٧٨ والحديث انفرد به البخاري دون مسلم.

في الجملة همين بود كه مي آمد ومي رفت هـر قـرن كـه ديـدي

در عـاقبت آن شكل عـرب وار برآمـد دارايـــ جـــهـــان شـــــد

يعني لقد كان الله في إياب وذهاب في كل قرن حتى ظهر أخيرا في صورة عربي وملك العالم كله.

وقال بعضهم :(١)

تقدير بيك ناقـه نشـانيـد دو محمـل سلمايـــ حدوث تو وليلايـــ قدم را

تا مجمع امكان ووجوبت نه نوشتند مورد متـعـين نـه شـد اطـلاق أعم را

ومعناه: أن القضاء والقدر قد أركب على ناقة ظعينتين، إحداهما سلمى الحدوث(يعني به حدوث النبي صلى الله عليه وسلم) وأخراهما: ليلى القدم(٢)(يعني به ذات الله القديمة) وما لم يكتب قلم القضاء في لوح الإمكان والوجوب لم يتعين مورد للاطلاق المطلق(٣)وقد جاوز حد الاعتدال بعض الكذاب والخداع فنسب ذلك إلى نبينا صلى الله عليه وسلم زعم أنه قال: " أنا أحمد بلاميم" وقد زور عبارة عربية طويلة مملوءة بخرافات كثيرة، وسماها بخطبة الافتخار ونسبها إلى على بن أبي طالب رضي الله عنه. سبحانك هذا بهتان عظيم، سود الله وجوه الكاذبين وخذلهم وكما أن النصارى يعتقدون أن المسيح عليه السلام يملك جميع أمور الدنيا والآخرة فيدبر الأمر كما يشاء فمن آمن به وابتهل إليه لم يحتج إلى شيء من العبودية والعبادة ولم يضره ذنب ولايميزله بين الحرام والحلال فإنه يكون لله كسائبة، يفعل ما يشاء، وينجيه عيسى عليه السلام في الآخرة بشفاعته عن النار ومن عذاب الله تعالى.

---

(١) القائل، الشاعر الفارسي الشهير ب "عرفي" والشعرله انظر " الفرقان " المجلة الشهرية ص: ١٨٩

(٢) سلمى و ليلى، رمز وعلامة المحبة والعشق.

(٣) يعني أنه صلى الله عليه وسلم حادث كما أنه قديم وأنه ممكن كما أنه واجب وهي عقيدة وجودية يعنون بها بأن الحق هو الوجود المطلق بشرط الإطلاق والخلق هو الموجود المعين فالفرق بين الخالق والمخلوق أن الخالق مطلق والمخلوق موجود معين، وقد يقولون بأن الوجود ينقسم إلى قائم بنفسه وغيره وهو القديم والحادث، والوجوب بشرط الإطلاق لاوجود له في الحقيقة في الخارج وإنما يتصوره ذهن كما يتصور الحيوان المطلق والإنسان المطلق ولايوجد إلا ما كان معينا، انظر التفاصيل في "بغية المرتاد في الرد على المتفلسفة والقرامطة والباطنية وأهل الإلحاد من القائلين بالحلول والاتحاد" ص/ ٤٠٩ وما بعدها.

"ومثل هذا يعتقد بعض جهال المسلمين في النبي صلى ا لله عليه وسلم بل اعتقدوا في أئمة أهل البيت والأولياء وفي المشائخ والمرشدين مثل هذا الاعتقاد الباطل نسأل ا لله لهم الهداية والسداد"(١)

بهذا قد رد الشاه رحمه ا لله على الصوفية القائلين بالحلول والاتحاد والغالين في الأنبياء والأولياء الذين بلغوهم إلى درجة الألوهية فكلا الطائفتين لاعلاقة لهما بالإسلام والدين.

ورد الشاه رحمه ا لله على جميع مظاهر الغلو في النبي صلى ا لله عليه وسلم بحجة أنه لم يأمر بها ولايرضى بها بل الذي يرضيه هو تحقيق توحيد العبادة ويستدل عليه بقوله صلى ا لله عليه وسلم فيقول:" أخرج رزين عن أنس قال : قال رسول ا لله صلى ا لله عليه وسلم: إني لاأريد أن ترفعوني فوق منزلتي التي أنزلنيها ا لله تعالى، أنا محمد بن عبد ا لله ورسوله"(٢) ومعنى ذلك أن النبي صلى ا لله عليه وسلم لايسره أن يبالغ فيه الناس ويطروه كشأن الأمراء والملوك الذين يحبون المبالغة والتملق فإنهم لاشأن لهم بدين هؤلاء الندماء والشعراء واعتقادهم.... أما النبي صلى ا لله عليه وسلم: فكان مربيا شفوقا رحيما على أمته وكان يبذل جهده ويسعى دائما ليلا ونهارا في إصلاح عقيدتهم. وقد جرت العادة بأن المحبين يغلون في مدح من يحبونهم لينالوا سرورهم ورضاهم ومن بالغ في مدح الأنبياء وتجاوز الحد فإنه يسيء الأدب مع ا لله أحيانا فيضيع بذلك دينه ويصير عدوا للنبي صلى ا لله عليه وسلم ولذلك صرح بأنه لايرضى بالمبالغة والغلو في مدحه وإن اسمه محمد لاالخالق ولاالرازق وإنه ولد كما يولد سائر الناس من أب وأم وحسبه فخرا أن يكون عبد ا لله تعالى، ولكنه يمتاز عن سائر الناس بعلم أحكام ا لله وأوامره والناس لاسبيل لهم إليها إلا أن يرجعوا إليه في تعلم الدين"(٣)

وفصل الشاه رحمه ا لله في هذ الموضوع لأهميته ولإبطال الأقول الشركية، يقول في شرح حديث الربيع بنت معوذ أن جارية قالت:وفينا نبي يعلم ما في غد،فقال النبي صلى ا لله عليه

---

(١) تقوية الإيمان ص: ١٥١ ـ ١٥٤، الشعر والنثر مملوءان من هذا الغلو في النبي صلى ا لله عليه وسلم لم ينج منه إلا قلة قليلة انظر بعض الأمثلة عن الغلو في الأنبياء والصالحين، في تيسر العزيز الحميد ص: ٢٢٤

(٢) أخرجه النسائي أطول منه في عمل اليوم والليلة ـ ٢٥٠ وأحمد في مسنده ٣/ ١٥٣، ٢٤١ والحديث صحيح انظر تخريج أحاديث فتح المجيد ص: ٧٣٧

(٣) تقوية الإيمان ص: ١٥٨

وسلم: دعي هذه وقولي بالذي كنت تقولين"(١) دل الحديث دلالة واضحة على أن لايعتقد الإنسان في نبي أو ولي أو إمام أو شهيد أنه يعلم الغيب بل لايصح هذا الاعتقاد في الرسول صلى الله عليه وسلم ولايصح أن يمدحه بذلك في شعر أو كلام أو خطبة، أما ما اعتاده الشعراء من المبالغة والغلو في مدح النبي صلى الله عليه وسلم أو غيره من الأنبياء والأولياء والصلحاء والمشائخ أو الاساتذة فتجاوزوا في ذلك عن حدود الشرع بناء على قولهم "إن الشعر جماله المبالغة" وإذا تجرد الشعر من المبالغة فهو بالنثر أشبه منه بالشعر، ولكن هذا الاعتذار باطل لايصح فان النبي صلى الله عليه وسلم نهى جواري الأنصار عن أن ينشدن شعرا نسب إليه فيه علم الغيب فما ظنك بعاقل يقرض مثل هذا الشعر أو يستحسنه به".(٢)

٢- النهي عن إطلاق لفظ "السيد"

الغلو في الأشخاص ذريعة إلى الشرك فيرد الشاه على ما اعتاد الناس من المبالغة في المدائح يقول: " أخرج أبوداود عن مطرف بن عبد الله بن الشخير قال: انطلقت في وفد بني عامر إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقلنا، أنت سيدنا فقال: السيد الله، فقلنا، وأفضلنا فضلا وأعظمنا طولا فقال: قولوا قولكم أو بعض قولكم، ولا يستجرينكم الشيطان(٣)"وقد أمر النبي صلى الله عليه وسلم في هذا الحديث بالاقتصاد والتوسط في مدح من يعتقد فيه الفضل وأن لايتخطى في ذلك من حدود البشرية فيلحقه بالله عزوجل وأن لايكون المادح مثل فرس جموح لايمسكه فارس ولايضبطه زمام فيسيء بذلك الأدب مع الله"(٤).

والسبب فيه بأن محبة المادح للممدوح يفضى إلى تعاظم الممدوح في نفسه وذلك ينافي كمال التوحيد(٥)

يقول الشاه: " واعلم أن لفظ السيد له معنيان فقد يراد به السيد الذي يملك الأمر مطلقا ولايتبع أحدا فيفعل ما يشاء كشأن الملوك في الدنيا وهذا مختص بالله تعالى فلا سيد بهذا المعنى

---

(١) تقدم الحديث وتخريجه ص: ٣٠١

(٢) تقوية الإيمان ص: ٧٨- ٧٩

(٣) أخرجه أبوداود - الأدب (٤٨٠٦) وأحمد في مسنده (٢٥/٤) وقال الحافظ في الفتح (١٧٩/٥) رجاله ثقات وقد صححه غير واحد . وانظر صحيح الجامع الصغير (٣٥٩٤)

(٤) تقوية الإيمان ص: ١٥٤

(٥) انظر فتح المجيد ص: ٥١٧

إلا الله، وقد يراد به فرد من أفراد الرعية يمتاز عن بقية الأفراد فإن أمر الحاكم يصل إليه أولا ثـم يصل إلى الآخرين بلسانه كرئيس قوم أو عمدة قرية وبهذا المعنى كل نبي سيد قومه وكـل إمـام سيد لأتباعه وكل مجتهد قائد لمقتديه وكل أستاذ له الرئاسة في تلاميذه لأنهم يمتثلـون أوامـر الله أولا ثم يعلمونها من دونهم، وهكذا نبينا صلى الله عليه وسلم سيد العـالمين، ورتبتـه عنـد الله فوق كل رتبة وهو أشد الناس امتثالا لأوامر الله تعالى، والخلق كلهم عيال عليه في الاهتـداء إلى الله ومعرفة أحكامه ومرضاته وبهذا المعنى نسميه بسيد العالمين بل يجـب أن نعتقـد هذاالاعتقـاد أما بالمعنى الأول فلا يصح ولايجوز فإنه لايتصرف في ذرة تصـرف السيد في ملكـه فضـلا عـن ضخام الأمور وكبار المخلوقات"(١)

فقد فسر لفظ السيد بهذين المعنيين للجمع بين إطلاق السـيد على الرسـول صلـى الله عليـه وسلم كما في هذا الحديث وبين الأحاديث التي نهى فيها عـن إطـلاق لفـظ السيد علـى نفسـه وغيره، كما قال عن نفسه:" أنا سيد ولد آدم ولافخر..."(٢) وكقوله في حـق معـاذ :" قومـوا إلى سيدكم أو قال خيركم"(٣) وكأمره صلى الله عليه وسلم: لايقل أحدكم أطعم ربك وضئ ربك وليقل: سيدي مولاي(٤)... وغيرها من الأحاديث العديدة.

ويقول ابن القيم رحمه الله بـأن السـيد إذا أطلـق عليـه تعـالى فهـو في منزلـة المـالك والمـولى والرب، لابمعنى الذي يطلق على المخلوق"(٥).

٣ـ النهي عن إطلاق لفظ عبدي وأمتي ونحوها من الألفاظ الشركية

وقد نهى النبي صلى الله عليه وسلم عن إطلاق لفظ عبـدي وأمـتي تحقيقـا للتوحيـد وسـدا لذريعة الشرك الذي ينقض التوحيد أو ينقصه، فإن حقيقة العبودية إنما يسـتحقها الله تعـالى وأن فيها تعظيما لايليق بالمخلوق استعماله لنفسه"(٦) ولكن انتشرت عادة إطلاق مثل هذه الألقاب والألفاظ الشركية البدعية، وزالت كراهتها من القلوب فيرد الشاه على هذه العـادات الـتي تنـم

---

(١) تقوية الإيمان ص: ١٥٤

(٢) أخرجه مسلم ـ الفضائل ـ (٢٢٧٨)

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه ٦٢٦٢ انظر فتح الباري ١١/ ٤٩

(٤) أخرجه البخاري ـ ٢٥٥٣ ـ الفتح ٥/١٧٧

(٥) نقلا عن فتح المجيد ص: ٥١٩

(٦) انظر فتح الباري ٥/ ١٨٠

عن الشرك فيقول:" أخرج مسلم عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: لايقولن أحدكم : عبدي وأمتي كلكم عبيد الله وكل نسائكم إماء الله ولايقل العبد لسيده : مولاي، فإن مولاكم الله"(١). "وقد دل الحديث على أنه لايصح أن يخاطب السيد عبده فيقول: ياعبدي، وأن يضيف ذلك إلى نفسه وإن كان في الحقيقة رقيقا له، أو أن يقول أحد : فلان عبد فلان أو أن يقول العبد لسيده: مولاي، وهذا فيمن كانوا عبيدا وسادة، فكيف بمن يدعي العبودية زورا، ويلقب نفسه بعبد النبي، وعبد علي، وعبد صاحب الجلالة، والعبد الخاص، وما اعتاده الشعراء والأدباء والغلاة في الحب والغرام من إطلاق كلمة" أمرد برست" أي عبد الغلام الأمرد وعابد الحبيب وعابد الشيخ والمرشد والافتخار بذلك أما استعمال ألقاب رب الأرباب (٢) والجواد المطلق فلامحل له البتة، ولامبرر بل غاية في إساءة الأدب مع الله، وما تعوده الناس من أن يقولوا لبعض الناس: أنت تملك مالي وحياتي، ونحن في تصرفك تفعل ما تشاء فهو كذب ومين وشرك"(٣)

ويقول في موضع ينهى عن إطلاق كل كلمة و صفة تليق بالله عزوجل على أحد من البشر فيقول: "عن ابن هانئ عن أبيه أنه لما وفد إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم مع قومه سمعهم يكنونه بأبي الحكم فدعاه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال:" إن الله هو الحكم وإليه الحكم فلم تكني أبا الحكم؟"(٤) ومغزى الحديث أن الكلمة التي لاتليق إلا بالله تعالى والصفة الخاصة به لايجوز أن يوصف بها غيره كملك الملوك، ومالك العالم، كله وفعال لما يريد، والمولى، والمعبود الواهب الأكبر، وأغنى الأغنياء"(٥)

---

(١) أخرجه مسلم ـ ٢٢٤٩ وأخرج البخاري بمعناه ـ العتق ـ ٢٥٥٢ انظر فتح الباري ١٧٧/٥

(٢) هذه الألفاظ والتعابير شائعة في الأدب الفارسي والهندي الذي تأثر منه مباشرا ومنها"كافر"العشق"و "عابد الحسن والجمال" وغير ذلك من الألفاظ الكفرية، وقد ذكر عددا من هذه التعابير في تذكير الإخوان ص:١٧١ منها استعمال لفظ "القبلة" والكعبة" إكراما و"كعبة الكونين" و" رب المساكين" ونحوها.

(٣) تقوية الإيمان ص: ١٥٠ـ ١٥١

(٤) أخرجه أبوداود ـ الأدب ـ ٤٩٥٥ ـ ٢٤٠/٥ والنسائي ـ القضاء ـ ٥٣٨٩ والحديث صحيح انظر صحيح الجامع الصغير ٣٧٧/١

(٥) تقوية الإيمان ص: ١٤٢ـ ١٤٣

٤ ـ النهي عن قول ما شاء ا لله وشئت

يواصل الشاه رحمه ا لله جهوده في النهي عن الأقوال الشركية فيحرم تعليق أمرما إلى مشيئة النبي صلى ا لله عليه وسلم فضلا عن غيره فيقول:" ويؤيد ما رواه حذيفة عن النبي صلى ا لله عليه وسلم قال: لاتقولوا ما شاء ا لله وشاء محمد، وقولوا ما شاء ا لله وحده(١)

"ظهر من هذا الحديث تحريم إشراك مخلوق في فعل يختص با لله تعالى، ووصفه بصفة لاتصلح إلا لله عزوجل، مهما بلغ هذا المخلوق من جلالة الشأن، وتقرب إلى ا لله فيقول مثلا: ما شاء ا لله وشاء رسوله لأن ا لله وحده يملك هذا العالم ويتصرف فيه ما شاء، لايشاركه في ذلك الرسول أو يسأل أحد رجلا أخبرني بما يخطر في قلب فلان أو ما يدور في باله أومتى يكون زواج فلان وما عدد الأوراق التي في هذه الشجرة وما هو عدد النجوم في السماء فلايجيبه : ا لله ورسوله أعلم لأن ا لله وحده يعلم الغيب ولكن إذا سئل أحد عن شيء في الدين، فلا بأس أن يقول: ا لله ورسوله أعلم، أو يقول: إن ا لله ورسوله أمر بكذا لأن ا لله قد أخبر رسوله أمور الدين وأمر عباده بطاعته"(٢).

٥ـ الاستشفاع با لله على المخلوق

ومن اهتمام النبي صلى ا لله عليه وسلم بشأن التوحيد وحمايته من كل ما يضره منعه من الاستشفاع با لله على المخلوق واستدل بها الشاه في الرد على أمور شركية واقعة في المجتمع المسلم فيقول :" أخرج أبوداود عن جبير بن مطعم قال أتى رسول ا لله صلى ا لله عليه وسلم أعرابي فقال: جهدت الأنفس، وجاع العيال، وهلكت الأموال، فاستسق ا لله لنا، فانا نستشفع بك على ا لله، ونستشفع با لله عليك، فقال النبي صلى ا لله عليه وسلم: سبحان ا لله سبحان ا لله، فما زال يسبح حتى عرف ذلك في وجوه أصحابه، ثم قال: ويحك، إنه لايستشفع با لله على أحد، شأن ا لله أعظم من ذلك، ويحك أتدري ما ا لله، إن عرشه على سماواته هكذا، وقال بأصابعه مثل القبة عليه، وإنه ليئط به اطيط الرحل بالراكب(٣) فاشتد استنكار النبي صلى

(١) أخرجه ابن ماجه ـ الكفارات (٢١١٨) وصححه الألباني في الصحيحة لشواهده ١/٢١٤ـ٢١٦ (١٣٧ ـ ١٣٨)

(٢) تقوية الإيمان ص: ١٤٤

(٣) سبق تخريج الحديث الكلام حول صحته في موضوع الأسماء والصفات.

الله عليه وسلم عليه، وفزع لذلك، من خشية الله وهيبته، وجعل يسبح الله، ويكثر من التسبيح والتنزيه، تغيرت وجوه أصحابه من عظمة الله وجلاله، وأوضح أن من يستشفع به على أحد يكون عادة أحط شأنا من الذي يشفع عنده، وإن الله تعالى عن ذلك علوا كبيرا، فلا يستشفع به عند أحد، وقد جرت العادة أن يستشفع عند من يملك الأمر ببعض خاصته، وأهل المنزلة عنده، فيقضي الرغبة ويعطي السول إرضاء لهذا الشفيع، وإكرما لقدره، والله هو الذي يملك زمام الأمور، وغيره ضعيف عاجز مفتقر إلى الله عزوجل فكيف يستشفع به على أحد من خلقه، فجميع الأنبياء والأولياء أمام عظمة الله وجبروته أقل من ذرة، وإن عرشه قد أحاط بالسموات والأرض كالقبة، ليئط به أطيط الرحل بالراكب، فليس في مقدرة مخلوق أن يتصور عظمته، ولايمكن له أن يتخيلها، فمن يجرؤ على أن يتدخل في مملكته، وينفذ فيها أمره، إنه يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد، ويأتي بأمور كثيرة لاتعد ولاتحصى في أقل من طرفة عين، فكيف يشفع عند غيره، ومن الذي يستبد بالأمور دونه"؟(١)

ثانيا : النهي عن الأعمال الشركية

وقد نهى النبي صلى الله عليه وسلم عن الأعمال الشركية كما نهى عن الأقوال الشركية، لحرصه علىالتوحيد وحمايته من كل ما يضره. منها:

١- النهي عن العرافة والكهانة وعلم النجوم

ومن تلك الأعمال الشركية التي تسبب الوقوع في الشرك اعتقادا وعملا، السحر والكهانةوعلم النجوم ونحوها من العلوم التي يدعي صاحبها علم الغيب أو التصرف في الكون، أويعتقد فيه غيره وكلها شرك أو موصلة إلى الشرك وقد تناول الشاه رحمه الله الأحاديث الدالة على النهي من هذه الأمور ورد من خلال شرحها على ما اعتاده الناس من الأعمال الشركية فيقول:" أخرج رزين عن ابن عباس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من اقتبس بابا من علم النجوم بغير ما ذكر الله فقد اقتبس شعبة من السحر، المنجم كاهن، والكاهن ساحر، والساحر كافر"(٢) إن الله تعالى قد ذكر النجوم والكواكب في كتابه وهي تدل علىحكمة الله وقدرته وقد جعلها الله تعالى زينة وجمالا للسموات الدنيا وهي رجوم للشياطين و لم يذكر

---

(١) تقوية الإيمان ص: ١٣٧ - ١٤٠

(٢) تقدم تخريج الحديث ص: ٥٩

أن لها تأثيرا في ملكوت السموات والأرض و أن لها علاقة بسعادة البشر وشقاوتهم فمن عدل عما ذكره الله من فوائدها إلى ما لم تخلق له هذه النجوم ويستدل بها على الغيب كما يفعل البراهمة من أخذ بعض الأخبار من الجن وإخبار الناس بها، ويقال لها الكهانة، فطريق المنجم والكاهن سواء والكهان يتوددون إلى الجن كما يفعل السحرة بالإيمان بهم وندائهم وتقديم النذور والقرابين إليهم فهذا كله من الكفر فالمنجم والكاهن والساحر كل منهم يتبع طريق الكفر"(١)

ورد الشاه جميع هذه الأمور وما يشبهها التي يُستند إليها في استكشاف الغيب والقضاء والقدر فيتعلق قلب الإنسان بهذه الأمور ويفقد الإيمان با لله وبقضائه وقدره ويعتقد بناء عليها المنفعة والمضرة ويربط الأمور بأسباب ليست شرعية ولا كونية، فيقع في الشرك لأنه يصدق من يدعي علم الغيب أو يدعي هو بنفسه علم الغيب وكلاهما كفر.

يقول الشاه ينكر علىمن يأتي العراف ويبين مضرته فيقول:" أخرج مسلم عن حفصة زوج النبي صلى الله عليه وسلم قالت: قال النبي صلى الله عليه وسلم: من أتى عرافا فسأله عن شيء لاتقبل صلاته أربعين ليلة(٢) وقد علمنا من هذا الحديث أن من أتى العراف الذي يدعي الإخبار بالغيب (٣) لم تقبل عبادته أربعين يوما وأنه شرك، والشرك يطمس نور العبادات كلها ويدخل في هذا الحكم المنجمون والرمالون واالمشتغلون بعلم الجفر و الفال ومن يدعي الكشف الذي لايخطيء ومن يدعي الاطلاع على الغيب والإخبار به عن طريق الاستخارة بالقطع"(٤)

٢- النهي عن الطيرة

وقد كان العرب يتطيرون بالسوانح والبوارح(٥) من الظبأ والطير وأصواتها، فنهى عنه النبي صلى الله عليه وسلم وجعله من الشرك، لأن الطيرة منافية للتوحيد، فإنها من الشيطان وتخويفه

---

(١) تقوية الإيمان ص:١٣١

(٢) أخرجه مسلم - السلام - باب تحريم الكهانة (٢٢٣٠) قوله (لاتقبل صلاته اربعين ليلة)" إذا كانت هذه حال السائل فكيف بالمسؤول "؟ الفتاوى ٣٥/ ١٩٣

(٣) انظر النهاية ٣/ ٢١٨

(٤) تقوية الإيمان ص: ١٣٢

(٥) السوانح، من السنح ومعناه اليمن ، والبركة، وضده البوارح معناه الشوم، القاموس ص: ٢٨٨،٢٧٢

ووسوسته، فيتعلق القلب بها خوفا وطمعا، وهذا منافي للتوكل على ا لله، وفيه سوء الظن بـا لله أيضا واعتقاد النفع والضر في الحيوانات والجمادات (١)

وتناولها الشاه بالشرح ونهى عنها وما يشبهها من الأشـياء الـتي كـانت منتشـرة في المجتمـع فيقول:" عن ابن مسعود أن رسول ا لله صلى ا لله عليه وسلم قال: " الطيرة شرك، الطيرة شرك، الطيرة شرك"(٢)

وعن سعد بن مالك أن رسول ا لله صلى ا لله عليه وسلم قال: لاهامة ولاعـدوى ولاطـيرة، وإن تكن الطيرة في شيء ففي الدار والفرس والمرأة(٣)ويقول بعد ذكر الأحاديث " وقـد كـان العرب اعتادوا التطير ولذا نهى النبي صلى ا لله عليه وسلم مرة بعد مرة، وحكـم عليـه بالشـرك، ليرجع الناس عن هذه العقيدة".

ويقول في شرح " هامة" وقد كان اشـتهر في جهـال العرب أن مـن قتـل و لم يؤخـذ بثـأره خرج من هامته طائر يقال له الهامة وهي كالبومة فما تزال تستغيث وتقول اسقوني حتى يؤخذ بثأره(٤) وقد أبطله النبي صلى ا لله عليه وسلم فمن زعم أن الإنسان يتمثـل بعـد موتـه بحيـوان، فهو كاذب"(٥)

ومما قال في شرحها:" وكـان مـن الاعتقـادات الشـائعة فيهـم ان بعـض الأمـراض كالحكـة والجذام تتعدى وتنتقل من انسان إلىآخر دون مشيئة ا لله وهي كلها اعتقادات باطلة لاأصل لها، وما اشتهر عندهم أن الأمر الفلاني لم يوافق فلانا وأنـه لم يوفـق فيـه فهـذا بـاطل أيضـا..." ثـم تناول الشاه موضوع الشـؤم، ورد علـى مـن يتشـاؤم بأشـياء لم يـرد عليهـا دليـل مـن الكتـاب والسنة، أما الشؤم في الثلاثة الـتي ورد ذكرهـا في الحديـث فقـد بـالغ النـاس في تحديـد صفاتهـا

---

(١) انظر فتح المجيد وحاشية حامد الفقي عليه ص: ٣١١

(٢) أخرجه أبوداود ـ الطب ـ ٣٩١٠ والترمذي ـ السير ١٦١٤ وقال : حديث حسن صحيح وابن ماجـة ـ الطب ـ ٣٥٣٨ وصححه الشيخ الألباني في الصحيحة (٤٢٩)

(٣) الحديث بهذا السياق أخرجه أبوداود في ـ الطب ـ ٣٩٢١ وأصل الحديث يوجد في الصحيحين، انظـر صحيح البخاري ـ ٢٨٥٨ انظر الفتح ٢١٥/١٠ و ٥٧٥٧ ومسلم في ـ السلام ـ ٢٢٢٠ و ٢٢٢٥

(٤) وبهذا فسر ابن الأثير في النهاية ٥/ ٢٨٣ في مادة " هوم"

(٥) وهي عقيدة التناسخ التي بنى عليها دين الهنادكة وتسربت إلى المسلمين والمراد بالتناسخ أن الموت موت للجسد، والروح تتقمص بجسد آخر حسب الأعمال إن كانت شرا في حيوان شرير وإن كانت خيرا فقد يتحد مع ا لله . انظر الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب المعاصرة ص: ٥٣٥.

وأماراتها من غير دليل فيرد عليها الشاه بقوله :" أما الشوم في الثلاثة التي جاء ذكرها في الحديث فلم يبين النبي صلى الله عليه وسلم علامة الشؤم وأوصافها، ومايحددون من العلامات والآثار العديدة في الفرس والدار والمرأة فكلها باطل ليس لها سلطان "(١)

يقول ابن القيم رحمه الله في شرح حديث" الشؤم في ثلاثة" :" فمن يعتقد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم نسب الطيرة والشؤم إلى شيء من الأشياء على سبيل أنه مؤثر بذلك دون الله فقد أعظم الفرية على الله وعلى رسوله... وغاية قوله صلى الله عليه وسلم أن الله قد يخلق أعيانا مشؤومة على من قاربها وسكنها، وأعيانا مباركة لايلحق من قاربها منها شؤم ولاشر،... والله سبحانه خالق الخير والشر والسعود والنحوس، فيخلق بعض هذه الأعيان سعودا مباركة ويقضي سعادة من قارنها وحصول اليمن له والبركة، ويخلق بعض ذلك نحوسا يتنحس بها من قارنها، وكل ذلك بقضائه وقدره" (٢)

وواعتاد الناس على نسبة الأمراض والبلاء إلى الشياطين والعفاريت،فيرد عليهم الشاه فيقول: " عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :لاعدوى، ولاهامة، ولاصفر(٣)

يقول في شرحه: "وقد اشتهر في الجاهلية أن الذي أصيب بالنهامة فيأكل ولايشبع ويسميه الأطباء بجوع الكلب، فقد دخل في بطنه عفريت أو شيطان، يأكل كل ما يتناوله الانسان فلا يشبع، وكانوا يسمونه بصفر(٤) فنفاه النبي في هذا الحديث، ومعنى ذلك أن ما يعتقده الناس في بعض الأمراض أنها من تأثير الشياطين والعفاريت ومن تصرفاتهم فهو باطل لاأصل له" وردت أحاديث بنفي العدوى وأخرى بإثباته، يقول ابن القيم رحمه الله جمعا بين تلك الأحاديث " بأنها تثبت الأسباب والحكم وتنفي ما كانوا عليه من الشرك واعتقاد الباطل، فإن العوام كانوا يثبتون العدوى على مذهبهم من الشرك الباطل كما يقوله المنجمون من تأثير الكواكب في هذا العالم، ولو قالوا أنها أسباب أو أجزاء أسباب إذا شاء الله صرف مقتضاياتها بمشيئته وإرادته وحكمته، وأنها مسخرة لما خلقت له، وأنها في ذلك بمنزلة سائر الأسباب التي ربط بها

---

(١) تقوية الإيمان بتغيير يسير ص: ١٣٣- ١٣٥

(٢) مفتاح دار السعادة ٢/٢٥٧

(٣) انظر التعليق برقم /١٤٤

(٤) يقول ابن الأثير في شهر صفر:" كانت العرب تزعم أن في البطن حية يقال لها الصفر تصيب الإنسان إذا جاع وتؤذيه، وأنها تعدي، وقيل أراد به النسيء، وهو تأخير المحرم إلى صفر ، النهاية ٣/٣٥

مسبباتها وجعل لها أسباب آخر تعارضها وتمانعها وتمنع اقتضائها لما جعلت أسبابا له، وإنها لاتقضي مسبباتها إلا بإذنه ومشيئته وإرادته، ليس لها من ذاتها ضر ولا نفع ولاتأثير ألبتة... ولو أثبتوا العدوى على هذا الوجه لما أنكر عليهم ..." (١).

ويرد الشاه على عقيدة شركية منتشرة، وذلك أن العوام كانوا يعتقدون في الشياطين أنهم يقدرون على الإيذاء وإصابة الأمراض ولذا كانوا يخضعون لهم بعبادتهم بتقديم النذوروالذبح لهم خوفا منهم كما ذكره الله عزوجل في القرآن العظيم﴿ وكان رجال من الإنس يعوذون برجال من الجن فزادهم رهقا﴾(٢)

ويقول أيضا يرد على ما انتشر في المسلمين من سوء المعتقد والتطير:" وقد اشتهر فيهم أن شهر صفر نحس يجب أن يمتنع الناس فيه من الزواج والأسفار والتجارات والمعاملات ويدخل في ذلك ما يعتقده جهال الهند أن أيام الثلاثة عشر الأولى من شهر صفر مشؤومة ينزل فيها البلاء ويسمونها ب" تيره تيزي" (٣) فتفسد الأعمال وتضيع المساعي وكذلك يزعمون أن بعض الأيام من الشهر نحس، فينتهون عن الإتيان ببعض الأعمال المهمة فيها، فهذه من الأمور الشركية بل يجب أن يكون جل الاعتماد على الله تعالى"(٤)

ووجه الشرك فيها بأنهم اعتقدوا فيها المضرة، فربطوا النفع والضر بأسباب لم يأت الشرع بها.

٣- النهي عن الصور

ومما نهى عنه الشرع اتخاذ الصور والتماثيل لأن اتخاذ الصور والتماثيل سبب عظيم لوقوع الناس في الشرك، فالناس جبلوا على حب ذوي الفضل وحبهم في حياتهم، واتخاذ صورهم بعد مماتهم يستدعي تعظيمهم وإكرامهم والغلو فيهم حتى يصل الأمر إلى اتخاذهم وسائط بين الله وبين الخلق وهو شرك عظيم وقع فيه الأولون والآخرون، وكان بداية وقوع الشرك بسبب هذه الصور، كما ورد من السلف في تفسير الآية﴿وقالوا لاتذرن آلهتكم ولاتذرن ودا ولاسواعا

---

(١) مفتاح دار السعادة ٢/٢٦٩

(٢) سورة الجن / ٦ " وكان العرب في جاهليتها يعوذون بعظيم ذلك المكان إذا نزلوا واديا أو مكانا موحشا من البراري وغيرها... انظر تفسير ابن كثير ٤/ ٤٥٧

(٣) معناه الأيام الثلاثة العشرة الحادة

(٤) تقوية الإيمان ص: ١٣٦

ولايغوث ويعوق ونسرا﴾*كانوا قوما صالحين من بني آدم وكان لهم أتباع يقتدون بهم، فلما ماتوا قال أصحابهم الذين كانوا يقتدون بهم: لو صورناهم كان أشوق لنا إلى العبادة إذا ذكرناهم فصوروهم فلما ماتوا وجاء آخرون دب إليهم إبليس فقال: إنما كانوا يعبدونهم وبهم يسقون المطر فعبدوهم"(١)

وقد أنكر الشاه اتخاذ الصور لذريعته إلى الشرك فيقول:" أخرج البخاري عن عائشة أنها اشترت نمرقة فيها تصاوير فلما رآها رسول الله صلى الله عليه وسلم قام على الباب و لم يدخل، فعرفت في وجهه الكراهية قالت: قلت: يارسول الله أتوب إلى الله وإلى رسوله ... فقال سول الله صلى الله عليه وسلم: إن أصحاب هذه الصور يعذبون يوم القيامة ويقال لهم: أحيوا ما خلقتم وقال: إن البيت الذي فيه الصور لاتدخله الملائكة".(٢)

ويقول فى شرحه:" ويعبد كثير من المشركين الأصنام والصور فتكرهها الملائكة وينفر منها الأنبياء ويعذب صانعها، وقد ثبت من هذا الحديث أن ما يفعله بعض الجهال من تعظيم صور الأنبياء أو الأئمة أو الأولياء أو المشائخ ويحفظونها عندهم للبركة فذلك ضلال محض وشرك، والنبي والملائكة برآء منه، بل يجب على المسلم أن يزيحها من البيت ويعتقدها نجسا حتى تدرك بذلك محبة الرسول، وتدخل الملائكة أيضا هذا البيت وتحل البركة فيه بدخولها"(٣)

ويبين شناعة عمل التصوير فيقول:" وتعرف شناعة عمل التصوير بأن فاعله قد قرن بقاتل نبي فإذن هو أقبح وأشقي من يزيد وشمر اللذين توليا قتل الحسين و لم يكن هو نبيا من الأنبياء بل كان سبطا لرسول الله صلى الله عليه وسلم، ويدل عليه حديث ابن عباس قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: أشد الناس عذابا يوم القيامة من قتل نبيا، أو قتله نبي، أوقتل أحد والديه، والمصورون،وعالم لاينتفع بعلمه"(٤)(٥)

ثم المصور بمحاكاته لله عزوجل كأنه يدعي الألوهية وهذا كفر عظيم، ويقرر ذلك الشاه في شرح الحديث فيقول:" أخرج الشيخان عن أبي هريرة قال سمعت رسول الله صلى الله عليه

* -سورة النوح / ٢٣

(١) تفسير ابن جرير ١٢/ ٢٥٤

(٢) أخرجه البخاري ـ اللباس ـ ٥٩٦١ انظر فتح الباري ١٠/ ٣٨٦ ومسلم برقم ـ ٢١٠٩

(٣) تقوية الإيمان ص: ١٥٦

(٤) انظر سلسلة الأحاديث الصحيحة برقم (٢٨١)

(٥) تقوية الإيمان ص: ١٥٧

وسلم يقول: قال الله تعالى:ومن أظلم ممن ذهب يخلق كخلقي فليخلقوا ذرة أو يخلقوا حبة أوشعيرة"(١)

"فالمصور من جهة يدعي الألوهية فإنه يريد أن يصورصورة تشبه ما خلقه الله تعالى، فهو ادعاء كاذب وإساءة الأدب مع الله سبحانه وتعالى، فإن المصور لايقدر على خلق ذرة ولاحبة ولاشعير بل هو محاكاة محضة لله تبارك وتعالى"(٢)

وهكذا اشتد انكاره على التعلق بالتصاوير ومن يشتغل بالتصوير لأنه سبب عظيم للشرك.

٤- التغيير في خلق الله

ومن الأفعال الشركية التي كانت عند العرب الجاهليين، حذر منها النبي صلى اللله عليه وسلم، ووقعت في المسلمين هو التغيير في خلق الله تعبدا للشيطان لأن الله عزوجل لم يأمر به بل الشيطان الذي سول لهم ذلك . وقد تناولها الشاه بالرد، فيقول في شرح قول الله تعالى﴿ إن يدعون من دونه إلا إناثا وإن يدعون إلا شيطانا مريدا لعنه الله وقال لأتخذن من عبادك نصيبا مفروضا ولأضلنهم ولأمنينهم ولآمرنهم فليبتكن آذان الأنعام ولآمرنهم فليغيرن خلق الله ومن يتخذ الشيطان وليا من دون الله فقد خسر خسرانا مبينا﴾(٣) وقد أعلن الشيطان أمام الله أن لابد أن يتخذ كثيرا من عباده عباده ويضلهم ويمنيهم ويأمرهم فيقطعون آذان الأنعام تقربا إليه وإشعارا له ويأمرهم فيقلدونها ويضعون لها علامات مثل صبغ وجوههن بالحناء، وتقليدهن قلائد الزهور كما يفعل بالعريس في الهند ويوضع النقد في أفواههن، ويدخل في ذلك كل إشعار الحيوان تقربا إلى إله أو آلهة وقد وعده الشيطان بأن يأمرهم فيغيرون خلق الله الذي خلقهم عليه، فبعضهم يرسل ضفيرة باسم آلهتهم ومنهم من يثقب أنفه وأذنه إظهارا للخضوع والاستكانة والرق والعبودية، ومنهم من يحلق لحيته(٤) ومنهم من يظهر الفقر بحلق الحاجبين

---

(١) أخرجه البخاري - التوحيد - ٧٥٥٩ انظر فتح الباري ١٣/ ٥٢٨

(٢) تقوية الإيمان ص: ١٥٧

(٣) سورة النساء /١١٧ - ١٢١

(٤) في الهند طريقة صوفية شهيرة تسمى " قلندرية " فأبنائها يحلقون لحاهم ولايأخذون أنفسهم بشعائر الدين الإسلامي ولابمقومات الأخلاق، انظر : الكشف عن حقيقة الصوفية ص: ٣٥٧

وشعر اللحية والرأس(١) وهذه من وساوس الشيطان وأعمال ضد أمر ا الله وسنة رسوله ومن يتخذ الشيطان وليا من دون ا الله فقد خسر خسرانا، مبينا لأن الشيطان عدو لدود للناس وإنه لايملك إلا النزعة والنفثة في القلب،وقد يعد ويمني ويذهب بالإنسان إلى هذه الأماني والأحلام ويغرق في التخيل ويبعد النجعة وكل ذلك بناء منهار وقصة أسطورية وبذلك يضل الإنسان عن الطريق السوي ويبعد عن ا الله ويجري وراء الخلق، ولايكون إلا ما قدره ا الله وما كتبه قلم القضاء له، لاتنفع فيه هذه الاعتقادات بل هذه كلها وساوس شيطانية لايكاد الإنسان يخرج منها فيخسر دينه ويهوي في مهاوي الشرك ويخلد في النار"(٢)

٥ـ النهي عن الأسماء المعبدة لغير ا الله

المشركون كانوا يعبدون أنفسهم وأولادهم لغير ا الله كعبد الشمس وعبد العزى، ونحوها والنصارى يعبدون أنفسهم بعبد المسيح، فتتعلق قلوبهم بغيرا الله عزوجل، وهي أسماء تنم عن الشرك، فإن ربه ومالكه وخالقه هو ا الله فليس هو عبدا إلا الله،ولذا قد غير النبي صلى ا الله عليه وسلم مجموعة من الأسماء الشركية إلى الأسماء الإسلامية ومن الأسماء الكفرية إلى الأسماء الإيمانية(٣)

فدعا الشاه رحمه ا الله إلىالتسمية بأسماء تكون شعارا للتوحيد فيقول: " أخرج مسلم عن ابن عمر رضى ا الله عنه قال: قال رسول ا الله صلى ا الله عليه وسلم: إن أحب أسمائكم عبد ا الله وعبد الرحمن"(٤)

وقد دل هذا الحديث على أن أحب الأسماء إلى ا الله ما دلت دلالة واضحة على عبودية العبد وذله وعجزه أمام ا الله، وما كانت شعارا للتوحيد ومنها الأسماء التي ذكرت في هذا الحديث كنموذج ويدخل فيها أسماء أخرى كعبد القدوس عبد الخالق، (وخدا بخش، وا الله ديا،

---

(١) فرقة صوفية في الهند يتسمون أنفسهم الفقراء فلا يكسبون أبدا بل يعيشون على التسول ويفتخرون على هذه المهنة.

(٢) تقوية الإيمان ص: ١٢٢

(٣) انظر تسمية المولود، لبكر بن عبد ا الله أبوزيد ص: ٥٨

(٤) أخرجه مسلم ـ الآداب ـ ٢١٣٢

وا لله داد) (١) وغيره، والمقصود من الحديث، الأسماء التي أضيفت إلى ا لله، لاسيما الأسماء الحسنى التي لاتطلق على غير ا لله تعالى"(٢)

ونهى عن الأسماء الشركية التي فيها رائحة الشرك. مستدلا بالآية﴿هو الذي خلقكم من نفس واحدة وجعل منها زوجها ليسكن إليها فلما تغشاها حملت حملا خفيفا فمرت به فلما أثقلت دعوا لله ربهما لئن آتيتنا صالحا لنكونن من الشاكرين فلما آتاهما صالحا جعلا له شركاء فيما آتاهما فتعالى ا لله عما يشركون﴾(٣) فقد ذكر في شرحها كفر الإنسان بنعم ا لله إذ ييسر له جميع مراحل الخلق فإذا به عند ولادة مولوده يتعلق بغير ا لله فيشرك به، وذكر أنواع الشرك التي يأتي بها الإنسان مع أولاده ثم يذكر شركه في تسمية المولود فيقول : "ومنهم من يسمي ولده نبي بخش، (هبة نبي) أو على بخش، (عطية على) أو إمام بخش،(هبة إمام) أو بير بخش (هبة الشيخ) أو ستيلا بخش(منحة ستيلا)* وهي الإلهة التي يحتفظ بها من مرض الجدري، أو بكنكا بخش (هدية نهر الكنج) المقدس عند الهنادك وا لله غني عن عبادتهم ونذورهم...(٤)

٦- النهي عن العادات الشركية

فإن الشرك يدب كدبيب النمل وقد لايشعر به الإنسان كما قال ابن عباس رضى ا لله عنه: " الشرك أخفي من دبيب النمل علىصفاة سوداء في ظلمة الليل وهو أن تقول وا لله وحياتك يا فلانة وحياتي وتقول: لولا كلبة هذا لأتانا اللصوص...(٥) ولذا كان النبي صلى ا لله عليه وسلم أخوف ما يخاف على أمته وقوع الشرك فيها فيقول:" أخوف ما يخاف عليكم الشرك الأصغر"(٦)

---

(١) وهي جميعا أسماء هندية بمعنى " عطاء ا لله".

(٢) تقوية الإيمان ص: ١٤٢

(٣) سورة الأعراف/ ١٨٩ - ١٩٠

* - اسم آلهة هندية يعتقد عبادها أنها تملك مرض الجدري فلا يصيب الإنسان هذا المرض إلا بإرادتها ولايشفى منه إلا بإذنها.

(٤) تقوية الإيمان ص: ١٢٤

(٥) انظر تيسير العزيز الحميد ص: ٥٨٧ وفيه حديث مرفوع صحيح أيضا (فتح المجيد ص: ١٠٥)

(٦) أخرجه أحمد في مسنده (٥/ ٤٢٨، ٤٢٩) وقد صححه الشيخ الألباني في الصحيحة ٩٥١

ولو تأمل المتأمل لرأي عادات كثيرة شركية في المجتمع المسلم، وقد حاول الشاه رحمه الله أن ينبه المسلمين على وجه الشرك فيها حتى يجنبهم من الشرك فيقول:" قال الله تعالى﴿ هو الذي خلقكم من نفس واحدة وجعل منها زوجها ليسكن إليها فلما تغشاها حملت حملا خفيفا فمرت به فلما أثقلت دعوا الله ربهما لئن آتيتنا صالحا لنكونن من الشاكرين فلما آتاهما صالحا جعلا له شركاء فيما آتاهما فتعالى الله عما يشركون﴾(١) الآية تدل على قلة وفاء الإنسان وكنوده وكفره بالنعمة وقد خلقه الله ورزقه زوجة يأنس بها وجعل بينهما مودة ورحمة....فلما وهب لهما الولد أقبل على غير الله بالخضوع والنذر وتقديم القرابين فمنهم من يأخذ الولد إلى قبر، ومنهم من يذهب به إلى نصب، ومنهم من يرسل في رأسه ضفيرة باسم أحد الصالحين، أو الأولياء المقربين ومنهم من يقلد قلادة ومنهم من يكبل الكبل في رجله، ومنهم من يرسله إلى الناس يتسول ويتكدى وهو لايشتغل بشيء من أمور الدنيا، ويقال هذا صعلوك فلان من الصالحين...."(٢) وقد ذكر الأمثلة العديدة من واقع المسلمين حتى يحذرهم منها.

ثم إن الفلسفات الوثنية قد أولعت بالإناث، وقلد المسلمون المشركين في ذلك والتزموا بها وأصبحت عادة مستمرة يرد عليهم الشاه بأنها شرك وليس له حقيقة فيقول:"قال الله تبارك وتعالى﴿ إن يدعون من دونه إلا إناثا .....﴾(٣)"معنى الآية أن قصارى جهد المشركين تخييل الإناث وصرف الهمة إليهن بجميع القوى واللهج بأسمائهن لجلب النفع ودفع الضرر فمنهم من يعبد السيدة فاطمة ومنهم من يعبد آسية(٤) ومنهم من يعبد "أتاولي" ومنهم من يختار "جنية حمراء" ومنهم من يختار "جنية سوداء" ومنهم من يعبد "ستيلا" ومنهم من يعبد "مساني" ومنهم من يختار" كالي" ومنهم من يختار أسماء إناث أخرى(٥) وغول وجنيات ذات ألوان مختلفة وآلهة من آلهة الوثنيين تنسب إليها قدرة وتصرف في الكون وصلة خاصة ببعض الأمراض والأولاد

(١) سورة الأعراف ١٨٩ ـ ١٩٠

(٢) تقوية الإيمان ص: ١٢٤

(٣) سورة النساء / ١١٧

(٤) المشهور أنها إمرأة فرعون التي صبرت على المصائب في سبيل عقيدتها الصحيحة انظر تفسير ابن كثير سورة التحريم.

(٥) وهي أسماء لآلهة هندية لها أهمية عظيمة في فلسفة الديانة الهندية انظر حاشية المترجم ص: ١٢١

وتأثير في الوقاية عنها وما هي إلا تخيلات وتوهمات وليس هنا أنثى ولاذكر وإنما هو تسويل من تسويلات الشيطان"(١)

فقد أبطل ما كان يرى في المجتمع من الشركيات، وإنه تقليد بحت للمشركين واتباع لسننهم. فيقول في شرح قوله تعالى:﴿ يا صاحبي السجن أ أرباب متفرقون خير أم ا الله الواحد القهار﴾(٢) .... "لاوجود لهؤلاء السادة الأرباب الذين يشركهم الجهال في ملك ا الله وملكوته انما هم من نسج الخيال فما يعتقده الجهال بأن إنزال المطر بيد فلان وإنبات النبات وإخراج الحب بيد فلان .... ثم يختلقون لهم أسماء فيسمون بعضم ببعض الأسماء التي يخترعونها ثم يعكفون عليها عبادة ودعاء ونداء، ثم يمر على ذلك زمن فيستمسكون بهذه العقائد والعادات وما هي إلا تخيلات ولاحقيقة لها في الخارج. وليس هناك شيء سوى ا الله ولا أحد سمي بهذا الاسم فإنه لاسلطان له في الكون والذي يملك أزمة الأمور هو ا الله وحده وليس من أسمائه "محمد" أو "على" أما الذين سموا بهذه الأسماء فهم لايملكون شيئا في هذا العالم أما الذي ينادي "بمحمد" أو "بعلى" الذي يملك هذا العالم فلاوجود له البتة وانما هي أسماء سماها الجهال وآباءهم ما أنزل ا الله بها من سلطان و لم يأمر ا الله بنسج أمثال هذه التخيلات والأوهام فإن أصل الدين أن يمتثل العبد أمر ا الله ويفضله على كل شيء وعلى كل ما انتشر في الناس من العادات والتقاليد...."(٣)

٧ـ الأعمال الشركية عند القبور

الاعتقاد في الأولياء وتعلق القلوب بهم، دفع الناس إلىاتخاذ القبور مساجد وتسميتها بالمشاهد وتزيينها بكل زينة بإسبال الستور وإلقاء الزهور عليها حتى تتعاظم في النفوس وتترسخ عظمتها في القلوب، و لم يكتفوا عليها بل اخترعوا للمشاهد، والمكان المجاور لها، وفي السير إليها آدابا، وشروطا وأحكاما تشبه أحكام الحج وأدابه، بل تفوقها في الدقة والاحتياط. وقد تطرق اليها الشاه رحمه ا الله ومنع منها، لأنها أعمال شركية لايجوز إتيانها إلا فيما شرع . فيقول:" في شرح قوله تعالى﴿وأذن في الناس بالحج يأتوك رجالا وعلى كل ضامر يأتين من كل فج عميق

(١) تقوية الإيمان ص: ١٢١

(٢) سورة يوسف / ٣٩

(٣) تقوية الإيمان بتصرف يسير ص: ١٠٧ ـ ١٠٨

...﴾ الآية.(١)إن الله قد خصص أمكنة لتعظيمه كالكعبة، وعرفة،ومزدلفة،ومنى، والصفا،والمروة، ومقام إبراهيم والمسجد الحرام كله ومكة كلها، والحرم كله، وألهم الناس شوقا إلى زيارتها، والحنين إليها، فيقصدون هذه الأمكنة المقدسة رجالا وركبانا ويأتون إليها من كل فج عميق، ومرمي سحيق، ويكابدون في سبيلها مشاق السفر، ويتحملون متاعب التنقل، ويصلون إليها شعثا غبرا،متبذلين في الثياب، ويذبحون هنالك الهدي لله عزوجل، ويوفون نذورهم، ويطوفون بالبيت العتيق، ....فمنهم من يستلم عتبة البيت ويقبلها(٢)، ومنهم من يقوم داعيا أمام الباب، ومنهم من يتضرع متعلقا بكسوة الكعبة(٣)، ومنهم من يعتكف عنده بنية العبادة ليلا ونهارا، ويتوجه إلى ذكره، ومنهم من يشخص بصره إلى بيت الله(٤)، ... إلى غير ذلك من مظاهر التعظيم، وشعائر الحب والتفاني، والله يرتضيها، ويجزيهم بها في الدين والدنيا، فلاتجوز هذه الأعمال ـ التي تختص بهذه الأمكنة ـ لتعظيم شيء آخر (شخصا كان أو قبرا، أو مكان عبادة لرجل صالح، أو نصبا لصنم)".

"ومن الشرك أن يقصد الإنسان إلى مشاهد وضرائح الأولياء والصالحين، من أصقاع بعيدة وأرجاء نائية، ويشد إليها الرحال، ويتجشم في سبيلها المشاق والصعوبات، يصل إليها متبذلا متوسخا أغبر أشعث، ويذبح هناك الحيوانات، ويوفي النذور، أو يطوف حول قبر أو بيت، ويعظم ويحترم الغابة التي تحيط بهذا المكان، ولايصيد هناك صيدا، ولايعضد شجرة، ولايختلي عشبا، ويرجو من ذلك الثواب والنفع في الدنيا والآخرة، كلها شرك يجب الحذر منها".(٥)

وهكذا جعل الشاه جميع الأعمال التي يأتي بها القبوريون عند القبور من الشرك .

---

(١) سورة الحج / ٢٧ ـ ٢٩

(٢) لايجوز التعبد إلا بما شرع وهذا لم يثبت في الشرع

(٣) ليس له دليل في الشرع

(٤) لايجوز التعبد إلا بما شرع وهذا لم يثبت في الشرع

(٥) تقوية الإيمان ص: ١٠٤ وانظر نسخة أردو أيضا.

المبحث الثالث: عودة الشرك القديم في الأمة وشبهات المشركين في ذلك

المطلب الأول : وقوع الشرك في الأمة المسلمة

رد الشاه على شبهات المشركين الذين ينكرون وقوع الشرك في المسلمين وأثبت بأن الشرك قد وقع فيهم، بل انتشر بصورة هائلة، بل ما من نوع من أنواع الشرك الذي كان في عباد الأوثان قديما إلا وقد اختاره جمع من المسلمين اليوم فيقول: " ومعلوم أن كثيرا من الناس اليوم ينادون المشائخ والأنبياء والأئمة والملائكة والجنيات عند الشدائد ويسألونها قضاء الحاجات وينذرون لها ويقربون لها قرابين لتقضى حاجاتهم ومآربهم ينسبون إليها أبناءهم طمعا في درء البلاء... وبعضهم يذبح حيوانا بأسمائهم وبعضهم يستغيث بهم عند الشدة وبعضهم يحلف في حديثه بأسمائهم.

"والحاصل أنه ما سلك عباد الأوثان في الهند طريقا مع آلهتهم إلا وسلكه الأدعياء من المسلمين مع الأنبياء والأولياء والأئمة والشهداء والملائكة والجنيات واتبعوا سنن المشركين شبرا بشبر، ذراعا بذراع ونعلا بنعل فما أجرأهم على الله وما أبعد الشقة بين الاسم والمسمى والحقيقة والدعوى وصدق الله تعالى إذ قال: ﴿وما يؤمن أكثرهم بالله إلا وهم مشركون﴾"(١)(٢)

ويستدل عليه بحديث ثبت فيه بأن الناس سيعودون إلى الطواف بذي الخلصة فيقول:" أخرج الشيخان عن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:" لاتقوم الساعة حتى تضطرب أليات نساء دوس حول ذي الخلصة"(٣) وقد أخبر النبي صلى الله عليه وسلم" أن الناس سيعبدونه قرب القيامة وأن نساء دوس تطوف حولها"(٤)

---

(١) سورة يوسف/ ١٠٦

(٢) تقوية الإيمان ص: ٣٧ ـ ٤٠

(٣) أخرجه البخاري ـ الفتن ـ باب تغيير الزمان حتى تعبد الأوثان(٧١١٦) ومسلم ـ الفتن ـ باب لاتقوم الساعة حتى تعبد دوس ذا الخلصة(٢٩٠٦) يقول الشاه في شرح ذي الخلصة: كان في العرب قبيلة يقال لها دوس وكان لهم صنم في الجاهلية تدعى بذي الخلصة كسر في عهد النبي صلى الله عليه وسل،

==

"ودل هذا الحديث على حرمة الطواف حول كل بيت وهو من تقاليد الكفرة والمشركين إلا حول البيت العتيق الذي هو بيت ا لله "(١) بل أخبر النبي صلى ا لله عليه وسلم أن قبائل من أمته سترجع إلى عبادة الأوثان وهو شرك أعظم فيقول: " أخرج الترمذي عن ثوبان قال قال رسول ا لله صلى ا لله عليه وسلم:" لاتقوم الساعة حتى تلحق قبائل من أمتي بالمشركين وحتى تعبد قبائل من أمتي الأوثان"(٢) ويعلم من هذا الحديث أن الوثن نوعان:

النوع الأول : أن يجعل لأحد تمثال ويعبد ويقال في العربية " صنم"(٣)

والنوع الثاني: أن يخصص بيت أو شجرة أو حجر أو خشب أو قرطاس، وينسب إلى أحد ثم يعبد ويجل ويعظم، ويقال له في العربية "وثن" ويدخل فيه القبر،ومكان جلس فيه أحد الصالحين،واعتكف للأربعين، أو عكف علىالعبادة والرياضة، ويدخل فيه اللحد، أو عصا يعزى إلى أحد من الصالحين والأولياء، أو ضريح مصنوع من القرطاس أو القماش منسوب إلى الحسين بن على(٤) والعلم(٥) والشدة(٦) والمينديهي (٧) الذي ينسب إلى الإمام قاسم بن حسن بن

تقوية الإيمان ص: ١١٩ ويقول ابن الأثير:" والمعنى أنهم يرتدون ويعودون إلى جاهليتهم في عبادة الأوثان" النهاية ٢/ ٦٢

(٤) تقوية الإيمان نسخة أردو ص: ٩١

(١) تقوية الإيمان ص: ١١٩

(٢) أخرجه أبوداود ـ الفتن ٤٢٥٢ والترمذي ـ الفتن ٢٢١٩ وقال: حسن صحيح وصححه الألباني في الصحيحة ٤/ ١١٠

(٣) الصنم هو التمثال المصور، قاله مجاهد وفسر به ابن جرير انظر : تفسيره ٧/ ٤٦٠ ويقول ابن الأثير الفرق بين الوثن والصنم أن الوثن كل ما له جثة معمولة من جواهر الأرض أو من الخشب والحجارة كصورة الأدمي تعمل وتنصب فتعبد ـ والصنم، الصورة بلاجثة وقد يطلق الوثن على غير الصورة، انظر النهاية٥/١٥

(٤) ويسمى ب" تعزية" يحمل علىالأكتاف والكواهل في موكب، وتنشد عليه الأبيات في تأبين الحسين ورثائه.ثم يدفن يوم عاشوراء.

(٥) يرفع الشيعة في الهند وفي وغيرها من الأماكن أعلاما كثيرة في شهر المحرم تشبيها بالأعلام التي رفعها المقاتلون وأنصار الحسين،في كربلاء في المعركة التي استشهد فيها حسين رضي ا لله عنه.

(٦) وهو علم يطاف به في شهر المحرم إحياء لذكرى الشهداء الذين استشهدوا في كربلاء من أسرة الحسين رضي ا لله عنه مع الضرائح المصنوعة من القرطاس والقماش، وأصله قبضة من فضة تشد بخشب، ويلقون عليها قماشا أخضر، وأحمر .

على بن أبي طالب، والشيخ عبد القادر الجيلاني، ومصطبة ومكان يجلس فيه الأساتذة والمشائخ للإفادة والإرشاد فيعظمون ذلك ويقدمون إليه النذور والقرابين، ويصنعون لبعض الشهداء طاقا وعلما ومدفعا، ويقربون إليه التيوس، ويحلفون به، ويدعون بعض البيوت بأسماء بعض الأمراض، فبيت يشتهر باسم " الجدري" وينسبون بعض البيوت إلى بعض الآلهة البرهمية،كبيت مساني، أو بهواني، أو كالي أو براهي، فهذه كلها أوثان. وقد أخبر النبي صلى ا لله عليه وسلم إن المسلمين الذين يصبحون فريسة الشرك والوثنية عند قرب الساعة وفي آخر الزمان يكون شركهم من نوع العكوف على أشياء تنسب إلى السابقين ويعتقدون في هذه الأشياء النفع والضر ويغلون في تقديسها وتعظيمها خلافا لمشركي الهند ومشركي العرب فإنهم عباد أصنام يعبدون التماثيل وكلتا الطائفتين مشركة قد أعرضت عن ا لله وخالفت الرسول وتعاليمه"(١)

ويقول في شرح حديث عائشة رضى ا لله عنها أنها قالت: سمعت رسول ا لله صلى ا لله عليه وسلم يقول: لايذهب الليل والنهار حتى تعبد اللاّت والعزى...(٢) وقد دل الحديث على أن للشرك القديم والوثنية البائدة عودة وانتشارا في آخر الزمان وقد ظهر ما أخبر به النبي صلى ا لله عليه وسلم، فقد بدأ الشرك القديم الذي ظن كثير من المشركين أنه قد انقرض،ينتشر بجوار ما يفعله المسلمون مع النبي صلىا لله عليه وسلم والأولياء والأئمة والشهداء من الأعمال الشركية...." وساق عددا من الأعمال الشركية التي يعمل بها المسلمون ثم يقول: " وإن هذه كلها من عادات الهنادك والمجوس وهي التي عمت في المسلمين، وقد تبين من ذلك أن الشرك يسري في المسلمين إذا تركوا العمل بالقرآن والحديث وتمسكوا بتقاليد الآباء والأجداد وعاداتهم".(٣)

وهكذا فند الشاه مزاعم من يزعم بأن ما يفعله المشركون ليس شركا إنما هو توسل أو حب الصالحين، وأثبت بأنه شرك بحت مثل شرك الجاهلية،ولم يكتف بهذا بل أثبت أن الشرك ينتشر في آخر الزمان انتشارا لايبقى من يعبد ا لله وحده، ويستدل عليه بحديث الدجال الذي

---

(٧) يصنع الشيعة الإمامية شيئا مربعا من القرطاس الملون، ويشعلون في جوانبه الأربعة شمعات ذات لون أحمر وأخضر، ويسمونه "مينهدي" معناه بالعربية " الحناء" ويضعونه في البيت الذي يضعون فيه الضرائح القرطاسية. الحواشي (٣-٧)مأخوذة من حاشية المترجم.

(١) تقوية الإيمان ص: ١١٤

(٢) أخرجه مسلم - الفتن - ٢٩٠٧

(٣) تقوية الإيمان ص: ١١٥ - ١١٧

فيه... فيبقى شرار الناس لايعرفون معروفا ولاينكرون منكرا فيتمثل لهم الشيطان فيقول لهم: ألا تستجيبون؟ فيقولون: ماذا تأمرنا؟ فيأمرهم بعبادة الأوثان وهم في ذلك دار رزقهم حسن عيشهم.(١)

يستدل بالحديث بأن الشيطان لايرضى عماهم فيه من المعاصي العظيمة بل يدفعهم إلى عبادة الأوثان لأن الشرك أحب إليه من المعاصي مهما بلغت من الشناعة.ومما قال في شرح الحديث المذكور " فيجب أن يحذر الإنسان مكر ا لله، لأن العبد قد يكون مشركا، طالبا من غير ا لله تحقيق أمانيه وقضاء مآربه، فيقضي ا لله حاجاته امتحانا، وإمهالا، وهو يحسب أنه يحسن صنعا، فلا يثق الإنسان بالنجاح ولا بالخيبة في الأماني والرغبات،وألايجعلهما ميزانا لخير أو شر وحق وباطل، ولايترك دين الحق دين التوحيد، لعدم تحقق بعض الرغبات والخيبة في بعض الآمال...."(٢)

المطلب الثاني : شبهاتهم في اتخاذ الوسائط

فإن أعظم شبهة وأعظم دليل يستند إليه المشركون اليوم وفي زمن النبي صلى ا لله عليه وسلم قولهم بأنهم يقرون بأن ا لله هو المحي والمميت وهو الرازق والمدبر ولكن للأنبياء والأولياء جاه عند ا لله ومرتبة فنطلب من ا لله بهم وبجاههم(٣) فإنهم شفعاؤنا عند ا لله ويقيسون ا لله عزوجل على الخلق كما أن للملك وزراء ولايمكن الوصول إليه إلا عن طريقهم كذلك لايمكن الوصول إلى ا لله إلا عن طريق هؤلاء الشفعاء . وهكذا وقعوا في تشبيه الخالق بالمخلوق. وهو من أبطل الأقيسة وأفسدها. فأورد الشاه هذه الشبهة على لسانهم ثم ردها ردا جميلا فيقول:" صدق ا لله تعالى إذ قال﴿ وما يؤمن أكثرهم با لله إلا وهم مشركون﴾ (٤) فإذا قال لهم قائل أنتم تدّعون الإيمان وتباشرون أعمال الشرك فكيف تجمعون بين الماء والنار وتؤلفون بين الضب والنون؟ قالوا: نحن لانأتي بشيء من الشرك إنما نبدي مانعتقد في الأنبياء والأولياء من الحب والتقدير أما إذا عدلنا هم با لله عزوجل واعتقدنا أنهم وا لله جل وعلا بمنزلة سواء، كان ذلك

---

(١) أخرجه مسلم ـ الفتن ـ (٢٩٤٠)

(٢) تقوية الإيمان ص: ١١٧ـ ١١٨

(٣) وقد كانوا يسمون آلهتهم التي يعبدونها شفعاء عند ا لله كما في القرآن (ويعبدون من دو ا لله ما لايضرهم ولاينفعهم ويقولون هؤلاء شفعاء عند ا لله﴾ يونس :١٨

(٤) سورة يوسف / ١٠٦

شركا لاريب فيه، ولكننا لانقول بذلك بل نعتقد، إنهم خلق ا لله وعبيده، وأما ما نعتقد فيهم من القدرة والتصرف في العالم فهما لما وهبهم ا لله وخصهم به فلايتصرفون في العالم إلا بإذن ا لله ورضاه فما كان نداؤنا لهم واستعانتنا بهم إلا نداء لله واستعانة به، ولهم عند ا لله مكانة عظيمة ليست لغيرهم فيفعلون مايشاؤون، وهم شفعاؤنا عند ا لله ووكلاءنا عنده فمن حظي عندهم ووقع بمكان كانت له حظوة ومنزلة عند ا لله وكلما اشتدت معرفتنا بهم اشتدت معرفتنا با لله إلى غير ذلك من التأويلات الفاسدة والحجج الباطلة التي ما أنزل ا لله بها من سلطان"(١)

جمع الشاه في كلامه هذا بعض أهم شبهاتهم وهي:

١ـ أن ما يفعلون من الأعمال التعبدية للأنبياء والأولياء ليست عبادة بل هي أعمال حب وتقدير وإكرام،

٢ـ وأن الشرك هو مساواة الأولياء بالخالق من جميع الوجوه،

٣ـ ولو اعتقد في الأنبياء والأولياء التصرف والقدرة منحة من ا لله عزوجل لايكون شركا.

٤ـ الاستغاثة بالأولياء والاستعانة بهم في الحقيقة استعانة با لله لأنهم وكلاءه ووزراءه وهم واسطة بيننا وبين ا لله ....

المطلب الثالث: إزالة هذه الشبهات

أولاـ الشفاعة لايملكها إلا ا لله

يرد الشاه على جميع هذه الشبهات ويبين سبب ضلالهم فيقول: " فإن القوم قد نبذوا كلام ا لله وسنة رسوله وراء ظهورهم وسمحوا لعقولهم القاصرة بأن تتدخل فيما ليس لها مجال فيه وتشبثوا بالأساطير والروايات الكاذبة التي لاتستند إلى تاريخ ونقل صحيح واحتجوا بتقاليد خرافية وعادات جاهلية..." ثم يذكر بأن أدلتهم وتأويلاتهم لهذا الشرك نفس التأويلات التي كان الكفار يعارضون بها فيقول:" وإن كانوا اعتمدوا على كتاب ا لله وسنة رسوله وقاموا بتحقيقهما عرفوا أنها نفس التأويلات والحجج التي كان كفار العرب يتمسكون بها في عصر النبي صلى ا لله عليه وسلم ويحاجون بها، ولم يقبلها ا لله منهم بل كذبهم فيها، فقال﴿ ويعبدون

---

(١) تقوية الإيمان ص : ٤٠

من دون الله ما لايضرهم ولاينفعهم ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عندا لله قل أتنبئون الله بما لايعلم في السموات ولافي الأرض سبحانه وتعالى عما يشركون﴾"(١)

"وقد علمنا من هذه الآية أنه لايوجد في سماء ولافي أرض من يشفع لأحد وتنفع شفاعته من استشفع به، وما شفاعة الأنبياء والأولياء إلا بإذن ربهم﴿لايشفعون إلا لمن ارتضى وهم من خشيته مشفقون﴾(٢)فسواء ناداهم أحد أو صرخ باسمهم أو لم ينادهم و لم يصرخ باسمهم فلا يتحقق إلا ما يريده الله ويأمربه"(٣)

وصحح معنى الشفاعة التي أخطأ فيها المشركون بأن شفاعة الأنبياء والأولياء وإن كانت حقا ولكن ليس بيدهم شيء ولايشفعون إلا بإذن الله(٤)، ولذا فلا يتحقق إلا ما يريد الله عزوجل فمن يتوجه إليهم بالدعاء فقد أشرك بالله ويقرر ذلك الشاه بعد كلامه السابق فيقول:" وقد تبين من هذه الآية أن من عبد أحدا من الخلق اعتقادا بأنه شفيعه كان مشركا بالله، وقد قال الله تعالى في سورة الزمر ﴿ والذين اتخذوا من دونه أولياء ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى إن الله يحكم بينهم فيما هم فيه يختلفون إن الله لايهدي من هو كاذب كفار﴾(٥)

ويقول في شرحها بأنه يقضى جميع الحاجات بدون واسطة ولاشفيع فمن عدل عنه إلى غيره فقد حرم من النعمة العظيمة فيقول: ..... "إنه يقضى جميع المطالب ويرد جميع الآفات والعاهات بدون واسطة، فلم يشكروا هذه النعمة و لم يقدروها حق قدرها وأقبلوا على خلقه يطالبونهم قضاء الحاجات ورفع الآفات فعسروا الميسور وفضلوا طريقا غير مستقيم وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا يبتغون بذلك عند الله قربا وزلفى ولكنهم لم ينالوا بذلك مرامهم، و لم يسعدوا بالقرب عند الله، بالعكس من ذلك كلما أمعنوا في هذا الطريق واستمروا فيه

---

(١) سورة يونس : ١٨

(٢) سورة الأنبياء / ٢٨

(٣) تقوية الإيمان ص: ٤٠

(٤) وهي خاصة بيوم القيامة، فلا تكون إلا فيها.

(٥)سورة الزمر / ٣

ازدادوا من الله بعدا وقد وضح بهذه الآية أن من اتخذ وليا من دون الله وإن كان ذلك على أساس أن عبادته تقربه عند الله كان مشركا بالله وكاذبا وكافرا بنعمته"(١)

فصرح بأن اتخاذ الوسائط بين الله وبين الخلق شرك مناقض للايمان، وإن كان هذه الواسطة أفضل خلق الله سيد البشر النبي صلى الله عليه وسلم فكيف إن كان غيره من أحاد خلقه، يقول شيخ الاسلام ابن تيمية:" فمن جعل الملائكة والأنبياء وسائط يدعوهم ويتوكل عليهم ويسألهم جلب المنافع ودفع المضار مثل أن يسألهم غفران الذنوب وهداية القلوب وتفريج الكروب وسد الفاقات فهو كافر بإجماع المسلمين" (٢)

ويقرر الشاه هذا المعنى: " قال الله تعالى﴿ قل إني لاأملك لكم ضرا ولارشدا قل إني لن يجيرني من الله أحد ولن أجد من دونه ملتحدا﴾(٣) وقد أمر الله النبي صلى الله عليه وسلم بأن يخبر المسلمين بأنه لايقدر على نفعهم وعلى ضرهم ويخبر أن لاتغر نفوسهم فيقولون إن نبينا صلى الله عليه وسلم له رتبة عالية عند الله يضر وينفع ويفعل ما يشاء ونحن في أمته وهو لنا ركن شديد فإنه وكيلنا عند الله وشفيعنا إليه، من الله بمكان ليس لأحد فلاخوف علينا ولاخطر فيتوسعون في الأماني ويستخفون بالعمل وأن النبي صلى الله عليه وسلم لايملك لهم ضرا ولارشدا وأنه وهو سيد الأنبياء، لئن يجيره من الله أحد فكيف يستطيق أن يجيرهم من الله ويمنعهم من عذاب الله وعتابه ...... فإذا كان نبي الله صلى الله عليه وسلم يخاف الله ولايرى له ملجأ إلا رحمة الله، فكيف بمن دونه من أفراد أمته وأتباعه"(٤)

ثانيا: أنواع الشفاعة المعهودة

ثم إن الشاه في صدد إبطال شبهاتهم لاتخاذ الوسائط يرد عليهم بأن ملوك الأرض يتنازلون على رغبات وزرائهم ووكلائهم لحاجتهم إليهم أما ملك الملوك الذي لاإله إلاهو ليس في حاجة إلى أحد من البشر حتى يضطر إلى قبول قولهم وشفاعتهم فيقرر هذا المعنى فيقول: "قال الله تعالى:﴿ قل ادعوا الذين زعمتم من دون الله لايملكون مثقال ذرة في السموات ولافي

(١) تقوية الإيمان ص: ٤٢

(٢) الفتاوى ١/ ١٢٤

(٣) سورة الجن / ٢١- ٢٢

(٤) تقوية الإيمان ص: ٨٢

الأرض﴾(١) ومعلوم أن من يقضي حاجة من يناديه ويغيثه إما أن يكون سيدا وصاحب أمر وإما أن يكون شريكا، له سلطان عليه فملوك الأرض ينزلون عند رغبة أمرائهم ويحققون طلبهم فإنهم أعوانهم ودعائم ملكهم فإذا سخطوا تزلزل ملكهم، واضطرب أمرهم وإما أن يشفع إلى الملك أحد المقربين إليه والذين لهم حظوة عنده، فيقبل شفاعتهم طوعا وكرها ويفعل ذلك من غير رضا وطيب نفس كما هو شأن بنت من بنات الملوك أو إحدى زوجاته التي يحبها الملك حبا جما... أما اولئك الذين يستغيث به هؤلاء الجهال ويطلبون منهم قضاء حاجاتهم فلا يملكون مثقال حبة من خردل ولاشيئا من قطمير في السموات وفي الأرض، وما لهم فيهما من شرك، تعالى ا لله من ذلك حتى يقبل شفاعتهم استسلاما واضطرارا وأنهم لايستطيعون أن يشفعوا إلا بإذنه..."(٢)

فلما رأى هذه الشبهة مستمرة وأقوى شبهة لديهم فصل في رد مثل هذه الشفاعة التي جعلوها معتمدا لاتخاذ الوسائط بينهم وبين ا لله فيقول:" وهنا يحسن التأمل في نكتة دقيقة لابد من الإصغاء إليها، وهي أن كثيرا من الناس اغتروا واعتمدوا على شفاعة الأنبياء والأولياء اعتمادا زائدا وأساؤوا فهم معنى الشفاعة، فأفضى ذلك إلى تناسي ا لله عزجل، والتشاغل عنه بخلقه، فلتعلم حقيقة الشفاعة في ضوء الكتاب والسنة"(٣)

ثم إنه بين أنواع الشفاعة التي اعتادها الناس في الدنيا وجعلها ثلاثة أقسام"شفاعة الوجاهة" و" شفاعة المحبة" و" الشفاعة بالإذن " ثم بين بأن الشفاعة التي يثبتها الشارع هو الأخير دون الأولين، ويقول يشرح هذه الأنواع من الشفاعات :" لقد اعتاد الملوك والأمراء ورجال الدنيا أنواعا من الشفاعة، يلجئون إليها عند الضرورة لمصالحهم الشخصية أو لمصالح البلاد والرعية نذكرها أولا حتى يعرف القارئ الفرق بين هذه الأنواع من الشفاعة وبين الشفاعة التي أثبتها القرآن".

ا- شفاعة الوجاهة

"أن رجلا ثبتت عليه السرقة فشفع له أمير أووزير إلى الملك فأطلقه الملك وصفح عنه ولذلك أسباب: منها أن الملك يريد أن يسجنه ويعاقبه والقانون يأمر بذلك وهو يستحق

(١) سورة سبا /٢٢

(٢) تقوية الإيمان ص: ٨٤ ـ ٨٥

(٣) المصدر السابق

العقوبة ولكن الملك عدل عن رغبته وصفح عن جريمة هذا المجرم، لأن هذا الأمير هو ركن قوي من أركان ملكه وهو جمال مملكته وزينة بلاده فيعرف الملك أن الأفضل في هذا المقام أن يملك نفسه ويكظم غيظه، ويعفو عن فرد ارتكب جرم السرقة فإنه إذا أغضب هذا الأمير ورد طلبه اختلت الأمور ووقع الفساد في مملكته، وفقدت الشئ الكثير من بهائها ومهابتها وهذا النوع من الشفاعة يسمى شفاعة الوجاهة، ومعلوم أنه لامساغ لهذا النوع من الشفاعة عند الله ولامجال له فمن رجا من نبي أو ولي أو إمام أو شهيد أو ملك أو شيخ مثل هذه الشفاعة ونظر إليه كشفيع تقبل شفاعته لامحالة(لعظم جاه وعلو منزلته) فهو مشرك بالله وجاهل وإنه لم يقدر الله حق قدره و لم يشم رائحة العلم والمعرفة فإن الله رب العلمين وملك الملوك من شأنه أن يخلق بمجرد الأمر وكلمة" كن" ألوفا مؤلفة من الأنبياء والأولياء والجن والملائكة كأول ملك وأول نبي فلا أفضل في الملائكة من جبريل ولا أفضل في الأنبياء من محمد صلى الله عليه وسلم وإذا شاء قلب هذا العالم رأسا على عقب ومن الثريا إلى الثرى وأنشأ عالما جديدا مكان هذا العالم لأن كل شئ يلبس لباس الوجود بمجرد أمره ولايحتاج في إيجاد شئ إلى الأسباب والوسائل أو المواد الأولية وإذا كان جميع الخلق أولهم وآخرهم وإنسهم وجنهم على قلب أفضل ملك أو أفضل نبي ما زاد ذلك في ملكه وبهائه شيئا وإذا كانوا كلهم مثل شيطان أو دجال لم ينقص ذلك من بهاء ملكه ورونقه شئا فهو في كل حال أعظم من كل عظيم وملك من أكبر الملوك لايصيبه أحد بنفع ولاضرر أو زيادة أو نقص"(١).

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية يرد على من يثبت مثل هذه الوسائط:" وإن أثبتم وسائط بين الله وبين خلقه، كالحجاب الذين بين الملوك ورعيته بحيث يكونون هم يرفعون إلى الله حوائج خلقه فالله إنما يهدي عباده ويرزقهم بتوسطهم فالخلق يسألونهم وهم يسألون الله كما أن الوسائط عند الملوك يسألون الملوك الحوائج للناس لقربهم منهم والناس يسألونهم أدبا منهم أن يباشروا سؤال الملك أو لأن طلبهم من الوسائط أنفع لهم من طلبهم من الملك لكونهم أقرب إلى الملك من الطالب للحوائج فمن أثبتهم وسائط على هذا الوجه فهو كافر مشرك يجب أن يستتاب فان تاب وإلا قتل، وهؤلاء مشبهون لله، شبهوا المخلوق بالخالق وجعلوا لله أندادا وفي القرآن من الرد على هؤلاء ما لم تتسع له هذه الفتوى"(٢)

---

(١) تقوية الإيمان ص: ٨٦-٨٨

(٢) الفتاوى ١/ ١٢٦

ب- شفاعة المحبة

ثم تعرج لبيان النوع الثاني من الشفاعة وهي شفاعة المحبة، لأن المنحرفين من المسلمين يعتقدون مثل هذه الشفاعة في أقطابهم ومشائخهم، ولذا نراهم لايعبدون إلا أولياءهم ولاينادون عند الشدة إلا بأسمائهم، وهذا شرك قبيح فيقول الشاه يرد على هذا المعتقد:" والنوع الثاني من الشفاعة أن يقوم أحد من أبناء الملك أو حليلاته أو زوجاته أو من يحبه الملك بشفاعة السارق ويحول دونه ودون تنفيذ العقوبة إرهاقا أو إجلالا فيضطر الملك إلى العفو عن هذا المجرم، بسبب حب هذا الشافع وغرامه، وهذا يسمى شفاعة المحبة، فإن الملك رأى أن قهر الغضب في هذا المكان والصفح عن مجرم واحد خير من الكمد والكأبة التي تصيبه وتكدر صفو حياته إذا سخط عليه هذا المحبوب وعاتبه وأعرض عنه، ففضل إغماض البصر عن هذا الجاني الناقض للقانون على تكدر الحياة وقلق النفس".

"ومن المعلوم أن لامجال ولامساغ لهذا النوع من الشفاعة في جنابه تعالى ومن ظن بأحد أنه شفيع عند الله من هذا النوع فقد أشبه الأول في الشرك والجهالة، فإن الله سبحانه وتعالى خص عبدا من عباده بنعمه وحبه واجتبائه ولقب أحدا بالحبيب وآخر بالخليل وثالثا بالكليم ورابعا بروح الله والوجيه (١) ووصف بعض الملائكةب" رسول كريم" و" مكين" و" روح القدس" أو" الروح الأمين" (٢) ولكن السيد هو السيد والعبد هو العبد ولايستطيع عبد أن يتعدى

---

(١) وقد ورد ذكر هذه الألقاب لبعض الأنبياء عليه السلام في حديث ابن عباس في الترمذي ـ المناقب ـ باب في فضل النبي صلى الله عليه وسلم ـ ٣٦١٦ ولفظه "..... وقال: قد سمعت كلامكم وعجبكم أن إبراهيم خليل الله وهو كذلك وموسى نجي الله وهو كذلك، وعيسى روح الله وكلمته وهو كذلك، وآدم اصطفاه الله وهو كذلك، الا وأنا حبيب الله ولافخر،..... وقال الترمذي حديث غريب، وضعفه الشيخ الألباني في تخريج " الطحاوية ص: ١٧٥ ولم يرض شارح الطحاوية بلقب "حبيب الله" للرسول صلى الله عليه وسلم بل يثبت له أعلى مراتب المحبة وهي الخلة ويقول بعد ذكر الأحاديث الدالة على خلة النبي صلى الله عليه وسلم: " وهما يبطلان قول من قال: الخلة لإبراهيم والمحبة لمحمد فإبراهيم خليل الله ومحمد حبيبه... بل الخلة خاصة بهما وضعف حديث السابق. انظر التفصيل ص: ١٧٥

(٢) وهي ألقاب جبريل عليه السلام ورد بها القرآن انظر سورة الدخان/ ١٧ و سورة التكوير /٢٠ و سورةالبقرة /٨٧ و سورة الشعراء / ١٩٣

العبودية ويتعالى على ما قدرله فكما أنه يخضع لسيده طائعا مسرورا وهـو يعطف عليه ويغمره برحمته كذلك يتقطع قلبه وتنشق مرارة كبده من مهابته وإجلاله."(١)

الشاه رحمه ا لله يرد على من يتخذ الوسائط بحجة أنهم أولياء ا لله وبلغوا في العبادة وطاعة ا لله منزلة عظيمة وأن ا لله يحبهم ويكرمهم وهم أحباءه وأولياءه فإنه يسمع منهم ويقبل شفاعتهم وإنا نتقرب إلى ا لله بأحباءه وأولياءه حتى يغفرلنا لأننا مخطئون ومذنبون، هـذه أقوى حجتهم في اتخاذ الوسائط، فحكم الشاه على هذا العمل بأنه شرك، يقول شيخ الإسلام وهو يرد مثل هذه الشفاعة فيقول:" وهذا بخلاف الملوك فإن الشافع عندهم قديكون له ملك وقد يكون شريكا لهم في الملك.... وهؤلاء يشفعون عند الملوك بغير إذن الملوك وغيرهم والملك يقبل شفاعتهم تارة بحاجته إليهم وتارة لخوفه منهم فتارة لجزاء إحسانهم إليه ومكافئتهم ولإنعامهم عليه حتى إنه يقبل شفاعة ولده وزوجته لذلك فإنه محتاج إلى الزوجة وإلى الولد حتى لو أعرض عنه ولده وزوجته لتضرر بذلك وا لله تعالى لايرجو أحدا ولايخافه ولايحتاج إلى أحد بل هو الغني...."(٢)

ثم يزيل الشاه شبهة أن إكرام ا لله لبعض الخلق ببعض النعم ورفع منزلتهم على غيرهم كما جعل ابراهيم عليه السلام خليلا وموسى عليه السلام كليما، لايعني بأنهم قد ارتفعوا من العبودية وتجاوزوا حد البشرية وصفاتها بل العبد عبد والسيد سيد والمعبود معبود والعابد عابد لن يستطيع أحد أن يتجاوز من مرتبته .

ثم إن المعتقدين هذه الشفاعة والمعتمدين عليها يتهاونون بالشرع ويتناسون ا لله عزوجل وينشغلون بالخلق ويستهينون بأحكامه فيقرر الشاه أن الأنبياء والأولياء الذين يتعلقون بهم يكرهون مثل هؤلاء فضلا أن يشفعوا لهم لأن " سر كرامتهم وشرفهم أنهم يؤثرون رضى ا لله على رضى أزواجهم وأولادهم وتلاميذهم وأتباعهم فإذا خالف أحد منهم عن أمر من أوامرا لله أو حارب ا لله ورسوله، عادوه وحاربوه فما ظنك بهؤلاء العامة الذين ليس بينهم وبينهم قرابة ولاصلة حتى يقوم هؤلاء بنصرتهم ويحاجو ا لله فيهم بل الأمر بالعكس إذا قضى ا لله بأن يدخل

---

(١) تقوية الإيمان ص: ٩٠

(٢) الفتاوى ١/ ١٢٨- ١٢٩

هؤلاء المجرمين في النار وافقوا الله في أمره وسعوا في سرعة دخولهم في جهنم وتنافسوا في الإعانة على ذلك"(١)

ويرد على قياسهم الذي قاسوا فيه الله عزوجل على الملوك فيقول:" أخرج الترمذي عن ابن عباس رضي الله قال: كنت خلف رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما فقال: يا غلام احفظ الله يحفظك احفظ الله تجده تجاهك وإذا سألت فاسأل الله وإذا استعنت فاستعن بالله واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك ولو اجتمعوا على أن يضروك بشيء لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك رفعت الأقلام وجفت الصحف".(٢)

يعني أن الله سبحانه وتعالى وإن كان ملك الملوك ليس شأنه شأن الملوك الذين يأخذهم الكبر والتيه، فلايميلون إلى مملوك ولايرقون له وإن بالغ في التضرع والاستغاثة فلذلك لاذ كثير من رعية الملوك وأهل مملكتهم بالأمراء، فابتغوا بهم الوسيلة إلى هؤلاء الملوك وتمسكوا بأذيالهم حتى يعفوا عن خطاياهم تحقيقا لرغبة هؤلاء الشفعاء، بل هوالله تعالى في غاية الكرم والرحمة لايغفل عن أحد ولاينسى أحدا، شفع شفيع أو لم يشفع وليس له مجلس كمجلس الملوك أوملأ كملأ السلاطين، بحيث لاتصل قدم السوقة والرعية إلى مجالسهم فيقوم بالحكم على هؤلاء المحكومين أمير أو وزير في غالب الأحيان تضطر الرعية إلى الخضوع لهم وحضور مجالسهم والتودد إليهم، بل إن الله تبارك وتعالى أقرب إلى عبده من حبل الوريد فمن أقبل عليه بقلبه، أقبل عليه بعطفه ووجده تجاه نفسه وليس بينه وبينه حجاب إلا الغفلة فمن بعد عنه بعد بغفلته وهو أقرب من كل قريب، ألايعرف من دعا شيخا أو نبيا وناداهما لنصرته ليقرباه إلى الله زلفى فالشيخ والنبي بعيدان عنه، والله قريب منه، ومثله مثل رجل جالس،وحده عند الملك وقد التفت إليه الملك يسمع طلبه أو ما يعرض عليه من حاجة، فانصرف هذا الرجل عن الملك وجعل ينادي أميرا ووزيرا وهما بعيدان، وسألهما أن يبلغا حاجته إلى الملك العظيم، فهو لايخلو عن حالين إما هو أعمى أو إما مجنون".

(١) تقوية الإيمان ص: ٩٣ مختصرا

(٢) تقدم تخريجه ص: ٢٤٩

ودل هذا الحديث بأنه إذا سنحت له حاجة اضطر إلى السوال فليسأل ا لله وإذا اضطر إلى إعانة أو إغاثة فليستعن با لله عزوجل...."(١)

ج-الشفاعة الثابتة من القرآن والحديث

بعد ما رد هذين النوعين من الشفاعة وما نتج من هذا المعتقد الفاسد من الشرك أثبت الشفاعة الثابتة في الشرع وهي أن أحدا يصدر منه ذنب وليس ارتكاب الذنوب ديدنه ولايلتجئ إلى أحد الوزراء بل يتضرع إلى الملك ويتعلق به فيأمر الملك لأحد من الناس أن يشفع في حقه حتى يعفو عنه وأن من يشفع لايشفع بناء على القرابة أو الصداقة بل لأمر الملك له وهذه الشفاعة تسمى الشفاعة بالإذن يقول الشاه في صدده: " وكل شفاعة جاء ذكرها في القرآن والحديث فهي هذه الشفاعة المأذون بها فيجب على كل انسان أن يظل داعيا لله تعالى خائفا منه، مستعينا به، بائيا بآثامه بين يديه مؤمنا بربوبيته ونصرته...."(٢)

وبهذا بين الشاه المفهوم الصحيح للشفاعة وأوضح بأنه لا ينبغي لأحد أن يغتر بشفاعة الشافعين لأنهم لايقدرون عليها وليست بيدهم إنما هي بأمر من ا لله وهو يأمر من يشاء في حق من يشاء، ولذا وجب على كل واحد أن لايكون قلبه معلقا إلا با لله عزوجل(٣)

التوسل في الدعاء:

أما التوسل إلى ا لله بذوات المخلوقين وبجاههم عند ا لله فقد جوزه الشاه رحمه ا لله فيقول:" وقد تعود بعض الناس إذا عرضت لهم حاجة أو أصابتهم مصيبة أن يقرأوا ورد " يا شيخ عبد القارد جيلاني شيئا لله" في عدد مخصوص ومدة مخصوصة (فهذا عين الشرك وشرك صريح)(٤) والحديث(٥) دليل على كراهة هذا الورد فإنه سؤال من الشيخ عبد القارد

(١) تقوية الإيمان ص: ٩٤

(٢) نفس المصدر ص: ٩١ - ٩٢

(٣) المصدر السابق ٩٢- ٩٣

(٤) الزيادة بين قوسين من نسخة أردو.

(٥) حديث الأعرابي الذي استشفع فيه با لله إلى النبي صلى ا لله عليه وسلم.

الجيلاني(١) وتوسل با لله تعالى إليه، والعكس أصح فيجوز التوسل بالشيخ إلى ا لله، لاالتوسل با لله إليه، والحاصل أنه لايجوز التلفظ بكلمة تفوح منها رائحة الشرك أو إساءة مع ا لله "(٢)

فالتوسل بذوات الصالحين لايجوز، وذلك أن ا لله لايعبد إلا بما شرع، وهذا النوع من التوسل لم يرد في الشرع فهو غير مشروع و لم يكن الصحابة والتابعون يتوسلون بذات النبي صلى ا لله عليه وسلم.(٣)

" هذا ونحوه من الأدعية المبتدعة، لم ينقل عن النبي صلى ا لله عليه وسلم ولاعن الصحابة، ولاعن التابعين، ولاعن أحد من الأئمة رضى ا لله عنهم وانما يوجد مثل هذا في الحروز والهياكل التي يكتب بها الجهال والطرقية، والدعاء من أفضل العبادات، والعبادات مبناها على السنة والاتباع لاعلى الهوى والابتداع"(٤)

وجوب الحذر من الشرك وان كان فيه ابتلاء:

الأنبياء عليهم السلام وأتباعهم لم يؤذوا إلا لدعوتهم إلى التوحيد وتمسكهم به، والشيطان تعهد بأن يضل الناس عن التوحيد ويوقعهم في الشرك كما ذكر ا لله عزوجل في القرآن﴿ قال فبعزتك لأغوينهم أجمعين إلا عبادك منهم المخلصين﴾(٥) ولايستغرب إذا تعاضدت شياطين الإنس والجن على محاربة التوحيد وأهله بقتلهم وقتالهم وسبهم وشتمهم وإنزال المكروه عليهم في أموالهم وأولادهم وأنفسهم، بل هي واقعة ظاهرة أن الموحد المؤمن يبتلى بالإنس والجن وهم يتكالبون على أن يتخطفوه من الصراط المستقيم.فكثيرا ما يخضع ضعفاء الإيمان لكيد الشياطين ومكرهم، وخوفا منهم يقدمون النذور والقرابين إليهم حتى يتخلصوا من أذاهم وهذا معهود ومعمول في المجتمع المسلم ويشير إلى هذه التفاصيل الشاه ويوصي بالبقاء على التوحيد وإن كان

---

(١) يقول صاحب عون المعبود في شرح سنن أبي داود" ومن أقبح المنكرات وأكبر البدعات وأعظم المحدثات ما اعتاده أهل البدع من ذكر الشيخ عبد القادر الجيلاني بقولهم: ياشيخ عبد القادر الجيلاني شيئا لله، والصلوات المعكوسة إلى بغداد وغير ذلك مما لايعد... انظر التعليق المغني على سنن الدراقطني ص:٥٢٠

(٢) تقوية الإيمان ص: ١٤٠ ـ ١٤١

(٣) انظر للتفصيل: " الفصل الثالث من "قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة "ص: ٧٩ وما بعده

(٤) شرح العقيدة الطحاوية ص: ٢٦٢

(٥) سورة ص: ٨٢ ـ ٨٣

فيه أذى فيقول:" أخرج أحمد عن معاذبن جبل رضى ا لله عنه قال قال لي رسول ا لله صلى ا لله عليه وسلم:" لاتشرك با لله شيئا وإن قتلت وحرقت"(١) فيجب على المسلم أن يصبر على ما يصيبه من الأذى الظاهر من الجن أو العفاريت كما يجب عليه أن يصبر على ما يصيبه من مكروه من بشر في حياته ولاينبغي أن يقع في دينه وهن أو فساد من خوف الجن أو العفاريت، فإن الدين هو ملاك أمره ورأس ماله، ويجب عليه أن يعتقد أن الأمر كله بيد ا لله وقبضته ولكنه قد يمتحن عباده فينال الأحياء أذى من الأشرار يميز ا لله الخبيث من الطيب ويميز بين المؤمن والمنافق، كما أن المسلمين يكونون في الظاهرعرضة لأذى الكفار والفساق بإذن ا لله ومشيئته فلا يسعهم على ذلك إلا الصبر ولايرضون أن يتطرق إلى دينهم فساد، ويتسرب إلى عقيدتهم ضعف كذلك قد يصيب بعض الصالحين أذى من الجن والشاطين، ولايكون ذلك إلا بإذن ا لله وعلمه فعليهم أن يصبروا على ذلك الأذى، ولايخضعوا لهم بالاستسلام أو التعظيم ويتبين بهذا الحديث أن أحدا لو تبرأ من الشرك واجتنب الاعتقاد في الآخرين واستقبح النذر لهم وقضى على العادات السيئة فتعرض بذلك لخسارة في مال أو ولد أو نفس أو لإيذاء من شيطان باسم مرشد وشهيد فعليه أن يصبر على ذلك، ويثبت على أمره، ويعتقد أن ا لله يمتحنه في دينه، وكما أن ا لله تعالى يأخذ الظالمين بعد الإمهال وينجي المظلومين من أيديهم فكذلك يأخذ ا لله تعالى الظلمة من الجن في وقته وينجي الصالحين من إيذائهم"(٢)

الشاه رحمه ا لله يذكر الأمور الواقعية والأسباب الحقيقية التي تسبب الوقوع في الشرك، ثم يرد عليها بأن ذلك الأذى لايصيب إلا بإذن ا لله عزوجل فينبغي للموحد أن لايقع في الشرك بل يصبر على الأذى.

---

(١) أخرجه احمد في مسنده ٥/ ٢٣٨ والحديث صحيح انظر الإرواء (٢٠٢٦) ٧/٨٩

(٢) تقوية الإيمان ص: ٦٣

الفصل الخامس : جهوده في الإيمان بالأنبياء، وبالقدر، وفي بيان مسائل الإيمان، وفضائل الصحابة، والإمامة.

ويشتمل على خمسة فصول:

المبحث الأول: جهوده في الإيمان بالأنبياء

المبحث الثاني: جهوده في الإيمان بالقدر

المبحث الثالث: جهوده في مباحث الإيمان

المبحث الرابع:جهوده في فضائل الصحابة

المبحث الخامس:جهوده في بيان الإمامة.

المبحث الأول: الإيمان بالأنبياء

إن حاجة البشر إلى الأنبياء والرسل الذين يهدونهم إلى الصراط المستقيم حاجة ماسة، لاينتظم لهم حال ولايصلح لهم دين إلا بذلك" فهم أشد احتياجا إلى ذلك من إرسال المطر والهواء بل ومن النفس الذي لابد منه"(١) " لأن غاية ما يقدر في عدم التنفس والطعام والشراب موت البدن وتعطل الروح عنه وأما ما يقدر عند عدم الشريعة ففساد الروح والقلب جملة وهلاك الأبد وشتان بين هذا وهلاك البدن بالموت"(٢) فالإيمان بالأنبياء ركن من أركان الإيمان، لايتم الإيمان إلا بالإيمان بهم.

يشير الشاه إلى وجوب الإيمان بالرسول بقوله :" إن للإيمان جزأين الإيمان با لله إلها وربا والإيمان بالرسول مطاعا وإماما، والإيمان با لله ربا يعني أن لايشرك به أحد والإيمان بالرسول مطاعا أن لايسلك طريق غيره..، (٣)

وذكر الشاه بالتفصيل فضائل الأنبياء، وخصائصهم، ومراتبهم، وأسس قاعدة بأن كل فعل وقول، وعادة محمودة يمدح بها البشر فتلك يثبت في حق الأنبياء بأكمل وأوفر من غيرهم(٤) ومما قال فيهم بأنهم أفضل الناس خلقا وأحسنهم عادة يختارهم ا لله لرسالته، فهم أحب الخلق إليه وبهم تنشر الهداية ومن أحبهم يحبه ا لله ومن أبغضهم يبغضه ا لله ثم إن إتباعهم ومحبتهم سبب لحصول الدرجات العالية فيقول :" مراتب الأنبياء وفضائلهم أكثر من الكثير وخارج من العد والإحصاء، ولكن الفضائل التي لها دخل في معنى الإمامة ترجع إلى خمسة أصول وهي : الوجاهة، والولاية، والبعثة، والهداية، والسياسة"(٥) وخلاصة ما فسر الوجاهة بأنها مرتبة رفيعة عند ا لله، وأنهم مكرمون عند الملائكة، وأن من أحبهم يحبه ا لله، ومن أبغضهم يبغضه ا لله، ومحبتهم سبب لرفع الدرجات، واتباعهم سبب النجاة، ومن لم يتبعهم لاتنفعه رياضاته الشاقة".

---

(١) لوامع الأنوار البهية ٢/ ٢٥٦

(٢) مفتاح دار السعادة ٢/ ٢

(٣) تقوية الإيمان ص: ٣٥

(٤) تذكير الإخوان ص: ٧٩

(٥) منصب امامت ص:٨

هذه المرتبة ثابتة للأنبياء عليهم السلام،لقوله تعالى: "﴿ إذ قالت الملائكة يا مريم إن ا لله يبشرك بكلمة منه اسمه المسيح عيسى بن مريم وجيها في الدنيا والآخرة ومن المقربين﴾(١) وقوله تعالى:﴿يا أيها الذين آمنوا لاتكونوا كالذين آذوا موسى فبرأه ا لله مما قالوا وكان عند ا لله وجيها﴾"(٢)(٣)

ويقول يبين ولاية الأنبياء عليهم السلام بأن لهم مرتبة خاصة ليست لغيرهم وذلك أنهم أهل لخطاب ا لله عزوجل، وينزل إليهم كتابه، ورسالته، وأنهم مؤيدون بخوارق العادات... وبعد ما ذكر خصائصهم العديدة يقول في الأخير: "بأن الولاية لها ثلاث شعب:

الأولى: المعاملات الصادقة مثل الإلهام والتفهيم، والتعلم والحكمة،

الثانية: المقامات الكاملة، مثل المحبة والخشية، والتوكل والرضا والتسليم والصبر والاستقامة والزهد والقناعة والتجرد عن ملذات الدنيا .

الثالثة: الأخلاق الفاضلة، مثل الهمة العالية والشفقة الموفورة والحلم والحياء والحب والوفاء، والصدق والسخاوة والشجاعة وأمثالها، وقد من ا لله على الأنبياء بكمالين عظيمين وهما يظهران في جميع فضائلهم، ومن أجلهما يمتازعلمهم وفضلهم عن غيرهم، وهما "العبودية" و" العصمة".

ويقول في شرح العبودية" إن الأنبياء مع ما يمتازون به من الصفات الكريمة التي منحهم ا لله متواضعون فهم مع اتصافهم بهذه الكمالات يعدونها مثل اللباس المستعار ويتوجهون دائما إلى رب العالمين ويقومون بشكره دائما، ولايتكاسلون في عبوديته ولايخطر على قلبهم شيء من الفخر والخيلاء وهم براء من السكر والشطح ونزهاء من الغيبوبة والضوضاء(٤) ويبحثون دائما عن طريق العبودية ويحرصون عليها، وهم يشتغلون في الخضوع والتضرع وليس في دعوى الألوهية ولاينفرون من عباد ا لله ولايضيعون حقوق العباد لأجل العزلة ولايهملون الأسباب كلية ولايفرون من المنحرفين لأجل حلاوة العبادة والمناجات، بل يهتمون بهدايتهم بدون مداهنة في الدين".

---

(١) سورة آل عمران /٤٥

(٢) سورة الأحزاب /٦٩

(٣) منصب امامت ص: ٨-١١

(٤) الصوفية يعتبرون الشطح والغيبوبة ونحوها من الأشياء، من الفضائل ويسعون في حصولها، فيرد عليهم الشاه مقررا بأن الأنبياء مع ما لهم من المرتبة العظيمة، يتبرؤون منها، انظر التفاصيل ص:

ثم ذكر أوصافا حميدة وأعمالا حسنة كثيرة يقرر بأن الأنبياء يهتمون بها أكثر من غيرهم مع مراعاة الشرع لاإفراط عندهم ولاتفريط، بحيث أن حرصهم على هداية الناس لايجرهم إلى المداهنة في الدين والتساهل في الأحكام، بحجة أنها من حسن الخلق، ولايبالغون في الجود إلى حد الإسراف، ولايمشون تحت الحماس والغضب في باب الشجاعة، فأخلاقهم وأفعالهم وأقوالهم لاتصدر منهم إلا لطاعة رب العلمين... كأن الفضائل المذكورة مثل حبات السبحة كثيرة ومتعددة ولكنها في الحقيقة مربوطة برابطة العبودية"(١)

ويجعل العصمة من أخص خصائصهم فيقول: " والمراد من العصمة، أن ا لله يحفظ جميع أقوالهم وأفعالهم وعباداتهم وعاداتهم ومعاملاتهم مقاماتهم وأخلاقهم و أحوالهم من مداخلة النفس والشيطان والنسيان بقدرته الكاملة.... وإن صدر منهم أمر خارج من رضى ا لله عزوجل ويشذ صدوره ويندر وقوعه، فالحافظ الحقيقي يخبرهم فورا والعصمة الغيبية تجذبهم وتجرهم إلى الصراط المستقيم طوعا أو كرها" وأنهم معصومون عن الصغائر والكبائر(٢)

أما البعثة التي ذكرها في فضائل الأنبياء عليهم السلام التي لها دخل في معنى الإمامة يبينها الشاه بقوله: " ليعلم أن الأنبياء مأمورون بتبليغ الأحكام، والبعثة لها صورة ظاهرة وحقيقة باطنة والظاهر أن الحق جل وعلا يأمرهم بالوحي أو الإلهام بتبليغ الأحكام، وحقيقته أنه يلقى الرحمة الموفورة والشفقة اللامتناهية في قلوبهم للمبعوث إليهم، مثل إلقاء المحبة والشفقة الشديدة في قلوب الآباء للأبناء... فكما أن الآباء يحزنون ويقلقون ويتألمون لأجل الأبناء كذلك الأنبياء، يشفقون على أقوامهم أكثر منهم على ابنائهم، ويصيبهم أنواعا من الهموم والأحزان لضلال أقوامهم ولاتفتر ولاتقل جهودهم مع نزول قوله تعالى﴿ لعلك باخع نفسك أن لايكونوا مؤمنين﴾(٣) ﴿إنما أنت مذكر لست عليهم بمصيطر﴾(٤) ثم يبين مقصود البعثة.

فيقول :" فإن مقصود بعثة هؤلاء أن يتأدب عباد ا لله في أقوالهم وأفعالهم وعباداتهم ومعاملاتهم وأن يتهذبوا في الأخلاق وأن يستقيموا في المقامات والارادات والعلوم والاعتقادات

---

(١) منصب امامت ١٢ ـ ١٤

(٢) المصدر السابق ص: ١٤، ١٣٥ فإن العصمة فيما يبلغونه عن ا لله ثابتة فلا يقر في ذلك على خطأ باتفاق المسلمين، وأنهم معصومون من الكبائر وقد تقع منهم الصغائر ولكن لايقرون عليها بل ينبهون انظر التفاصيل في الفتاوى ٣١٩/٤ و ١٠/ ٢٩٠ـ ٢٩٣

(٣) سورة الشعراء/٣

(٤) سورة الغاشية /٢١-٢٢

وأن يتحسنوا في أمور الدنيا، ويفوزوا بالفلاح والنجاة في الآخرة فهم يفضلون دائما الآخرة، أما الدنيا فتكون تابعة لها،

خرق العادة:

ومن الأسباب التي يستند إليها الأنبياء في هداية البشر خرق العادة(١) فيقول:" إن ا لله جل وعلا بقدرته الكاملة يصدر شيئا غريبا على أيدي الأنبياء عليهم السلام لتصديقهم، يمتنع صدوره منهم وإن لم يكن ممتنعا على غيرهم، وتفصيله أن وجود الأشياء حسب سنة ا لله موقوف على تهيئة أسبابها وآلاتها فمن يحصل على الأدوات والآلات فصدور الشيء منه لايكون خرقا للعادة، ومن لم يجمع آلاتها وأدواتها فصدوره منه يعتبر خرقا للعادة، فمثلا الكتابة من الكاتب لايعتبر خرقا للعادة ولكنها بالنسبة إلى الأمي خرق للعادة، والقتل بالسلاح ليس خرق للعادة ولكن القتل بمجرد عقد الهمة والعزم والدعاء خرق للعادة، فاتضح من هذا البيان أنه لايلزم أن يكون خرق العادة خارجا عن مطلق قوة البشر بل المطلوب أن يكون صدوره خلافا للعادة ممن صدر منه من جهة فقدان الأسباب والآلات، فكثير من الأشياء يعد من خرق العادة إذا ظهرت على أيدي المقبولين عند ا لله عزوجل مع أنه يمكن الوقوع مثل تلك الأفعال بل أقوى منها من أصحاب السحر والطلاسم فصدوره منه لابد أن يكون من علامات صدقه ولهذا نزول المائدة يعد من معجزات عيسى عليه السلام بخلاف ما يحضره أهل السحر كثيرا من الأشياء النفيسة من جنس الفواكه والحلاوة باستعانة الشياطين ويفتخرون بها على رفقائهم وأصدقائهم".

---

(١) من عقيدة أهل السنة والجماعة ثبوت خوارق العادة من الأنبياء والأولياء والسحرة خلافا للمعتزلة ومن وافقهم في إنكار الكرامات والسحر، والفرق بين هذه الأقسام الثلاثة بأن خرق العادة يصدر من النبي مقارنا مع التحدي ودعوى النبوة، أما الولي فيصدر منه بدون مقارنة من دعوى النبوة وهو صالح متبع لأحكام الشريعة، أما إن كان فاسقا وتاركا للشريعة في العمل والعقيدة فهو إما سحر وإما استدراج، انظر شرح العقيدة الطحاوية ٥٥٨ ـ ٥٦٢ ولوامع الأنوار ٢/ ٣٩٢ وهناك اختلاف لطيف بين العلماء، هل الفارق ما يصدر من الخوارق من الأنبياء والأولياء دعوى النبوة أم جنس خوارق العادة من الأنبياء أعلى وأرفع من جنس ما يصدر من الأولياء، الظاهر وا لله أعلم أنه لابد من أن يكون خرق العادة الصادرة من النبي أعلى وأرفع مما يصدر من الولي، انظر النبوات لابن تيمية، ومقدمة تفسير القرطبي١/٦٦

ثم بين الشاه أسباب صدور خرق العادة، وكيفية صدوره؟

فيقول:" أما الأول ينبغي أن يعلم أن ظهور الخوارق بالذات ليست من أسباب الهداية وإن كان في حق بعض السعداء يصبح سببا للهداية بل ظهوره بالذات لإتمام الحجة ولإفحام المخالفين ولإلزام المجادلين ولتأديب قليلي الأدب ولتخويف المعاندين، (١) قال الله تبارك وتعالى: ﴿وما نرسل بالآيات إلا تخويفا﴾(٢) فالهداية عبارة عن نور الرحمة من رب العلمين يلقى في قلب السعيد فيحثه على بمحبة المحبوب الحقيقي ولإطاعة المعبود التحقيقي حتى يبذل في حبه النفس والمال ويجري في طاعته مثل الهواء وهذا المعنى لايحصل من مشاهدة ظهور الخوارق إلا قليلا لأن الشخص الذي ينهزم في المجادلة والمناظرة لايحدث في قلبه الحب والإخلاص إلا بقدر يسير، نعم يتحير ويضطرب ويسكت كأنه مفقود الوعي.

ويتضح عن هذا التفصيل انه يكفي ظهور الخوارق أحيانا، وصدوره دائما ليس من لوازم الهداية وكذلك يتضح أنه لو ظهرت الخوارق من احد و لم يهتد أحد من الحاضرين فهذا لايكون قدحا فيه".

"وأما كيفية صدوره؟ فبيانه أن الحق جل وعلا بقدرته الكاملة يتصرف في عالم التكوين تصرفا غريبا لأجل تصديق مقبول من عباد الله المقبولين، ولايوجد قدرة صدور خرق العادة فى نفسه ويأمره بإظهاره، حاشا وكلا قدرة التصرف في عالم التكوين من خواص قدرة الرب وليست من آثار قوة البشر".

"والمرادبالدعوة، فبيانه بأن الحق جل وعلا قد وهب هؤلاء بحكمته الكاملة سليقة تربية الأشخاص وأعطاهم قوة الكلام الفصيح والبيان البليغ لأجل الهداية وإيضاح الحجة كما يقول لله في حق داود عليه السلام ﴿ وآتيناه الحكمة وفصل الخطاب﴾(٣) والمراد بالحكمة هي سليقة التربية والمراد بفصل الخطاب، البيان البليغ وقد أمر النبي صلى الله عليه وسلم " ﴿وقل لهم في أنفسهم قولا بليغا﴾(٤) ولكن ينبغي التأمل ان دعوة الهداة المبعوثين تتم بطريق غير طريق عقلاء الفنون في التعليم ويميز بينهما بوجهين.

---

(١) وقد يكون المقصود منه إقامة الحجة على صدق الرسل عليهم السلام.

(٢) سورة الإسراء / ٥٩

(٣) سورة ص/ ٢٠

(٤) سورة النساء /٦٣

"أولا: يكون كلامهم سهلا مفهوما جاريا على محاورات العرف، ولايكون في اصطلاح عقلاء القوم ومصنفي الكتب الذين يبنون عليه خطابتهم وكتابتهم، فهم لايراعون فيها آداب التصنيف.... ".

"ثانيا: يكون حالهم في تربية أقوامهم مثل الأب الرءوف الشفيق أو المربي الحكيم الذي يكون نظره دائما على تربية ابنه، متى ما رأى منه شيئا غير مناسب ينبهه بالحب و الألفة أو بالعنف والشدة أو باللين والرفق أو بالمشورة أو في أسلوب المزاح ... أو بحكاية قصة ذات عبرة، وكذلك عند ما يراه يعمل عملا حسنا إلا أنه يخطئ فيه فيرشده بالطرق المذكورة أو يقوم بنفسه بذلك العمل أمامه حتى يصحح خطأه ... فدعوتهم أيضا تتحقق على هذه الطريقة، وليست على طريقة المدرسين الذين يتقيدون بمناهجهم الخاصة".

ففائدة دعوتهم مركبة بفيض الصحبة وطول الملازمة، وقلما يحصل منهم التعمق والتصنع، بل يغلب عليهم شأن الأمية والتواضع ويرغبون في عدم التكلف ".(١)

علامات صدق الرسول:

إن الرسول يمتاز عن جميع البشر في خلقه وخلقه وجميع الصفات المحمودة ويكون منزها من سوء الأعمال والأخلاق حتى تكون دعوته أدعى للقبول (٢)، فيقول الشاه خلال بيان العلامات التي تمتاز بها النبي عن غيره": ومن علامة النبي أن يأتي بالمعجزة فإنه إذا لم يأت بها لايعرف كونه رسولا، فلا تكون له ميزة على غيره من الخلق(٣) فلزم الإتيان بالمعجزة حتى يصدقه الناس ويذعن له المعاندون ثم إنه يجب أن يكون في الرسول ثلاثة أمور اخرى وهي:

أولا: أن يكون صادقا ولايصدر منه كذب،

ثانيا: أن يكون معصوما لايصدر منه ذنب،

---

(١) منصب امامت ص: ٢٨

(٢) انظر لوامع الأنوار ٢/ ٢٦٦

(٣) وقد سلك أهل الكلام والنظر إلى وجوب إتيان المعجزة للنبي وحصروا دليل النبوة فيه، فإن المعجزة وإن كان دليلا صحيحا على النبوة ولكن الدليل غير محصور فيها، يقول شيخ الإسلام ابن تيمية:" إن دلائل نبوة محمد صلى الله عليه وسلم كثيرة متنوعة ومن يخصص دلائل النبوة بنوع فقط فقد غلط، بل هي أنواع كثيرة" انظر الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح ٤/ ٨٠ وشرح العقيد الطحاوية ص:١٥٨

ثالثا: أن يبلغ أحكام ا لله ولايكتمها.

وشرط كونه صادقا لأنه لو كذب لما صدقه الناس في أقواله...، وكونه معصوما لأن ا لله أمر باتباعه وإن لم يكن معصوما لارتكب مكروها أو حراما فيكون آثما، إذا اتبعه الناس في إثمه لكانوا آثمين فما اهتدى به الناس بل ضلوا باتباعه وبطلت غاية بعثته، وهذا لغو وإن ا لله منزه عن فعل اللغو"

ثم إن البلاغ أيضا لازم وإن لم يبلغ الرسول لما تحققت غاية بعثته"(١)

كفر من طعن في النبي صلى ا لله عليه وسلم:

اعتقاد عصمة الأنبياء عليهم السلام فيما يبلغون من ا لله،من لوازم الإيمان بهم ومن طعن فيهم بما لايليق بهم فقد نقض إيمانه ويقول الشاه يقرر ذلك :" ومن نسب النبي صلى ا لله عليه وسلم إلى الكذب أو كتمان الوحي أو المعصية أو سوء الخلق أو الحرص أو الشح أو حب الجاه أو الرذيلة فليس هو بمسلم و لم يكن صادقا في شهادته بكلمة التوحيد"(٢)

اعتقاد بشرية الأنبياء عليهم السلام:

انحرف الناس عن الجادة لغلوهم في الأشخاص والكبار، فيعظمونهم تعظيما لايليق إلا بـا لله عزوجل، ومن الغلو العقيدة في النبي صلى ا لله عليه وسلم أنه ليس بشر، وإنما هو نور من ا لله خلقه من نوره، ونحوها من العقائد.

وردا على مثل هذا الغلو قد ركز الشاه في كثير من المواضع على إثبات بشرية الرسل وخاصة بشرية الرسول صلى ا لله عليه وسلم، فإن إثبات بشريته يستلزم نفي صفات الألوهية عنه فيبطل غلو الناس في حقه، فيقول فى شرح قوله صلى ا لله عليه وسلم " لاتطروني كما اطرت النصارى عيسى بن مريم"(٣) والمقصود من الحديث أن منصب الرسالة يتضمن جميع المحاسن والمحامد التي أكرمني ا لله بها فإذا أطلقت عليّ كلمة " رسول ا لله " فلا مزيد على ذلك

---

(١) تذكير الإخوان ص: ٧٩ فإن كونه صادقا ومعصوما داخلة في ما خصهم ا لله من العصمة وأما التبليغ فلا ريب إنه من لوازم الرسالة فالنبي يمتثل أوامر ا لله في كل شيء فما بالك في تبليغ الوحي الإلهي.

(٢) المصدر السابق

(٣) أخرجه البخاري ـ الأنبياء (٣٤٤٥) والحديث انفرد به البخاري دون مسلم.

فإن الرسالة هي أكبر المنازل التي يصل إليها بشر وكل ما سوى ذلكم من المنازل والمراتب فهي دونها فلذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:" فقولوا عبد الله ورسوله"(١) *

وهكذا نراه يولي اهتماما بالغا في إثبات بشرية الرسول حتى يمنع الناس عن الغلو في البشر، كما فعلت اليهود والنصارى. فيقول في شرح كلمة التوحيد بأن مقتضى الإيمان بالرسول، الإيمان ببشرية الرسول، فيقول:" فإن معنى " محمد رسول الله" بأن يؤمن من غير شك وينطق بلسانه بأنه عبد الله ورسوله وأنه بشر وعبد من عباد الله وذلك أنه إذا لم يكن عبدا لزم أن يكون إلها فإذا كان كذلك فمن أين وممن يأتي بالرسالة؟ فإذا ثبت كونه عبدا وجب عليه أيضا عبادة الله عزوجل، إلا أن الله اختاره على سائر الخلق لرسالته، واختياره يدل على أنه اجتمعت في شخصيته الصفات الحسنة الكاملة بحد لاتوجد في غيره من البشر ومن تلك الصفات العقل والفطنة والحكم وحسن الخلق والإطاعة والقناعة والزهد والمروءة والجود والسخاء والشجاعة والرحمة والتقوى وغيرها من الصفات الحسنة كلها كانت فيه بأكمل وجه"(٢)

ويقول:" وليعلم إن الأمور التي تختص بالبشر من الأكل والشرب والنوم واليقظة والنكاح والغائط والبول لاتضر بشخصية الرسول شيئا فإذا لم توجد هذه الأمور لم يكن بشرا..."(٣)

---

(١) وهي قطعة من الحديث السابق.

* - تقوية الإيمان ص: ١٥١

(٢) تذكير الإخوان ص: ٧٨

(٣) المصدر السابق ص: ٧٩

المبحث الثاني:الإيمان بالقدر

الإيمان بالقدر خيره وشره من تمام التوحيد يجب الإيمان به كما قال ابن عباس: "هو نظام التوحيد فمن وحد ا لله وآمن بالقدر تم توحيده ومن وحد ا لله وكذب بالقدر نقض تكذيبه توحيده(١)

ولاشك فإنه مسألة عقدية خطيرة، متعلق بعلم ا لله وقدرته، قد نهى النبي صلى ا لله عليه وسلم عن الخوض فيه مع وجوب الإيمان به، يقرر ذلك الشاه فيقول:" عن أبي هريرة قال خرج علينا رسول ا لله صلى ا لله عليه وسلم ونحن نتنازع في القدر فغضب حتى احمر وجهه، كأنما فقئ في وجنتيه حب الرمان، فقال: أبهذا أمرتم أم بهذا أرسلت إليكم، إنما هلك من كان قبلكم حين تنازعوا في هذا الأمر، عزمت عليكم عزمت عليكم أن لاتنازعوا فيه(٢) يقول في شرحه :" فإن ا لله قد بين لعباده عن ذاته وكيفية عبادته وعن رسوله ما فيه خيرهم وصلاحهم، وما لم يكن فيه صلاح دينهم ودنياهم، وما كان فوق إدراك البشر لم يبينه، فإنه لم يبين عن تركيب الشمس ومادتها وعما صنع العرش ونحوها من الأشياء التي فوق عقول البشر وإدراكهم كذلك مسألة الجبر والاختيار والقدر فإن عقل الإنسان يعجز عن إحاطتها فالكلام والجدال فيها سيؤدي إلى الضلالة كماهو واقع"(٣)

وأول ما بدأ الكلام في القدر زمن متأخري الصحابة فتبرأوا من لم يؤمن به، وأوصوا المسلمين بأن لايسلموا عليهم إذا تقابلوا، ولايصلوا عليهم إذا ماتوا، وقد قال ابن عمر لما قيل له:" يزعمون أن لاقدر وأن الأمر أنف أخبرهم إني بريئ منهم، وأنهم مني براء"(٤)

وبوب الشاه رحمه ا لله بابا بعنوان" في ذكر الإيمان بالقدر" وأورد فيه آيات وأحاديث عديدة مع شرح وجيز، مستدلا بها على وجوب الإيمان بالقدر،منها قوله تعالى﴿إنا كل شيء

---

(١) التدمرية ص: ٢١٢

(٢) أخرجه الترمذي ـ القدر ـ ٢١٣٣ وقال :وهذا حديث غريب لانعرفه إلامن هذا الوجه،من حديث صالح المري، وصالح المري له غرائب ينفرد بها لايتابع عليها. وحسنه بشواهده الألباني انظر المشكاة١/٣٦ بتخريجه.

(٣) تذكيرالإخوان ص: ٩٦-٩٧

(٤) رواه مسلم ـ الإيمان ـ رقم الحديث /٨

خلقناه بقدر﴾(١) يقول في شرحها " فالآية تدل على أن كل ما في الكون من العرش والكرسي واللوح والقلم والملائكة.... كلها مخلوقة لله عزوجل وهو خالقها، وقدر قبل خلقها كل ما هو كائن"(٢)

ويقول :" إن الله قبل أن يخلق الخلق قدر أحوال سائر الخلق وقضاها وقد قدر جميع ما يتعلق بأعمالهم وعواقبهم، فإن الإرادة التي تنشأ في قلب الحي والأعمال التي يعملها كلها مخلوقة لله عزوجل"(٣)

ويقول :" عن على رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم "لا يؤمن عبد حتى يؤمن بأربع، يشهد أن لاإله إلا الله وأني رسول الله بعثني بالحق ويؤمن بالموت والبعث بعد الموت ويؤمن بالقدر"(٤) فالحديث يدل على وجوب الإيمان بالقدر فمن لم يؤمن به فليس بمؤمن بل هو كافر"(٥)

القدرية:

ويعرف القدرية : " فمن لم يؤمن بالقدر واعتقد بأن العبد خالق لأعماله أو يعمل أعمالا لايريدها الله عزوجل أو لم يسبق علم الله عن أمور حدثت في الكون، فهو "قدري" أي ينكر القدر ويثبت في العباد صفة الخلق" و يرد عليهم بقوله:" قال الله تبارك وتعالى:﴿ والله خلقكم وما تعملون﴾(٦) ويقول في شرحها بأنه يخلقكم ويخلق أعمالكم ويدل على أن أفعال العباد من خلق الله ما يفعله العبد من الأعمال مع عدم رغبته فيها، وأعمالا يرغب فيها فلا يفعلها بل يصرف عنها،وذلك أن الله هو الذي يتولى إلقاء الإرادة في قلب البشر كما قال الله تعالى ﴿واعلموا أن الله يحول بين المرء وقلبه﴾(٧) فإن الإرادة في القلب تسبق العمل، فإذا لم

(١) سورة القمر ٤٩

(٢) تذكير الإخوان ص: ٩١

(٣) المصدر السابق ص: ٩٠

(٤) أخرجه الترمذي ـ القدر ـ ٢٢٣٢ وابن ماجة في المقدمة ـ ٨١ وسنده صحيح انظر مشكاة المصابيح ٣٧/١ بتحقيق الألباني.

(٥)تذكير الإخوان ص:٩٣

(٦) سورة الصافات /٩٦

(٧) سورة الأنفال/ ٢٤

يرد الله عملا يصرف القلب عنه، ويظهر ذلك بأن الإنسان يريد أعمالا وأقوالا عديدة ولكنه لايفعلها وهذا يدل بأن هناك من يصرفها عنه، وأن الله هو الذي يلقي الإرادة في القلب ومنها تنشا أعمال الجوارح كما قال الله تعالى﴿وما تشاؤون إلا أن يشاء الله﴾"(١)(٢)

ثم إنه ذكر أحاديث الوعيد الواردة في المكذبين بالقدر، بأنهم مجوس هذه الأمة وأن النبي صلى الله عليه وسلم منع عيادة مرضاهم وحضور جنائزهم وعن مجالستهم(٣) وسيكون فيهم خسف ومسخ (٤)،ونحوها من الأحاديث الكثيرة(٥)

الجبرية:

ويرد على الجبرية بقوله بأن "من اعتقد بأن العبد لايقدر على شيء و ما يفعله فهو في الحقيقة فعل الله، وأن العباد والدواب كلهم مجبورون، الكفر والمعاصي من فعل الله، فهو جبري، وهي عقيدة فاسدة أيضا ويظهر اختيار الإنسان بما نشاهد اختياره وإرادته فإنه يعمل ويترك، فإن في مشي الرجل والحجر الجامد فرق واضح، فإن الرجل باختياره وقدرته يمشي ويتحرك عكس الحجر، وفي تحريك المحرك يده، وفي حركة اليد المزمنة فرق، فبناء على هذا الاختيار والقدرة أمر الله بامتثال أوامره وانتهاء نواهيه فمن عمل حسنا يجزي به،ومن عمل سوء يجزى به"(٦)

هكذا نرى الشاه قد أنكر على القدرية التي تنفي القدر وعلى الجبرية التي تسلب من العبد القدرة وتنزله منزلة الورقة في مهب الرياح التي لاخيار لها.

وقد أخطأ الجبرية ومن نهج منهجهم من الصوفية بأن كل ما قدره الله يرضاه، فالخير والشر والإيمان والكفر هو من قدر الله وقضائه فهو يحبه ويرضاه، يرد عليه الشاه فيقول:" إن الله هو خالق الخير والشر ولكنه لايرضى بالشر فإن كتابة القدر السابق لايدل على أنه يرضى

---

(١) سورة التكوير /٢٩

(٢) تذكير الإخوان ص: ٩٣

(٣) رواه أبوداود ـ السنة ـ٤٦٩١ـ وحسنه الشيخ الألباني بشواهده انظر مشكاة المصابيح١/٣٨

(٤) أخرجه الترمذي ـ القدر ـ ٢١٥٣ ـ وحسن الشيخ الألباني بعض أسانيده، انظرمشكاة المصابيح ١/٣٨

(٥) انظر رد الإشراك باب الإيمان بالقدر .

(٦)تذكير الإخوان ص: ٩٠

من كل عمل، فإن الله قد بين الخير والشر، وأمر بالخير، ونهى عن الشر، فمن أتى بما نهى عنه، فقد أذنب ذنبا يعاقب عليه"(١)

و يقرر الشاه بأن قدر الله عزوجل سر لايدركه عقل البشر، وأن الخوض في معرفة سره لايفيد ، فيقول :" ولو سأل سائل، و لماذا كتب الله في الأزل عن بعض الأشخاص أنه شقي وعن بعضهم أنه سعيد، والجواب عليه بأنه لايجوز الخوض فيه، لأنه سر وعقل الإنسان لايتحمله ولايدركه، كما أن عقله لايدرك حقيقة الروح، وحقيقة عذاب القبر، ثم إن الشريعة لم تأمرنا بمعرفة هذا السر ولو افترضنا علم ذلك السر فلا يفيد في الدنيا ولافي الآخرة، فإن حصول الجنة والنجاة من النار لايتوقف على معرفته...."(٢)

(١) تذكير الإخوان ص: ٩٠

(٢) تذكير الإخوان ص: ٩٠

المبحث الثالث: مباحث الإيمان

أول ما وقع الخلاف في مسمى الإيمان (١) فالخوارج والمعتزلة جعلوه مركبا من التصديق والاقرار والعمل، فالعمل شرط في صحته فبزوال بعضه يزول كله، وهو شيء واحد، وبناء عليه كفروا صاحب الكبيرة أو حكموا بتخليده في النار. (٢)

أما لسلف فإن قالوا بدخول الأعمال في مسمى الإيمان، إلا أنهم يقولون بأن له أصل وفرع، فالأصل هو التصديق والاقرار، والفرع العمل، وبه يكمل الإيمان، وهو شرط في كماله، فبنقصان العمل ينقص الإيمان ولا يزول إلا بزوال الأصل، وبناء عليه قالوا بزيادة الإيمان ونقصانه، لأن الطاعات تزيد في الإيمان كما أن المعاصي تنقص الإيمان. (٣)

وقد نص عمر، وعلى، ومعاذ، وابن مسعود، وابن عباس، وأبوالدرداء، وجابر بن عبد الله وجمع من الصحابة رضى الله عنهم بأن الصلاة من الإيمان، وأنه يزيد وينقص ، وقال جماهير التابعين ومن بعدهم بأنه قول وعمل يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية(٤)

ويظهر من صنيع الشاه في كتبه أنه يعتقد دخول الأعمال في الإيمان ولذا قد طعن فيه المبتدعة قديما وحديثا بأنه " معتزلي خارجي نجدي وهابي" لأنه يرى دخول الأعمال في مسمى الإيمان، ويكفر الناس بناء على الأعمال(٥)

ويقول خصمه: " بأنه بنى على هذه العقيدة الضالة سائر كتابه تقوية الإيمان، لأنه يكفر بناء على الأعمال فإذا بطلت هذه العقيدة أصبح كتابه أيضا باطلا لاوزن له"(٦)

---

(١) انظر الفتاوى ٧/ ١٦٩

(٢) الفتاوى ٧/ ٢٢٣، ٢٤٢

(٣) المصدر السابق ٢٢٢/٧ وما بعده

(٤) انظر شرح اعتقاد أهل السنة والجماعة، للالكائي ٨٣٢/٤ و٨٩٠/٥

(٥) وقد طعن بهذا " فضل رسول بديواني" في عدد من كتبه انظر مثلا" البوراق المحمدية لرجم الشياطين النجدية" وكتابه" سيف الجبار المسلول على الأعداء للأبرار" الملقب " بسوط الرحمن على قرن الشيطان" ص: ٤٧ كفر فيه الشاه وكذلك في كتبه العديدة، وخصمه نعيم الدين أيضا انظر أكمل البيان ص: ٥٧٠ وغيرهم كثير

(٦) المصدر السابق نقلا من " الصواعق الإلهية بطرد الشياطين اللهابية وسيف الرحمن على رأس الشيطان ص:٩١ - ١٠٦

يقول الشاه رحمه الله :" واعلم أن للإيمان جزأين، الإيمان بالله إلها وربا، والإيمان بالرسول مطاعا وإماما، والإيمان بالله ربا يعني أن لايشرك به أحد والإيمان بالرسول مطاعا يعني أن لايسلك طريق غيره،

فالأول هو التوحيد وضده الإشراك بالله .

والثاني هو الاتباع وضده البدعة، فيجب على كل أحد أن يعتصم بالتوحيد واتباع السنة بقوة ويعض عليهما بالنواجذ ويحترز من الشرك والبدعة كل الاحتراز فإنهما يؤثران في الإيمان ويحدثان خللا فيه وتتبعهما سائر الذنوب والمعاصي فإنها تؤثر في الأعمال وتحدث خللا فيها...."(١)

ويقول خصمه نعيم الدين (٢) فإنه جعل للإيمان جزءان التوحيد واتباع السنة ووضعهما في درجة واحدة مع أن اتباع السنة من جنس العمل، ولكنه أدخله في مسمى الإيمان مثل التوحيد، وجعل الشرك والبدعة في مرتبة واحدة، فكما أن الشرك يؤثر في أصل الإيمان كذلك البدعة تؤثر في أصل الإيمان وهذا ليس مذهب أهل السنة بل هو مذهب المعتزلة والخوارج..."(٣)

ويدل على أنه كان يرى دخول الأعمال في مسمى الإيمان، بأنه جعل الباب الثاني في كتابه رد الإشراك في البدعة وعقد فيه فصلا بعنوان" ذكر حقيقة الإيمان" ويقول قبل شرح الآيات والأحاديث:" فإن هذه الآيات والأحاديث تدل على حقيقة الإيمان وأعمال الإيمان، وما يضاد تلك الأعمال ليس من الأيمان بل مخالف له وليعلم أن أعمال الإيمان لايعلم إلا من الله ورسوله ولايدرك بالعقول"(٤)

ومن الآيات التي أوردها قول الله تعالى:﴿ قد أفلح المؤمنون الذين هم في صلاتهم خاشعون والذين هم عن اللغو معرضون... ﴾(٥) يقول في شرحها :" بأن الأعمال المذكورة أعمال الإيمان ينبغي أن يعمل بها المسلم فيحصل به النجاة والفلاح ويدخل بها في الجنة" وقال الله

---

(١) تقوية الإيمان ص: ٣٥

(٢) فهو من كبار البريلويين، ألف " أطيب البيان " في الرد على تقوية الإيمان .توفي سنة١٩٤٨ م انظر البريلوية ص: ٥١

(٣) أطيب البيان ص: ٢٣٧ تحت عنوان" عقائد الوهابية في الإيمان" انظر أكمل البيان ص:٥٧٠

(٤) تذكير الإخوان ص: ٧٣

(٥) سورة المؤمنون /١-١٠

تعالى﴿ إنما المؤمنون الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم وإذا تليت عليهم آياته زادتهم إيمانا وعلى ربهم يتوكلون الذين يقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون اولئك هم المؤمنون حقا لهم درجات عند ربهم ومغفرة ورزق كريم﴾(١)ويقول في شرحها:" أن الآية تدل بأن من علامات الإيمان وجل القلوب عند ما يسمع آيات الله وأن الإيمان يزيد بسماع الآيات المتلوة، ويقول في الأخير:" فالآيات هذه تدل بأن من لم يكن فيه هذه الأمور ثم يدعى كونه مسلما فهو كاذب في دعواه، فإنما تصح دعواه إذا وجدت فيه الأمور المذكورة في الآيات"(٢)

ومن الأحاديث التي ذكرها في هذا الفصل :" عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : الإيمان بضع وستون شعبة، أفضلها قول لا إله إلا الله وأدناها إماطة الأذى عن الطريق والحياء شعبة من الإيمان"(٣)

يقول في شرحه :" فإن مثل الإيمان مثل الشجرة التي فيها فروع وأوراق وأزهار مختلفة الألوان فالإيمان أصل ومن فروعها إماطة الشوكة والحجر والأذى من الطريق ومنها الحياء و الاجتناب من أذى المخلوق كلها من مقتضى الإيمان"(٤)

هذا الشرح يدل على أن للإيمان أصل وفرع، فإن الأصل هو الإيمان بالله وذلك بتوحيده في العبودية وفروعه أعمال كثيرة منها الحياء وإماطة الأذى ويقول أيضا:" عن أبي أمامة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : من أحب لله وأبغض لله وأعطى لله ومنع لله فقد استكمل الإيمان"(٥) ويشرحه بقوله:" فمن فعل الأمور المذكورة فقد كمل إيمانه، ودل الحديث أن من موجبات كمال الإيمان أن نجعل الحب والبغض والعطاء والمنع كلها حسب مرضاة الله عزوجل"(٦)

واستدل بأن الإيمان لايكمل إلا أن يكون حب العبد وبغضه وعطاءه ومنعه لله عزوجل، وإلا ففي إيمانه نقص.

---

(١) سورة الأنفال / ٢

(٢) تذكير الإخوان ص: ٧٤ ـ ٧٥

(٣) أخرجه البخاري ـ الإيمان ـ ٩ـ الفتح ١/ ٥١

(٤) تذكير الإخوان ص: ٨٢

(٥) أخرجه أبوداود ـ السنة ـ وأحمد في المسند ٣/ ٤٣٨ والحديث صحيح انظر سلسلة الصحيحة برقم (٣٨٠) ٦٥٧/١

(٦) تذكير الإخوان ص: ٨٤

ويقول: "أخرج البيهقي في شعب الإيمان عن أنس قال: خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا قال:" لا إيمان لمن لا أمانة له ولادين لمن لاعهد له"(١) ويقول في شرحه:" فإن من لايراعي الأمانة ولايوفي عهده ووعده فليس له دين ولا إيمان، يعني فإن إيمانه ودينه ناقص لم يكمل فدل هذا بأن مراعاة الأمانة وإيفاء العهد من علامة كمال الإيمان"(٢)

وهكذا قد سرد عددا من الأحاديث التي تشتمل على خصال زائدة على ما وردت في حديث جبريل، مستدلا بها على أن من أتى بها فقد كمل إيمانه ومن تهاون فيها فقد نقص إيمانه منها " أن يحب المرء لأخيه ما يحبه لنفسه، وأن يحب المرء رسول الله أكثر من حبه لولده ووالده، وأن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما، وأن يأمن الناس منه على دمائهم وأموالهم، وأن يسر بحسنته ويستاء بسيئته، وغيرها من أعمال البر الواردة في الأحاديث الصحيحة وجعلت تلك الأعمال من الإيمان أو سببا في زيادته أو نقصه، واستدل بها أن فعلها سبب لكمال الإيمان وتركها سبب لنقصه.

وهذا النهج الذي انتهجه في شرح هذه الأحاديث التي تثبت أعمال البر من الإيمان أو تنفي الإيمان عند انتفاءها ويقصد به نفي كمال الإيمان هو نهج أهل السنة وهذا يدل بأنه كان مع السلف في باب الإيمان كما أثبت ذلك صاحب " أكمل البيان في تأييد تقوية الإيمان يرد على من يطعن في الشاه بالاعتزال والخروج"(٣)

حكم مرتكب الكبيرة:

ومما يدل عليه أنه يقرر في مواضع عديدة بأن الشرك المزيل للإيمان لا يغفره الله ويكون صاحبه مخلدا في النار ولكن الذنوب ليست مثل الشرك بل هي تحت المشيئة يغفرها لله إذا شاء أو يعذب بها إذا شاء . فيقول:" قال الله تعالى ﴿ إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر مادون ذلك لمن يشاء ومن يشرك بالله فقد ضل ضلالا بعيدا﴾(٤)" اعلم أن الناس ينحرفون عن صراط الله المستقيم إذا غلبهم الهوى، وجمحت بهم النفوس، فمنهم من لا يميز بين الحرام والحلال ومنهم من يمارس سرقة أو يأتي بعمل من أعمال الفسق أو يترك الصلاة والصيام أو لا

(١) أخرجه البيهقي في شعب الإيمان (٤٣٥٤) ٧٨/٤ بتحقيق زغلول و في الكبرى ٢٨٨/٦ وأحمد في المسند ١٥٤/٣، ٢١٠، ٢٥١

(٢) تذكير الإخوان ص: ٨٥

(٣) انظر ص: ٥٧٠ وما بعدها

(٤) سورة النساء/١١٦

يأتي بما فرض الله عليه من حقوق الأهل والعيال ولا يحسن إلى والديه ويغلظ القول لهما ولكن من أشرك بالله فقد أشرف وظلم نفسه ظلما عظيما وقد جنى جناية لا يغفرها الله وأما الذنوب والآثام الأخرى فعسى أن يغفرها الله برحمته ويتجاوز عنها ولكن الشرك لا يغفر بل لابد أن يوفي جزاءه.

وعلم بهذه الآية أن الشرك الجلي هو آخر درجات الشرك يكفر صاحبه، ويبقى في النار خالدا مخلدا لا يخرج منها أبدا ولايجد فيها راحة، أما أصناف الشرك التي هي دون هذا الشرك فسيلقى صاحبها ما أعد الله لها من العقوبات في الآخرة، وعلم أيضا أن لا إثم أكبر من الشرك، أما سائر الذنوب الأخرى فعقابها محدد عند الله تعالى إن شاء عاقب وإن شاء عفا".(١)

فالشاه رحمه الله جعل الكبائر من السرقة وأكل الحرام والتهاون في حقوق الأهل والأموال وعقوق الوالدين ونحوها من الكبائر، ولا يكون صاحبها من أجل تلك الذنوب خالدا مخلدا في النار لأن معه إيمان وإن كان ناقصا، أما من وقع في الشرك المناقض لأصل الإيمان والتوحيد فلا يغفره الله، فقد فرق بين الكبائر وبين الشرك المزيل للإيمان .

ويقرر ذلك في موضع آخر فيقول: "أخرج الترمذي عن أنس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: قال الله تعالى: " يا ابن آدم انك لو لقيتني بقراب الأرض خطايا ثم لقيتني لا تشرك بي شيئا إلا آتيك بقرابها مغفرة"(٢) وقد دل الحديث على أن الإنسان مهما أتى به من ذنوب و اقترف من آثام وإن كانت تعدل ذنوب أكبر العصاة والمجرمين كفرعون وهامان ولكنه بريء من الشرك بدل الله سيئاته حسنات وآتاه مثل هذه الذنوب مغفرة وأن جميع ذنوب العاصي والمذنب تمحى وتغتفر ببركة التوحيد(٣) كما أن للشرك شؤما وظلمة تطغى على جميع الحسنات وتحبط جميع العبادات وهذا هو الحق فإنه إذا وقر في قلب المؤمن أن لاإله إلا الله، لارب سواه ولاملجأ ولامنجأ إلا إليه وأن لامعقب لأمره ولارادّ لقضائه ولا شفيع إلا بإذنه فقد تطهر من أدران الشرك فما صدر عنه من ذنب فهو من مقتضي البشرية، أو نتيجة النسيان والسهو ويستولي على قلبه الخوف من هذه الذنوب ويعاف هذه الذنوب ويستوحش منها حتى

---

(١) تقوية الإيمان ص: ٥٣ ـ ٥٤

(٢) تقدم تخريج الحديث ص: ٩٠

(٣) وكلامه ليس على إطلاقه، بل الموحد صاحب الكبيرة تحت مشيئة الله عزوجل إن شاء غفر له وإن شاء عذبه، من غير خلود في النار، وتقدم التعليق عليه ص:

تضيق عليه الأرض بما رحبت وتضيق عليه نفسه، وكل من كان هذا شأنه غشيته رحمة الله ولطفه وكلما أكثر من الذنوب اشتدت به الكآبة والحزن وأحاطت به الوحشة فمن كانت قدمه راسخة في التوحيد، عملت ذنوبه ما لاتعمل عبادة غيره، فكان الفاسق الموحد خيرا من المشرك ، كما أن الوفي المقصر من الرعية خير من الثائر المتملق، لأن الأول نادم على تقصيره والثاني مغتر بخديعته ونفاقه وهو يحسب أنه يحسن صنعا"(١)

هذا هو مذهب أهل السنة يقول الطحاوي(٢): " وأهل الكبائر من أمة محمد صلى الله عليه سلم في النار لا يخلدون إذا ماتوا وهم موحدون، وإن لم يكونوا تائبين بعد أن لقوا الله عارفين(٣) وهم في مشيئته وحكمه إن شاء غفر لهم وعفا عنهم بفضله كما ذكر في كتابه﴿ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء﴾ وإن شاء عذبهم في النار بعدله، ثم يخرجهم منها برحمته وشفاعة الشافعين من أهل طاعته ثم يبعثهم إلى جنته"(٤)

تكفير المعين:

وقد استشكل كثير من الناس وقوع الكفر من الذين يشهدون أن لا إله إلا الله ويدينون بدين الإسلام وإن أتى من أعظم نواقض التوحيد.

وأعظم ما اعترضوا في الآونة الأخيرة على دعاة التوحيد، أنهم يكفرون المسلمين عموما، وكانت هذه فرية ذات تأثير غريب في تنفير الناس عن تلك الدعوة وأهلها(٥)

واتهم بها الشاه بأنه يكفر السابقين واللاحقين، والأحياء والأموات، وجميع المسلمين، وأنه يعتقد بأنه لم يبق أحد في الدنيا من يؤمن بالله(٦)

---

(١) تقوية الإيمان ص: ٦٥ ـ ٦٦

(٢) هو أحمد بن محمد بن سلامة أبوجعفر الطحاوي الأزدي، إمام فقيه ثقة، من أئمة الحنفية، وله كتب قيمة، منها العقيدة الطحاوية، أحكام القرآن، وكتاب معاني الآثار ومشكل الآثار توفي ٣٢١هـ انظر السير للذهبي ٢٧/١٥ والفوائد البهية ص: ٣١

(٣) يقول شارحه:"... لوقال مؤمنين بدل قوله "عارفين" كان أولى، لأن من عرف الله ولم يؤمن به فهوكافر.

(٤) شرح العقيدة الطحاوية ص: ٤١٦

(٥) انظر دعاوي المناوئين لدعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب ص: ١٦٢

(٦) انظر أطيب البيان ٢٤٠ نقلا من أكمل البيان ص: ٥٧٦

هذا افتراء صريح عليه ، والشاه رحمه الله لم يحكم بالخروج من الإسلام إلا لمن أتى بالشرك العظيم المناقض للتوحيد، أو أنكر الشريعة، واستحل المعاصي، وقد صرح في مواضع عديدة بأن الله يغفر الذنوب مهما بلغت إذا كان صاحب الذنب موحدا.

واستفسر في حكمه بالكفر والخروج عن الملة لمن تلوث بالأمور الشركية المذكورة في تقوية الإيمان فأجاب مفصلا .

يقول السائل:" هل يحكم بكفر زيد عند ما يرتكب بعض الأفعال الشركية المذكورة في تقوية الإيمان مثل النذر لغير الله، وتقبيل القبر، وإلقاء الرداء عليه، والحلف بغير الله ونحوها من الأمور صدرت من زيد فهل يحكم بكفره ويستباح ماله ودمه ويعامل معاملة الكفار؟

يقول الشاه يجيب عليه:" لايجوز الاعتقاد بأنه أصبح كافرا حقيقيا ولايجوزأن يعامل معاملة الكفار، فمن عامله تلك المعاملة فقد أذنب ويأثم عليه وما ذكرنا في تقوية الإيمان فبيانه كالتالي، إنه قد ورد في الحديث النبوي أن للإيمان بضع وسبعون شعبة وأفضل تلك الشعب لا إله إلا الله وأدناها إماطة الأذى عن الطريق (١)وكذلك ورد في رواية أخرى أن الحياء شعبة من الإيمان(٢) وكذلك في روايات عديدة أن الصبر والسماحة(٣) يعني علو الهمة وحسن الخلق من شعب الإيمان، ويُرى كثيرا بأن بعض هذه الأمور يتصف بها بعض الكفار، فكثير من الكفار يتصفون بالحياء، وكثير منهم يتخلقون بخلق حسن فمجرد وجود الحياء لايصبح ذلك الكافر مؤمنا ولا يستحق أن يعامل مثل معاملة المسلمين، نعم ينبغي أن يعلم أكيدا أن الحياء شعبة من الإيمان وخصلة أحب إلى الحق جل وعلا، وإن لم يكن هذا الشخص محبوبا لأنه كافر ولكن هذا الخلق محبوب، كذلك فإن الشرك يقابل الإيمان فلا بد أن تكون له شعب مثل هذه الشعب فكما أننا لانجعل زيدا مؤمنا بمجرد الحياء مع الثناء على خلقه وحيائه كذلك بمجرد حلفه بغير الله لانجعله مشركا(٤) ولكن ينبغي أن يعد هذا الفعل من الأفعال الشركية ويُظهر الإنكار الشديد عليه ويهان ذلك الفعل ولاينبغي إهانة ذلك الفاعل لأنه من الممكن أن يكون عنده شعب كثيرة من الإيمان مثل ما وحد تلك الشعبة الشركية، فبسبب شعب الإيمان يصير مقبولا عند الله وإن كان

(١) تقدم تخريجه قريبا ص: ٣٦١

(٢) انظر الرواية السابقة

(٣) أخرجه أحمد في مسنده ٤/ ٣٨٥ و ٥/ ٣١٦ وانظر مشكاة المصابيح ٤٨/١ حديث عمرو بن عبسة الطويل وفيه قلت: ما الايمان ؟ قال: الصبر والسماحة.

(٤) إن الحالف بغير الله قد يكون كافرا وقد لايكون، انظر التفاصيل ص:

فعله هذا مردودا، وينبغي ملاحظة هذا التفصيل مادام فاعله لم يجاهر مقابلة الشرع أما إذا أظهر رد الشريعة المحمدية على صاحبها أفضل الصلاة وأكمل التحيات والتسليمات الزاكيات، مثل أن يقول:لاعلاقة له بالشريعة، أو يقول: أنه ليعمل العمل الفلاني سواء رضى له النبي صلى الله عليه وسلم أو لم يرض به، أو يقول: إن الشريعة تنهى عن هذا الفعل ولكن الشريعة ليست له بل لغيره فمذهبه طريقة وليست شريعة(١) فعندئذ يصبح كافرا مطلقا فجميع شعب الإيمان الموجودة فيه تصبح هباء منثورة ويحيطه غضب الله عزوجل أعاذ نا الله وسائر المسلمين من غضبه"(٢)

الشاه رحمه الله قد بين في هذا الفتوى بأنه لايكفر أحدا ولايجوز تكفير أحد ببعض افعال شركية ولايزول به إيمانه بل يكفره إذا كان جاحدا للشريعة ومعارضا له ويستهين بأفعاله الشريعة أو النبي صلى الله عليه وسلم، وأشار فيه إلى الصوفية المنحلين عن الشريعة بحجة أنه يجوز لهم في طريقتهم ما لايجوز في الشريعة، أو لوصوله مرتبة الولي جاز له كل شيء، فمن أتى بمثل هذه الأعمال التي فيها معارضة صريحة للشريعة فلا تنفعه جميع شعب الإيمان بل يصبح كافرا مطلقا.

وكذلك قد حكم بالكفر على من يستحل المنهيات الشرعية أو يرفض بعض الأحكام الشرعية(٣)

الشفاعة:

أهل السنة وسط في باب الشفاعة بين المعتزلة والخوارج الذين ينكرون الشفاعة لأهل الكبائر، وبين الصوفية والقبوريين الذين يثبتون الشفاعة المطلقة للأنبياء والأولياء بحيث أنهم إذا شفعوا لاترد شفاعتهم وأن الله مضطر بقبول شفاعتهم، وقسم الشفاعة المعهودة في الدنيا إلى ثلاثة أقسام:

شفاعة الوجاهة، التي يشفعها وجيه القوم وكبيرهم فلا ترد شفاعته لوجاهته.

---

(١) ابتلي به الصوفية هداهم الله.

(٢) وفي آخر هذا الجواب" كتبه محمد اسماعيل مصنف تقوية الإيمان عفي عنه في" شاهجهان باد" حرر ١٢/جمادى الأول ١٢٤٠هـ انظر " مطرق الحديد على صاحب التحقيق الجديد ص: ٧٦ ـ ٧٨

(٣) انظر تفاصيله في " مكاتيبه" المخطوطة ص: ٢٣

شفاعة المحبة: فإن المشفوع إليه لايرد شفاعة حبيبه بناء على حبه، وتسمى هذه شفاعة المحبة، فهذان القسمان لايتصور في حق ا لله عزوجل فمن أثبت هذين القسمين فقد أشرك با لله(١)

أما القسم الثالث: فهي الشفاعة بالإذن التي أثبتها القرآن والسنة، واعتقد بها أهل السنة والجماعة، ويوضح الشاه هذه الشفاعة بضرب المثال فيقول:" إن السارق الذي تثبت عليه السرقة لكنه ليس مجرما متعودا على الجريمة، و لم يتخذ السرقة ديدنا له وحرفة، ولكن ارتكب هذه الجريمة من ضعف البشرية، فهو نادم على فعله هذا، وهو وجل وخجل، ويحترم قانون ملكه، ويعد نفسه مخطئا يستحق العقوبة، ولا يلجأ إلى أمير ووزير هربا من الملك، ولايعول ولايعتمد على نصرة أحد، بل إن عينه شاخصة إلى الملك، وإن آماله معلقة به لاغير، ويديم النظر إليه ماذا يأمر فيه، فلما رآه الملك هذاالحال من القلق والخوف والرجاء، رق له قلبه، ولكنه يعرف أنه إذا عفا عن جرمه بدون سبب استخف الناس بهذا القانون، وتسرب الفساد في نظام ملكه، وذهبت عنهم مهابته، فأشار إلى أمير أو وزير فقام بشفاعته إليه، وأظهر الملك أنه يريد أن يكرم هذا الأمير بقبول شفاعته، فصفح عن هذا السارق متمسكا بشفاعة هذا الأمير، والظاهر أن هذا الأمير لم يشفع لهذا السارق، لأنه كان بينه وبينه قرابة أو صداقة، ولكنه شفع له، لأنه وقف على رغبة الملك، وهو أمير من أمراء هذا الملك، ليس خدنا للصوص حتى يتولى نصرتهم، ويقوم بشفاعتهم، فإنه إذا فعل ذلك دخل في زمرتهم، وهذا النوع من الشفاعة، يسمى "الشفاعة بالأذن".

واعلم انها هي الشفاعة بالإذن، وكل شفاعة جاء ذكرها في القرآن والحديث، فهي هذه الشفاعة المأذون لها، فيجب على كل انسان أن يظل داعيا لله تعالى، خائفا منه، مستعينا به، بائيا بآثامه بين يديه، مؤمنا بربوبيته ونصرته، لايعلم لنفسه ملجأ ولا ملاذا إلا ا لله...."(٢)

فأثبت الشفاعة بالإذن لأهل الكبائر من أمة محمد صلى ا لله عليه وسلم .

(١) انظر التفاصيل في موضوع الشرك من هذا البحث

(٢) تقوية الإيمان ص: ٩١ ـ ٩٢

المبحث الرابع: فضائل الصحابة

بوب الشاه رحمه الله بابا مستقلا في ذكر فضائل الصحابة وأهل البيت، وذكر فيه حقوق الصحابة، وما يجب على المسلمين تجاههم، وجمع آيات وأحاديث كثيرة تدل على فضلهم جملة وتفصيلا، وذلك بأن إكرام الصحابة وحبهم وذكرهم بالخير وسلامة القلوب والألسنة لأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم من أصول أهل السنة والجماعة(١) وحسن الظن بهم علامة البراءة من النفاق" ومن قال الحسنى في أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم فقد برئ من النفاق"(٢) فلا يقع فيهم إلا صاحب سوء وهوى(٣) بل الطعن في الصحابة زندقة كما قال أبوزرعة(٤) :" إذا رأيت الرجل ينتقص أحدا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فاعلم أنه زنديق وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم حق، والقرآن حق، وماجاء به حق، وإنما أدى إلينا ذلك كله الصحابة فمن جرحهم إنما إراد إبطال الكتاب والسنة، فيكون الجرح به ألصق والحكم عليه بالزندقة، والضلالة والكذب والفساد هو الأقوم الأحق"(٥)

فحب الصحابة ومحبتهم وولاءهم والدعاء لهم بالمغفرة والرضوان واجب، فهي قاعدة مهمة من قواعد التفريق بين السني والبدعي، ولذا نرى أهل السنة يذكرونها في بيان عقائدهم يقول الطحاوي:" حبهم دين وإيمان وإحسان وبغضهم كفر ونفاق وطغيان"(٦)

وانتهاجا بمنهجهم وحاجة الناس في الهند إلى بيان فضائل الصحابة لغلبة الرفض فقد فصل فيها الشاه بذكر فضائلهم ومناقبهم عموما وخصوصا.

ويعرف الصحابي بقوله :" من التقى النبي صلى الله عليه وسلم وهو مسلم ومات عليه فهو صحابي"(٧)

---

(١) انظر شرح العقيدة الطحاوية ص: ١٥٢

(٢) الحجة في بيان المحجة ٢/ ٣٦٩

(٣) شرح السنة للبربهاري ص: ١١٥

(٤) هو عبيد الله بن عبد الكريم بن يزيد، أبوزرعة الرازي،إمام حافظ ثقة مشهور مات سنة ٢٦٤هـ تقريب التهذيب ص: ٣٧٣

(٥) الصواعق المحرقة في الرد على أهل البدع والزندقة ٢٠٨ - ٢١١

(٦) شرح العقيدة الطحاوية ص: ٥٢٨

(٧) تذكير الإخوان ص: ١٠٥

ويعرف أهل البيت:" وأهل البيت يعني به الأزواج والأولاد مع البنات وأزواجهن وأولادهم، وكذلك يدخل في مطلق مسمى أهل البت، الإماء والعبيد والمتبنى وجميع الأسرة التي تتبع طريقته"(١)

والشاه يجعل حب الصحابة وأهل البيت من الإيمان فيقول:" فإن مدح الصحابة وفضلهم ثابت بالقرآن الكريم وأحاديث النبى صلى الله عليه وسلم فمن جحد القرآن والحديث فمصيره جهنم، فإن الله عزوجل خالق الخلق جميعهم ومالكهم فحبه وامتثال أمره فرض عين فإنه أمرنا بحب النبي صلى الله عليه وسلم وامتثال أمره فأصبحت محبة النبي صلى الله عليه وسلم وطاعته فرض عين على كل واحد فمن يحب النبي صلى الله عليه وسلم يحب الصحابة لامحالة،لأنه كان يحبهم، وهم كانوا أنصاره في تبليغ الرسالة ونشر الدين، فمن ازداد في حب النبي صلى الله عليه وسلم،ازداد في حب الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين، ولو كان الصحابة وأهل البيت أصحاب سوء وشر يصبح دين المسلمين دين سوء وشر، لأن الكتاب والسنة أساس دينهم لم يصل إلى متأخريهم إلا عن طريق هؤلاء، فإن كانوا مجروحين فكيف يوثق فيهما؟؟ ففهم من هذا أن من طعن فيهم واتهمهم بالسوء فقد أنكر دينه وإيمانه "(٢)

ثم تطرق الشاه إلى ذكر آيات وأحاديث كثيرة تدل على فضائل الصحابة عموما وخصوصا، وقد ذكر مناقب أبي بكر وعمر وعثمان وعلى والزبير وطلحة وأبوعبيدة وسعد والعشرة المبشرين وأبي ذر وسلمان والمقداد وغيرهم من الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين وذكر فضائل الأنصار وأهل بدر والحديبية، ثم فضائل أهل البيت، فقد سلك فيه مسلك المحدثين من أصحاب الصحاح والسنن الذين يذكرون فضائل الصحابة بإيراد الأحاديث الواردة في كل واحد منهم بالتفصيل(٣)

(١) تذكير الإخوان ص: ١٠٥ " والحاصل أن المراد من أهل البيت في الحقيقة أزواجه ويدخل في الأهل أولاده وأعمامه وأبناء هم أيضا تجاوزا، أما الشيعة فأرادوا عكس ذلك" الشيعة وأهل البيت ص: ١٩

(٢) تذكير الإخوان ص: ١٠٥ - ١٠٦

(٣) انظر رد الإشراك ص: ٦٨ - ١١٠

المبحث الخامس: الإمامة

المطلب الأول: تعريف الإمامة

تعريفها اللغوي: الإمامة مصدر من فعل " أمَّ" ويقال "أمَّهم" و"أمَّ بهم" تقدمهم ، وهي الإمامة ، والإمام: ما ائتم به من رئيس أو غيره"(١)

وقال الجوهري: " الأم بالفتح، القصد، يقال: أمّه وأمّمه وتأمّمه إذا قصده"(٢)

ويقول ابن منظور: " الإمام كل من ائتم به قوم كانوا على الصراط المستقيم أو كانوا ضالين،...وجمعه أئمة،... إمام كل شيء، قيمه والمصلح له والقرآن إمام المسلمين وسيدنا محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم إمام الأئمة، والخليفة إمام الرعية، وإمام الجند وقائدهم"... وأممت القوم في الصلاة إمامة، وائتم به أي اقتدى به، والإمام، المثال، وإمام الغلام في المكتب، ما يتعلم كل يوم، وإمام المثال، ما امتُثل عليه، والإمام، الخيط الذي يمد على البناء فيبنى عليه ويسوى عليه ساف البناء، .... والإمام الطريق لأنه يؤم ويتبع"(٣)

ويظهر من هذه التفاصيل أن مدلول لفظ الإمام، هو من يقتدى به أو يتأسى به أو يقصد إليه ونحوها من المعاني.

والشاه رحمه الله لما أراد شرح معنى الإمامة اعتبر هذا المدلول اللغوي إلا أنه جعل تأسي النبي صلى الله عليه وسلم ميزانا للإمامة فمن كان أقرب إلى النبي صلى الله عليه وسلم في عمل أو خلق كان إماما فيه فيقول بأن فضائل الأنبياء لاتعد ولاتحصى ، وأن النبي يتصف بجميع أنواع الفضائل أكثر من غيره ويكون النبي في قمة الصفات العالية والمراتب الرفيعة الممدوحة في الشرع، وعباد الله الصالحون المؤمنون الأتقياء أيضا،يحظون من تلك الصفات بحظ وافر، لأن أصل جميع هذه الكمالات، الإيمان بالله عزوجل، وبتمامه تتم الكمالات، فبحسب قوة الإيمان يقوى ظهور هذه الكمالات، فكل كمال من تلك الكمالات مثل السلسلة بدايتها الإيمان بالله، ونهايتها مرتبة النبوة، فكل كمال يبلغ إلى درجة الكمال والتمام عند النبوة، ولو تأملنا في أضعف المراتب التي يحصل عليها عوام المسلمين ووازناه بأعلى المرتبة التي هي من حق الأنبياء

---

(١) القاموس المحيط ص: ١٣٩٢

(٢) الصحاح ١٨٦٥/٥

(٣) لسان العرب ٢٤/١٢-٢٦

عليهم السلام يتضح لنا أن هناك مرتبة متصلة من مرتبة الأنبياء فهي أضعف من مرتبة الأنبياء وأقوى من سائر المراتب،فبون بعيد بين الأنبياء وبين غيرهم فإن لهم ميزة ليست لسواهم فمرتبة الكمال التي تتصل مرتبة الأنبياء أجعلها منتهى مراتب الكمالات، ولو جعلت مرتبة كمال الأنبياء في هذه السلسة لجعلتها في المرتبة الأولى"(١).

ثم يوضح الفرق بين تلك المراتب فيقول:" فإن الاختلاف الواقع بين مراتب توكل المتوكلين، أو بين مراتب السخاء من أهل السخاء مثل الاختلاف بين مراتب اللون والريح، ولو قايسنا توكل أدنى رجل مؤمن بتوكل أنبياء الله لن تكون هناك مماثلة بين هذين التوكلين ولكن لو قايسنا مرتبة هؤلاء بالمرتبة التي تقع بعدها لوجدت فيها مماثلة كبيرة وأسمى هذه المماثلة " المشابهة" فمن كان في المرتبة التي تلي مرتبة الأنبياء فيكون هو يشابه الأنبياء في ذلك الكمال، كماقال النبي صلى الله عليه وسلم :" علماء أمتي كأنبياء بني إسرائيل"(٢) وقال النبي صلى الله عليه وسلم لجعفر بن أبي طالب:" أشبهت خلقي وخلقي"(٣) وقال في المهدي:" إنه يشبه خلقي ولايشبه خلقي" (٤) وقال النبي صلى الله عليه وسلم لعلى:" أنت أخي في الدنيا والآخرة" (٥) وقال :" من أحب أن ينظر إلى عيسى بن مريم في زهده فلينظر إلى أبي الدرداء "(٦) وقال حذيفةبن اليمان: إن أشبه الناس دلا وسمتا وهديا برسول الله صلى الله عليه وسلم لابن أم عبد"(٧)

تعريف الإمامة والإمام:

وبعد هذا التفصيل يقول الشاه محددا معنى الإمامة " فإن الإمامة في كمال ما، عبارة عن حصول المشابهة التامة بالأنبياء في ذلك الكمال فمثلا، العلم الشرعي يحصل عن طريقين، عن طريق التقليد والتحقيق(٨) وعلم الأنبياء ليس تقليدي، بل هو تحقيقي، وعلم التحقيقي يحصل

(١) انظر منصب امامت ص: ٥٠ ـ ٥٢

(٢) لا أصل له . انظر سلسلة الضعيفة ـ ٤٦٦ ـ ٦٧٩/١

(٣) أخرجه البخاري ـ الصلح ـ ٢٦٩٩

(٤) أخرجه أبوداود بصيغة المجهول ـ كتاب المهدي ـ ٤٢٩٠ ـ ٤٧٧/٤

(٥) رواه الترمذي ـ المناقب ـ ٣٧٢٠ وقال:حسن غريب، اسناده ضعيف انظر مشكاة المصابيح ١٧٢١/٣

(٦)

(٧) رواه البخاري ـ الأدب ـ ٦٠٩٧

(٨) يظهر من شرحه بأنه يقصد العلم الثابت الذي لايتطرق إليه شك والله أعلم.

عن طريقين، طريق الاجتهاد بشرط أن يكون مقبولا عند أولي اللباب، وطريق الإلهام بشرط أن يكون محفوظا من مداخلة النفس، فالمشابهة بالأنبياء في علم الأحكام إما للمجتهدين المقبولين وإما للملهمين المحفوظين، ولكن الاستناد لمعرفة الأحكام إلى الكشف والإلهام لم يكن معروفا عند أوائل الأمة فأصبح المجتهدون المقبولون مشابهون للأنبياء في هذا الفن، فينبغي أن يعتبر هؤلاء من أئمة هذا الفن، مثل الأئمة الأربعة، فلقبوا عند جماهير الأمة بلقب الإمام، وكذلك السياسة الإيمانية التي تكون على منهاج الشريعة تتحقق على وجهين، إما أن تتحقق بمساعدة وزراء الخليفة ونوابه، أو تتحقق بالخليفة نفسه، وسياسة الأنبياء لاشك تتحقق على الوجه الثاني، فالخليفة نفسه يشابه النبي في السياسة الإيمانية ولذلك يقال له "الإمام".

"فالخلاصة بأن كل من حصل على كمال من الكمالات الكثيرة فهو يشابه الأنبياء في ذلك الكمال سواء كان عرف بلقب الإمام أم لا، ولذا قد يكون شخص من الأمة إمام المجتهدين وشخص إمام السادات وشخص إمام المتوكلين وشخص إمام الأسخياء وشخص إمام الدعاة... إلى غير ذلك" ومما ينبغي التنبه عليه أن بعضهم يشابهون الأنبياء في كمال وبعضهم يشابهونهم في كمالين وبعضهم في ثلاث، وبعضهم يشابهونهم في جميع الكمالات، فتكون إمامته أكمل من غيره ويكون مشابها للأنبياء إلا أنهم يفوقون بالنبوة، كقوله صلى الله عليه وسلم في حق عمر: "ولو كان بعدي نبي لكان عمر(١)"وقد يقال في مثل هذا الرجل أنه لافرق بينه وبين النبي إلا بمنصب النبوة كما قال صلى الله عليه وسلم في حق علي رضي الله عنه" أنت مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لانبي بعدي(٢) وهذا بيان حقيقة الإمامة المطلقة"(٣)

المطلب الثاني: أقسام الإمامة

ثم تطرق الشاه إلى بيان أقسام الإمامة ومعنى الخليفة الراشد، وأحكامه، والإمامة الحكمية وأقسامها كما ستأتي تفاصيلها.

ويقرر قبل ذكر أقسام الإمامة أمرين مهمين:

---

(١) رواه الترمذي ـ المناقب ـ ٣٦٨٦ وقال الترمذي حسن غريب ـ وهو حسن انظر سلسلة الصحيحة ـ برقم ٣٢٨

(٢) أخرجه البخاري ـ المغازي ـ ٤٤١٦ ـ الفتح ١١٢/٨

(٣) منصب إمامت ص :٥٣ ـ ٥٥

أولا: "بأن مدار الأحكام الشرعية في الدنيا على الظاهر فإذا كانت الحقيقة مفقودة والظاهر موجود فيعامل صاحب الظاهرمعاملة صاحب الحقيقة،مثل المنافق فإنه وإن كان عند الله عزوجل من أهل النار ومن أقبح أنواع الكفار ولكن يعامله معاملة المؤمن الحقيقي فكأن ذلك المنافق مؤمن حكمي".

ثانيا:"إن لأحكام الشريعة حقيقة و لايقبلها الله إلا بها، ولكن إجراء أحكام الشريعة يتعلق بالظاهر،مثل المناصب الشرعية،فإنها تعتبر بظاهرها فمثلا حقيقة الإمامة في كل كمال هو حصول معنى المشابهة بالأنبياء في ذلك الكمال، تدل عليها بعض العلامات الظاهرة فهي معتبرة بوجودها، مثل الإمامة في الفقه لها حقيقة وهي ملكة الاجتهاد ولها صورة ظاهرة وهي بيان الأحكام غير المنصوصة،فالقاضي المجتهد هو قاض حقيقي والقاضي المقلد هو قاضي حكمي، ولاشك أن القاضي الحقيقي أفضل بكثير من القاضي المقلد ولكن الواجب على المسلمين أن يعاملوا بالقاضي المقلد كما يعامل القاضي المجتهد في تسليم حكمه في المسائل الخلافية، وإجابته عند طلبه و في إقامة الحدود والتعزيرات وفي غيرها من الأمور"(١).

وبهذا التمهيد أراد الشاه أن الإمامة العظمى يعتبر بظاهرها وإن كان فيه نقص في الحقيقة، ويقرر بأنها تثبت بالغلبة فيقول:" السياسة الإيمانية لها حقيقة وهي المشابهة بالنبي في باب كثرة الشفقة بعباد الله وكثرة الرغبة في إصلاح أحوالهم في الدنيا والآخرة، بالسلطة والقوة ولها صورة ظاهرة وهي إجراء الأحكام الشرعية، فالدرجات العالية والمنزلة العظيمة عند الله منوطة بتلك الشفقة الكثيرة والرغبة الشديدة في إصلاح العباد ولكن وجوب الطاعة متعلق بالغلبة، وإجراء الأحكام الشرعية، وإن كان إجراء ها للسياسة السلطانية، يعني لأجل طمع في المال وحب في الجاه والسلطة ..." فصاحب السياسة الإيمانية إمام حقيقي في باب السياسة وصاحب السياسة السلطانية إمام حكمي في ذلك، أما إذا غير الأحكام الشرعية و أجرى حكما مخالفا للشرع فلا يجب على المسلمين طاعته في هذا الحكم بل طاعته محرمة فيه، كما قال النبي صلى الله عليه وسلم :" لاطاعة لمخلوق في معصية الخالق"(٢)

---

(١) منصب إمامت ص: ٥٨

(٢) صح الحديث بروايات عديدة وألفاظ مختلفة انظر بمعناه في صحيح البخاري ـ الأحكام ـ ٧١٤٤

وينبغي أن يعلم أن الإمامة الحقيقية هو حصول المشابهة التامة بالنبي صلى الله عليه وسلم في خلقه وأوصافه، فالأوصاف أكثر من الكثير وكذلك أقسام الإمامة أيضا لاتعد ولاتحصى" (١).

"ومن أقسامها الإمامة التامة ويقال لها الخلافة الراشدة، والخلافة على منهاج النبوة وخلافة الرحمة أيضا، فإن الله قد أتم نعمته ورحمته بإقامة الخلافة الراشدة ..."(٢) .

المطلب الثالث :تعريف الخليفة الراشد والأحكام المتعلقة به

أ ـ تعريف الخليفة الراشد

يعرف الشاه الخليفة الراشد ويذكر مناقبه فيقول :" الخليفة الراشد الشخص الذي يحصل على منصب الإمامة، و يطبق السياسة الإيمانية، فمن وصل إلى هذا المنصب فهو الخليفة الراشد سواء كان في زمن سابق أو في زمن لاحق أو كان في أوائل الأمة أو في أواخرها سواء كان فاطمي الحسب أو هاشمي النسب أو كان قصى الأصل أو قريشي النسل، فليس لفظ الخليفة بمنزلة لفظ خليل الله وكليم الله .....والصديق الأكبر والفاروق الأعظم وذي النورين والمرتضى وسيد الشهداء و نحوها من الألقاب خاصة تختص بأولئك الكبار، فبإطلاق هذا اللقب لايقصد إلا واحد منهم. كذلك بإطلاق الخلفاء الأربعة يراد به الخلفاء الراشدون الكرام،و لقب الخليفة الراشد بمثابة لقب ولي الله، والمجتهد والعالم والعابد والمحدث والمتكلم والحافظ والملك... فكل واحد من هذه الألقاب لايدل على وصف خاص، ولاعلى مدلول مخصوص فكل من اتصف بتلك الصفة واحتل علىالمنصب المذكور يلقب بذلك اللقب".(٣)

"أما ما ورد في الحديث أن الخلافة ستبقى بعد وفاة الرسول ثلاثون سنة وبعده ملوكية(٤) والمراد منه الخلافة الراشدة الباقية على وجه الاستمرار، وليس المقصود منه أنها مدة الخلافة إلى يوم القيامة، بل مدلول الحديث أن مدة الخلافة بعد انقضاء ثلاثين سنة ستنقطع وليس فيه أنها

---

(١) منصب إمامت ص: ٥٩

(٢) منصب إمامت ص: ٧٣

(٣) منصب إمامت ص: ٧٦

(٤) روى أبوداود معنى هذا الحديث ـ السنة ـ ٤٦٤٦ و٤٦٤٧ والترمذي ـ الفتن ـ ٢٢٢٧ وقال: حديث حسن .

لاترجع بعد انقطاعها بل يدل الحديث الآخر على عودتها بعد الانقطاع، لقول النبي صلى الله عليه وسلم: "تكون النبوة فيكم ما شاء الله أن تكون ثم يرفعها الله ثم تكون خلافة على منهاج النبوة ما شاء الله أن تكون ثم يرفعها الله، ثم يكون ملكا عاضا فيكون ما شاء الله أن يكون ثم يرفعها الله تعالى ثم تكون ملكا جبريا فيكون ما شاء الله أن يكون ثم يرفعها الله تعالى، ثم تكون خلافة على منهاج النبوة ثم سكت" (١) وأيضا يظهر أن خلافة المهدي عليه السلام أفضل أنواع الخلافة الراشدة لأنه ورد في وصفها قول رسول الله صلى الله عليه وسلم: "لو لم يبق من الدنيا إلا يوم لطول الله ذلك اليوم حتى يبعث الله فيه رجلا من أهل بيتي يواطي اسمه، اسمي واسم أبيه، اسم أبي، يملأ الأرض قسطاوعدلا كما ملئت ظلما وجورا"(٢) ولايظن أن زمن الخلافة الراشدة إما زمن أوائل الأمة يعني زمن الخلفاء الأربعة أو زمن أواخر الأمة يعني زمن مهدي عليه السلام وما بين هذا الزمنين زمن التعطل منها بحيث لاتظهر فيه الخلافة الراشدة، وما ورد في الحديث عن عودة الخلافة الراشدة فقد حمل العلماء على خلافة عمر بن عبد العزيز، ولذلك كتب حبيب، أحد التابعين نفس الحديث إلى عمر بن عبد العزيز وبشره به فمما كتب: "أرجو أن تكون أمير المومنين بعد الملك العاض والجبرية فسر به وأعجبه، فعمر بن عبد العزيز قبل هذه البشرى و لم يرد الحديث بحجة أنه يتعلق بخلافة المهدي، ولايجوز حمله على خلافة غيره.

ب ـ أحكام الخليفة الراشد:

ثم يذكر الشاه واحب المسلمين تجاه الخليفة الراشد، منها وجوب طاعته وعدم منازعته فيقول:" فالخليفة الراشد يكون سببا لارتقاء الدين وازدهاره فإنه بمثابة الأنبياء الذين تُنشر بهم الهداية، ويعم الصلاح فيكون من خير الناس وأحسنهم سيرة وسلوكا يفتخر به جميع العالم، فإن مخالفته مخالفة رب العلمين ومعارضته معارضة القضاء والقدر وينبغي صرف كل الجهد في إكرامه، ولاينبغي لأحد أن يوازن نفسه به، وعلامة أصحاب الكمال إنهم يشتغلون في خدمته وطاعته ويتخلون من دعاوي المساواة به"

---

(١) أخرجه أحمد في مسنده ٢٧٣/٤ و الحديث صحيح انظر سلسلة الصحيحة برقم ـ٥

(٢) أخرجه أبوداود ـ المهدي ـ ٤٢٨٢ ـ والترمذي ـ ٢٢٣١ ـ وقال: حسن صحيح،

"ويتوقف النجاة في الآخرة على طاعته، كالشخص الذي أدى طاعات عظيمة و بذل جهودا و لم يؤمن بالرسل فلا نجاة له في الآخرة، كذلك إذا أتى بعبادات عظيمة، وامتثل أحكام الإسلام، و لم يخضع لطاعة الإمام و لم يعترف بإمامته، يكون مأثوما، ولن ينجو من بطش رب العلمين كما في الحديث (من لم يعرف إمام زمانه فقد مات ميتة جاهلية) (١) وقال النبي صلى الله عليه وسلم :" صلوا خمسكم وصوموا شهركم وأدوا زكوة أموالكم وأطيعوا ذا أمركم تدخلوا جنة ربكم"(٢) وقال النبي صلى الله عليه وسلم :" من مات وليس في عنقه بيعة مات ميتة جاهلية"(٣)

"وتتوقف العبادات على موافقة أمره، مثل صحة الجمعة والأعياد والجهاد والحدود والتعزيرات كلها متوقفة على أمر الإمام قال النبي صلى الله عليه وسلم :" إنما الإمام جنة يقاتل من وراءه ويتقي به".(٤)

"وينفذ حكمه في العفو والمعاملات، كحكم النبي لقول الله عزوجل ﴿وماكان لمؤمن ولامؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمرا أن يكون لهم الخيرة﴾(٥) كذلك حكم الإمام أو نائبه مثل القاضي، فلايبق لأحد مقال بعد حكمه."

"ويثبت الحكم الشرعي بأمره، فتثبوت المنافع والمصالح في فعل أو قول أو ثبوت حسنه وقبحه العقلي لايدل على وجوبه أوحرمته في الشرع ما لم يدل عليه الكتاب والسنة، كذلك إذا ثبتت منفعة أو مصلحة في فعل أو قول في باب السياسة لايدل على لزومه ما لم يأمر به الإمام أو نائبه".(٦)

"وفي مواضع الاختلاف ومسائل الاجتهاد، إذا التحق حكم الإمام بأحد الجانبين وجب على كل مجتهد، ومقلد، وعالم، وعامي، أن يخضع له، ولن يجوز لأحد أن يعارض حكمه

---

(١) الأحاديث الصحيحة تدل على أن المفارق للجماعة يموت ميتة جاهلية، انظر صحيح البخاري ــ الأحكام ـ ٧١٤٣ وللتفصيل عنها انظر " باب: في ذكر مفارق الجماعة " في السنة لابن أبي عاصم. و لم أجد حديثا يحكم بالميتة الجاهلية على عدم معرفة إمام زمانه، والله أعلم.

(٢) أخرجه أحمد ٥/ ٢٥١ و٢٦٢ و"اسناده صحيح" انظر السنة لابن أبي عاصم ص: ٤٩١

(٣) أخرجه البخاري بمعناه ـ الأحكام ـ ٧١٤٣ ـ الفتح ١٢١/١٣

(٤) رواه البخاري ـ الجهاد ـ ٢٩٥٨

(٥) سورة النساء/٦٥

(٦) منصب إمامت ص: ٧٨

باجتهاده أو باجتهاد المجتهدين السابقين، أو بإلهامه أو بإلهام شيوخ المتقدمين، فمن خالف الإمام وأظهر أمرا مخالفا له أو تمسك في الأمور المذكورة بما يخالف الإمام فإنه عاص ولايقبل عذره، وهي مسألة مجمع عليها".

" فإن الله الحكيم أنزل أصول الأحكام الشرعية في الكتاب وبين فروعه وشروطه على لسان النبي المرسل،فالدين عبارة عن مجموع الأحكام التي يدل عليها الكتاب والسنة، وكثير من الأحكام يختلف حكمها باختلاف الأزمنة مثل تجهيز الجيوش وتعيين المعسكرات فمثل هذه الأمور التي لايكون فيها نص شرعي مفوضة إلى رأي الإمام، فالأحكام الصادرة فيها من الإمام تعد من الأحكام الشرعية، كما قال الله تعالى﴿يأيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعو الرسول وأولي الأمر منكم﴾(١) ولذا لم يشترط علماء الأمة صحة القياس لوجوب طاعة الإمام بل أوجبوا طاعته وإن كان قياسه ضعيفا"

"ويفوض إلى الإمام تعيين الأحكام، كما أنه لايجوز للأمة التدخل في الأمور عند وجود النبي، كذلك يلزمهم أن يفوضوا إجراء الأحكام وتنفيذها إلى الإمام ولايجوز لهم إجراءها ولا أن يتدخلوا فيها، وعليهم أن يلجموا ألسنتهم قال الله تعالى﴿إذا جاءهم أمر من الأمن أو الخوف أذاعوا به ولو ردوه إلى الرسول وإلى أولي الأمر منهم ﴾ (٢)

"الخليفة الراشد بمنزلة الابن، الولي العهد للنبي، والأئمة الآخرون في الفنون الأخرى بمنزلة الأبناء الآخرين، فمن سعادتهم أن يحترموا أخاهم الذي سيتولى بعد أبيهم مثل ما يحترمون أباهم، وأن لاينازعوه في أمره، كذلك يجب على أئمة الهدى أن يطيعوا الخليفة الراشد بكل رضى، ولايخالفوه، وإن كانوا أئمة في الهداية والولاية، ويتضح هذا بمعاملة الفاروق مع الصديق وبمعاملة المرتضى مع الفاروق، وبمعاملة الحسن بالمرتضى، فإنهم مع اتصافهم بفضائل النفس وكمالات الروح فوضوا أمرهم إلى الخلفة الراشد، وخضعوا أعناقهم لطاعته، رضى الله عنهم أجمعين"(٣) .

(١) سورة النساء/٥٩

(٢) سورة النساء/٨٣

(٣) منصب إمامت ٨٠ - ٨٥

المطلب الرابع : الإمامة الحكمية وأقسامها

بعد ما انتهى الشاه من بيان أحكام الخليفة الراشد، أخذ يبين أحكام الخلفاء الذين يكون فيهم نقص من بعض الوجوه فيقول:" والمراد من الإمامة الحكمية وقوع النقص في المشابهة بالأنبياء عليهم السلام. وتظهر الإمامة الحكمية إذا اختلطت السياسة السلطانية بالسياسة الإيمانية، تفقد الإمامة الحقيقية، وتحدث الإمامة الحكمية، فبقدر تطرق السياسة السلطانية إلى السياسة الإيمانية تفقد الإمامة الحقيقية إن كان تطرقها كثيرا كان فقدانها كثيرا حتى تختفي الخلافة الراشدة".

يقول الشاه يبين الفرق بين الإمام الحقيقي والإمام الحكمي:"الإمامة الحكمية لا تظهر إلا بنقصان في العبودية،فالامام الحقيقي، يُشبه النبي كثيرا بحيث أنه يبتغي وجه الله عزوجل دائما، ويتخلى عن الأهواء والشهوات، ويسعى سعيا حثيثا لحصول مرضاة الله، ويلتزم الاستقامة على الدين ظاهرا وباطنا ...... ولما يصل إلى منصب الخلافة يشتغل في إصلاح أحوال العباد، وفي أداء حقوق نيابة الرسول صلى الله عليه وسلم، ولايخطر على قلبه منفعته الشخصية ولامضرته .. أما الإمام الحكمي فلعدم تنزهه عن شهوات النفس، يشتهي حصول المال والجاه والتفوق على إخوانه وأقرانه والتسلط على الأمصار والبلدان،..... بل يسعى في حصول تلك الأمور سعيا حثيثا، ويتخذ السياسة وسيلة لنيل أغراضه الشخصية، فأسميها السياسة السلطانية(١)".

ثم يبين أقسام السياسة السلطانية فيقول:" إن الناس يختلفون في قضاء شهواتهم، وقد تغلب الأهواء على بعضهم بدرجة تخرجه من الدين والإيمان وتوصل بعضهم إلى حد الفسق والفجور وتجعل بعضهم من الكسالى، ويكون هذا التفاوت بالنسبة إلى السياسة الإيمانية على مراتب أربعة :

المرتبة الأولى:" أن يكون السلطان يميل إلى الشهوات ولكنه يحافظ على ظاهر الشرع، ولايسلك طريق الفساق والفجار ولاطريق أهل الظلم والجور،... أسميها السلطنة العادلة".

المرتبة الثانية:" أن تغلب عليه ملذات النفس، وراحة الجسم، فيتجاوز لأجلها حدود الشرع، ويسلك طريق الفساق المجاهرين، والظالمين السفاكين، ثم لايندم عليها ولايتوب منها، أسميها السلطنة الجابرة".

---

(١) منصب إمامت ص: ٨٦ ـ ٨٨

المرتبة الثالثة:" أن تغلب عليه أهواء النفس بحد يصبح فريدا في الفسق والفجور، وينفرد في التجبر والتكبر، ويسبق كل من سبق في الظلم والجور، ويشغل فكره وذهنه في الشهوات، ويعارض الشريعة والسنة، بقواعد الفسق والفجور وعادات الظلم والجور، ثم يفتخر بها ويعتبرها من مناقبه وفضائله، أسميها السلطنة الضالة".

المرتبة الرابعة :" أن يفضل القوانين الوضعية المحدثة على أحكام الشرع المتين ويستهين بالسنة والشريعة، بل ينتقد ويطعن فيها ويستهزئ بها وينوه بشأن قوانينه الوضعية، ويعامل بالشريعة كأنها لغو وسفسفط، ويزعم أن أحكام الله وسنة نبيه عليه الصلاة والسلام، من جنس مزخرفات الأحمق المخدوع .. ويؤسس بنيان الالحاد والزندقة، اسميها السلطنة الكافرة"(١).

أـ السلطنة العادلة:

ثم يبين أحكام تلك المراتب وواجب المسلمين تجاهها فيقول:" ليعلم أن المراد من السلطان العادل في هذا الموضع، هو الذي يحب الجاه والعز، ويتمنى تفوقه على الأقران والإخوان، وتسلطه على البلدان والقرى، واجتماع الجنود والعساكر الكثيرة، والخزائن المملوءة، وبقاء اسمه وآثاره إلى الدهور الطويلة، ورفع شان الأصدقاء، والحط من شأن الأعداء، ويهوى استيفاء شهوات النفس، من العمائر والبساتين والأطعمة، والخيول المسومة،... ولكن ميزته أنه لايترك ظاهر الشرع في استيفاء تلك الملذات، ولايتجاوز حدود الشرع في جميع تلك الأمور، وتفصيله أن كثيرا من أحكام الأعمال والأموال في الشرع مفوض إلى رأي الإمام في القضايا التي لايوجد فيها حكم شرعي صريح بل حكم الإمام فيها يصبح حكما شرعيا. وكذلك الأحكام المتعلقة بالأفعال، مثل تعيين مقدار التعزير على ذنب ليس فيه حد شرعي محدد فتعزيره مفوض إلى رأي الإمام، وأحيانا تصدر جريمة واحدة من أشخاص، والإمام يحكم بالضرب والحبس في حق واحد منهم، ويكتفي في حق الآخر بتذلليه وتشهير أمره، وفي حق الثالث يظهر عدم المبالاة، وكلها جائز ومشروع، ويجب طاعته في مثل هذه الأمور ولايجوز الاعتراض عليه بل من اعترض عليه وطعن فيه في مثل هذه الأمور فهو العاصي المذنب والباغي المطرود"

---

(١) منصب إمامت ص: ٨٩-٩٠

"ومنها القتل لأجل السياسة يعني بعض الجرائم لايحكم الشرع فيهـا بـالقتل ولكـن إذا رأى الإمام قتله، يجوز له ذلك"(١).

"ومنها الصلح والحرب، فإن الإمام يصالح ببعض الكفار الماردين و يقيم الحرب ضد بعض المؤمنين العاصين، ولايجوز الطعن في مثل هذه الأمور، كذلـك لايجـب علـى الإمـام المسـاواة في توزيع المال من بيت مال المسلمين، والاعتراض عليه فيه غير جائز، بل من يعترض عليه يخرج من طاعته فيصبح مطرودا من ا لله عزوجل".

"والمقصود من هذا التفصيل هو توضيح الفرق بين الخليفة الراشد والسلطان العادل، فـإن الخليفة الراشد والسلطان العادل كلاهما يتصرفـان في مثـل هـذه الأمـور إلا أن تصـرف الخليفـة الراشد يكون مبنيا لتربية بني آدم وإصلاح أحوالهم وامتثالا لأحكام رب العلمين، فهذه الأحكام المختلفة الصادرة منه والمعاملات المتنوعة التي يجريهـا يراعـي فيهـا صـلاح الملـة والنـاس.... أمـا السلطان العادل فلا شك يتصرف في تلك الأمور، ولايغـير أحكـام الشـريعة ولاآثارهـا، ولكـن يراعي في تلك الأحكام حظوظ نفسه، وقد يصدر حكما شديدا لغضبه على شخص وكراهتـه له ويعفو عن آخر لمعرفته إياه،وإن جاز له هذا، إلا أن لنفسه حظا في تلك الأحكام".

"ولما اتضح الفرق بين الخلافة الراشدة والسلطنة العادلة، ليعلم أن قيام السلطنة العادلة تنفـع الشريعة في الظاهر ولكن يلحقها ضرر في الباطن، ولـذا وصفـت بـالملك العضـوض في الحديـث الذي أشير فيه إلى ظهورها بعد الخلافة الراشدة، قال النبي صلىا لله عليه وسلم:" إن هـذا الأمـر بدأ نبوة ورحمة ثم يكون خلافة ورحمة ثم ملكا عضوضا"(٢)

"فسيرة الأنبياء والخلفاء الراشدين لاينطبق على حكمه تماما ولكن لايمكـن الاعـتراض عليـه شرعا، فشعلة الإيمان متوقدة في قلبه إلا أنها مختلطة بدخان الأهواء".

ثم يقول الشاه يوجب طاعة حكم مثـل هـذا السـلطان الـذي سمـاه السـلطان الكـامل :"إن السلطان الكامل في حكم الخليفة الراشد، وإن لم يصل إلى مرتبة الخلافة الراشدة، ولكن أعمـال الخليفة الراشد تصدر منه، وهي خدمة الشريعة الظاهرة، إذا كان السلطان الكامل مستول علـى عرش السلطنة، ويوجد في وقته مـن يصلـح للخلافـة يجـب عليـه أن يقتنـع بمنصبـه، ولايخـاصم السلطان في أمور السياسة، ولا يثير الجنود والرعية للحرب والقتال،بل يرضى بقضاء ا لله وقدره

---

(١) ولايجوز ذلك إلا لتحقيق مصلحة دينية.

(٢) تقدم تخريج الحديث قريبا. ص ٢٧٥

كما سلك حسن رضى ا لله عنه هذا المسلك مع سلطان الشام و لم يفتح بـاب الخـلاف، وبهـذه المصالحة أصبح محمودا وممدوحا على لسان الرسول المقبول صلى ا لله عليه وسلم :" إن ابني هـذا سيد لعل ا لله أن يصلح به بين فئتين عظيمتين مـن المسلمين (١) ويتضح من هـذا الحديث أن إجماع الأمة على السلطان الكامل مما يرضى ا لله به وأن طاعته مقبول عند الحق سبحانه".(٢)

"السلطان الكامل بمنزلة البرزخ بين السـلاطين وبـين الخلفـاء الراشـدين، ولـو لوحـظ حـال السلاطين الآخرين اعتبر هو الخليفة الراشد، وإن لوحظ حال الخلفاء الراشدين عد من السلاطين ولذا قال سلطان الشام: " لست عليكم مثل أبي بكر وعمر ولكن سـترون الأمـراء مـن بعـدي" ولذا عهد حكومته يشبه زمان النبوة والخلافة الراشدة من جهة، فبناء على هذا التشابه يمكـن أن نقول أن الزمن من بداية الخلافة الراشدة إلى انقراض هذه السلطنة الكاملة، زمن ازدهار الإسلام وغلبته، كما ورد في الحديث الشريف" تدور رحى الإسلام لخمس وثلاثين أو سـتة وثلاثـين أو سبع وثلاثين فإن يهلكوا فسبيل من هلك وإن يقم لهم دينهم يقم لهـم سـبعين عامـا(٣) وكلمـة "إن يهلكوا" تشير إلى ظهور الفتنة والخلل في نظام الخلافة في آخر زمن الخلافة الراشدة، وكلمة "إن يقم لهم دينهم" إشارة إلى ازدهار الدين في عهد النبوة والخلافـة الراشـدة والسـلطنة العادلـة كما ورد ذلك في حديث آخر "نعوذ با لله من رأس السبعين"(٤) وهذه الكلمة تشير إلى انقضاء زمن الحكومة الكاملة فهذه الأزمنة الثلاثة جعلت مباركا من غيرها".

"فالسلطان الكامل له نصيب من نيابة الرسول، ولاشك أن رئاسته لاتسمى خلافـة النبـوة، ولكن يمكن أن يقال سلطنة النبوة، ولذا ورد في كتب الإلهية السـابقة في وصـف سـيد المرسـلين عليه الصلاة والسلام " مهاجره طيبة وملكه بالشام، (٥) فكما ينبغي الانقيـاد الكـامل والطاعـة البالغة في حق النبي كذلك ينبغي طاعة السلطان الكامل"

---

(١) رواه البخاري ـ الصلح ـ ٢٧٠٤

(٢)منصب إمامت ص: ٩٠-٩٨

(٣) أخرجه أحمد في مسنده ٣٩٣/١ وأبوداود ـ الفتن ـ ٤٢٥٤ انظر الفتح ٢١٣/١٣

(٤) روي عن أبي هريرة مرفوعا وموقوفا بلفظ الستين، انظر الفتح ١٠/١٣

(٥) رواه الدارمي عن ابن عباس ـ المقدمة ـ برقم ـ ٨

" السلطان الكامل لما كان عنده أصل الإيمان ويعمل الصالحات وينصرالشرع، فلما تصدر منه بعض الأمور المخالفة للسنة بمقتضى بشريته ينبغي الإغماض عنه والسعى الحثيث في النصيحة له." (١)

ب ـ السلطنة الجابرة:

ثم يبين الشاه المرتبة الثانية من مراتب الإمامة الحكمية، وهي السلطنة الجابرة فيقول في شرحها: "ليعلم أن السلطان الجابر عبارة عن شخص غلبت عليه النفس الأمارة فلا يمنعه خوف الخالق ولا الحياء من المخلوق عن تعاطي المنكرات وشهوات النفس، ولايراعي الشرع ولا العرف.....فأسميها السلطنة الجابرة".

"والسلاطين الجبابرة أقسام في مخالفة الشريعة حسب اختلاف طبائعهم،

"منهم: من تغلب عليه السفاهة، فلايملك العقل ،ولا الفراسة ،ولايعرف الجد من الهزل،....ولايفكر في المآل، ... فلما يصبح حاكما يفسد نظام الحكومة كلها، وتصرفاته لاتكون موافقة للشرع، ولاالعرف، فكل واحد يتذمر من هذه الحكومة كما قال النبي صلى ا لله عليه وسلم :" أعيذك با لله من إمارة السفهاء(٢) وقال تعوذوا با لله من رأس سبعين وإمارة الصبيان (٣) وقال النبي صلى ا لله عليه سلم :" هلاك أمتي على يدي غلمة من قريش"(٤)

"ومنهم من يرغب في الفسق والفجور، فيكون مغلوبا من الشهوة ولايهمه إلا ملذات النفس وشهواتها،ثم إنه لايمكن له استيفاء اللذات إلا بالأموال فيبالغ في الظلم وسلب الأموال وانتهاك الحرمات...كما قال النبي صلى ا لله عليه سلم :" إن هذا الأمر بدء نبوة ورحمة، ثم يكون خلافة ورحمة، ثم ملكا عضوضا، ثم ملكا جبرية، وعتوا وفسادا في الأرض، يستحلون الحرير والفروج والخمور، يرزقون على ذلك وينصرون، حتى يلاقوا ا لله(٥) وهذه سلطنة الفسق والفجور بلاء عظيم في حق الأمة".

---

(١) منصب إمامت ص: ٩٨-٩٩

(٢) روي عن أبي هريرة مرفوعا وموقوفا انظر الفتح ١٠،٩/١٣

(٣) وهو جزء من أثر أبي هريرة السابق.

(٤) رواه البخاري ـ الفتن ـ ٧٠٥٨

(٥) الحديث ضعيف انظر ضعيف الجامع الصغير برقم /١٥٧٨

"ومنهم من يغلب عليه حب المال فيجمع المال بكل وسيلة تتهيأ له ولايبذلها على نفسه ولاعلى غيره، فيأخذ من الناس ما له بل أكثر منه، ولايعطي ما لهم ..." ثم يقول الشاه ينصح الأمة :" من المصلحة للرعية والعوام أن يصبروا على إيذاء السلطان البخيل، ولايسلكوا طريق المنازعة، حتى لايتعدى السلطان عليهم لأنه مجبول على الطمع، كما قال النبي صلى الله عليه وسلم لأبي ذر:" كيف أنتم وأئمة من بعدي، سيأثرون لهذا الفيء، قال أبوذر: أما والذي بعثك بالحق أضع سيفي على عاتقي، ثم أضرب به حتى ألقاك قال: أولا أدلك على خير من ذلك تصبر حتى تلقاني، (١) وقال النبي صلى الله عليه وسلم :" إنكم سترون بعدي أثرة وأمورا تنكرونها، قالوا: فما تأمرنا يا رسول الله؟ قال: أدوا إليهم حقهم، وسلوا الله حقهم"(٢)(٣)

ثم يبين الأحكام المتعلقة بالسلطان الجابرفيقول:"السلطان الجابر وإن كان مطرودا عند الله عزوجل، لكنه يضر الكافرين،وسلاطينهم، وينتفع به المؤمنون وإن كان قليلا،ولايكون إضراره للكفار لأجل إعلاء كلمة الله ولانفعه للمؤمنين لأجل الدين، ولكن قد يظهر به الدين وأهله"

ثم ينصح الشاه بالدعاء للسلطان الجابر وعدم الخروج عليه لأن وجوده خير من عدمه فيقول:"وينبغي أن نعتبره مثل الأعمى الذي يحمل السراج الذي ينفع غيره، فنعتبره شريكا في العمل الصالح، ونعتبر وجوده خير من عدمه، وأن لاننازعه، بل المطلوب أن ندعو ونطلب من مجيب الدعوات إصلاح أحواله، أما ظلمه وجوره فنحسبه بلاء سماويا. كما قال النبي صلى الله عليه وسلم :" إن الله تبارك وتعالى يقول أنا الله لاإله إلا أنا، ملك الملك قلوب الملوك في يدي، وإن العباد إذا أطاعوني حولت قلوب ملوكهم عليهم بالرحمة والرأفة، وإن العباد إذا عصوني حولت قلوبهم بالسخط والنقمة، فساموهم سوء العذاب، فلا تشغلوا أنفسكم بالدعاء على الملوك، ولكن اشتغلوا أنفسكم بالذكر والتضرع كي أكفيكم ملوككم"(٤)

---

(١) رواه أبو داود ـ السنة ـ ٤٧٥٩ وأحمد ١٨٠/٥والحديث سكت عنه أبوداود والمنذري(عون المعبود ٧٥/١٣) وقال الألباني: إسناده صعيف ، انظر السنة لابن أبي عاصم ص:٥١١. ولكن معنى الحديث يثبت بأحاديث صحيحة.

(٢) رواه البخاري ـ الفتن ـ ٧٠٥٢ الفتح ٥/١٣

(٣) منصب إمامت ص: ٩٩-١٠٤

(٤) الحديث ضعيف انظر سلسلة الضعيفة ٦٨/٢ برقم ٦٠٢

ويقول يوجب طاعته:" السلطان الجابر يعد نفسه من المسلمين وتهيج في قلبه حمية للدين وغيرة للشريعة بين آونة وأخرى، بناء عليه يسعى لإعلاء كلمة الله وينتصر به الدين أحيانا، كما قال النبي صلى الله عليه سلم:"إن الله ليؤيد هذا الدين بالرجل الفاجر "(١) ففي مثل هذا الوقت طاعته من أركان الإسلام ونصرته نصرة الدين لقول النبي صلى الله عليه وسلم:" الجهاد ماض إلى يوم القيامة لايبطله عدل عادل ولاجور جائر"(٢)

وينصح بعدم الخروج عليه فيقول:" فإن السلطان الجابر لاريب محتاج إلى الأمر بالمعروف، وإظهار الحق أمامه من أفضل العبادات، كما قال النبي صلى الله عليه وسلم: " أفضل الجهاد كلمة حق عند سلطان جائر"(٣) ولكن يجب أن يؤمر بالمعروف بطريقة لايجر إلى المخالفة ولا إلى المنازعة ولايصل إلى حد البغي والخروج، لأن الخروج على الإمام الجائر لايجوز شرعا، قال النبي صلى الله عليه وسلم:" ألا من ولى عليه وال فرآه يأتي شيئا من معصية الله فليكره ما يأتي من معصية الله ولاينزعن يدا من طاعة"(٤)(٥)

ج ـ السلطنة الضالة:

ثم تطرق الشاه إلى بيان المرتبة الثالثة من ال الإمامة الحكمية وأحكامها فيقول واصفا السلطنة الضالة:" ليعلم أن الزمن لما يمتد بالسلطنة الجابرة يظهر زمان كأنه زمان الجاهلية، فتنسى أحكام الخلافة الراشدة، والسلطنة العادلة، فيظهر في كل أمر من أمور الرياسة والسياسة أمر يخالف الشرع، وفي كل معاملة يظهر أصل مقابل للدين، فتظهر ملة مقابلة ملة المصطفى صلى الله عليه وسلم، وسنة مقابل سنة النبي صلى الله عليه وسلم، فتصبح سياسة السلطان مذهبا غير مذهب الإسلام، وملة غير ملة سيد الأنام، مثل المذاهب الباطلة، من الهنود والمجوس، وليس مثل الشيعة والخوارج، فإن مذهبهم وإن كان باطلا في الحقيقة، ولكنهم يدعون بأنهم متمسكون بالكتاب والسنة، بخلاف هؤلاء السلاطين فإنهم لا يدعون أن قوانينهم مستفادة من

---

(١) أخرجه البخاري ـ الجهاد ـ ٣٠٦٢ ـ الفتح ١٧٩/٦

(٢) أخرجه أبوداود ـ الجهاد ـ ٢٥٣٢ والحديث ضعيف انظر ضعيف سنن أبي داود ص: ٢٤٨

(٣) أخرجه أبوداود ـ الملاحم ـ ٤٣٤٤ ـ والترمذي ـ الفتن ـ ٢١٧٥ ـ وابن ماجة ـ الفتن ٤٠١١ وقال الترمذي :"غريب من هذا الوجه".

(٤) أخرجه مسلم ـ الإمارة ـ ١٨٥٥

(٥) منصب إمامت ص: ١٠٩-١١٠

الكتاب والسنة بل يزعمون أنهم وآباؤهم وضعوها لإقامة السلطنة، فقوانينهم في الحقيقة جزء من مذهب الفلاسفة وليست من الملة الإسلامية في شيء، ولذا تنبأ النبي صلى ا لله عليه وسلم :" إنما أخاف على أمتي الأئمة المضلين"(١)

ثم يبين حكم هولاء السلاطين فيقول:" إن مثل هؤلاء السلاطين وإن كانوا في الحقيقة من الكفار، ولكن يدّعون الإسلام بلسانهم، فكفرهم مستور وإيمانهم ظاهر ويشهد على صدق هذه الدعوى الظاهرة ما يأتون من رسوم الإسلام، مثل عقد النكاح والختان وإظهار التجمل يوم العيد.....ولايتبرأون من الشرع بالكلية، فكفرهم الخفي يكفي في مؤاخذة أخروية، ولكن مقتضى الإسلام الظاهري أن نعاملهم في أحكام الدنيا معاملة المسلمين، ونعتبرهم من المسلمين وإن كانوا في الآخرة من الكفار... فحكم السلاطين المضلين كحكم سائر الفرق الباطلة المبتدعة، فنفس الخلاف الحاصل في تكفير المبتدعين وعدمه، يحصل في تكفير السلاطين المضلين وعدمه، فإن الاحتياط في محل الاختلاف لازم أشد اللزوم فبناء عليه التوقف في حال المضلين أيضا واجب"(٢)

ويفصل في حكمه فيقول:" السلطان المضل يكون على قسمين : المقلد، والمتمرد.

"والمقلد الذي لايحب في نفسه هذه القوانيين المضلة، ولايريد مخالفة الشريعة، ولكنه ورث هذه القوانين عن آبائه ويكرهها بقلبه، ولكن يخاف على دنياه، وحفاظا على هيبة السلطنة يتماشى معها".

"أما المتمرد الذي يحبها، ويتحمس لها، ويجتهد في تحسينها وتطبيقها، ويقوم بنفسه بالزيادة في هذه القوانين الضالة، ويصبح من المجددين لها فأسميه سلطانا متمردا"(٣)

ثم يعرج الشاه إلى بيان الحكم فيقول:" فإن السلطان المضل وإن كان رئيس المفسدين وإمام المبتدعين و لكن آثار الإسلام موجودة في عهده، فلذا يصبح تكفيره محل نظر، وعلى هذا الخلاف ينبني الخلاف في الخروج من طاعته والبغي عليه، والأحوط أن لايخرج من طاعته، ولو خرج أحد من طاعته يبتغي بذلك وجه ا لله فلا يلومه، كما أن كثيرا من علماء أهل السنة

---

(١) رواه أبوداود ــ الفتن ــ ٤٢٥٢ ــ و ابن ماجة ــ الفتن ــ ٣٩٥٢و أخرج مسلم مختصرا (٢٨٨٩)والحديث صحيح انظر سلسلة الصحيحة ١٥٨٢.

(٢) انظر منصب امامت ص: ١١٠-١١٤

(٣) انظر منصب امامت ص:١١٤-١١٥

لايتعرضون لقتل ونهب الروافض، ولكن لايعترضون على مجوّزيها، مثل علماء ما وراء النهر، فالبغي والخروج على السلاطين المضلين ممنوع احتياطا إلا إذا تيقن يقينا من غير شك بأن الخلافة الراشدة أو السلطنة العادلة تظهر بعد إزالة سلطنته، ففي هذه الصورة يجوز الخروج عليه، وهذا ينفع الملة وأهلها".

هذا مايرى الشاه في السلطان الجابر المتمرد، أما إن كان السلطان الجابر مقلدا بحيث يتماشى مع العادات التي وضعها آباءه ويكرهها بقلبه، فالأولى أن لاينازعه في أمره ولايخرج عليه فيقول: "السلطان المقلد أقرب إلى ملة الإسلام، فالاحتياط في مخالفته ومنازعته واجب، فمن لم يطعه لايطعن من جهة الشرع، ولكن المصلحة العامة تقتضي أن لايخرج من طاعته، ولاينازعه في أمره، وخاصة إذا لم يتيقن إزالة هذا المبتدع الضال وإقامة الخلافة الراشدة أو السلطنة العادلة مكانه، فسيرجع الضرر إلى عامة المسلمين وخواصهم "(١).

د ـ سلطنة الكفر:

ثم تطرق الشاه إلى بيان المرتبة الرابعة من الإمامة وأحكامها وهي سلطنة الكفر، فيقول: "ليعلم أنه ليس المراد بدولة الكفر دولة الكفار الأصليين، بل المقصود حكم اولئك الذين يعدون أنفسهم من المسلمين، ويأتون بالكفر الصريح، ويخالفون أحكام الشرع، ويعاندونها إلى حد يثبت في حقهم الكفر والارتداد.وبيانه أن بعض الناس يميلون إلى الإلحاد والزندقة، ويحتقرون الأنبياء ويعتبرونهم من العقلاء الطالبين الدنيا والجاه ... فمثل هؤلاء الأشخاص إذا أصبحوا حكاما، يحبون القوانين السلطانية، ويجعلون الشرع الرباني من جنس رسوم السفاهة، فيطعنون فيه ويحتقرونه، ويحاولون استئصاله... فهم من الزنادقة المرتدين، وطاعتهم ليست من الشرع، كما رواه عبادة بن الصامت أنه قال:" بايعنا رسول الله صلى الله عليه وسلم على أن لاننازع الأمر أهله إلا أن تروا كفرا بواحا عندكم من الله فيه برهان".(٢)

"وقد يخيل إلى مثل هؤلاء السلاطين بأن الناس يبذلون قصارى جهدهم في طاعة الله ورسوله، فيدعون النبوة، ثم يدعون الألوهية... فكفرهم يزيد على كفر فرعون، وقيام سلطنة

---

(١) انظر منصب امامت ص: ١١٥-١١٦

(٢) رواه البخاري ـ الفتن ـ ٧٠٥٦ الفتح ١٣/٥

الارتداد بمثابة غلبة الكفار، يجب على المسلمين أن يقوموا بالجهاد، ويزيلوا تلك الفتنة والفساد بالسيف، وإن لم يقدروا عليه تجب الهجره منها إلى بلاد الإسلام". (١)

ويقول في موضع: " فمن كان إماما مسلما في الظاهر و لم يصدر منه كفر أو محاربة للشريعة، يجب طاعته بحكم رب الأرباب، ولاينبغي البحث عن نيته وهو ممنوع في السنة، وظاهره يكون معتبرا في الشرع"(٢) ويقول أيضا و من كان هذا حاله " يجب إعانته، وإطاعته، ولايجوز في الشرع خذلانه في الجهاد، ولا يجوز ترك طاعته في أحكام الرئاسة والسياسة،ولايسمع الطعن في نيته،ولايشرع ذكر أعماله وأخلاقه القبيحة، ومساعدته وطاعته من عبادة الملك العلام، وإعانة دين سيد الأنام، والخروج من طاعته، والبغي عليه حرام، وإفساد في الدين "(٣)

ويقرر في موضع بأنه إذا حصل مقصود الإمامة، ألا وهو إقامة الجمعة والجماعات،وسد الثغور، وإقامة الحدود، وتجهيز الجيوش وقهر اللصوص وقطاع الطرق... وإن كان الإمام في نفسه فاسقا فلايجوز الخروج عليه. (٤)

(١) انظر منصب امامت ص:١١٦-١١٨

(٢) انظر منصب امامت ص: ١٢٣

(٣) انظر منصب امامت ص:١٢٧

(٤) انظر منصب امامت ص: ١٣٣

خاتمة

بعد هذا السفر الطويل أسوق إليكم في نهاية هذا البحث خلاصته ونتائجه.

- القارة الهندية بقيت إلى نهاية القرن الرابع في معزل عن الإسلام والمسلمين إلا منطقة السند المجاورة لخراسان .
- قامت دعوات هدامة في السند المفتوحة، فكانت سببا في حرمان أهل الهند من الإسلام الصحيح.
- محمود سبكتكين الغزنوي أول من دخل الهند عن طريق الجبال الشمالية الغربية من مضيق خيبر ولذا لقب بفاتح الهند.
- كانت جيوشه حديثة عهد بالإسلام فما استطاعت التأثير في عقائد البراهمة الوثنيين.
- دخل الإسلام في الهند عن طريق خراسان وايران الموبوئة بالرفض وبالكلام وغيرها من البدع، فاعتنقها أهل الهند وتربوا عليها فلم يكن يعرفون غيره.
- أما المغول الذين ملكوا ناصية البلاد وأقاموا أقوى دولة في العالم، ما اعتنقوا الإسلام إلا في بداية القرن التاسع ولذا لم يكن يحكمون إلا عاداتهم الجاهلية .
- والمغول استطاعوا إقامة دولتهم في الهند بجيوش إيران وبمساعدة الدولة الصفوية الرافضية، فكان لها أثر بالغ في الدولة والملوك.
- أكبربن همايون، أعظم ملوك المغول أحدث دينا جديدا " الدين الإلهي" وجعله ناسخا للدين الإسلام، وألزم قبوله، و لم يبق في عهده للإسلام أثر ولارسم.
- الدعاة الذين غزوا الهند لم تكن صناعتهم إلا علم الكلام والفلسفة والمنطق والتصوف والتقليد الجامد لبعض الكتب الفقهية المتأخرة. و لم يرج سوق الحديث إلا في القرن الحادي عشر بجهود الشيخ عبد الحق الدهلوي بل لم ينفق سوق الحديث إلا بعد الشاه ولي الله وأنجاله.
- العهد الذي نشأفيه الشاه كانت مليئة بفتن دينية واضطرابات سياسية .
- الشاه رحمه الله انتهج منهج أهل السنة ودعا إليه.
- و لم تخل بعض كتبه من الملاحظات ولكن الكتب التي اشتهر بها ودافع عنها وناظر لأجلها كتب قيمة في باب التوحيد ورد الشرك والبدع، وهي آخر ما كتب في حياته،
- اهدى الله بكتبه ألوف من الناس في حياته وبعده.

- وكانت دعوته فريدة في نوعها في الهند، ولها آثار عظيمة في مجتمع الهند .
- اشتهر بأنه استفاد من الشيخ محمد بن عبد الوهاب وتلاميذه، ولكني لم أجد ما يدل على صلته بهم، وا لله أعلم بالصواب.
- وقام بالجهاد بالسيف ضد الكفار،حتى استشهد في سبيل ا لله .
- وبذل جهودا عظيمة في الدعوة إلى الاعتصام بالكتاب والسنة ودعا إليهما بشتى الطرق والوسائل .
- ونهى عن البدعة مطلقا وقرر بأن كل بدعة ضلالة،لايستثنى منها شيء.
- لم يجوز التقليد الجامد والتعصب المذهبي.
- نهى عن تحكيم العقول والأقيسة والأهواء والآراء والعادات.
- قرر بأنه لايجب اتباع مذهب معين وأن الحق ليس محصورا في المذاهب الأربعة.
- نهى عن علم الكلام والمنطق والفلسفة وعن جميع العلوم التي لاتنفع في فهم الكتاب والسنة.
- رد على الصوفية ومعتقداتم ورياضاتهم وأذكارهم وشطحاتهم .
- رد على بدع الفقهاء .
- ردعلى بدع رافضية تسربت إلى المسلمين.
- قسم التوحيد إلي الربوبية والألوهية و أيد منهج السلف في الصفات.
- نفى التصرف عن النبي وخواص الأمة والملائكة، فمن اعتقد فيهم شيئا من التصرف فقد أشرك.
- قرر بأن الرسل كانوا يدعون إلى توحيد العبادة وهو أول واجب على المسلم.
- قرر بعد سوق أفراد العبادة الكثيرة بأن من صرف شيئا منها إلى غير ا لله فقد أشرك.
- وقد فصل الكلام في بيان الشرك وأقسامه وجعله أعظم ذنب عصي به ا لله وأنه أحب إلى الشيطان من المعاصي.
- قسم الشرك إلى الشرك في العلم والشرك في التصرف والشرك في العبادة والشرك في العادة .
- نهى عن الشرك في المعتقدات و الأقوال و الأعمال .
- قرر بأن شرك أهل مكة لم يكن في الربوبية بل كان شركهم في العبادة،وأن المسلمين قد وقعوا في نفس الشرك.
- جوز التوسل بذوات الصالحين، وقد أخطأ فيه.
- دعا إلى وجوب الإيمان بالأنبياء، وأن من الإيمان بهم، الإيمان ببشريتهم، وأنهم فوق جميع البشر مطلقا.

- وأنهم معصومون ومؤيدون بالمعجزات.
- وكفر من يطعن في النبي أو ينسب إليه بما لايليق جنابه.
- وأوجب الإيمان بالقدر ورد على القدرية والجبرية.
- ويظهر من كتبه بأنه يرى دخول الأعمال في مسمى الإيمان.
- ولايكفر صاحب الكبيرة ولايخرجه من الملة، بل هو تحت مشيئة الله إن شاء غفر له وإن شاء عفا عنه.
- وجوز تكفير المعين إذا أتى بما يكفره .
- وأثبت الشفاعة لأهل الكبائر من أمته.
- وتناول موضوع فضائل الصحابة عموما وخصوصا، وأوجب حبهم وعدم الطعن فيهم.
- وله كلام مفصل في باب الإمامة، قسم الإمامة باعتبار الحاكم وظهور الدين في عهده إلى أربعة مراتب، أحسنها الخلافة الراشدة لأنها من السياسة الإيمانية التي يكون الدين فيها ظاهرا، والخليفة يتأسى بسنة النبي في كل صغير وكبير.وجعلها نعمة عظمى على الأمة، يجب تقديرها وطاعة الخليفة وعدم الخروج عليه.
- وإذا طرأ عليه نوع من الضعف في ظهور الدين وفي الخليفة نفسه،سماه السلطنة العادلة، والأمير، السلطان العادل، وبين بأنه أحسن من غيره بكثير ولذا يجب طاعته، وعدم الخروج عليه.
- والمرتبة الثالثة، السلطنة الضالة، التي يضعف فيها الدين كثيرا، ويحكمها السلاطين الجبابرة، وله أقسام، منهم من يغلب عليه الظلم والجور، ومنهم من يغلب عليه حب المال والجاه، ومنهم من تغلب عليه الشهوات ... ثم يبين بأن السلطان الجابر وإن كان في عهده يضعف الدين وأثره، إلا أنه لايمكن تكفيره، لانتسابه إلى الإسلام، ولذا الأحوط أن لاينازع في أمره ولايخرج من طاعته، لأن مآله ضرر عام.
- والمرتبة الرابعة، السلطنة الكافرة التي يحارب فيها الدين ويطارد فيها المسلمون، فيوجب في مثل هذا الحال إما الجهاد وإما الهجرة.

وبهذا قد تم البحث ، والحمد لله على فضله ومنه وتوفيقه، وبنعمته وتوفيقه تتم الصالحات، وآخردعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

فهرس الآيات

ص:

فهرس الأحاديث

فهرس الأعلام

فهرس الأماكن

فهرس الملل و الفرق

فهرس المصادر والمراجع

١. القران الكريم

٢. أبجد العلوم ـ القنوجي ـ منشورات وزارة الثقافة ـ دمشق ـ ١٩٧٨م

٣. الأجوبة النافعة عن أسئلة لجنة مسجد الجامعة ـ الألباني ـ المكتب الإسلامي ـ الثانية ـ ١٤٠٠هـ

٤. أحكام الجنائز ـ الألباني ـ مكتبة المعارف ـ الرياض ـ الأولى ـ ١٤١٢ هـ

٥. الأصول للكرخي ـ مطبوعة مع تأسيس النظر للدبوسي ـ تحقيق مصطفى القباني، دار ابن زيدون ـ بيروت.

٦. الأعلام ـ الزركلي ـ دار العلم للملايين ـ السابعة ـ ١٩٨٦م.

٧. الإبانة ـ ابن بطة ـ تحقيق ـ رضا نعسان ـ دار الراية ـ الرياض ـ الأولى ـ ١٤٠٩هـ

٨. الإبانة عن أصول الديانة ـ أبوالحسن الأشعري ـ الخامسة ـ الجامعة الإسلامية ـ المدينة.

٩. الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان ـ تحقيق شعيب الأرناؤوط ـ مؤسسة الرسالة ـ الأولى ـ ١٤٠٨هـ

١٠. إذا هبت ريح الإيمان ـ ابو الحسن الندوي ـ مؤسسة الرسالة ـ الثانية عشر ـ ١٤١٢هـ

١١. إرشاد النقاد إلى تيسير الاجتهاد ـ الصنعاني ـ في مجموعة الرسائل المنيرية ـ المجلد الأول.

١٢. إرواء الغليل ـ الألباني ـ المكتب الإسلامي ـ الثانية ـ ١٤٠٥هـ

١٣. إعلاء السنن ـ التهانوي ـ مكتبة دار العلوم ـ كراشي ـ الثانية ـ ١٣٩٦هـ

١٤. إعلام الموقعين، لابن القيم ـ تحقيق ـ محمد محي الدين ـ المكتبة العصرية ـ بيروت ـ ١٤٠٧هـ

١٥. إغاثة اللهفان في مصايد الشيطان ـ ابن القيم ـ تحقيق محمد عفيفي ـ المكتب الإسلامي ـ الثانية ـ ١٤٠٩هـ

١٦. الإمام الذي لم يوف حقه من الإنصاف والاعتراف ـ أبو الحسن الندوي ـ دار الاعتصام ـ الثانية ـ ١٣٩٨هـ

١٧. الإمام المجدد المحدث الشاه ولي الله ـ محمد بشير ـ دار العلم ـ اسلام آباد ـ الأولى ـ ١٤١٣هـ

١٨. إيثار الحق على الخلق في رد الخلافات إلى مذاهب الحق من أصول التوحيد ـ ابن الوزير ـ دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ الثانية ـ ١٤٠٧هـ

١٩. إيقاظ همم أولى الأبصار ـ الفلاني ـ دار المعرفة ـ بيروت ـ ١٣٩٨ هـ

٢٠. الاتباع ـ لابن أبي العز ـ تحقيق ـ محمد عطاء الله حنيف وزميله ـ المكتبة السلفية ـ لاهور ـ الثانية ـ ١٤٠٥هـ
٢١. اختيار الأولى في شرح حديث اختصام الملأ الأعلى ـ ابن رجب ـ تحقيق بشير عيون ـ الثانية ١٤١٣هـ.
٢٢. الاستقامة ـ ابن تيمية ـ تحقيق د.محمد رشاد سالم ـ مكتبة ابن تيمية ـ القاهرة.
٢٣. الاعتصام ـ الشاطبي ـ دار الباز ـ مكة المكرمة ـ الأولى ـ ١٤٠٨هـ
٢٤. اقتضاء الصراط المستقيم ـ ابن تيمية ـ تحقيق ناصربن عبد الكريم العقل ـ مكتبة الرشد ـ الرياض ـ الثانية ـ ١٤١١هـ
٢٥. الباعث على إنكار البدع والحوادث ـ تحقيق بشير عيون ـ مكتبة المؤيد ـ ١٤١٢هـ
٢٦. بحوث أسبوع الشيخ محمد بن عبد الوهاب ـ مركز البحوث ـ جامعة الإمام محمد بن سعود ـ ١٤٠٣هـ
٢٧. بدائع الفوائد ـ ابن القيم ـ مكتبة الرياض الحديثة.
٢٨. البداية والنهاية ـ لابن كثير ـ دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ الأولى ـ ١٤٠٥
٢٩. بدعة التعصب المذهبي ـ محمد عيد عباسي ـ المكتبة الإسلامية ـ عمان ـ الثانية ـ ١٤٠٦هـ
٣٠. البريلوية عقائد وتاريخ ـ إحسان إلهي ظهير ـ ادارة ترجمان السنة ـ لاهور ـ الأولى ـ ١٤٠٣هـ
٣١. بغية المرتاد ـ ابن تيمية ـ تحقيق ـ د.موسى الدويش ـ مكتبة العلوم والحكم ـ الأولى ـ ١٤٠٨ هـ
٣٢. بلدان الخلافة الشرقية ـ كي لسترنج ـ مؤسسة الرسالة ـ الثانية ـ ١٤٠٥هـ
٣٣. بيان تلبيس الجهمية ـ ابن تيمية ـ تصحيح محمد بن عبد الرحمن بن قاسم ـ مطبعة الحكومة ـ الأولى ـ ١٣٩١هـ
٣٤. التاريخ الإسلامي ـ محمود شاكر ـ المكتب الإسلامي ـ الرابعة ـ ١٤٠٥هـ
٣٥. تاريخ الدعوة الإسلامية في الهند ـ دار العربية ـ القاهرة .
٣٦. تاريخ المسلمين في شبه القاره الهندية وحضارتهم ـ أحمد محمود الساداتي ـ مكتبة الآداب بالجماهير ـ ١٣٧٨هـ
٣٧. تاريخ عجائب الآثار في التراجم والأخبار ـ للجبروتي ـ دار الجيل ـ بيروت ـ الثانية ـ ١٩٧٩م

٣٨. التدمرية ـ ابن تيمية ـ تحقيق محمد بن عودة السعودي ـ الأولى ـ ١٤٠٥هـ
٣٩. الترغيب والترهيب ـ المنذري ـ تحقيق مصطفى محمد عمارة ـ دار الفكر بيروت ـ ١٤٠١هـ
٤٠. تسمية المولود ـ بكربن عبد الله أبوزيد ـ دار الراية ـ الرياض ـ الأولى ـ ١٤١١هـ
٤١. التعريفات للجرجاني ـ دار الكتب العلمية بيروت ـ الثالثة ـ ١٤٠٣هـ
٤٢. التعليق المغني على سنن الدارقطني ـ شمس الحق العظيم آبادي.
٤٣. تفسير ابن جرير ـ دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ الأولى ـ ١٤١٢هـ
٤٤. تفسير ابن كثير ـ دار المعرفة بيروت ـ الأولى ـ ١٤٠٧هـ
٤٥. تفسير السعدي ـ دار الإفتاء ـ الرياض ـ ١٤١٠هـ
٤٦. تقديس الأشخاص في الفكر الصوفي ـ أحمد لوح ـ رسالة الماجستير ـ مطبوعة على الآلة الكاتبة.
٤٧. تقوية الإيمان ـ شاه اسمعيل ـ ترجمة عبد الوحيد ـ طبعة دار السلفية بنارس.
٤٨. تكميل الأذهان ـ الشاه رفيع الدين ـ مدرسة نصرة العلوم ـ كجرانواله ـ ١٣٨٣هـ
٤٩. تلخيص الحبير ـ تصحيح السيد عبد الله اليماني ـ المدينة المنورة ـ ١٣٨٤هـ
٥٠. تنوير العينين في إثبات رفع اليدين ـ شاه محمد اسمعيل شهيد ـ ادراة إشاعة السنة ـ لاهور.
٥١. تهذيب السنن لأبي داود على حاشية عون المعبود.
٥٢. التوحيد لابن خزيمة ـ تحقيق د. عبد العزيز بن ابراهيم الشهوان ـ مكتبة الرشد ـ الثانية ـ ١٤١١هـ
٥٣. التوسل وأنواعه وأحكامه ـ الألباني ـ المكتب الإسلامي ـ الرابعة ـ ١٤٠٣هـ
٥٤. تيسير العزيز الحميد ـ الشيخ سليمان بن عبد الله بن الشيخ محمدبن عبد الوهاب ـ المكتب الإسلامي ـ السادسة ـ ١٤٠٥هـ
٥٥. الثقافة الإسلامية في الهند ـ عبد الحي الحسني ـ مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق ـ ١٤٠٣هـ
٥٦. جامع الأصول ـ تحقيق عبد القادر أرناؤوط ـ مكتبة الحلواني ـ ١٣٨٩هـ
٥٧. جامع بيان العلم وفضله ـ لابن عبد البر ـ دار الكتب العلمية ـ بيروت .
٥٨. الجامع لأحكام القرآن ـ دار الباز مكة المكرمة .
٥٩. جلاء العينين في محاكمة الأحمدين ـ نعمان خير الدين ـ مطبعة المدني ـ مصر ـ ١٣٨١هـ

٦٠. حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح ـ تحقيق ـ بشير عيون ـ مكتبة المؤيد ــ الرياض ــ الثانية ــ ١٤١٤هـ

٦١. حجة الله البالغة ـ الشاه ولي الله ـ دار التراث ـ القاهرة ـ ١٣٥٥هـ

٦٢. الحجة في بيان المحجة ـ تحقيق محمد بن ربيع المدخلي ومحمد بن محمود ـ دار الراية ــ الأولى ــ ١٤١١هـ

٦٣. الحديث والمحدثون ـ محمد محمد أبو زهو ـ دار الكتب العربي ـ بيروت ـ ١٤٠٤هـ

٦٤. حركة الانطلاق الفكري وجهود الشاه ولي الله في التجديد ــ محمد اسماعيل السلفي ــ تعريب مقتدى حسن الأزهري ـ ادارة البحوث الإسلامية بالجامعة السلفية ـ بنارس ــ الأولى ـ ١٣٩٧هـ

٦٥. الحركة السلفية بالهند ـ درالترجمة والتأليف بالجامعة السلفية ـ بنارس ـ ١٣٩٥هـ

٦٦. الحضارة الإسلامية في القرن الرابع ـ آدم متز ـ ترجمة أبو ريدة ـ الثالثة ـ القاهرة .

٦٧. حضارة الهند ـ لوبون غوستاف ـ ترجمة ـ عادل زعتير ـ دار احياء الكتب العربية ـ القاهرة ــ ١٣٦٧هـ

٦٨. حكم الانتماء إلى الفرق والأحزاب والجماعات الإسلامية ـ بكر بن عبد الله أبو زيد ــ دار ابن الجوزي ـ الثانية ـ ١٤١٠هـ

٦٩. الحوادث والبدع ـ الطرطوشي ـ تحقيق على بن حسن عبد الحميد ـ دار ابن الجوزي ـ الأولى ـ ١٤١١هـ

٧٠. خطط المقريزي ـ در التحرير ـ القاهرة ـ ١٢٧٠هـ

٧١. دائرة المعارف الإسلامية ـ دار الشعب ـ الثانية، القاهرة.

٧٢. الدر النضيد في إخلاص كلمة التوحيد ـ الشوكاني ـ مجموعة الرسائل السلفية ـ دار الكتاب العربي ـ الأولى ـ ١٤١١هـ

٧٣. درء تعارض العقل والنقل ـ د.محمد رشاد سالم ـ مكتبة ابن تيمية .

٧٤. دراسات في التصوف ـ احسان إلهي ظهير ـ ادارة ترجمان السنة ـ الأولى ـ ١٤٠٩هـ

٧٥. الدرر السنية ـ جمع عبد الرحمن بن قاسم ـ الخامسة ـ ١٤١٣هـ

٧٦. دعاوي المناوئين لدعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب عرض ونقض ـ عبد العزيز محمد العبد اللطيف ـ دار الوطن ـ الأولى ـ ١٤١٢هـ

٧٧. دعايات مكثفة ضد دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب ـ النعماني ـ مكتبة الفرقان ـ الهند ـ ١٤٠٠هـ
٧٨. دعوة الإمام محمد بن عبد الوهاب في شبه القارة الهندية بين مؤيديدها ومعانديها ـ ابو المكرم السلفي ـ مكتبة دار السلام ـ الرياض ـ الأولى ـ ١٤١٣هـ
٧٩. دعوة شيخ الإسلام ابن تيمية وأثرها في الحركات الإسلامية المعاصرة ـ صلاح الدين مقبول ـ مجمع البحوث العلمية الإسلامية ـ دهلي ـ الأولى ـ ١٤١٢هـ
٨٠. الدين الخالص ـ القنوجي ـ مكتبة دار التراث ـ القاهرة.
٨١. الرؤية ـ الدارقطني ـ تحقيق ابراهيم محمد العلي وزميله، مكتبة المنار ـ الأردن ـ الأولى ـ ١٤١١هـ
٨٢. رجال السند والهند ـ أطهر المباركفوري ـ دار الأنصار ـ القاهرة ـ ١٣٩٨هـ
٨٣. الرحيق المختوم ـ صفي الرحمن المباركفوري ـ دار الرحمة ـ ١٤١١هـ
٨٤. رد الإشراك ـ الشاه اسمعيل ـ تحقيق محمد عزير شمس ـ المكتبة السلفية ـ لاهور ـ الأولى ـ ١٤٠٤هـ
٨٥. رسالة الشاه اسمعيل في الرد على البغدادي ـ مطبوع مع النسخة العربية لتقوية الإيمان .
٨٦. روضة الناظر وجنة المناظر ـ ابن قدامة المقدسي ـ مكتبة المعارف ـ الثانية ـ ١٤٠٤هـ
٨٧. سلسلة الأحاديث الصحيحة ـ الألباني ـ المكتب الإسلامي ـ ومكتبة المعارف الرياض .
٨٨. سلسلة الأحاديث الضعيفة ـ الألباني ـ مكتبة المعارف ـ الرياض ـ الأولى ـ ١٤١٢هـ
٨٩. السنة ـ ابن أبي عاصم ـ تخريج الألباني ـ المكتب الإسلامي ـ الثالثة ـ ١٤١٣هـ
٩٠. سنن أبي داود ـ تعليق عزت عبيد الدعاس ـ دار الحديث ـ بيروت ـ الأولى ـ ١٣٨٨هـ
٩١. سنن ابن ماجة ـ تحقيق فؤاد عبد الباقي ـ دار الريان للتراث.
٩٢. سنن الترمذي ـ تحقيق أحمد شاكر ـ دار الكتب العلمية ـ بيروت ١٤٠٨هـ
٩٣. سنن الدارقطني ـ تصحيح سيد عبد الله هاشم ـ سنة ١٣٨٦هـ
٩٤. سنن الدرامي ـ تحقيق فؤاز أحمد زمرلي وزميله ـ دار الريان ـ القاهرة ـ الأولى ـ ١٤٠٧هـ
٩٥. السنن الكبرى للبيهقي ـ مصورة من نسخة دائرة المعارف العثمانية ـ حيدرآباد ـ الهند. الأولى ـ ١٣٤٤هـ
٩٦. سنن النسائي ـ مع شرح السيوطي وحاشية السندي ـ دار الفكر بيروت ـ الأولى ـ ١٣٤٨هـ

٩٧. السنن والمبتدعات المتعلقة بالأذكار والصلوات ــ محمد عبد السلام خضر ــ دار الكتب العلمية بيروت ١٤٠٨هـ
٩٨. سير أعلام النبلاء ـ الذهبي ـ تحقيق شعيب أرناؤوط ـ مؤسسة الرسالة ـ ١٩٨١هـ
٩٩. شخصيات وكتب ـ ابوالحسن على الندوي ـ دار القلم ـ دمشق ـ الأولى ـ ١٤١٠هـ
١٠٠. شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة ـ اللالكائي ـ تحقيقد.أحمد سعد حمدان ـ دارطيبة ــ الرياض ـ الثانية ـ ١٤١١هـ
١٠١. شرح السنة للبغوي ـ تحقيق شعيب الأناؤوط ــ المكتب الإسلامي ــ دمشق ــ الأولى ــ ١٣٥١ هـ
١٠٢. شرح المقاصد ـ التفتازاني ـ تحقيق د.عبد الرحمن عميرة ـ عالم الكتب ـ الأولى ـ ١٤٠٩هـ
١٠٣. شرح عقيدة الطحاوية ـ لابن أبي العز ـ تخريج الألباني ـ المكتب الإسلامي ـ الخامسة .
١٠٤. الشرق الإسلامي في العصر الحديث ـ حسن مؤنس ـ مطبعة حجازي، القاهرة ــ الثانية ــ ١٩٣٨م
١٠٥. الشيخ محمد بن عبد الوهاب في مرآة علماء الشرق والغرب ــ اعداد محمود استانبولى ــ ١٤٠٠هـ
١٠٦. الصحاح للجوهري ـ تحقيق احمد عبد الغفور عطار ـ دارالعلم للملايين ـ بيروت ـ الثالثة ــ ١٤٠٤هـ
١٠٧. صحيح ابن خزيمة ـ تحقيق محمد مصطفى الأعظمي ـ المكتب الإسلامي .
١٠٨. صحيح البخاري ـ مطبوع مع فتح الباري.
١٠٩. صحيح الترغيب والترهيب ـ الألباني ـ مكتبة المعارف ـ الرياض ـ الثالثة ـ ١٤٠٩هـ
١١٠. صحيح الجامع الصغير ـ الألباني ـ المكتب الإسلامي ـ الثالثة ـ بيروت.
١١١. صحيح مسلم ـ دار القلم بيروت ـ الأولى .
١١٢. الصفات الإلهية في الكتاب والسنة النبوية ـ د.محمد أمان الجامي ــ المجلس العلمي بالجامعة الإسلامية ـ الأولى ـ ١٤٠٨هـ
١١٣. صفة صلاة النبي ـ الألباني ـ مكتبة المعارف ـ ا لرياض ـ الأولى ـ ١٤١١هـ
١١٤. صيانة الإنسان محمد بشير السهسواني الهندي ـ مكتبة ابن تيمية ـ الرابعة ـ ١٤١٠هـ
١١٥. ضعيف الجامع الصغير ـ الألباني ـ المكتب الإسلامي ـ الثانية ـ ١٤٠٨هـ
١١٦. ضعيف سنن ابن ماجة ـ الألباني ـ المكتب الإسلامي ـ الأولى ـ ١٤٠٨ هـ

١١٧.ضوابط الجرح والتعديل ـ د. عبد العزيز العبد اللطيف ـ الجامعة الإسلامية ـ المدينة المنورة ـ الأولى ـ ١٤١٢هـ

١١٨.طبقات الشافعية ـ تحقيق عبد الفتاح وزميله ـ مطبعة عيسى البابي الحلبي ـ القاهرة ـ ١٣٩٥هـ

١١٩.عبقات ـ شاه محمد اسماعيل ـ المجلس العلمي ـ كراتشي ـ ١٣٨٠هـ

١٢٠.العرب والهند في عهد الرسالة ـ القاضي اطهر المباركفوري ـ الهيئة المصرية العامة.

١٢١.العقد الثمين في فتوح الهند ومن ورد فيها من الصحابة والتابعين ـ أطهر مباركفوري ـ ١٣٨٨هـ

١٢٢.عقيدة الشيخ محمد بن عبد الوهاب السلفية وأثرها في العالم الإسلامي ـ د.صالح العبود ـ المجلس العلمي بالجامعة الإسلامية ـ الأولى ـ ١٤٠٨هـ

١٢٣.عمل اليوم والليلة ـ النسائي ـ تحقيق د. فاروق حمادة ـ مؤسسة الرسالة ـ الثالثة ـ ١٤٠٧هـ

١٢٤.عنوان المجد ـ مطابع القصيم ـ الرياض ـ الثالثة ـ ١٣٨٥هـ

١٢٥.عون المعبود ـ شمس الحق العظيم آبادي ـ دار الكتب العلمية بيروت ـ الأولى ـ ١٤١٠هـ

١٢٦.غاية الأماني في الرد على النبهاني ـ محمود شكري الآلوسي ـ مكتبة ابن تيمية.

١٢٧.الفتاوى ـ ابن تيمية ـ جمع وترتيب ـ عبد الرحمن بن محمد بن قاسم ـ دار عالم الكتب ـ الرياض ـ ١٤١٢هـ

١٢٨.فتح الباري ـ ابن حجر ـ دار المعرفة بيروت .

١٢٩.فتح المجيد ـ المكتبة التجارية ـ مكة ـ تعليق الشيخ ابن باز.

١٣٠.فتح المجيد ـ تخريج أشرف بن عبد المقصود ـ مؤسسة قرطبة ـ القاهرة.

١٣١.فتوح البلدان

١٣٢.فرق معاصرة ـ د. غالب عواجي ـ مكتبة لينة، الأولى ـ ١٤١٤هـ

١٣٣.الفصل في الملل والأهواء والنحل ـ تحقيق عبد الرحمن عميرة ـ مكتبات عكاظ ـ جدة ـ ١٤٠٢هـ

١٣٤.الفكر الصوفي في ضوء الكتاب والسنة ـ عبد الرحمن عبد الخالق ـ مكتبة ابن تيمية ـ الكويت ـ الثالثة ـ ١٤٠٦هـ

١٣٥.الفوائد البهية في تراجم الحنفية ـ اللكنوي ـ دار المعرفة بيروت ـ

١٣٦.فواتح الرحموت بشرح مسلم الثبوت ـ على حاشية المستصفى .

١٣٧.الفوز الكبير في أصول التفسير ـ الشاه ولي ا لله ـ ترجمة عطاء ا لله حنيف ـ المكتبة السلفية ــ لاهور ـ الأولى ـ١٣٧١هـ

١٣٨.القائد إلى تصحيح العقائد ـ عبدالرحمن المعلمي ـ المكتب الإسلامي ـ الثالثة ـ ١٤٠٤هـ

١٣٩.قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة ـ ابن تيمية ـ تحقيق د.ربيع بن هادي المدخلي ـ مكتبة لينة ـ الأولى ـ ١٤١٢هـ

١٤٠.قطف الثمر في بيان عقيدة أهل الأثر ـ القنوجي ــ تحقيق ــ د.عاصم القريوتي ــ الأولى ــ ١٤٠٤هـ

١٤١.الكامل في التاريخ ـ لابن الأثير ـ دار الكتاب العربي بيروت ـ السادسة .

١٤٢.الكشاف ـ الزمخشري ـ مكتبة المعارف ـ الرياض ـ

١٤٣.كشف الكربة في وصف حال أهل الغربة ـ لابن رجب ـ تحقيق بشير عيون ـ مكتبة المؤيد ــ الثانية ـ ١٤١٣هـ

١٤٤.الكشف عن حقيقة الصوفية لأول مرة في التاريخ ـ محمود عبد الرؤوف ــ دار الصحابة ــ بيروت ـ الأولى ـ ١٤٠٨ هـ

١٤٥.كفاح المسلمين في تحرير الهند ـ عبد المنعم ـ النمر ـ مكتبة وهبة ـ القاهرة ـ ١٣٨٤هـ

١٤٦.لسان العرب ـ لابن منظور ـ دار صادر ـ بيروت .

١٤٧.لوامع الأنوار البهية ـ للسفاريني ـ المكتب الإسلامي ـ بيروت ـ الثانية ـ ١٤٠٥هـ

١٤٨.مجلة الجامعة السلفية، العدد الخاص لمؤتمر الدعوة والتعليم ـ شهر ابريل ومايو ـ ١٩٨٠م

١٤٩.المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ـ لابن عطية الأندلسي ـ دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ الأولى ـ ١٤١٣هـ

١٥٠.مختصر أصول الفقه ــ شاه محمد اسمعيل شهيد ــ ١٣٨٨هـ المكتبة السلفية ــ لاهور وصدف بيلشرز ـ كراشي.

١٥١.مختصر التحفة الاثني عشرية ـ الشاه عبد العزيز ـ طبعة دار الإفتاء ـ ١٤٠٤هـ

١٥٢.مسألة المنبوذين في الهند ـ عبد العزيز الثعالبي ـ دارالغرب الإسلامي ـ بيروت١٤١٤هـ

١٥٣.المسائل المشتركة بين أصول الفقه وأصول الدين ــ د.محمد العروسي ــ دار حافظ للنشر والتوزيع ـ جدة ـ الأولى ـ ١٤١٠هـ

١٥٤.مستدرك الحاكم ــ دار الكتب العلمية ــ مصورة من نسخة دائرة المعارف العثمانية ــ حيدرآباد ـ الهند.

١٥٥.المستصفى ـ الغزالي ـ مطبعة الأميرية ـ بولاق ـ الأولى ـ ١٣٢٢هـ
١٥٦.المسح على الجوربين ـ محمد جمال الدين القاسمي ـ المكتب الإسلامي ـ الخامسة ـ ١٤٠٦هـ
١٥٧.مسند أحمد ـ مؤسسة قرطبة .
١٥٨.مشكاة المصابيح ـ للتبريزي ـ تحقيق الألباني ـ المكتب الإسلامي ـ الثالثة ـ ١٤٠٥هـ
١٥٩.معارج اللباب في مناهج الحق والصواب ـ حسن مهدي النعيمي ـ مكتبة المعارف ـ الرياض ـ الرابعة ـ ١٤٠٧ هـ
١٦٠.معجم الأمكنة التي لها ذكر في نزهة الخواطر ـ معين الدين الندوي ـ جمعية دائرة المعارف، اعظم كره ـ ١٣٥٣هـ
١٦١.معجم البلدان ـللبلاذري ـ تحقيق فريد عبد العزيز ـ دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ الأولى ـ ١٤١٠هـ
١٦٢.المعجم الصوفي ـ دكتورة. سعاد الحكيم ـ بوندرة ـ الأولى ـ ١٤٠١هـ
١٦٣.معجم الوسيط ـ مجمع اللغة العربية ـ مطابع دار المعارف ـ مصر ـ ١٤٠٠هـ
١٦٤.معجم مصطلحات الصوفية ـ د.عبد المنعم، دار الميرة ـ بيروت ـ الأولى ـ ١٤٠٠هـ
١٦٥.مفتاح دار السعادة ـ ابن القيم ـ دار الكتب العلمية ـ بيروت.
١٦٦.مفتاح كنوز السنة ـ فنسك ـ مطبعة مصر ـ ١٣٥٣هـ
١٦٧.المفردات في غريب القرآن ـ الأصفهاني ـ مكتبة مصطفى الحلبي ـ القاهرة ـ ١٩٦١م
١٦٨.مقالات الإسلاميين ـ تحقيق محمد محي الدين مستو ـ مكتبة النهضة ـ مصر ـ ١٣٨٩هـ
١٦٩.الملل والنحل ـ الشهرستاني ـ تحقيق محمد سيد كيلاني ـ مطبعة مصطفي البابي الحلبي ـ القاهرة ـ ١٣٩٦هـ
١٧٠.المنار المنيف في الصحيح والضعيف ـ تحقيق أبو غدة ـ مكتب المطبوعات الإسلامية ـ حلب ـ السادسة ـ ١٤١٤هـ
١٧١.مناسك الحج والعمرة ـ الألباني ـ مكتبة المعارف ـ الرابعة ـ ١٤١٠هـ
١٧٢.المهند على المفند يعني عقائد علماء أهل السنة ديوبند ـ خليل أحمد سهارنفوري ـ ادارة اسلاميات ـ لاهور ـ الأولى ـ ١٤٠٤هـ
١٧٣.الموافقات ـ الشاطبي ـ دار المعرفة بيروت .
١٧٤.موسوعة التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية لبلاد السند والبنجاب في عهد العرب ـ د. عبد الله الطرازي ـ عالم المعرفة جدة ـ الأولى ـ ١٤٠٣هـ

١٧٥.الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب المعاصرة ـ الندوة العالمية للشباب الإسلامي ـ الرياض ـ ١٣٩٢هـ
١٧٦.ميزان الاعتدال ـ للذهبي ـ تحقيق على محمد البجاوي ـ دار الفكر .
١٧٧.نزهة الخواطر وبهجة المسامع والنواظر ـ عبد الحي الحسني ـ مطبعة دائرة المعارف العثمانية ــ حيدرآباد ـ الهند ـ ١٣٩٣هـ
١٧٨.النزول ـ الدارقطني ـ تحقيق د. على ناصر الفقيهي ـ الأولى ـ ١٤٠٣ هـ
١٧٩.النهاية في غريب الحديث ـ تحقيق محمود محمد الطناجي وزميله ـ دار احياء الكتب العربية ــ القاهرة.
١٨٠.النهضة السلفية في الهند وباكستان ـ محمد اسماعيل السلفي ـ مطبوع مع تنوير العينين .
١٨١.نورالاقتباس في مشكاة وصية النبي صلى الله عليه وسلم لابن عباس ـ لابن رجب ــ تحقيق بشير عيون ـ مكتبة المؤيد ـ الأولى ـ ١٤١٢هـ
١٨٢.الهداية ـ للمرغيناني ـ مطبوع مع شرحها فيض القدير ـ دار الفكر بيروت ـ الثانية
١٨٣.هداية الحكمة ـ اثير الدين مفضل الهندي ـ مركز ادب ـ جامع مسجد ديوبند.
١٨٤.الهند في العهد لإسلامي ـ عبد الحي الحسني ـ دائرة المعارف العثمانية ــ حيدرآباد ــ الهند.
١٨٥.وجاء دور المجوس ـ د. عبد الله الغريب ـ ١٤٠٢هـ
١٨٦.وفيات الأعيان وأبناء أبناء الزمان ـ لابن خلكان ـ تحقيق ـ احسان عداس ــ دار الثقافة ــ بيروت .
١٨٧.الولاء والبراء في الإسلام ـ محمد بن سعيد القحطاني ــ دار طيبة ــ الرياض ــ الرابعة ــ ١٤١١هـ
١٨٨.اليانع الجني في أسانيد الشيخ عبد الغني ـ على حاشية كشف الأستار من رجال معاني الأثار ـ حيد بريس ـ دهلي ـ ١٣٣٩هـ

المصادر الأجنبية

مصادر اللغة الأردية:

١. آب كوثر محمد اكرام - تاج كمبني - دهلى - ١٩٨٥م
٢. أهلحديث اور سياست - نذير احمد رحماني - الجامعة السلفية بنارس - الأولى.
٣. اكمل البيان في تأييد تقوية الإيمان - حافظ عزيز الدين - المكتبة السلفية - لاهور - الأولى - ١٩٦٥م
٤. تاريخ أهلحديث - محمد ابراهيم سيا لكوتي - مكتبة التوحيد - دهلي - الثانية - ١٩٩٣م
٥. تذكرة الرشيد
٦. تذكرة صادقة - عبد الرحيم الصادقفوري - آزاد بريس - بتنه - ١٩٦٤م
٧. تذكره أبو الكلام آزاد - أبو الكلام - ساهتيه اكيدمي - دهلي - الرابعة - ١٩٩٠م
٨. تذكره شهيد - محمد خالد سيف - مكتبة غزنوية - لاهور - ١٩٨٣ م
٩. تذكير الإخوان - شاه اسمعيل - ترجمة محمد سلطان - مكتبة التهانوي - ديوبند .
١٠. تراجم علماء حديث هند - ابو يحيى امام خان نوشهروي - جيد برقي بريس - دهلى - ١٣٥٦هـ
١١. تقوية الإيمان نسخة أردو - تحقيق علام رسول مهر- طبعة دار الإفتاء - الرياض -١٤١٠هـ
١٢. جماعت مجاهدين - غلام رسول مهر- شيخ غلام على ايند سنس - لاهور.
١٣. حيات طيبة - مرزا حيرت دهلوي -
١٤. خانواده قاضي بدر الدولة - محمد يوسف كوكن عمري - دار التصنيف مدراس - ١٣٨٢هـ
١٥. رجال أهل حديث - أبو على الأثري - طبعة باكستان.
١٦. رود كوثر - شيخ محمد اكرام - تاج كمبني - دهلى - ١٩٨٧م
١٧. سركزشت مجاهدين - مهر - شيخ غلام على ايند سنس - لاهور.
١٨. سيد أحمد شهيد - مهر - شيخ غلام على ايند سنس - لاهور.
١٩. سيرت سيد أحمد شهيد - أبو الحسن الندوي - مجلس تحقيقات ونشريات اسلام - لكهنو - الثالثة - ١٣٩٧هـ
٢٠. شاه اسماعيل - رتبه عبد الله بت - قومي كتب خانه - لاهور - ١/اكتوبر/١٩٤٣م
٢١. شاه ولي الله اور انكا خاندان - حكيم محمود بركاتي - مكتبة جامعة لميتد - الأولى - ١٩٩٢م

٢٢. شاه ولي الله اور انكي سياسي تحريك ـ عبيد الله سندهي ـ المحمود اكيدمي ـ لاهور.
٢٣. شريعت وطريقت ـ عبد الرحمن الكيلاني ـ الأولى ـ لاهور باكستان.
٢٤. علماء ديوبند كا ماضي تاريخ كـ آئينه مين ـ حكيم محمود بركاتي ـ جمعية أهلحديث ـ غجرانواله ـ الثانية ـ باكستان.
٢٥. فقهاء باك وهند/ج ٣ ـ محمد اسحق بهتي ـ اداره ثقافت اسلامية ـ لاهور ـ الأولى ـ ١٩٨٩م
٢٦. كالا باني ـ محمد جعفر تهانيسري ـ طارق اكيدمي ـ فيصل آباد ـ ١٩٧٧ م
٢٧. مجلة البرهان الشهرية ـ أغسطس ١٩٥٨م
٢٨. مجلة الفرقان ـ العدد الخاص في ذكرى نسم أحمد فريدي ـ ١٩٨٩م
٢٩. مجلة الفرقان الشهرية ـ مايو ١٩٨٩م ومارس و يوليو ١٩٩٢م ويونيو ١٩٩٣م
٣٠. مطرق الحديد على صاحب التحقيق الجديد ـ حافظ عزيز الدين ـ جيد بريس ـ دهلي ـ ١٣٥١هـ
٣١. ملت اسلامية كي مختصر تاريخ ـ ثرولت صولت ـ مركزي مكتبه اسلامي ـ دهلي ـ الثانية ـ ١٩٩٢م
٣٢. موج كوثر ـ محمد اكرام ـ تاج كمبني ـ دهلى ـ ١٩٨٥م
٣٣. مولانا عبيد الله سندهي كي أفكار وخيالات بر ايك نظر ـ مسعود عالم الندوي ـ دار الدعوة السلفية ـ لاهور ـ الثانية ـ ١٤٠٦هـ
٣٤. نصيحة المسلمين ـ خرم على بلهوري ـ مكه ببلشنك كمبني ـ لاهور.
٣٥. هندوستان كي بهلى اسلامي تحريك ـ مسعود عالم ندوي ـ مكتبة جراغ اسلام ـ لاهور ـ الثالثة ـ ١٩٨٩م
٣٦. هندوستان كي سلاطين علماء ومشايخ كي تعلقات ـ سيد صباح الدين ـ معارف بريس ـ اعظم كره ـ الثانية ـ ١٩٧٠م

المصادر الفارسية:

١. إتحاف النبلاء المتقين ومآثر الفقهاء المحدثين ـ القنوجي ـ مطبع نظامي، كانبوره ـ الهند ـ ١٢٨٨هـ

٢. إيضاح الحق الصريح في أحكام الميت والضريح ـ شاه محمد اسماعيل ـ افضل المطابع ـ الهند.

٣. رسالة يك روزي ـ شاه محمد اسمعيل ـ مطبوع مع إيضاح الحق الصريح في أحكام الميت والضريح .

٤. صراط مستقيم ـ شاه محمد اسمعيل ـ نسخة فارسي ـ المكتبة السلفية ـ لاهور ـ

٥. الصواعق الإلهية بطرد الشياطين اللهابية ـ محمد بشير الدين ـ مطبع أحمدي ـ ١٢٨٠هـ الهند

٦. مجموعة رسائل ملا حبيب الله قندهاري ـ مخطوط.

٧. مكاتيب سيد احمد شهيد ـ مخطوط ـ طبعت مصورة ـ سيد أحمد شهيد اكادمي ـ باكستان.

٨. منصب امامت ـ شاه محمد اسمعيل ـ نسخة فارسي ـ طبعة باكستان .

فهرس المحتويات